تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد الثاني عشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير

القرآن العظيم

تفسير سورة الصافات

وهي مكية

قال النسائي(١) : أخبرنا إسماعيل بن مسعود ، حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - عن ابن أبي ذئب قال[١] : أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن[٢] سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ، ويؤمنا بالصافات . تفرد به النسائي .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)﴾

قال سفيان الثوري(٢) : عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن

(١) - « السنن الصغرى » ، كتاب الإمامة ، باب : الرخصة للإمام في التطويل (٢/٩٥) وفي «التفسير» من الكبرى (١١٤٣٢/٦) ، وإسناده حسن ، رجاله كلهم ثقات ؛ حاشا الحارث بن عبد الرحمن - خال ابن أبي ذئب - وهو صدوق كما في التقريب ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٠٦/٣) من طريق بشر بن معاذ العقدي ، نا خالد بن الحارث به ، ورواه علي بن الجعد في مسنده (٢/رقم ٢٨٦٠) - ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (١٣١٩٤/١٢) - ثنا ابن أبي ذئب به ، ورواه أحمد (٢/٢٦، ٤٠، ١٥٧) وأبو يعلى في مسنده (٩/٥٤٤٥، ٥٥٥٣) ومن طريقه الثاني ابن حبان في صحيحه (١٨١٧/٥) - وابن خزيمة أيضًا والبيهقي في السنن الكبرى (١١٨/٣) كلهم من طريق - مفرقًا - (وكيع وحمّاد بن الخياط ويزيد بن هارون ، وعثمان بن عمر ، وشبابة بن سوار) عن ابن أبي ذئب به ، وفي رواية يزيد بن هارون ، وإن كان لَيَؤُمُّنا بالصافات في صلاة الفجر ، ويزيد ثقة ثبت ، وهكذا رواه أصحاب ابن أبي ذئب بهذا الإسناد ، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (رقم ١٨١٦) ثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري أو غيره ، عن سالم به - شك أبو داود - ورواية الجماعة بغير الشك أولى ، والحديث قصر في عزوه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٩/٥) فلم يعزه لغير النسائي والبيهقي!!.

(٢) - رواه الفريابي - كما في الدر المنثور (٥١٠/٥) - ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٩٠٤١/١٢) عن سفيان الثوري به ، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠١/٧) وأعله بشيخ الطبراني : عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو متابع ، فقد رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٩/٢) من طريق أحمد بن حازم الغفاري ، ثنا قبيصة بن عقبة ، أنبأنا سفيان به وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ولا تضره عنعنة الأعمش حيث رواه شعبة عنه ، عن أبي الضحى ، به . كما عند ابن جرير (٣٣/٢٣) وشعبة كفانا تدليس الأعمش ولله الحمد . وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٧/٣) =

[١] - سقط من : ز ، خ. [٢] - في ت : « بن » .

مسعود -رضي الله عنه- أنه قال : ﴿ **والصافات صفًّا** ﴾ وهي الملائكة ، [﴿ **فالزاجرات زجرًا** ﴾ هي الملائكة][١] ، ﴿ **فالتاليات ذكرًا** ﴾ هي الملائكة .

وكذا قال ابن عباس(٣) ومسروق ، وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومجاهد والسدي ، وقتادة والربيع بن أنس . قال قتادة : الملائكة صفوف في السماء .

وقال مسلم(٤) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن ربعي ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فُضِّلنا علىٰ الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا ، وجُعلت لنا تُرْبَتها طهورًا إذا لم نجد الماء** » .

وقد رویٰ مسلم أيضًا ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة(٥) ، من حديث الأعمش ، عن المُسَيب بن رافع ، عن تميم[٢] بن طَرَفَة ، عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا تَصفّون كما تصف الملائكة عند رَبِّهم ؟** » . قلنا : وكيف تصفّ الملائكة عند ربهم ؟ قال : « **يُتمون الصفوفَ المتقدمة ويَتَراصون في الصف** » .

وقال السدي وغيره : معنى قوله : ﴿ **فالزاجرات زجرًا** ﴾: أنها تزجر السحاب زجرًا[٣] .

وقال الربيع بن أنس: ﴿**فالزاجرات زجرًا** ﴾ ما زجر الله عنه في القرآن. وكذا رَوَىٰ مالك، عن زيد بن أسلم. ﴿ **فالتاليات ذكرًا** ﴾ قال السدي: الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلىٰ الناس . وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **فالملقيات ذكرًا * عذرًا أو نذرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن إلهكم لواحد** ﴾ هذا هو المقسم عليه : أنه تعالىٰ لا إله إلا هو ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : من المخلوقات ﴿ **ورب المشارق** ﴾ أي : هو المالك[٤]

= عن معمر ، عن الأعمش به . والخبر زاد نسبته السيوطي إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) – رواه أبو الشيخ في العظمة (٥١١/٣) بإسناد ضعيف إليه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٠/٥) وزاد نسبته إلىٰ ابن المنذر .

(٤) – صحيح مسلم ، فاتحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤) (٥٢٢) .

(٥) – رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : الأمر بالسكون في الصلاة ... (١١٩) (٤٣٠) وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : تسوية الصفوف (٦٦١) ، والنسائي ، كتاب الصلاة ، باب : حث الإمام على رَصّ الصفوف والمقاربة بينها (٩٢/٢) ، وابن ماجة ، كتاب الصلاة والسنة فيها ، باب : إقامة الصفوف (٩٩٢) من طرق عن الأعمش به .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] – سقط من : خ ، ز .

[٣] – سقط من : خ ، ز .

[٤] – سقط من : خ .

المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من[١] كواكب ثوابت وسيارات، تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب. واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليهما[٢]، وقد صرح بذلك في قوله: ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون** ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿ **رب المشرقين ورب المغربين** ﴾ يعني: في الشتاء والصيف، للشمس والقمر.

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض ﴿ **بزينة الكواكب** ﴾ قرئ بالإضافة وبالبدل، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب السيارة والثوابت يَثْقُب ضوؤها جرمَ السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير** ﴾، وقال: ﴿ **ولقد جعلنا في السماء بروجًا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين** ﴾.

وقوله هاهنا: ﴿ **وحفظًا[٣]** ﴾ تقديره: وحَفظناها حفظًا ﴿ **من كل شيطان مارد** ﴾ يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه؛ ولهذا قال: ﴿ **لا يسمعون إلىٰ الملإ الأعلىٰ** ﴾ أي: لئلا يصلوا[٤] إلىٰ الملإ الأعلىٰ، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره، كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله تعالىٰ: ﴿ **حتىٰ إذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحقّ وهو العلي الكبير** ﴾.

ولهذا قال: ﴿ **ويقذفون** ﴾ أي: يُرمَون ﴿ **من كل جانب** ﴾ أي: من كل جهة يقصدون السماء منها ﴿ **دحورًا** ﴾ أي: رجمًا يدحرون به ويرجمون[٥]، ويمنعون من الوصول إلىٰ ذلك ﴿ **ولهم عذاب واصب** ﴾ أي: في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر، كما قال: ﴿ **وأعتدنا لهم عذاب السعير** ﴾.

وقوله: ﴿ **إلا من خَطِفَ الخطفة** ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلىٰ الذي تحته، ويلقيها الآخر إلىٰ الذي تحته، فربما أدركه

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «عليها».

[٣] - في ز: «وحفظناها».

[٤] - في ز،خ: «يصلون».

[٥] - في ت: «ويزجرون».

الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن ، كما تقدم في الحديث ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾ أي : مستنير .

قال ابن جرير (٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كانت للشياطين مقاعد في السماء ، فكانوا يستمعون الوحي ، قال : وكانت النجوم لا تجري ، وكانت الشياطين لا تُرمىٰ[١] ، قال : فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض ، فزادوا في الكلمة[٢] تسعًا ، قال : فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب فلم يُخْطئه حتىٰ يُحرقَه ، قال : فشكوا ذلك إلى إبليس ، فقال : ما هو إلا من أمر حدث ، قال : فَبَثَّ جنوده فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة - قال وكيع : يعني بطن نخلة - قال : فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال : هذا الذي حدث .

وستأتي الأحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنىٰ عند قوله تعالىٰ إخبارًا عن الجن أنهم قالوا : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ .

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ

---

(٦) - تفسير ابن جرير (٣٦/٢٣) ورواه أيضًا (٣٦/٢٣،٣٧) وأحمد (٢٧٤/١) والترمذي ، كتاب التفسير (٣٣٢٤) والنسائي في التفسير من الكبرى (١١٦٢٦/٦) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٤٣١/١٢) من طرق عن إسرائيل به ، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال الشيخين ، ولا تضر عنعنة أبي إسحاق هنا ، لأن إسرائيل من أوثق الناس فيه ، كما قال أبو حاتم وغيره ، وتابع إسرائيل فيه أبوه يونس بن أبي إسحاق . رواه من هذا الوجه البيهقي في الدلائل (٢٣٩/٢،٢٤٠) .

ورواه أحمد أيضًا (٣٢٣/١) ثنا وكيع ، عن إسرائيل عن سماك ، عن سعيد بن جبير به . وهذا إسناد حسن لكلام في سماك ، والخبر أورده السيوطي في الدر المنثور (٤٣٣/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل وانظر ما تقدم (سورة سبأ / آية ٢٣) .

---

[١] - في خ : « ترى » . [٢] - في خ ، ز : « الآية » .

ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ : فسل هؤلاء[١] المنكرين للبعث : أيما أشد خلقًا هم أم السماوات والأرض ، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ؟ وقرأ ابن مسعود : (أم من عددنا) ، فإنهم يُقرّون أن هذه المخلوقات أشد خلقًا منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ، وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا ؟ كما[٢] قال تعالىٰ : ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال : ﴿ **إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾ .

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك : هو الجيّد[٣] الذي يلتزق بعضه ببعض .

وقال ابن عباس(٧) ، وعكرمة : هو اللزج وقال قتادة : هو الذي يلزق باليد .

وقوله : ﴿ **بل عجبت ويسخرون** ﴾ أي : بل عجبت - يا محمد - من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث ، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها ، وهم بخلاف أمرك ، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك .

قال قتادة : عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بني آدم .

﴿ **وإذا رأوا آية** ﴾ أي : دلالة واضحة على ذلك ﴿ **يستسخرون** ﴾ قال مجاهد ، وقتادة : يستهزئون .

﴿ **وقالوا إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ أي : إنْ هذا الذي جئت به إلا سحر مبين ﴿ **أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون** ﴾ يستبعدون ذلك ويكذبون به ﴿ **قل : نعم وأنتم داخرون** ﴾ أي : قل لهم يا محمد : نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابًا وعظامًا ﴿ **وأنتم داخرون** ﴾ أي : حقيرون تحت القدرة العظيمة . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكلٌ أتوه داخرين** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ ثم قال : ﴿ **فإنما**

---

(٧) - رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣/٤٢،٤٣) بأسانيد قابلة للصحة وانظر الدر المنثور (٥/٥١٢) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في خ : « الجسد » .

هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ﴾ أي : إنما هو أمر واحد من الله - عز وجل - يدعوهم دعوة واحدة[١] أن يخرجوا من الأرض ، فإذا هم بين يديه ، ينظرون إلىٰ أهوال يوم القيامة .

﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾

يخبر تعالىٰ عن قِيلِ الكفار يوم القيامة : إنهم يرجعون علىٰ أنفسهم بالملامة ، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة نَدمُوا كلَّ الندم حيث لا ينفعهم الندم ، ﴿ **وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين** ﴾ ، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون : ﴿ **هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون** ﴾ . وهذا يقال لهم علىٰ وجه التقريع والتوبيخ ، ويأمر اللّٰه الملائكة أن تُميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**﴾ ، قال النعمان بن بشير -رضي اللّٰه عنه- : يعني بأزواجهم : أشباههم وأمثالهم . وكذا قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، وأبو صالح ، وأبو العالية ، وزيد بن أسلم .

وقال سفيان الثوري(٨) : عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ قال : إخوانهم .

وقال شريك(٩) عن سماك[٢] عن النعمان قال : سمعت عمر يقول : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ قال : أشباههم . قال : يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا ، وصاحب الزّنا مع أصحاب الزّنا ، وصاحب[٣] الخمر مع أصحاب الخمر .

(٨) - رواه ابن جرير (٢٣/٤٦) ثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان به ، غير أنه قال : «ضرباءهم » ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٣٠) من طريق عبيد الله بن موسى ، أنبأ إسرائيل، ثنا سماك بن حرب به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/١٤٨) عن إسرائيل به ، ليس فيه عمر ، ولفظه : «أمثالهمالذين مِثلهم» وانظر ما بعده :

(٩) - لم أهتد له من هذا الوجه ، وشريك هو ابن عبد الله القاضي سيئ الحفظ غير أنه متابع كما في السابق ، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٥١٣) بنحو هذا اللفظ وزاد نسبته إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن منيع في مسنده وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث - وهو غير موجود في الجزء المطبوع من البعث - فلعله عندهم أو أحدهم من هذا الوجه والله أعلم .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ: « شريك » .

[٣] - في ز ، خ: « أصحاب » .

وقال خصيف(١٠) عن مقسم عن ابن عباس : أزواجهم : نساءهم وهذا غريب ، والمعروف عنه الأول ، كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه : أزواجهم : قُرَناءهم .

﴿ **وما كانوا يعبدون من دون الله** ﴾ أي : من الأصنام والأنداد، وتحشر[١] معهم في أماكنهم .

و[٢]قوله : ﴿ **فاهدوهم إلىٰ صراط الجحيم** ﴾ أي : أرشدوهم إلىٰ طريق جهنم . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة علىٰ وجوههم عُميًا و[بُكمًا وصُمًّا][٣] مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾ أي : قفوهم حتىٰ يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا ، كما قال الضحاك(١١) ، عن ابن عباس : يعني : احبسوهم إنهم محاسبون .

وقال ابن أبي حاتم(١٢) : حدثنا أبي ، حدثنا النّفيلي ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال[٤] : سمعت ليثًا يُحدِّث عن بشر ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أيما داعٍ دعا إلىٰ شيء كان موقوفًا معه إلىٰ يوم القيامة ، لا يغادره ولا يفارقه ، وإن دعا رجل رجلًا** » . ثم قرأ : ﴿ **وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾ .

---

(١٠) - خُصَيف هو ابن عبد الرحمن الجزري فيه ضعف ، وقد ورد تفسيره عن ابن عباس كالجادة وهو الأصح سندًا وهذا غريب كما قال المصنف ، وانظر تفسير ابن جرير (٤٦/٢٣،٤٧) والدر المنثور (٥/ ٥١٤).

(١١) - والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، والأثر أورده السيوطي في الدر المنثور (٥١٤/٥) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

(١٢) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥١٤/٥) وقد رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦) عن مسدد ، والترمذي في الجامع ، كتاب تفسير القرآن (٣٢٢٨) ثنا أحمد بن عبدة الضبي . وإسحاق ابن راهويه - ومن طريقه الحاكم (٤٣٠/٢) - وابن جرير في تفسيره (٤٨/٢٣) ثنا يعقوب بن إبراهيم أربعتهم (مسدد وأحمد وإسحاق ويعقوب) ثنا معتمر بن سليمان به ، وأبهم يعقوب في روايته اسم شيخ الليث فقال : عن رجل - وقد رواه الدارمي في سننه (٥٢٢/١) من طريق عبد السلام بن حرب ، عن ليث به . وقال الترمذي : حديث غريب - يعنى : ضعيف . وعلته ليث وهو ابن أبي سليم ، فإنه اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك كما في التقريب . وشيخه مجهول ، وقد تقدمت ترجمته عند (آية رقم ٩٢) من سورة الحجر ، وقد اضطرب في تسميته ليث ، فلم ينسبه هنا ، بينما رواه ابن أبي شيبة - وعنه ابن أبي عاصم في السنة (١/ رقم ١١٢) وابن ماجة في المقدمة (٢٠٨) - ثنا أبو معاوية ، عن ليث ، عن بشر بن نهيك ، =

---

[١] - في ت : « يحشر » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وصُمًّا وبكمًا » . [٤] - سقط من : خ ، ز .

ورواه الترمذي من حديث ليث بن أبي سليم . ورواه ابن جرير ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن معتمر ، عن ليث ، عن رجل ، عن أنس مرفوعًا .

وقال عبد الله بن المبارك(١٣) : سمعت عثمان بن زائدة يقول : إن أول ما يُسأل عنه الرجل جلساؤه ، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ : ﴿ **ما لكم لا تناصرون** ﴾ أي : كما زعمتم أنكم جميع منتصر ، ﴿ **بل هم اليوم مستسلمون** ﴾ أي : منقادون[١] لأمر الله ، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه .

بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة ، كما يتخاصمون في دَرَكات النار ،

= عن أبي هريرة مرفوعًا به ، دون ذكر الآية ، وبشر بن نَهيك تابعي معروف ، غير أنَّ ليثًا ضعيف ، وقد عُدَّ ذلك من تخاليطه ، ثم إنه لا يعرف لليث رواية عن بشير ، ولذلك لم يحسن المنذري حينما أورده في الترغيب (٩٢/١) وقال : رواه ابن ماجة ، ورواته ثقات !! . وقد رواه الحاكم أيضًا ، ثنا عمر بن جعفر البصري ، ثنا الحسن بن أحمد التستري ، ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه عن أنس مرفوعًا به . وقال الحاكم : هكذا حدَّث به الحسن بن أحمد التستري ، عن عبيد الله بن معاذ عنه ، ولو جاز لنا قبوله منه ، لكنا نصححه على شرط الشيخين ، ولكن نقول أن صوابه . ثم أسند طريق إسحاق بن راهويه المتقدمة، والحسن بن أحمد هذا ترجم له الذهبي في الميزان فقال : روى خبرًا موضوعًا عن إسماعيل ابن إسحاق القاضي بسند كالشمس متنه ...... وقال الخطيب : الحسن بن أحمد صاحب مناكير ، وفي اللسان لابن حجر عن الدارقطني قال : الحسن ضعيف جدًّا ، كان يتهم بوضع الحديث . والحديث زاد نسبته السيوطي إلى ابن منذر وابن مرداويه .

(١٣) - أورده السيوطي في الدر المنثور (٥١٤/٥) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

[١] - في ز ، خ: « ينقادون » .

﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾ وقال : **﴿ ولو ترىٰ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلىٰ بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدىٰ بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾** ، وهكذا قالوا لهم هاهنا : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** ، قال الضحاك عن ابن عباس(١٤) : يقولون : كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا ، لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء .

وقال مجاهد : يعنى : عن الحق . الكفار تقوله للشياطين .

وقال قتادة : قالت الإنس للجن : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** قال : من قبل الخير ، فتنهونا عنه وتبطئونا عنه. وقال السدي : تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل وتصدونا عن الحق. وقال الحسن في قوله : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** إي والله يأتيه عند كل[١] خير يريده فيصده عنه .

وقال ابن زيد : معناه تحولون بيننا وبين الخير ، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذى أمرنا به[٢] . وقال يزيد الرِّشْك : من قبل « **لا إله إلا الله** » . وقال خُصيف : يعنون من قبل ميامنهم .

وقال عكرمة : **﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾** قال : من حيث نأمنكم .

وقوله : **﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴾** ، تقول القادة من الجن والإنس للأتباع : ما الأمر كما تزعمون ، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان ، قابلة للكفر والعصيان[٣] **﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾** أي : من حجة علىٰ صحة ما دعوناكم إليه ، **﴿ بل كنتم قومًا طاغين ﴾** أي : بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق ؛ فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء ، وأقاموا لكم الحجج علىٰ صحة ما جاءوكم به ، فخالفتموهم .

﴿ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين ﴾ ، يقول الكبراء للمستضعفين : حقت علينا كلمة الله أنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة ،

---

(١٤) - سنده فيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس وانظر الدر المنثور (٥/٥١٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : خ ، ز .

﴿ **فأغويناكم** ﴾ أي : دعوناكم إلىٰ الضلالة ، ﴿ **إنا كنا غاوين** ﴾ أي : دعوناكم إلىٰ ما نحن فيه فاستجبتم لنا . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون** ﴾ أي : الجميع في النار ، كل بحسبه ، ﴿ **إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا** ﴾ أي : [في الدار الدنيا][١] ﴿ **إذا قيل لهم لا إله إلا اللَّه يستكبرون** ﴾ أي : يستكبرون أن يقولوها ، كما يقولها المؤمنون.

قال ابن أبي حاتم (١٥) : حدثنا أبو عبيد اللَّه ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا الليث ، عن ابن مُسافر - يعني عبد الرحمن بن خالد - عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هُرَيرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا اللَّه ، فمن قال : لا إله إلا اللَّه ، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه علىٰ اللَّه** » وأنزل اللَّه في كتابه - وذكر قومًا استكبروا - فقال : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم : لا إله إلا اللَّه يستكبرون** ﴾ » .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا(١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حَمَّاد ، عن سعيد الجُرَيري ، عن أبي العلاء قال : يؤتىٰ باليهود يوم القيامة فيقال لهم : ما كنتم

---

(١٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥/٥١٦) ورواه الدارقطني في العلل (٩/١٥٥/ س ١٦٨٧) ثنا النيسابوري ثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب أبو عبيد الله به ، وأورده المصنف أيضًا في (سورة الفتح / آية ٢٦) من طريق ابن أبي حاتم ، ثنا أحمد بن منصور الرمادي ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث به . ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٦ / ١٠٣،١٠٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (١/رقم ١٩٦) من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، وابن حبان في صحيحه (١/رقم ٢١٨) من طريق شعيب بن أبي حمزة ، كلاهما (يحيى وشعيب) عن ابن شهاب به وقوله : وأنزل الله في كتابه - وذكر قومًا استكبروا - فقال : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ وفيه زيادة بعده أيضًا ذكرها المصنف في (سورة الفتح) وهي : وقال الله جل ثناؤه ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فاستكبروا عنها ، واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قضية المدة . قال ابن كثير : والظاهر أن هذه الزيادة مدرجة من كلام الزهري والله أعلم . لكن رواه البيهقي (رقم ١٩٥) من طريق إسحاق بن يحيى الكلبي ، ثنا الزهري ، حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة - رضي الله عنه - أخبره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أنزل الله تعالى في كتابه فذكر قومًا استكبروا .... وهذا ظاهره الرفع ، لكن إسحاق بن يحيى - وإن كان صدوقًا - فقد خالف الثقات في ذلك لا سيما وقد رواه البخاري ، كتاب الجهاد (٢٩٤٦) ، ومسلم كتاب الإيمان (٣٣) (٢١) والنسائي (٦/٤،٧،٧٨) من طريقين عن ابن شهاب به ، دون ذكر هذه الزيادة ، وانظر العلل لأبي الحسن الدارقطني (١/س٣) ، (٩/س ١٦٨٧) .

(١٦) - إسناده صحيح إلى أبي العلاء ، وهو يزيد بن عبد الله الشخير ، وحماد هو ابن سلمة ، وقد روى عن الجريري قبل اختلاطه .. راجع الكواكب النيرات [ص١٨٣] - وأبو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة الجدي .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

تعبدون ؟ فيقولون : الله وعُزَيرًا . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال . ثم يؤتىٰ بالنصارىٰ فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : نعبد الله والمسيح . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال . ثم يؤتىٰ بالمشركين فيقال لهم : « **لا إله إلا الله** » ، فيستكبرون . ثم يقال لهم : « **لا إله إلا الله** » ، فيستكبرون . ثم يقال لهم : « **لا إله إلا الله** » فيستكبرون . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال ، قال أبو نضرة : فينطلقون أسرع من الطير ، قال أبو العلاء : ثم يؤتىٰ بالمسلمين فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله . فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم . فيقال لهم : فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : نعلم أنه لا عِدْلَ له قال : فيتعرف لهم تبارك وتعالى وينجي الله المؤمنين ﴿ **ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾ أي : أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول الشاعر المجنون ، يعنون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ! قال الله تعالىٰ تكذيبًا لهم ، وَرَدًّا عليهم : ﴿ **بل جاء بالحق** ﴾ ، يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله له من الإخبار والطلب ، ﴿ **وصدق المرسلين** ﴾ أي : صدّقهم فيما أخبروا[١] عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن الله في شرعه وأمره كما أخبروا ، ﴿ **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك** ...﴾ الآية .

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا للناس: ﴿ **إنكم لذائقو العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ . ثم استثنىٰ من ذلك عبادَه المخلصين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، وقال : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، وقال : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتمًا مقضيًا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا** ﴾ وقال : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين** ﴾، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إلا عباد الله المخلصين** ﴾ أي : ليسوا يذوقون العذاب الأليم ، ولا يناقشون في الحساب ، بل

---

[١] - في ت : « أخبروه » .

يتجاوز عن سيئاتهم ، إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة ، إلىٰ ما يشاء الله من التضعيف .

وقوله : ﴿ **أولئك لهم رزق معلوم** ﴾ ، قال قتادة ، والسدي : يعني الجنة . ثم فسره بقوله تعالىٰ : ﴿ **فواكه** ﴾ أي : متنوعة ﴿ **وهم مكرمون** ﴾ أي : يخدمون ويرفهون وينعمون ، ﴿ **في جنات النعيم * علىٰ سرر متقابلين** ﴾ ، قال مجاهد : لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

وقال ابن أبي حاتم(١٧) : حدثنا يحيىٰ بن عبدك القزويني ، حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا إبراهيم بن بشر ، حدثنا يحيىٰ بن معين ، حدثنا إبراهيم القرشي ، عن سعيد[١] بن شرحبيل ، عن زيد ابن أبي أوفىٰ قال : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتلا هذه الآية : ﴿ **علىٰ سرر متقابلين** ﴾ : « **ينظر بعضهم إلىٰ بعض** » . حديث غريب .

وقوله : ﴿ **يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون** ﴾ فنزّه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول - وذهابها بالعقل جملة ، فقال هاهنا : ﴿ **يطاف عليهم بكأس من معين** ﴾ أي : بخمر من أنهار جارية ، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها .

---

(١٧) - إسناده مسلسل بالمجاهيل . وتقدم عند المصنف (سورة الحجر / آية ٤٧) كما هنا ، وقد رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣/٣٨٦) وفي الصغير (١/٢٥٠) ثنا حسان بن حسان به . وهو جزء من حديث المؤاخاة الطويل وقد قال البخاري : هذا إسناد مجهول لا يتابع عليه ، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض ، رواه بعضهم عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا أصل له . وزيد بن أبي أوفى أخو عبد الله بن أبي أوفى صحابي لا يعرف إلا في هذا الحديث ، ورجاله من إبراهيم بن بشر إلى سعيد بن شرحبيل جهلهم أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٤/٣٣) . ويحيى بن معين في هذا الإسناد هو المدني مجهول ، وهو غير يحيى بن معين أبي زكريا البغدادي إمام الجرح والتعديل . وأفاد محقق التاريخ الكبير أن هذا الاسم محرف ، وصوابه : يحيى بن معن وهو محتمل بل يحتمل التحريف في الاسم كله ، فقد رواه عبد الله بن محمد البغوي (؟؟) - ومن طريقه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٨٤،١٩٨٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/٤١٢/ مخطوط) ومن طريق ابن عدي أبو الفرج بن الجوزي في العلل المتناهية (١/رقم ٣٤٤) . وابن جرير كما في السير لأبي عبد الله الذهبي (١/١٤١، ١٤٢) من طريق حسين بن محمد الزراع نا عبد المؤمن ابن عباد نا يزيد ابن معن عن عبد الله شرحبيل ، عن زيد بن أبي اوفى به ، قال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو حاتم الرازي : عبد المؤمن ضعيف ، فقد رواه نصر بن علي ، عن ابن شرحبيل ، عن رجل ، عن يزيد ، ولعل ذلك الرجل غير ثقة فقد أسقطه عبد المؤمن ، ومن طريق نصر بن علي عن عبد المؤمن عن يزيد بن معن عن عبد الله بن شرحبيل عن رجل من قريش عن زيد بن أبي أوفى به رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني=

---

[١] - في ز ، خ : « سعد » .

قال مالك ، عن زيد بن أسلم : خمر جارية بيضاء . أي : لونها مشرق حسن بهِيّ لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء ، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم .

وقوله : ﴿ لذة للشاربين ﴾ أي : طعمها طيب كلونها ، وطيب الطعم دليل على طيب الريح ، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك .

وقوله : ﴿ لا فيها غول ﴾ يعني : لا تؤثر فيهم غولًا وهو وجع البطن . قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القُولَنْج ونحوه لكثرة مائيتها .

وقيل : المراد بالغول هاهنا صُدَاع الرأس . ورُوي هكذا عن ابن عباس(١٨) .

و[ ][١] قتادة : هو صداع الرأس ووجع البطن . وعنه وعن السدي : لا تغتال عقولهم . كما قال الشاعر :

فما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأولِ

وقال سعيد بن جبير : لا مكروه فيها ولا أذى . والصحيح قول مجاهد : إنه وَجعُ البطن .

وقوله : ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ ، قال مجاهد : لا تذهب عقولهم . وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والحسن ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، والسدي ، وغيرهم .

وقال الضحاك(١٩) : عن ابن عباس : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول . فذكر الله خمر الجنة فنزّهها[٢] عن هذه الخصال ، كما ذكر في سورة الصافات .

= (٢٧٠٧/٥) والطبراني في المعجم الكبير (٥١٤٦/٥) والحسن بن سفيان . كما في السير ، والإصابة لابن حجر (٤٠/٤) - وابن عساكر ، وقد رواه ابن مردويه - ومن طريقه ابن الأثير في أسد الغابة (٢٧٨/٢) . وعلقه الذهبي في السير من طريق موسى بن صهيب ، عن يحيى بن زكريا - كذا وقع - عن عبد الله بن شرحبيل ، عن رجل ، عن زيد به . وهذا مسلسل بالمجاهيل أيضًا . قال الذهبي : هو منكر جدًّا ، وزيد لا يعرف إلا في هذا الحديث الموضوع ... وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤١/٤/ هامش الإصابة) : زيد بن أبي أوفى الأسلمي ، له صحبة يَعدُّ في أهل المدينة ... روى حديث المؤاخاة بتهامة ، إلا أن في إسناده ضعفًا ، وقال ابن السكن - كما في الإصابة - : روى حديثه من ثلاث طرق ، ليس فيها ما يصح وبالله التوفيق .

(١٨) - رواه ابن جرير (٥٥/٢٣) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٣٢٢) وفي سنده انقطاع وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٩) - الضحاك لم يسمع من ابن عباس كما قال شعبة وغيره . راجع جامع التحصيل [ص١٩٩] - والخبر عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

---

[١] - في ت : قال . [٢] - في ز، خ: « فنزعها » .

وقوله : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي : عفيفات لا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن . كذا قال ابن عباس (٢٠) ، ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ عين ﴾ أي : حسان الأعين . وقيل : ضخام الأعين . وهو يرجع إلىٰ الأول ، وهي النَّجلاء العيناء ، فوصف عيونهن بالحسن والعفة ، كقول زليخا في يوسف حين جمَّلته وأخرجته علىٰ تلك النسوة ، فأعظمنه وأكبرنه ، وظنن[١] أنه مَلك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره : ﴿ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي : هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي ، وهكذا الحور العين ﴿ خيرات حسان ﴾ ولهذا قال : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين ﴾ .

وقوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ [بترافة وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان .

قال علي بن أبي طلحة(٢١) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾][٢] يقول : اللؤلؤ المكنون ، ويُنْشَدُ[٣] هاهنا بيت أبي دَهْبَل الشاعر في قصيدة له :

وَهْـيَ زَهْـرَاءُ مثْـلُ لُـؤلُـؤةِ الـغَـوَّ اصِ ميِّزَتْ[٤] مِن جوهر مكْنُون

وقال الحسن : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يعني : محصون لم تمسه الأيدى .

وقال السدي : البيضُ في عشه مكنون .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ بيض مكنون ﴾ يعني : بطن البيض .

وقال عطاء الخراساني : هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيض[٥] .

وقال السدي : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يقول : بياض البيضُ حين يُنزع قشره . واختاره ابن جرير لقوله[٦] : ﴿ مكنون ﴾ قال : والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتنالها[٧] الأيدي بخلاف داخلها ، والله أعلم .

---

(٢٠) - رواه ابن جرير (٥٦/٢٣) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٣٤١) وسنده فيه انقطاع وزاد عزوه السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١) - علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس . وانظر التخريج السابق .

---

[١] - في ز : « ظنين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « وينشد » .

[٤] - في خ : « ميزان » .

[٥] - في خ ، ز : « البيضة » .

[٦] - في ز : « كقوله » .

[٧] - في خ : « ومالها » .

وقال ابن جرير (٢٢) : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا محمد بن الفرج الصَّدَفي الدمياطي ، عن عمرو[١] بن هاشم ، عن ابن أبي كريمة ، عن هشام ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة - رضي الله عنها - قلتُ : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ . قال : « **رقتهن كرقة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة ، التي تلي القشر ، وهي الغِرْقِي**[٢] ».

وقال ابن أبي حاتم (٢٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسَّان النهدي ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا**

---

(٢٢) - منكر .

تفسير ابن جرير (٥٨/٢٣) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/رقم ٨٧٠) وفي الأوسط (٣١١٤/٣) - ومن طريقه سيورده المصنف عند آية (٣٧) من سورة الواقعة - والعقيلي في الضعفاء (١٣٨/٢/ ترجمة سليمان بن أبي كريمة) وابن عدي في الكامل (١١١١/٣) كلهم من طريق بكر بن سهل ، ثنا عمرو بن هشام به مطولاً . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن هشام بن حسان إلا سليمان بن أبي كريمة ، تفرد به عمرو بن هاشم ، وهو حسن الحديث غير أن شيخه ضعفه أبو حاتم واستنكر له ابن عدي هذا الحديث بعينه وقال : أحاديثه منكرة مسندة في التفسير وغيره . وقال العقيلي : يحدث بمناكير ، ولا يتابع على كثير من حديثه ، ولا يتابع على هذا الحديث ولا يعرف إلا به ، وبه أعله الهيثمي في المجمع (١٢٢/٧) ، (٤٢٠،١٠،٤٢١) وسكت عنه المنذري في الترغيب والترهيب (٥٣٦/٤،٥٣٧) !! وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢١١/٦) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٢٣) - ورواه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب : فضل النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٦١٠) ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ، ثنا عبد السلام بن حرب به ، دون قوله : يطوف علي .... ورواه الدارمي (١/رقم ٤٩) وابن أبي الدنيا - كما في النهاية للمصنف (١٩٠/٢،١٩١) والبيهقي في الدلائل (٤٨٣/٥) والبغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (١/رقم ٦٧) وفي شرح السنة (٣٦٢٤/١٣) من طريق سعيد بن سليمان - تحرف سليمان عند الدارمي إلى سفيان - ثنا منصور بن أبي الأسود ، نا الليث به . وقال الترمذي : حديث حسن غريب . وقال البغوي : حديث غريب يعني : ضعيف . وهو أشبه ؛ إذ إن ليث هو ابن أبي سليم ، وهو صدوق اختلط أخيرًا ، ولم يتميز حديثه فترك كذا في التقريب - وقد اختلط عليه فيه فرواه (عبد السلام ابن حرب ومنصور بن أبي الأسود) عنه بالإسناد المتقدم ، ورواه حبان بن علي العنزي عنه عن عبيد الله بن زحر ، عن الربيع به ، فزاد فيه : عبيد الله ، رواه من هذا الوجه أبو يعلى في المعجم (١/رقم ١٦٠) - ومن طريقه البيهقي (٤٨٤/٥) وابن زحر متكلم فيه وحبان بن علي ضعيف لكن الحمل فيه على ليث ، حيث رواه محمد بن فضيل عنه بمثل رواية حبان ، ذكر رواية ابن فضيل المزي في تحفة الأشراف (١/ رقم ٨٣١) والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (١٤٩/٦) وعزاه إلى الترمذي وابن مردويه ورمز لضعفه في الجامع الصغير وأقره المناوي في فيض القدير (٤٠/٣) - لكنه أغرب حيث اكتفى بإعلاله بشيخ الترمذي وهو متابع . وتبعهما الألباني فسود به حديث رقم (١٤٠٦) من ضعيف الجامع وبالله التوفيق .

---

[١] - في خ : « عمر » . [٢] - في ز : « العزفي » .

مُبشّرهم إذا حزنوا ، وأنا شفيعهم إذا حُبسوا[١] . لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم علىٰ ربي - عز وجل - ولا فخر ، يطوف عليَّ ألف خادم كأنهن البيض المكنون - أو : اللؤلؤ المكنون » .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

يخبر تعالىٰ عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون ، أي : عن أحوالهم ، وكيف كانوا في الدنيا ، وماذا كانوا يعانون فيها ؟ وذلك من حديثهم علىٰ شرابهم ، واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم ، وهم جلوس علىٰ السّرُر ، والخدم بين أيديهم ، يسعون ويجيئون بكل خير عظيم ، من مآكل ومشارب وملابس ، وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، ﴿ **قال قائل منهم إني كان لي قرين** ﴾ قال مجاهد : يعني : شيطانًا .

وقال العوفي(٢٤) ، عن ابن عباس : هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا ، ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس ، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلامًا تسمعه الأذنان ، وكلاهما متعاديان[٢]، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا** ﴾ ، وكل منهما يوسوس ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس** ﴾ ؛ ولهذا ﴿ **قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين** ﴾ أي : أأنت تُصدّق بالبعث والنشور والحساب والجزاء ؟ ! يعني يقول ذلك علىٰ وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد ، ﴿ **أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون** ﴾ ، قال مجاهد ، والسدي : لمحاسبون . وقال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي : لمجزيون بأعمالنا . وكلاهما صحيح .

(٢٤) - رواه ابن جرير (٥٩/٢٣) بإسناد مسلسل بالضعفاء ، أولهم عطية العوفي .

[١] - في ز : « جلسوا » . [٢] - في خ : « متقاربان » .

قال : ﴿ **قال هل أنتم مطلعون** ﴾ ، أي : مشرفون . يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة . ﴿ **فاطلع فرآه في سواء الجحيم** ﴾ قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وخُليد العَصَري، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني : يعني في وسط الجحيم .

وقال الحسن البصري : في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد[١] .

وقال قتادة : ذُكرَ لنا أنه اطلع فرأىٰ جماجم القوم تغلي . وذكرَ لنا أن كعب الأحبار قال : في الجنة كُوَى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلىٰ عدوه في النار اطلع فيها ، فازداد شكرًا .

﴿ **قال تالله إن كدت لتردين** ﴾ يقول المؤمن مخاطبًا للكافر : والله إن كدت لتُهلكني لو أطعتك ، ﴿ **ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين** ﴾ أي : ولولا فضل الله عليّ لكنت مثلكَ في سواء الجحيم حيث أنت ، محضر معك في العذاب ، ولكنه تفضل عليّ[٢] ورحمني فهداني للإيمان ، وأرشدني إلىٰ توحيده ، ﴿ **وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين** ﴾ هذا من كلام المؤمن مُغْبطًا نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة ، لا موت فيها ولا عذاب ، ولهذا قال : ﴿ **إن هذا لهو الفوز العظيم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٢٥) : حدثنا أبو عبد الله الظهراني ، حدثنا حفص بن عُمر العدَني ، حدثنا الحكم ابن أبان ، عن عكرمة قال : [قال ابن عباس -رضي الله عنهما - في قول الله تبارك وتعالىٰ لأهل الجنة : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون** ﴾][٣] قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قوله ﴿ **هنيئًا** ﴾ أي : لا يموتون فيها . فعندها قالوا : ﴿ **أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين** ﴾ .

[وقال الحسن البصري : علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه ، فقالوا : ﴿ **أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين** ﴾ ،][٤] قيل : لا . قالوا : ﴿ **إن هذا لهو الفوز العظيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ [قال قتادة][٥] : هذا من كلام أهل الجنة .

---

(٢٥) - حفص بن عمر العدني ، ضعيف وشيخه صدوق له أوهام كما في التقريب - والخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٥) ولم يعزه لغير عبد بن حميد .

---

[١] - في خ ، ز : « يقد » .
[٢] - سقط من : م .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين بياض في : خ ، ز .

وقال ابن جرير(٢٦) : هو من كلام الله تعالىٰ ، ومعناه : لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ، ليصيروا إليه في الآخرة .

وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في بني إسرائيل ، تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة .

قال أبو جعفر بن جرير(٢٧) : حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، حدثنا عتاب ابن بشير ، عن[١] خُصيف ، عن فرات بن ثعلبة البهْرَانيّ[٢] في قوله : ﴿ **إني كان لي قرين** ﴾ قال : إن رجلين كانا شريكين ، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة ، والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر : ليس عندك حرفة ، ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك . فقاسمه وفارقه ، ثم إن الرجل اشترىٰ دارًا بألف دينار كانت لملك مات ، فدعا صاحبه فأراه فقال : كيف ترىٰ هذه الدار ؟ ابتعتها بألف دينار ؟ قال : ما أحسنها ! فلما خرج قال : اللّهم ؛ إن صاحبي ابتاع هذه الدار بألف دينار ، وإني أسألك دارًا من دور الجنة . فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ما شاء اللّه أن يمكث . ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار ، فدعاه وصَنع له طعامًا ، فلما أتاه قال : إني تزوجت امرأة بألف دينار . [قال : ما أحسن هذا ! فلما انصرف قال : يارب ، إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار][٣] ، وإني أسألك امرأة من الحور العين . فتصدق بألف دينار ، ثم إنه مكث ما شاء اللّه أن يمكث . ثم اشترىٰ بستانين[٤] بألفي دينار ، ثم دعاه فأراه فقال : إني ابتعت هذين البستانين . فقال : ما أحسن هذا ! فلما خرج قال : يارب ؛ إن صاحبي قد اشترىٰ بستانين بألفي دينار ، وأنا أسألك بستانين في الجنة . فتصدق بألفي دينار ، ثم إن الملَك أتاهما فتوفاهما ، ثم انطلق بهذا المتصدق ، فأدخله دارًا تعجبه ، وإذا امرأة تَطَّلعُ يضيء ما تحتها من حسنها ، ثم أدخله بستانين وشيئًا اللّه به عليم ، فقال عند ذلك : ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال : فإنه ذاك ولك هذا المنزل

(٢٦) - التفسير (٦٢/٢٣) .

(٢٧) - تفسير ابن جرير (٥٩/٢٣) وفي إسناده انقطاع بين خُصَيف وفرات ، فقد ترجم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧٩/٧) لفرات فقال : ابن ثعلبة البهراني شامي ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أدخله أبي في مسند الوحدان ، وأدخله أبو زرعة في مسند الشاميين ، ولم يذكر فيما يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقيًا ولا سماعًا روى عن أبي عامر ، روى عنه سليم بن عامر ، وضمرة والمهاصر بن حبيب . وروى عبد الكريم الجزري وخصيف عنه مرسلًا .... وانظر أيضًا التاريخ الكبير لأبي عبد الله البخاري (١٢٨/٧، ١٢٩) وهذا الخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٩/٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور .

[١] - في خ : « بن » .
[٢] - في خ ، ز : « البصرائي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « بساتين » .

والبستانان[١] والمرأة . قال : فإنه كان لي صاحب يقول : أئنك لمن المصّدّقين ؟ قيل له : فإنه في الجحيم . قال : هل أنتم مطلعون؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم . فقال عند ذلك : ﴿ **تاللّه إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين** ...﴾ الآيات .

قال ابن جرير : وهذا يقوي قراءة من قرأ : ﴿ **أئنك لمن المصّدّقين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٨) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عُمَر بن عبد الرحمن الأَبَّار - أنا أبو حفص ؛ قال : سألتُ إسماعيلَ السدّي عن هذه الآية : ﴿ **قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول: أئنك لمن المصدقين** ﴾ ؟ قال : فقال لي : ما ذكّرك هذا ؟ قلت : قرأته آنفًا فأحببت أن أسألك عنه ؟ فقال : أمَا فاحفظْ : كان شريكان في بني إسرائيل ، أحدهما مؤمن والآخر كافر، فافترقا علىٰ ستة آلاف دينار ، كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ، فمكثا ما شاء اللّه أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟ أضَرَبْتَ به شيئًا ؟ أتَّجَرْتَ به في شيء ؟ فقال له المؤمن : لا ، فما صنعت أنت ؟ فقال : اشتريت به أرضًا ونخلًا وثمارًا وأنهارًا . قال : فقال له المؤمن : أوَ فعلت ؟ قال : نعم . قال : فرجع المؤمن حتىٰ إذا كان الليل صلىٰ ما شاء اللّه أن يصلي ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ، ثم قال : اللّهم ؛ إن[٢] فلانًا - يعني شريكه الكافر - اشترىٰ أرضًا ونخلًا وثمارًا وأنهارًا بألف دينار ، ثم يموت غدًا ويتركها ، اللّهم ؛ إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضًا ونخلًا وثمارًا[٣] وأنهارًا في الجنة . قال : ثم أصبح فقسمها في المساكين . قال : ثم مكثا ما شاء اللّه أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟ أضربت[٤] به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ قال : لا ، فما صنعت أنت ؟ قال : كانت ضيعتي قد اشتد عليّ مؤنتها ، فاشتريت رقيقًا بألف دينار ، يقومون بي فيها ، ويعملون لي فيها . فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم . قال : فرجع المؤمن [حتىٰ إذا][٥] كان الليل صلىٰ ما شاء اللّه أن يصلي ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ، ثم قال : اللّهم ؛ إن فلانًا - يعني : شريكه الكافر - اشترىٰ رقيقًا من رقيق الدنيا بألف دينار ، يموت غدًا ويتركهم ، أو يموتون فيتركونه ، اللّهم ؛ وإني أشتري منك بهذه الألف الدينار رقيقًا في الجنة . ثم أصبح فقسمها في المساكين .

---

(٢٨) - ولم يعزه السيوطي في الدر المنثور (٥١٩/٥) لغير أبي حاتم ورجاله ثقات غير أبي حفص هذا فلم أعرفه ، وأخشى أن تكون كلمة أنا أبو حفص مقحمة ، فإني لم أجد في الرواة عن السدي من يكنى بذلك ، وكنية عمرو بن عبد الرحمن الأبار أبو حفص ، فيحتمل أن يكون أنا بين عمرو وأبي حفص مقحمة ، والذي جعلني لم أجزم بذلك أنهم لم يذكروا رواية لـ عمر بن عبد الرحمن عن إسماعيل السدي ، فالله أعلم .

---

[١] - في ز : « البستانين » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ضربت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « فلما » .

قال : ثم مكثا ما شاء اللّٰه أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟أضربت به في شيء ؟ . أتجرت به في شيء ؟ . قال : لا ، فما صنعت أنت ؟ قال : أمري كله قد تم إلا شيئًا واحدًا ، فلانة قد مات عنها زوجها ، فأصدقتها ألف دينار ، فجاءتني بها ومثلها معها . فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم . فرجع المؤمن حتىٰ إذا كان الليل صلىٰ ما شاء اللّٰه أن يصلي ، فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه ، وقال : اللّٰهم ؛ إن فلانًا - يعني شريكه الكافر - تزوج زوجة من أزواج الدنيا فيموت غدًا فيتركها ، أو تموت غدًا فتتركه ، اللّٰهم ؛ [إني][١] أخطب إليك بهذه الألف الدينار حَوراء عيناء في الجنة . ثم أصبح فقسمها بين المساكين . قال : فبقي المؤمن ليس عنده شيء .

قال : فلبس قميصًا من قطن ، وكساء من صوف ، ثم أخذ مَرًّا فجعله علىٰ رقبته ، يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته . قال : فجاءه رجل فقال : يا عبد اللّٰه ؛ أتؤاجرني نفسك مشاهرة ، شهرًا بشهر ، تقوم علىٰ دواب لي تعلفها وتكنس سَرْقِينها ؟ قال : نعم . قال : فآجره نفسه مشاهرة ، شهرًا بشهر ، يقوم علىٰ دوابه . قال : فكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلىٰ دوابه ، فإذا رأىٰ منها دابة ضامرة ، أخذ برأسه فوجأ عنقه ، ثم يقول له : سرقت شعير هذه البارحة ؟ فلما رأىٰ المؤمن هذه الشدة قال : لآتين شريكي الكافر ، فَلأعملن في أرضه فيطعمني هذه الكسرة يومًا بيوم ، ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا .

قال : فانطلق يريده فلما انتهىٰ إلىٰ بابه وهو مُمْسٍ ، فإذا قصر مَشيد في السماء ، وإذا حوله البوابون ، فقال لهم : استأذنوا لي على صاحب هذا القصر ، فإنكم إذا فعلتم سَرّه ذلك . فقالوا له : انطلق إن كنت صادقًا فَنَم في ناحية ، فإذا أصبحت فتَعَرّضْ له . قال : فانطلق المؤمن ، فألقىٰ نصف كسائه تحته ، ونصفه فوقه ، ثم نام .

فلما أصبح أتىٰ شريكه فتعرّض له ، فخرج[٢] شريكه الكافر وهو راكب ، فلما رآه عَرَفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ، ثم قال له : ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ ! قال : بلىٰ ، وهذه حالي وهذه حالك . قال : أخبرني ما صنعت في مالك ؟ ! قال : لا تسألني عنه . قال : فما جاء بك ؟ قال : جئت أعمل في أرضك هذه ، فتطعمني هذه الكسرة [يومًا بيوم][٣] ، وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا . قال : لا ، ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ، ولكن لا ترىٰ مني خيرًا حتىٰ تخبرني ما صنعت في مالك ؟ ! [قال : أقرضته][٤] قال : من ؟ قال : المَليءَ الوفيّ . قال : من ؟ قال : اللّٰه ربي . قال وهو مصافحه ، فانتزع يده من يده ، ثم[٥] قال : ﴿ **أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون** ﴾ -

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « فلما خرج » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .

قال السدي : محاسبون - قال : فانطلق الكافر وتركه . قال : فلما رآه المؤمن ليس يلوي عليه ، رجع وتركه ، يعيش المؤمن في شدة من الزمان ، ويعيش الكافر في رخاء من الزمان . قال : فإذا كان يوم القيامة وأدخل اللَّه المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار ، فيقول : لمن هذا ؟ فيقال : هذا لك . فيقول : يا سبحان اللَّه ! أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ ! قال: ثم [يمر فإذا هو][١] برقيق لا تحصىٰ عدتهم ، فيقول : لمن هذا ؟ فيقال : هؤلاء لك . فيقول : يا سبحان اللَّه ؛ أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ ! قال : ثم يمر فإذا هو بقبة [من ياقوتة][٢] حمراء مجوفة ، فيها حوراء عيناء ، فيقول : لمن هذه ؟ فيقال : هذه لك . فيقول : يا سبحان اللَّه ! أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ ! قال : ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول[٣] : ﴿ **إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون** ﴾ ، قال : فالجنة عالية ، والنار هاوية ، قال : فيريه اللَّه شريكه في وسط الجحيم ، من[٤] بين أهل النار ، فإذا رآه المؤمن عرفه ، فيقول : ﴿ **تاللَّه إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولىٰ وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ : بمثل ما منّ عليه . قال : فيتذكر المؤمن ما مَرّ[٥] عليه في الدنيا من الشدة ، فلا يذكر مما[٦] مر عليه في الدنيا [من الشدة][٧] ، أشد عليه من الموت .

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾

يقول اللَّه تعالىٰ : أهذا[٨] الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ - خيرٌ ضيافةً وعطاءً ﴿ **أم شجرة الزقوم** ﴾ ؟ أي : التي في جهنم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « مَنَّ » .
[٦] - في ز : « ما » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « هذا » .

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة ، كما قاله[١] بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلىٰ جميع محالّ جهنم ، كما أن شجرة طوبىٰ ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر ، يقال له : الزقوم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** ﴾ ، يعني : الزيتونة ، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم** ﴾ وقوله : ﴿ **إنا جعلناها فتنة للظالمين** ﴾ قال قتادة : ذُكرت شجرة الزقوم ، فافتتن بها أهل الضلالة ، وقالوا : صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم** ﴾ غُذيت من النار ، ومنها خلقت . وقال مجاهد : ﴿ **إنا جعلناها فتنة للظالمين** ﴾ ، قال أبو جهل - لعنه اللّٰه - : إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه[٢].

قلت : ومعنىٰ الآية : إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارًا نختبر[٣] به الناسَ ، مَن يُصَدق منهم ممن يكذب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا** ﴾ وقوله : ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم** ﴾ أي : أصل منبتها في قرار النار ، ﴿ **طلعها كأنه رءوس الشياطين** ﴾ تبشيع وتكريه لذكرها .

قال وهب بن منبه : شعور الشياطين قائمة إلى السماء وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين ؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر .

وقيل : المراد بذلك ضرب من الحيَّات رءوسها بشعة المنظر وقيل[٤] : جنس من النبات ، طلعه في غاية الفحاشة .

وفى هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرهما ابن جرير ، والأول أقوى وأولى ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون** ﴾ ، ذكر تعالىٰ أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ، ولا أقبح من منظرها ، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع ، فإنهم ليضطرون إلىٰ الأكل منها ؛ لأنهم لا يجدون إلا إياها ، وما في معناها ، كما قال : ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع** ﴾ .

---

[١] - في ز : « قاله » .

[٢] - في ز : « أثر فمه » .

[٣] - في ز : « تخبر » .

[٤] - في ز : « بقل » .

وقال ابن أبي حاتم(٢٩) -رحمه الله- : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن مرزوق ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلا هذه الآية ، وقال[١] : « **اتقوا الله حق تقاته ، فلو أن قطرة من الزقوم قُطرَت في بحار الدنيا ، لأفسدت علىٰ أهل الأرض معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟** » .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث شعبة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني : شرب الحميم علىٰ الزقوم .

وقال في رواية عنه : ﴿ **شوبًا من حميم** ﴾ مزجًا من حميم .

و[٢]قال غيره : يعني : يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم .

---

(٢٩) - ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره أيضًا (٢/رقم ١٠٩٨/ ط دار طيبة) ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا شعبة به . ورواه أحمد في المسند (١/ ٣٠٠،٣٣٨) والترمذي في الجامع كتاب صفة جهنم (٢٥٨٥) والنسائي في : التفسير من الكبرى (٦/ ١١٠٧٠) وابن ماجة ، كتاب الزهد (٤٣٢٥) والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١١٠٦٨) وفي المعجم الصغير (٢/ ٥١) وغيرهم من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ونقل السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٦) تصحيح أحمد له وصححه أبو حاتم ابن حبان (١٦/ ٧٤٧٠/ إحسان) وأبو الأشبال أحمد شاكر في حاشيته على المسند (٤/ رقم ٢٧٣٥) والحاكم (٢/ ٢٩٤،٤٥١) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي مع أنهما لم يخرجا شيئًا من رواية الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عباس . وقال الطبراني : لم يروه عن الأعمش إلا شعبة ، وهو ثقة حافظ متقن ؛ غير أن الأعمش مدلس وقد عنعن ، لكن صح عن شعبة أنه قال : كفيتكم تدليس ثلاثة : الأعمش وأبي إسحاق ، وقتادة . وقال الحافظ ابن حجر في مراتب المدلسين [ص ١٠٤] وهذه قاعدة جيدة في أحاديث هؤلاء الثلاثة أنها إذا جاءت من طريق شعبة دلت على السماع ولو كانت معنعنة ؛ غير أن أبا عبيدة الآجري روى عن أبي داود السجستاني قال : عند شعبة عن الأعمش نحو من خمس مئة ، وشعبة قد أخطأ على الأعمش في أكثر من عشرة أحاديث ... وكان شعبة يصحب الأعمش وهو شاب - التهذيب ، هذا مع قول أبي حاتم الرازي كما في العلل لابنه (٢/رقم ٢١١٩) : أن الأعمش قليل السماع من مجاهد ، وعامة ما يروي عن مجاهد مدلس يجعل في القلب شيئًا من تصحيح هذا الحديث ، لا سيما وأن هذا الحديث قد رواه أحمد (١/ ٣٣٨) من طريق فضيل بن عياض ، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٩٦) وأسد ابن موسى في الزهد (رقم ٣٦) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٥٤٤) من طريق يحيى بن عيسى الرملي ، كلاهما (فضيل ويحيى) عن الأعمش عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس به موقوفًا دون ذكر الآية . وأبو يحيى هو القتات لين الحديث كما في التقريب - فمن المحتمل أن يكون هذا الوجه هو الصواب في هذا الخبر ، وأن الأعمش دلس في هذا الحديث ، وشعبة سمعه منه بتدليسه ، فحدث به ، فعُدَّ من أخطائه على الأعمش التي أشار لها أبو داود . والعلم عند الله تعالى . وقد وجدت أبا عبد الرحمن الألباني وضع =

---

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم (٣٠) : حدثنا أبي ، حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، أخبرني عبيد اللّٰه بن بشر[١] ، عن أبي أمامة الباهلي رضي اللّٰه عنه ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه كان يقول : « **يقرب** - يعني : إلىٰ أهل النار - **ماء فيتكرهه**[٢] ، **فإذا أدني منه شوىٰ وجهه ، ووقعت فروة رأسه فيه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتىٰ تخرج من دبره** » .

وقال ابن أبي حاتم(٣١) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا يعقوب بن عبد اللّٰه ، عن جعفر ، وهارون بن عنترة ، عن سعيد بن جبير قال : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن مارًّا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش ، فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل - وهو الذي قد انتهىٰ حره -

= هذا الحديث في ضعيف الترمذي وابن ماجة (٩٤٤،٤٨١) ونأمل أن نقف على كلامه في علة تضعيفه والله الموفق .

(٣٠) - ضعيف : وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٠/٤) وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠٦٣٣/١٦/شاكر) حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، ثنا حيوة بن شريح به . ورواه عبدالله ابن المبارك في مسنده (رقم ١٢٩) وفي « الزهد » (رقم ٣١٤/ زوائد نعيم بن حماد) نا صفوان بن عمرو به ، غير أن الرواة عن ابن المبارك اختلفوا في تسمية شيخ صفوان فقال بعضهم : «عبدالله بن بسر» وقال بعضهم : «عبيدالله بن بسر» رواه من هذه الطرق أحمد في «المسند» (٢٦٥/٥) وفي كتاب «الزهد» (ص ٢٧) ومن طريق المسند نقله المصنف في تفسير (سورة إبراهيم الآية ١٦) - والترمذي ، كتاب : صفة جهنم (٢٥٨٣) والنسائي في التفسير من «الكبرى» (١١٢٦٣/٦) ، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (رقم ٧٣) وابن جرير (٢٠٦٣٢،٢٠٦٣١/١٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٦٠/٨) - وعنه وعن غيره أبو نعيم في «الحلية» (١٨٢/٨) - والحاكم (٣٥١/٢) - وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (رقم ٥٤٩) - والبغوي في «شرح السنة» (٤٤٠٥/١٥) وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، وهكذا قال محمد بن إسماعيل - البخاري - عن عبيدالله بن بُسر ، ولا نعرف عبيدالله بن بُسر إلا في هذا الحديث وقد روى صفوان بن عمرو عن عبدالله بن بُسر صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - غير هذا الحديث ..... وعبيدالله بن بُسر الذى روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجلٌ آخر ليس بصاحبي . وقال أبو نعيم : « تفرد به صفوان عن عبدالله بن بسر ، وقيل : عبيدالله بن بسر - وهو محرف هناك فليصحح - وهو اليحصبي الحمصي يكنى أبا سعيد ، ورواة بقية بن الوليد ، عن صفوان مثله . وروى صفوان عن عبدالله بن بسر المازني ، وله صحبة ، وعن عبيدالله بن بسر ، ولذلك اشتبه على بعض الناس وهذا هو عبيدالله بن بسر وهو مجهول كما قال الذهبي في «الميزان» وابن حجر في «التقريب» غير أن الذهبي رجح أن يكون هو «عبدالله بن بسر الجراني التابعي» - وهذا «ضعيف» أيضاً كما في «التقريب» - ومع هذا فقد أقر الحاكم في تصحيحه لهذا الحديث على شرط مسلم !! والحديث زاد نسبته السيوطي إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه .

(٣١) - إسناده حسن إلى سعيد بن جبير . وجعفر هو ابن أبي وحشية .

[١] - في خ ، ز : « بشير » . [٢] - في ز : « فتتكرهه » .

فإذا أدنوه من أفواههم اشتوىٰ من حَرّه لحومُ وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ، ويصهر ما في بطونهم ، فيمشون تسيل[١] أمعاؤهم وتسّاقط[٢] جلودهم ، ثم يضربون بمقامع من حديد ، فيسقط كل عضو علىٰ حياله ، يدعون بالثبور .

وقوله : ﴿ **ثم إن مرجعهم لإلىٰ الجحيم** ﴾ أي : ثم إن مَرَدّهم بعد هذا الفصل لإلىٰ نار تتأجج ، وجحيم تتوقد ، وسعير تتوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ هكذا تلا قتادة هذه الآية ، عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى ، وقال السدي في قراءة عبد الله : « **ثم إن مقيلهم لإلىٰ الجحيم** » وكان عبد الله يقول : والذي نفسي بيده لا ينتصف نهار[٣] يوم القيامة حتىٰ يقيلَ أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، ثم قرأ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ .

وروىٰ الثوري(٣٢) ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتىٰ يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء . قال سفيان : أراه ، ثم قرأ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ . ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم .

قلت : علىٰ هذا التفسير تكون « **ثم** » عاطفة [لخبر علىٰ خبر][٤] .

وقوله : ﴿ **إنهم ألفوا آباءهم ضالين** ﴾ أي : إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم علىٰ الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك ، من غير دليل ولا برهان ؛ ولهذا قال : ﴿ **فهم علىٰ آثارهم يُهرَعون** ﴾ ، قال مجاهد[٥] : شبيهة بالهرولة . وقال سعيد بن جبير : يَسْفَهُون .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

---

(٣٢) - رواه ابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» (٥/١٢٢،٥٢٣) - ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٢/٢) - ثنا قبيصة بن عقبة ، ثنا سفيان الثوري به . وقال الحاكم : «حديث صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي !! ورجاله ثقات غير أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه إلا أحرفاً يسيرة . ومسلم لم يرو بهذا الإسناد شيئًا . وزاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن المبارك في «الزهد» وروى ابن جرير (٥/١٩) بإسناد صحيح إلى إبراهيم بن يزيد النخعي في قوله : ﴿ أصحاب الجنة يومئذٍ خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ قال : كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة من نصف النهار ، فيقيل هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار وقد صحح جماعة من الأئمة مراسيل إبراهيم النخعي انظر ترجمته في «التهذيب» .

---

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « تتساقط » .
[٣] - في ت : « النهار » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «بخير على خير» . [٥] - سقط من : خ ، ز .

يخبر تعالىٰ عن الأمم الماضية[١] أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع اللَّه آلهة أخرىٰ ، وذكر تعالىٰ أنه أرسل فيهم منذرين ، ينذرون بأس[٢] اللَّه ، ويحذرونهم سطوته ونقمته ، ممن كفر به وعبد غيره ، وأنهم تمادوا علىٰ مخالفة رسلهم وتكذيبهم ، فأهلك المكذبين ودمَّرهم ، ونجىٰ المؤمنين ونصرهم وظفّرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين * إلا عباد اللَّه المخلصين** ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (٧٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (٨٢) ﴾

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلًا ، فذكر نوحًا - عليه السلام - وما لقي من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة ، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نَفْرَة ، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ، فغضب اللَّه لغضبه عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون** ﴾ أي : فلنعم المجيبون له ، ﴿ **ونجيناه وأهله من الكرب العظيم** ﴾ ، وهو التكذيب والأذىٰ ، ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس(٣٣) يقول : لم تبق إلا ذرية نوح - عليه السلام - وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة في قوله : ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ قال : الناس كلهم من ذرية نوح .

وقد روىٰ الترمذي(*) ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم(٣٤) ، من حديث سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرَة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في قوله : ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ قال : « **سام ، وحام ، ويافث** » .

وقال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرة : أن نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو**

(٣٣) - رواه ابن جرير (٦٨/٢٣) وفي سنده انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس .

(*) لم يروه الترمذي من طريق سعيد بن بشير [انظر التخريج] .

(٣٤) - انظر الآتي .

(٣٥) - إسناده ضعيف .« المسند » (٩/٥) وفي هذا الموضع « وحدثنا حسين ، ثنا شيبان » ورواه أيضًا =

[١] - في ز : « الماضين » . [٢] - في خ : « بأمر » .

الروم ﴾ .

ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العَقَديّ ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد - وهو ابن أبي عروبة[١] - [عن قتادة به][٢] .

[قال الحافظ أبو عمر بن عبد] البر : وقد روي عن عمران[٣] بن حصين ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مثله(٣٦) .

والمراد بالروم هاهنا : هم الروم الأُوَل ، وهم اليونان المنتسبون إلىٰ رومي بن ليطي بن يونان ابن يافث بن نوح - عليه السلام -

ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش (٣٧) ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة ، فولد سامُ العربَ وفارسَ والروم ، وولد يافثُ التركَ والصقالبةَ ويأجوج ومأجوج ، وولد حامُ القبطَ

= (٥/١٠) ثنا روح من كتابه قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة ومن طريق سعيد رواه أيضًا الترمذي (٣٢٣١، ٣٩٣١) وابن سعد في « الطبقات » (٣٦/١) والطبراني في « المعجم الكبير » (٦٨٧٢/٧) ورواه الخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٢/رقم ٥٠٠) من طريق شعبة ، ثلاثتهم (شيبان وسعيد وشعبة) عن قتادة به وقال الترمذي : « حسن غريب » وإسناده رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن الحسن مدلس وعنعنه ، وأما عنعنة قتادة فقد كفانا « شعبة » مؤونتها ، ثم إن ابن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة ، وقد رواه سعيد بن بشير عن قتادة به ؛ غير أنه ذكره بلفظ (عن النبي ﷺ في قوله ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾ قال : « سام وحام ويافث ») رواه من هذا الوجه ابن جرير في تفسيره (٤٣/٢٣) وفي « التاريخ » (١/ ١٩٢، ٢٠٩) والروياني في مسنده (٢/رقم ٧٩٣) وأبونعيم في « أخبار أصبهان » (٢/ ٢٥٦) ورواه ابن عدي في « الكامل » (٩١٩/٣) والطبراني (٧/ ٦٨٧٢، ٦٨٧٣) من طريق سعيد بن بشير وخليد ابن دعلج بلفظ : «**ولد نوح سام ويافث وحام** » وسعيد بن بشير وخليد ضعيفان ، فالمعتمد عن قتادة رواية شعبة وغيره منه ، وللحديث طريق آخر عن سمرة رواه الطبراني (٧٠٣٣/٧) لكن إسناده ضعيف ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢٤/٤) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦) - كسابقه ، رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/رقم ٣٠٩) من طريق عبدالأعلى ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وسمرة بن جندب أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : ... الحديث ، ورواه الحاكم في « المستدرك » (٥٤٦/٢) من طريق عبدالأعلى به ، غير أنه جعله « عن الحسن ، عن عمران ، عن سمرة » وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٩٨/١) : « رجاله موثقون » وهذا أشبه ، انظر السابق .

(٣٧) - رواه ابن جرير في « التاريخ » (٢١٠/١) وابن عياش ضعيف في غير أهل بلده ، وهذه منها ، غير =

[١] - في خ ، ز : « البر » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « عمر » .

والسودان والبربر . ورُوِي عن وهب بن منبه نحو هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين** ﴾ قال ابن عباس : يذكر بخير وقال مجاهد : يعني لسان صدق للأنبياء كلهم .

وقال قتادة والسدى : [أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين .

قال الضحاك : السلام والثناء الحسن .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **سلام علىٰ نوح في العالمين** ﴾ ، مفسر لما][١] أبقىٰ عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن : أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم .

﴿ **إنا كذلك نجزي المحسنين** ﴾ أي : هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله ، نجعل له لسانَ صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك .

ثم قال : ﴿ **إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾ أي : المصدقين الموحدين الموقنين ، ﴿ **ثم أغرقنا الآخرين** ﴾ أي : أهلكناهم ، فلم تبقَ منهم عين تطرف ، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة .

۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

= أنه توبع ، تابعه معاوية بن صالح - وهو صدوق له أوهام عن يحيى به ، رواه من هذا الوجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٦/١) والحاكم في « المستدرك » (٤٦٣/٤) هكذا من قول سعيد بن المسيب وأسنده بعض الضعفاء ، كما في « كشف الأستار » (١/رقم ٢١٨) وكذا « مختصر الزوائد » لابن حجر (١/رقم ١٣٤) ، ورواه ابن حبان في « المجروحين » (١٠٧/٣) وابن عدي في « الكامل » (٢٧٢٥/٧) ، والدارقطني في « الأفراد » (؟؟) . كما في حاشية « العلل » له (٧/س ١٣٥٤) من طريق محمد بن يزيد ابن سنان به ، وقال الدارقطني : « تفرد به محمد بن يزيد بن سنان ، عن أبيه ، عنه » يحيى بن سعيد ومحمد بن يزيد ليس بالقوي ، وأبوه ضعيف . ورواه سليمان بن أرقم - وهو ضعيف أيضًا - عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب به ، استنكره من هذا الوجه ابن عدي في « الكامل » (١١٠/٣) لابن أرقم ، وضعف ابن حجر في « الفتح » (١٠٧/١٣) سند حديث أبي هريرة بالكلية ، فالخبر إذن صوابه أنه من قول سعيد بن المسيب وانظر « الدر المنثور » (/ ٥٢٤، ٥٢٥) وبالله التوفيق .

[١] - سقط من : خ ، ز .

قال علي بن أبي طلحة(٣٨) عن ابن عباس : ﴿ **وإن من شيعته لإبراهيم** ﴾ يقول : من أهل دينه وقال مجاهد : على منهاجه وسنته .

﴿ **إذ جاء ربه بقلب سليم** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني[١] شهادة أن لا إله إلا اللّه .

وقال ابن أبي حاتم (٣٩) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف : قلت لمحمد ابن سيرين : ما القلب السليم ؟ قال : يعلم أن اللّه حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن اللّه يبعث من في القبور .

وقال الحسن : سليم من الشرك . وقال عروة لا يكون لعانًا .

وقوله : ﴿ **إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون** ﴾ أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ؛ ولهذا قال : ﴿ **أئفكا آلهة دون اللّه تريدون * فما ظنكم برب العالمين** ﴾ ، قال قتادة : ما ظنكم به أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟ !

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ (٩٨)

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلىٰ عيدهم ، فإنه كان قد أزِفَ خروجهم إلىٰ عيد لهم ، فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها ، فقال لهم كلامًا هو حق في نفس الأمر ، فهِموا منه أنه سقيم علىٰ مقتضىٰ ما يعتقدونه ، ﴿ **فتولوا عنه مدبرين** ﴾ ، قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم . يعني قتادة أنه نظر في السماء متفكرًا فيما يلهيهم به ، فقال : ﴿ **إني سقيم** ﴾ أي : ضعيف .

(٣٨) - فيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس . والخبر رواه ابن جرير (٦٩/٢٣) وابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» (٥٢٥/٥) .

(٣٩) - إسناده صحيح إلى محمد بن سيرين ، وعوف بن أبي جميلة الأعرابي .

[١] - سقط من : خ ، ز .

فأما الحديث الذى رواه ابن جرير هاهنا(٤٠) حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات اللّٰه ، قوله : ﴿ إني سقيم ﴾** ، وقوله : **﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ، وقوله في سارة : هي أختي** » .

فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله - حاشا وكلا ولما[١] - وإنما أطلق الكذب علىٰ هذا تجوزًا ، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني ، كما جاء في الحديث (٤١) : « **إن [في][٢] المعاريض لمندوحة عن الكذب** » .

وقال ابن أبي حاتم (٤٢) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن علي بن زيد بن جدْعان ، عن أبي نَضْرَة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال : « **ما منها كلمة إلا ما حَلّ بها عن دين اللّٰه تعالىٰ ، ﴿ فقال إني سقيم ﴾** ، وقال : **﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾، وقال للملك حين أراد المرأة : هي أختي** » .

قال سفيان في قوله : **﴿ إني سقيم ﴾** يعني : طعين . وكانوا يفرون من المطعون ، فأراد أن يخلو بآلهتهم . وكذا قال العوفي ، عن ابن عباس : **﴿ فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم ﴾** ، فقالوا له وهو في بيت آلهتهم : اخرج . فقال : إني مطعون ، فتركوه مخافة الطاعون .

وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : رأىٰ نجمًا طلع فقال : **﴿ إني سقيم ﴾** كابد[٣] نبي الله عن دينه **﴿ فقال إني سقيم ﴾** .

(٤٠) - صحيح ، تفسير ابن جرير (٢٣/٧١) ورواه البزار - كما في «قصص الأنبياء» للمصنف و«الفتح» لابن حجر (٦/٣٩١) - وأبو داود ، كتاب الطلاق (٢٢١٢) والنسائي في «الكبرى» (٥/٨٣٧٤) ، وأبو يعلى (١٠/٩ ، ٦٠٣) - ومن طريقه ابن عساكر (٢/٣٢١/مخطوط) - وابن حبان (١٣/٥٧٣٧) من طريق هشام بن حسان به ، ورواه البخري ، كتاب البيوع (٢٢١٧) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم في الفضائل (٢٣٧١) وغيرهم عن أبي هريرة به .

(٤١) - بوب به البخاري باب رقم (١١٦) من كتاب «الأدب» داخل صحيحه ، دون أن ينسبه لأحد ، وقد رُوى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - من حديث عمران بن حصين وعلى بن أبي طالب ، ولا يصح ، وقد صح موقوفاً على عمران وعمر بن الخطاب ، انظر «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١٠/٥٩٤) و«الضعيفة» لأبى عبدالرحمن الألباني (٣/١٠٩٤) .

(٤٢) - إسناده ضعيف . ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/٣٢٠/مخطوط) من طريق الحسين بن إسماعيل نا أبوحاتم الرازي نا عثمان بن مطيع بن إبراهيم نا سفيان به ، ورواه الترمذي ، كتاب : =

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - في خ : « دايد» .

وقال آخرون : ﴿ فقال إني سقيم ﴾ بالنسبة إلى ما يستقبل ، يعني مرض الموت .

وقيل : أراد ﴿ إني سقيم ﴾ أي : مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون اللَّه عز وجل .

وقال الحسن البصري : خرج قوم إبراهيم إلىٰ عيدهم ، فأرادوه علىٰ الخروج ، فاضطجع علىٰ ظهره وقال : ﴿ إني سقيم ﴾ ، وجعل ينظر في السماء ، فلما خرجوا أقبل إلىٰ آلهتهم فكسرها . رواه ابن أبي حاتم(٤٣) .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾ أي : إلىٰ عيدهم ، ﴿ فراغ إلىٰ آلهتهم ﴾ أي: ذهب إليها بعد أن خرجوا ، في سرعة واختفاء ، ﴿ فقال ألا تأكلون ﴾ ، وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعامًا قربانًا لتُبَرِّكَ لهم فيه .

قال السدي : دخل إبراهيم - عليه السلام - إلىٰ بيت الآلهة ، فإذا هم في بهو عظيم ، وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم ، إلىٰ جنبه أصغر منه ، بعضها إلىٰ جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، حتىٰ بلغوا باب البهو ، وإذا هم قد جعلوا طعامًا وضعوه بين أيدي الآلهة ، وقالوا : إذا كان حين نرجع وقد بَرَّكَت الآلهة في طعامنا أكلنا ، فلما نظر إبراهيم - عليه السلام - إلىٰ ما بين أيديهم من الطعام قال : ﴿ ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون ﴾؟ .

وقوله : ﴿ فراغ عليهم ضربًا باليمين ﴾ قال الفراء : معناه مال عليهم ضربًا باليمين. وقال قتادة والجوهري : فأقبل عليهم ضربًا باليمين .

وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكىٰ ؛ ولهذا تركهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون ، كما تقدم في « سورة الأنبياء » تفسير ذلك .

وقوله هاهنا : ﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾ قال مجاهد : وغير واحد أي : يسرعون، وهذه القصة هاهنا مختصرة ، وفي « سورة الأنبياء » مبسوطة ، فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتىٰ كشفوا واستعلموا ، فعرفوا أن إبراهيم - عليه السلام - هو الذي فعل ذلك . فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعَيْبهم ، فقال : ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ ؟ ! أي : أتعبدون[١] من دون اللَّه من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم ؟ ! ﴿ واللَّه خلقكم وما تعملون ﴾ ، يحتمل أن تكون « ما » مصدرية ، فيكون تقدير الكلام : [واللَّه خلقكم وعَملكم . ويحتمل أن تكون بمعنى « الذي » ، تقديره][٢] : واللَّه خلقكم والذي

= تفسير القرآن (٣١٤٨) ، وأبويعلى في مسنده (١٠٤٠/٢) - ومن طريقه ابن عساكر أيضًا - عن سفيان به مطولًا ومختصرًا وصححه الترمذي !! مع أن ابن جدعان ضعفه الجمهور لكن يشهد له حديث أبي هريرة السابق .

(٤٣) - وعزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٦/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - في ز، خ : « تعبدون » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

تعملونه . وكلا القولين متلازم ، والأول أظهر ؛ لما رواه البخاري في كتاب « **أفعال العباد** »(٤٤) ، عن علي بن المديني ؛ عن مروان[١] بن معاوية ، عن أبي مالك ، عن رِبْعِيّ بن حِرَاش[٢] ، عن حذيفة مرفوعًا قال[٣] : « **إن الله يصنع كل صانع وصنعته** » . وقرأ بعضهم : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلىٰ أخذه باليد والقهر ، فقالوا : ﴿ **ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم** ﴾ . وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في « **سورة الأنبياء** » ، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم ، وأعلىٰ حجته ونصرها ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين** ﴾ .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ

(٤٤) - صحيح ، رقم (١١٧) ومن طريق البخاري رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/٣٠، ٣١) ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣١/١) - وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/رقم ٨٢٥) - وفي «شعب الإيمان» (١/رقم ١٩٠) من طريق علي بن المديني به . دون ذكر الآية ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٥٨) والبزار في مسنده (٢٨٣٧/٧/البحرالزخار) ونقله ابن حجر في «مختصر زوائد البزار » (١٦٠٣/٢) وابن منده في «التوحيد» (١١٥/١) - واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٩٤٣/٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/رقم٣٧) وفي «الاعتقاد» (٣٧٧) من طرق عن مروان بن معاوية به . وصحح إسناده ابن حجر غير أن البزار أعله فقال : « هذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم - إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، ورواه غير مروان موقوفاً كذا قال : وتابع مروان على رفعه

١ - الفضيل بن سليمان عن أبي مالك به ، رواه من هذا الوجه ابن أبي عاصم (٣٥٧/١) وابن عدي في «الكامل» (٢٠٤٦/٦) والحاكم (٣١/١، ٣٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأقرهما أبو عبدالرحمن الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٧/١) وهو كما قالوا فقد روى مسلم حديث رقم (٥٢) (١٠٠٥) بهذا الإسناد وأغرب ابن عدي فقال : « لا أعلم يرويه عن أبي مالك غير فضيل بهذا الإسناد !!

٢ - وتابعهما أبو خالد الأحمر سليمان بن حيان وياسين الزيات ويحيى بن زكريا - مفرقاً - عن أبي مالك به . رواه من هذه الوجوه «المحاملي» في «أماليه» (٣٢٥) واللالكائي (٩٤٢) وأبو كر القطيعي في «جزء الألف دينار» (٢١٧) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٢٠/١) - وقد رواه البخاري (١١٨، ١١٩) من طريق (أبي معاوية ووكيع) عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة موقوفاً به وهذه لا تقدح في صحة الرواية الموصولة ؛ لأن ربعي بن حراش ثقة فاضل وأثبت من شقيق بن سلمة . وبالله التوفيق .

---

[١] - في خ ، ز : « هارون » .

[٢] - في ز : « خِرَاش » . [٣] - سقط من : ز .

﴿صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن خليله إبراهيم : إنه بعد ما نصره اللَّه علىٰ قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم، وقال : ﴿ **إني ذاهب إلىٰ ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين** ﴾ يعني : أولادًا مطيعين عوضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ ، وهذا الغلام هو إسماعيل - عليه السلام - فإنه أولُ ولد بُشِّرَ به إبراهيم - عليه السلام - وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلد ولإبراهيم - عليه السلام - ست وثمانون سنة ، وولد إسحاق وعُمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن اللَّه تعالىٰ أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده ، وفي نسخة : بكره ، فأقحموا هاهنا كذبًا وبهتانًا « **إسحاق** » ، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم ، وإنما أقحموا « **إسحاق** » لأنه أبوهم ، وإسماعيل أبو العرب ، فحسدوهم ، فزادوا ذلك وحرّفوا « **وحيدك** » ، بمعنىٰ الذي ليس عندك غيره ، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلىٰ جنب مكة ، وهذا تأويل وتحريف باطل ، فإنه لا يقال : «**وحيد**». إلا لمن ليس له غيره ، وأيضًا فإن أول ولد [له معزة][١] ما ليس لمن بعده من الأولاد ، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار[٢] . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلىٰ أن الذبيح هو إسحاق ، وحُكي ذلك عن طائفة من السلف ، حتىٰ نقل عن بعض الصحابة أيضًا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تُلُقِّي إلا عن أخبار[٣] أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلمًا [من غير][٤] حجة ، وهذا كتاب اللَّه شاهد ومرشد إلىٰ أنه إسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين** ﴾ ، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا : ﴿ **إنا نبشرك بغلام عليم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ أي : يولد له في حياتهما ولد يسمىٰ يعقوب ، فيكون

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « يعتبره » ، وفي ز : « معتبرة » .

[٢] - في ز ، خ: « اختبارًا » . [٣] - في ت : « أحبار » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « بن عمير » .

من ذريته عقب[١] ونسل ، وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير ، لأن الله قد وعدهما بأنه سيعقب ، ويكون له نسل ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرًا ، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم ، لأنه مناسب[٢] لهذا المقام .

وقوله : ﴿ **فلما بلغ معه السعي** ﴾ أي : كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه ، وقد كان إبراهيم - عليه السلام - يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد « **فاران** » وينظر في أمرهما ، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعًا إلى هناك ، فالله أعلم .

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء الخراساني ، وزيد بن أسلم ، وغيرهم : ﴿ **فلما بلغ معه السعي** ﴾ ، بمعنى : شب وارتحل[٣] وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل ، ﴿ **فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾ ، [قال عبيد بن عمير(٤٥) : رؤيا الأنبياء وحي ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾][٤] .

وقد قال ابن أبي حاتم(٤٦) : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا[٥] أبو عبد الملك الكرندي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل بن يونس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن

(٤٥) - أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : التخفيف في الوضوء (١٣٨) ، كتاب : الأذان ، باب : وضوء الصبيان (٨٥٩) بسنده عن عبيد بن عمير قوله ، وقال الحافظ في «الفتح» (٢٣٩/١) قوله : « رؤيا الأنبياء وحي» رواه مسلم مرفوعاً وسيأتي في التوحيد - (٧٥١٧) - من رواية شريك عن أنس «وهو غير موجود في مسلم بهذا اللفظ ، ولعل الحافظ أراد معناه فانظر (١٢٥) (٧٣٨) من صحيح مسلم وانظر ما بعده .

(٤٦) - إسناده ضعيف مرفوعاً ، وصح موقوفاً .

وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٨/٥) - ورواية سماك عن عكرمة مضطربة كما قال ابن المديني وغيره ، وراويه عن ابن عيينة (أبو عبدالملك الكرندي) لم أهتد لترجمته ويحتمل أن يكون أحد الهلكى المجهولين حيث رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٦٣/١) وابن جرير في تفسيره (١٨٧٧٨/١٥/ شاكر) من طريق أبي أحمد الزبيري وابن جرير أيضاً (١٨٧٧٩/١٥/شاكر) من طريق أبي أسامة ، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٢/١٢) من طريق محمد بن يوسف الفريابي ، والحاكم (٤٣١/٢) من طريق محمد بن جعشم الصنعاني (٣٩٦/٤) من طريق قبيصة بن عقبة ، خمستهم (أبو أحمد وأبو أسامة والفريابي والصنعاني وقبيصة عن سفيان الثوري ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به موقوفاً . وصححه الحاكم في الموضع الأول على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وفي حاشية «المطالب العالية» (٣/ ٢٨٢٤) قال البوصيري : «رواته ثقات» !! وسماك : صدوق ، وإنما روى له البخاري تعليقاً ، وقد استدرك ذلك الحاكم في الموضع الثاني ، واكتفى بتصحيحه على شرط مسلم وأعله الهيثمي في «المجمع» =

[١] - في ز، خ : « عاقبة » .
[٢] - في ز، خ : « يناسب » .
[٣] - في ز، خ : « ارتجل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .

عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **رؤيا الأنبياء في المنام وحي** » . ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه ﴿ **قال يا أبت افعل ما تؤمر** ﴾ أي : امض لما أمرك الله من ذبحي ، ﴿ **ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ أي : سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل . وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ؛ ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا** ﴾ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾ أي : فلما تشهدا وذكرا الله تعالىٰ؛ إبراهيم علىٰ الذبح والولد علىٰ شهادة الموت ، وقيل ﴿ **أسلما** ﴾ استسلما وانقادا ؛ إبراهيم امتثل أمْرَ الله ، وإسماعيل طاعة الله وأبيه . قاله مجاهد ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة ، وابن إسحاق ، وغيرهم .

ومعنى : ﴿ **تله للجبين** ﴾ أي : صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وقتادة : ﴿ **وتله للجبين** ﴾ : أكبه علىٰ وجهه .

وقال الإمام أحمد (٤٧) : حدثنا سُرَيج[١] ويونس قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عاصم الغَنَوِيّ ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس أنه قال : لما أمر إبراهيم بالمناسك عَرَض له الشيطان عند المسعى ، فسابقه فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلىٰ جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتىٰ ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطىٰ فرماه بسبع حصيات ، و[٢] ثَمَّ تَلَّه للجبين ، وعلىٰ إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت ؛ إنه[٣] ليس

= (١٧٩/٧) بشيخ الطبراني وهو متابع والخبر زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه ، وعزاه الحافظ في «المطالب العالية» إلى أحمد بن منيع . وانظر ما قبله

(٤٧) - «المسند» (٢٩٨،٢٩٧/١) (رقم ٢٧٠٧/شاكر) ورواه أبو داود ، كتاب : المناسك (١٨٨٥) - ومن طريقه رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٥،١٥٤/٥) وابن جرير (٨٠/٢٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٢٨/١٠) - ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (١٠٤٩/٣٤/ترجمة أبي عاصم الغنوي) - والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٧٩/٢) والبيهقي في «الكبرى» و «الشعب» (٤٠٧٧/٣) وفي «دلائل النبوة» (٣٢٧،٣٢٦/٤) من طرق عن حماد بن سلمة به مطولاً وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٦٢) : «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات» وقال في (٢٠٤/٨) : «رواه أحمد ورجاله =

[١] - في ز ، خ: « شريح » . [٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز، خ .

لي ثوب تكفنني فيه غيره ، فاخلعه حتىٰ تكفِّنني[١] فيه ، فعالجه ليخلعه ، فنُوديَ من خلفه : ﴿ أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا ﴾ ، فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نبيع ذلك الضرب[٢] من الكباش .

وذكر تمام الحديث في « المناسك » بطوله . ثم رواه أحمد(٤٨) بطوله عن يونس ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن[٣] السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه إلا أنه قال[٤] : « إسحاق » . فعن ابن عباس في تسمية الذبيح روايتان ، والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتي بيانه .

وقال محمد بن إسحاق (٤٩) : عن الحسن بن دينار ، عن قتادة ، عن جعفر بن إياس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعىٰ قبل ذلك أربعين خريفًا ، فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش ، فأخرجه إلىٰ الجمرة الأولىٰ ، فرماه بسبع حصيات فأفلَتَه عندها ، فجاء الجمرة الوسطىٰ فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ثم أفلته ، [فأدركه عند][٥] الجمرة الكبرىٰ ، فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها . ثم أخذه ، فأتىٰ به المنحر من منى فذبحه ، فوالذي نفسُ ابن عباس بيده لقد كان أولَ الإسلام ، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد حَشّ[٦] يعني : يبس .

= رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي وهو ثقة غير أن أبا حاتم قال : « لا أعلم روى عنه غير حماد بن سلمة ، ولا أعرفه ، ولا أعرف اسمه » لكن وثقه ابن معين ، ومع هذا قصَّر ابن حجر في «التقريب» فوسمه بأنه : «مقبول» !! وأصل الحديث عند مسلم كتاب : الحج (٢٣٧) (١٢٦٤) من طريق الجريري عن أبي الطفيل به بجزء من الحديث المطول والمشار إليه ، وانظر ما بعده .

(٤٨) - رواه أحمد في «المسند» (٣٠٧،٣٠٦/١) (٢٧٩٥/شاكر) ورواه الطبراني (١٢٢٩٢/١١) من طريق سريج بن النعمان ، ثنا حماد بن سلمة به . وابن خزيمة في صحيحه (٢٩٦٧/٤) . والطبراني (١١/ ١٢٢٩١) - وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٣/٥) - من طريق أبي حمزة والطبراني (١٢٢٩٣/١١) من طريق شعيب بن صفوان : كلاهما (أبو حمزة وشعيب) عن عطاء بن السائب به . وقال البيهقي : «تفردبه هكذا عطاء بن السائب» وهو مختلط وبه أعل الخبر الهيثمي في «المجمع» (٢٦٣،٢٦٢/٣) ، (٨/ ٢٠٤) غير أن حماد بن سلمة روى عنه قبل الاختلاط كما قال ابن معين وأبو داود وغيرهما ثم إنه قد صح من طرق أخرى عن ابن عباس أنه كان يرى أن الذبيح هو «إسحاق» فعنه روايتان في ذلك ، وهذا ينفي شبهة اختلاط عطاء هنا .

(٤٩) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير في تفسيره (٨٧/٢٣) والحسن بن دينار كذبه أبو حاتم وأبو خثيمة وتركه وكيع وأحمد بن حنبل ، وقال ابن عدي ، أجمع من تكلم في الرجال على ضعفه - انظر ترجمته في «اللسان» لابن حجر ثم إن فيه انقطاعاً بين جعفر بن إياس وابن عباس .

[١] - في ز ، خ : « تكفُني » .
[٢] - في ت : « لضرب » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .

وقال عبد الرزاق (٥٠) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، أخبرنا القاسم قال : اجتمع أبو هريرة وكعب ، فجعل أبو هريرة يحدث عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وجعل كعب يحدث عن الكُتُب ، فقال أبو هريرة : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن لكل نبي دعوة مستجابة ، وإني قد خَبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة** » . فقال له كعب : أنت سمعتَ هذا من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : فداك أبي وأمي - أو : فداه أبي وأمي - أفلا أخبرك عن إبراهيم - عليه السلام - ؟ إنه لما أُري ذَبْح ابنه إسحاق قال الشيطان : إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدًا . فخرج إبراهيم بابنه ليذبحه ، فذهب الشيطان فدخل علىٰ سارة ، فقال : أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت : غدا به لبعض حاجته . قال : لم يغد به لحاجة ، وإنما ذهب به ليذبحه . قالت : وَلِمَ يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه . فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام : أين يذهب بك أبوك ؟ قال : لبعض حاجته . قال : إنه لا يذهب بك لحاجة ، ولكنه يذهب بك ليذبحك . قال : ولم يذبحني ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك . قال : فواللّٰه لئن كان الله أمره بذلك ليفعلن . قال : فيئس منه فلحق بإبراهيم ، فقال[١] : أين غدوت بابنك[٢] ؟ قال : لحاجة . قال : فإنك لم تغد به لحاجة ، وإنما غدوت به لتذبحه. قال: وَلِم أذبَحه ؟ قال : تزعم أن ربك أمرك بذلك . قال : فواللّٰه لئن كان اللّٰه أمرني بذلك لأفعلن . قال : فتركه ويئس أن يطاع .

وقد رواه ابن جرير(٥١) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن[٣] عمرو بن أبي سفيان بن[٤] أسيد بن جَارِيَة[٥] الثقفي أخبره ، أن كعبًا قال لأبي

---

(٥٠) - تفسير عبدالرزاق (٣/١٥٠،١٥١) وإسناده صحيح والقاسم هو ابن محمد بن أبي بكر ، وقد رواه أحمد في «المسند» (٢/٢٧٥) ثنا عبدالرزاق به مقتصراً على المرفوع منه وكذا رواه من طريق عبدالرزاق مختصرًا ابن منده في «الإيمان» (٢/رقم٩٠٠) وقال : «رواه عبدالله بن المبارك ومحمد بن ثور وغيرهما عن معمر نحوه» . وانظر ما بعده .

(٥١) - تفسير ابن جرير (٢٣/٨٢،٨٣) ورواه مسلم ، كتاب : الإيمان (٣٣٧) (١٩٨) وابن منده في كتاب «الإيمان» (٢/١٩٩) من طريق حرملة بن يحيى والحاكم (٢/٥٥٨) من طريق محمد بن عبدالله بن الحكم كلاهما (حرملة ومحمد) ثنا عبدالله بن وهب به - رواية الحاكم مطولة كما بينا ورواه ابن منده أيضاً (٢/ ٨٩٧،٨٩٨) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/١٠٤٠) من طرق عن يونس بن يزيد به . ورواه مسلم (٣٣٦) والدارمي (٢٨٠٩) وابن منده (٨٩٦) من طريقين عن ابن شهاب الزهري به .وقد رواه البخاري ، كتاب : الدعوات (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) وغيرهما من طرق عن أبي هريرة كلهم بالقسم المرفوع منه فحسب.

---

[١] - في ز ، خ: « قال » .
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في خ : « عن » .
[٤] - في خ ، ز : « عن أبي » .
[٥] - في ز ، خ: « حارثة » .

هريرة ... فذكره بطوله ، وقال في آخره : وأوحىٰ اللَّه إلىٰ إسحاق [أني أعطيتك][١] دعوة أستجيب لك فيها . قال إسحاق : اللَّهم ، إني أدعو أن تستجيب لي : أيُّما عَبْد لقيك من الأولين والآخرين ، لا يشرك بك شيئًا ، فأدخله الجنة .

وقال ابن أبي حاتم (٥٢) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي ، وبين أن أختبئ شفاعتي ، فاختبأت شفاعتي ، ورجوت أن تكفر الجمّ لأمتي ، ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي ، إن اللَّه لما فرج عن إسحاق كَرْبَ الذبح قيل له : يا إسحاق ، سَلْ تُعْطَهْ . فقال : أما والذي نفسي بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان ، اللَّهم ؛ من مات لا يشرك بك شيئًا فاغفر له وأدخله الجنة** » .

هذا حديث غريب منكر ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث ، وأخشىٰ أن يكون في الحديث زيادة مدرجة ، وهي قوله : « **إن اللَّه تعالىٰ لما فرج عن إسحاق** ...» إلىٰ آخره (*) ، واللَّه أعلم . فهذا إن كان محفوظًا فالأشبه أن السياق إنما هو عن « **إسماعيل** » ، وإنما حرفوه بإسحاق ، حَسَدًا منهم كما تقدم ، وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى [من أرض مكة ، حيث كان إسماعيل لا إسحاق ، فإنه إنما كان ببلاد كنعان][٢] من أرض الشام .

وقوله تعالى : ﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾ أي : قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح .

وذكر السّدي وغيره أنه أَمَرَّ السكين علىٰ رقبته فلم تقطع شيئًا ، بل حال بينها وبينه صفيحة من نحاس ، ونودي إبراهيم - عليه السلام - عند ذلك : ﴿ **قد صدقت الرؤيا** ﴾ .

---

(٥٢) - منكر

وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣١) . ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٦٩٩٤) ثنا محمد بن عبدالله بن عمير ، ثنا صفوان بن صالح ، ثنا الوليد بن مسلم به . وقال الطبراني : «لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبدالرحمن ، تفرد به الوليد بن مسلم » وهو ثقة يُدلس و يُسوى غير أن شيخه هو المتهم بهذا الحديث ، فقد استنكره ابن عدي في «الكامل» (١٥٨٣/٤) و «عبدالرحمن بن زيد» وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٠٦/٨) : « وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ، وشيخ الطبراني لم أعرفه » وكذا لم أهتد لترجمته غير أنه متابع من رواية ابن أبي حاتم ، والحديث استنكره أبو حاتم الرازي - كما في «العلل» لابنه (٢١٤٨/٢) - وضعف إسناده السيوطي ورقم به أبو عبدالرحمن الألباني حديث (٣٣٣) من «الضعيفة» .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « أن أعطيك» .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقوله : ﴿ **إنا كذلك نجزي المحسنين** ﴾ أي : هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ، ونجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل علىٰ اللَّه فهو حسبه إن اللَّه بالغ أمره قد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا** ﴾ .

وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول علىٰ صحة النسخ قبل التمكن من الفعل ، خلافًا لطائفة من المعتزلة ، والدلالة من هذه ظاهرة ، لأن اللَّه تعالىٰ شرع لإبراهيم ذَبْحَ ولده ، ثم نسخه عنه وصرفه إلىٰ الفداء ، وإنما كان المقصود من شرعه أولًا إثابة الخليل علىٰ الصبر علىٰ ذبح ولده وعزمه علىٰ ذلك ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أُمِرَ بذبح ولده ، فسارع إلىٰ ذلك مستسلمًا لأمر اللَّه ، منقادًا لطاعته ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ ، قال سفيان الثوري(٥٣) : عن جابر الجُعْفي ، عن أبي الطفيل ، عن علي رضي اللَّه عنه : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ قال : بكبش أبيض أعين أقرن ، قد ربط بسمرة ، قال أبو الطفيل : وجدوه مربوطًا بَسُمَرة في ثَبِير ، وقال الثوري أيضًا(٥٤) : عن عبد اللَّه ابن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كبش قد رعىٰ في الجنة أربعين خريفًا .

وقال ابن أبي حاتم(٥٥) : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا داود العَطّار[١] ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الصخرة التي بمنىٰ بأصل ثَبِير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه ، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء ،

---

(٥٣) - رواه ابن جرير (٢٣/٨٦) وجابر الجعفي ضعيف ، والخبر ذكره السيوطي في «الدرالمنثور» (٥/٥٣٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥٤) - إسناده هكذا حسن غير أني لم أقف على من دون الثوري ، وقد ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير ، وهو عند الأخير في تفسيره (٢٣/ ٨٧) من طريق يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عبدالله بن عيسى ، عن سعيد بن جبير به . وأخشى أن يكون «عبدالله بن عيسى» - وهو ثقة «كما في التقريب» - محرفاً من «عبدالله بن عثمان » أو أن يحيى بن يمان قد أخطأ في هذا الإسناد فإنه موسوم في «التقريب» بأنه : «صدوق يخطىء كثيراً» .

(٥٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣٤) وقد رواه الحاكم (٢/٥٥٩) من طريق الواقدي - وهو متروك ؛ غير أنه متابع من شيخ أبي حاتم - عن داود العطار به . وإسناده حسن ، وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٣/٨٦) من طريق سفيان الثوري عن ابن خُثيم به مختصراً . والخبر زاد نسبته السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

---

[١] - في ز، خ : « القطار » .

فذبحه ، وهو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه ، فكان مخزونًا حتىٰ فدي به إسحاق .

ورُوي أيضًا عن سعيد بن جبير أنه قال : كان الكبش يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عِهْنٌ[١] أحمرُ . وعن الحسن البصري (٥٦) ؛ أنه [ ][٢] كان اسم[٣] كبش إبراهيم : جرير .

وقال ابن جريج : قال عبيد بن عمير : ذبحه بالمقام . وقال مجاهد : ذبحه بمنى عند المنحر . وقال هشيم (٥٧) : عن سيار ، عن عكرمة : إن ابن عباس كان أفتىٰ الذي جعل عليه نذرًا[٤] أن ينحر نفسه ، فأمره بمائة من الإبل . ثم قال بعد ذلك : [لو كنت أفتيته][٥] بكبش لأجزأه أن يذبح كبشًا ، فإن الله تعالىٰ قال في كتابه : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ .

---

(٥٦) - رواه ابن جرير (٨٧/٢٣) بإسناد ضعيف إليه ونقله المصنف في قصص الأنبياء ، وقال : «لا يصح عنه» .

(٥٧) - رواه ابن جرير (٨٦/٢٣) حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم به . وهذا إسناد حسن من أجل سيار وهو ابن عبدالرحمن الصدفي ، فإنه «صدوق» كما في «التقريب» وقد رواه عبدالرزاق في «المصنف» (٨/ ١٥٩٠٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٩٥/١١) ثنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عكرمة - أحسبه عن ابن عباس قال : من نذر أن ينحر نفسه أو ولده فليذبح كبشاً ، ثم تلا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧٣/١٠) من طريق شعبة ، عن قتادة وخالد الحذاء عن عكرمة به نحوه . وجزم أنه عن ابن عباس ، وهذا أصح إسناداً ، ورواه عبدالرزاق أيضاً (٨/ ١٥٩٠٤) : أخبرني ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء أن رجلاً جاء ابن عباس فقال : نذرت لأنحرن نفسي ، فقال ابن عباس ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ثم تلا ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ ثم أمره بذبح كبش، وتابع عبدالرزاق ، سفيان الثوري عن ابن جريج به ، رواه الثوري في «الجامع» - ومن طريق الطبراني البيهقي ، وقد رواه البيهقي أيضاً من طريق عثمان بن عمر أنبأ ابن جريج به ، غير أن متنه : «أن رجلاً قال لابن عباس - رضي الله عنهما - إني نذرت أن أنحر بني...» بدلاً من نحر نفسه ، قال البيهقي : «رواية عثمان بن عمر خطأ » وقد رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٤٣/١١) وفي «الأوسط» (١/رقم٢٠٨) والبيهقي من طريقين عن عبدالملك بن شعيب نا ابن وهب ، أخبرني الليث ، قال : قال يحيى بن سعيد الأنصاري : زعم ابن جريج أن عطاء بن أبي رباح حدثه أن رجلاً أتى ابن عباس ...الحديث وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إلا الليث ، ولا عن الليث إلا ابن وهب ، تفرد به : عبدالملك بن شعيب » كذا قال !! وتابعه أبو عبيدالله أحمد بن عبدالرحمن ابن أخي ابن وهب حدثني عمي عبدالله بن وهب به . رواه من هذا الوجه البيهقي والخبر ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٩٣/٤) وقال :« رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» ....ورجاله رجال الصحيح » وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٥/٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه .

---

[١] - في ز : « عهد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه فُدي بكبش . وقال الثوري(٥٨) : عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال : وَعِل[١] .

وقال محمد بن إسحاق (٥٩) : عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدي إسماعيل إلا بتيس من الأرْوَىٰ أهبط عليه من ثبير .

وقد قال الإمام أحمد(٦٠) : حدثنا سفيان ، حدثني منصور ، عن خاله مسافع ، عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتني امرأة من بني سليم - وَلَدت عَامَّة أهل دارنا - أرسل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ عثمان بن طلحة ، وقال[٢] مَرّة : إنها سألت عثمان : لم دعاك النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ قال : قال : « **إني كنتُ رأيتُ قرني الكبش حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمّرهما ، فَخَمِّرْهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء[٣] يشغل المصلي** » . قال سفيان : لم يزل[٤] قرنا الكبش معلقين[٥] في البيت حتىٰ احترق البيت ، فاحترقا .

وهذا دليل مستقل علىٰ أنه إسماعيل - عليه السلام - فإن قريشًا توارثوا قرني الكبش الذي فدىٰ به إبراهيم خلفًا عن سلف وجيلًا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم .

فصل في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو ؟

---

(٥٨) - رواه ابن جريج في تفسيره (٨٧/٢٣) ثنا أبو كريب ، ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان الثوري به وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ الثوري ، وقد أورده المصنف في «قصص الأنبياء» وقال : «لايصح عنه» .

(٥٩) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٧/٢٣) وعمرو بن عبيد متهم بالكذب لا سيما في مروياته عن الحسن . راجع ترجمته في «التهذيب» .

(٦٠) - «المسند» (٦٨/٤) ، (٣٨٠/٥) ورواه عبدالرزاق في «المصنف» (٩٠٨٣/٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٩٦/٩) ومن طريق الطبراني - المزي في «تهذيب الكمال» (٤٢٤/٢٧/ترجمة مسافع» - وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩٧/١) والحميدي في مسنده (١/رقم٥٦٥) وأبو داود في سننه ، كتاب : الحج (٢٠٣٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٣٨/٢) كلهم من طريق سفيان - وهو ابن عيينة - به نحوه ، ورواية أبي داود : «عن صفية قالت : سمعت الأسلمية تقول لعثمان ..... » الحديث ورجاله كلهم ثقات ، وصفية بنت شيبة لها رؤية واختلف في صحبتها ، والأسلمية : قال ابن حجر في «التقريب» : «لاتعرف» وأثبت المزي صحبتها كما في «تهذيب الكمال» (٣٩٦/١٩/ت عثمان بن طلحة) وعثمان بن طلحة صحابي مشهور .

---

[١] - في ز : « وعلًا » .

[٢] - في ت : « قال » .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - في ز ، خ: « تزل » .

[٥] - في خ ، ز : « معلقة » .

ذكر من قال : هو إسحاق :

قال حمزة الزيات(٦١) ، عن أبي ميسرة - رحمه الله - قال : قال يوسف - عليه السلام - للملك في وجهه : ترغب أن تأكل معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

وقال الثوري(٦٢) : عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل : أن يوسف - عليه السلام - قال للملك كذلك أيضًا .

وقال سفيان الثوري(٦٣) : عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسىٰ : يارب ؛ يقولون : يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فبم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه . وإن إسحاق جاد لي بالذبح ، وهو بغير ذلك أجود . وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حُسنَ ظن .

وقال شعبة (٦٤) : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص قال : افتخر رجل عند ابن مسعود فقال : أنا فلان بن فلان ، ابن[١] الأشياخ الكرام . فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

---

(٦١) - رواه ابن جرير (٢٣/٨٣) بإسناد حسن إلى أبي ميسرة واسمه عمر بن شرحبيل .

(٦٢) - رواه ابن جرير (٢٣/٨٣) بإسناد صحيح إلى ابن أبي الهذيل واسمه عبدالله .

(٦٣) - رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/٤٤٩) وعبدالرزاق في تفسيره (٣/١٥٤) وابن جرير في تفسيره (٢٣/٨٢) والبيهقي في «الشعب» (٧/١٠٠٠٨) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٣٤٣/مخطوط) من طرق عن سفيان به وإسناده صحيح وذكره السيوطي في «الدر المنثور (٥/٥٣٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٦٤) - رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣/١٥٢) وابن جرير (٢٣/٨١) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/٨٩١٦) والحاكم (٢/٥٥٩) من طرق عن شعبة به وهذا إسناد صحيح إلى عبدالله بن مسعود كما قال المصنف وأعله الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٠٥) بجهالة مشايخ الطبراني !! وهما متابعان ومعروفان .. والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣٠) وعزاه إلى عبد بن حميد والطبراني . رواه الطبراني أيضًا (١٠/١٠٢٧٨) من طريق بقية بن الوليد عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه سئل من أكرم الناس قال : «يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله» وهذا إسناده ضعيف لانقطاعه بين أبي عبيدة وأبيه عبدالله بن مسعود وبهذا أعله الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٠٥) وزاد أنه من رواية بقية وهو مدلس وعنعن ، غير أنه بقية متابع ، من معاوية بن حفص عن شعبة به . رواه ابن المظفر في «غرائب شعبة» (١/١٣٨) - كما في «الضعيفة» لأبي عبدالرحمن الألباني (١/رقم٣٣٤) - فعلته الأصلية الانقطاع وبالله التوفيق .

---

[١] - في خ : « من » .

وهذا صحيح إلىٰ ابن مسعود ، وكذا رَوَىٰ عكرمة(٦٥) ، عن ابن عباس أنه إسحاق . وعن أبيه العباس(٦٦) ، وعلي بن أبي طالب(٦٧) مثل ذلك . وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والشعبي ، وعبيد بن عمير ، وأبو ميسرة ، وزيد بن أسلم ، وعبد اللّٰه بن شقيق ، والزهري ، والقاسم بن أبي بَزَّة[١] ، ومكحول ، وعثمان بن[٢] حاضر ، والسدي ، والحسن ، وقتادة ، وأبو الهذيل ، وابن سابط ، وهو اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق .

وهكذا روىٰ ابن إسحاق(٦٨) عن عبد اللّٰه بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سفيان ابن[٣] العلاء ابن جارية ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أنه قال : هو إسحاق .

وهذه الأقوال - واللّٰه أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم في الدولة العُمَرية جعل يُحدِّث عمر - رضي اللّٰه عنه - عن كتبه ، فربما استمع له عمر - رضي اللّٰه عنه - فترخَّص الناس في استماع ما عنده ، ونقلوا عنه غَثَّها وسمينها ، وليس بهذه[٤] الأمة - واللّٰه أعلم - حاجة إلىٰ حرف واحد مما عنده . وقد حكىٰ البغوي هذا القول بأنه إسحاق : عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، والعباس ، ومن التابعين : عن كعب الأحبار ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومسروق ، وعكرمة ، ومقاتل ، وعطاء ، والزهري ، والسدي قال : وهو إحدىٰ الروايتين عن ابن عباس .

وقد ورد في ذلك حديث - لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ، لكن لم يصح سنده - قال

---

(٦٥) - رواه ابن جرير (٨١/٢٣) والحاكم (٥٥٨/٢) من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة به وهذا إسناد صحيح وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) وزاد عزوه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد ابن حميد .

(٦٦) - يأتي تخريجه .

(٦٧) - رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٢/٣) أنا رجل عن الحجاج بن أرطاة عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن علي به . وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ عبدالرزاق وضعف الحجاج بن أرطاة وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٦٨) - ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٨١/٢٣) وتحرف فيه اسم شيخ ابن إسحاق من «عبدالله بن أبي بكر» إلى «عبدالرحمن بن أبي بكر» ووقع فيه تسمية شيخ الزهري . «العلاء بن حارثة الثقفي» وهو هنا : «أبو سفيان بن العلاء بن جارية» وكلاهما لم أهتد لترجمته وأظن أن الاسم محرف وصوابه «عمرو بن أبي سفيان ابن أسيد بن جارية الثقفي» وهذا مترجم في «التهذيب» ومذكور فيه روايته عن أبي هريرة ، ورواية الزهري عنه وقد تقدم الخبر مطولاً من طريقه فانظر رقم (٤٨) .

---

[١] - في خ : « برزة » .

[٢] - بعده في خ ، ز : « أبي » .

[٣] - في ز : « عن » .

[٤] - في ت : « لهذه » .

ابن جرير (٦٩) :

حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن حُبَاب، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في حديث ذكره قال : « **هو إسحاق** » .

ففي إسناده ضعيفان ، وهما الحسن بن دينار البصري ؛ متروك ، وعلي بن زيد بن جُدْعان ، منكر الحديث . وقد رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جُدْعان، به مرفوعًا . ثم قال[١] : قد رواه مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن الأحنف ، عن العباس قوله ، وهذا أشبه وأصح .

ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل - عليه السلام

وهو الصحيح المقطوع به

قد تقدمت الرواية عن ابن عباس أنه إسحاق ، [وقال][٢] سعيد بن جبير ، وعامر الشعبي ،

---

(٦٩) - ضعيف جداً .

تفسير ابن جرير (٨١/٢٣) ورواه البزار في مسنده (١٣٠٧/٤/[البحر الزخار]) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٢/٢/مخطوط) من طريق أبي كريب به ، غير أنه وقع في بعض روايات ابن عساكر عدم التصريح بذكر «الحسن بن دينار» فقال : « عن رجل أو شيخ من أهل البصرة ، عن علي بن زيد » وكناه البزار في روايته بـ «أبو سعيد» ولذلك لم يعرفه الهيثمي فقال في «المجمع» (٢٠٥/٨) : «رواه البزار من رواية أبي سعيد عن علي بن زيد ، وأبو سعيد لم أعرفه ، وعلي بن زيد ضعيف ، وقد وثق » غير أن ابن عدي اتهم به «أبو سعيد الحسن بن دينار» فاستنكره له في «الكامل» (٧١٣/٢) وقال : «وهذا الحديث بهذا الإسناد لا أعرفه إلا من حديث الحسن بن دينار» وقال البزار : «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم - إلا من حديث أبي سعيد عن علي بن زيد ، وأبو سعيد هذا هو الحسن بن دينار وهو ليس بالقوي في الحديث ، وقد روى هذا الحديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم . مرسلاً ولم يقل عن العباس ، وإنما ذكرنا هذا الحديث وإن كان الحسن لين الحديث لنبين أنه رفعه ، وأن الحديث له أصل من حديث حماد بن سلمة » وقد رواه من طريقه الحاكم في «المستدرك» (٥٥٦/٢) ثنا الحسن بن يعقوب العدل ، ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا زيد بن الحباب ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب به . ورواه ابن أبي حاتم - كما ذكر المصنف أعلاه - من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن حماد بن سلمة به . هكذا مرفوعاً ومن رواية حماد بن سلمة وقال الحاكم : «حديث صحيح رواه الناس عن علي بن زيد بن جدعان تفرد به «ووافقه الذهبي !! وعلي بن زيد ضعيف وله مناكير وتابعه مبارك بن فضالة - وهو مثله في الضعف - فرواه البزار (١٣٠٨) من طريق مسلم بن إبراهيم نا مبارك عن الحسن عن الأحنف عن العباس مرفوعاً =

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « قال » .

ويوسف ابن مهران ، ومجاهد ، وعطاء ، وغير واحد ، عن ابن عباس (٧٠) : هو إسماعيل عليه السلام .

وقال ابن جرير (٧١) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء ابن أبي رباح ، عن ابن عباس أنه قال : المفدىٰ إسماعيل - عليه السلام - ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وقال إسرائيل(٧٢) عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قال : الذبيح إسماعيل .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : هو إسماعيل . وكذا قال يوسف بن مهران .

وقال الشعبي : هو إسماعيل - عليه السلام - وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة .

وقال محمد بن إسحاق(٧٣) عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري : أنه كان لايشك[١] في ذلك: أن الذي أُمِرَ بذبحه من ابني إبراهيم : إسماعيل .

قال ابن إسحاق (٧٤) : وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو[٢] يقول : إن الذي أمر اللّٰه

= بلفظ «الذبيح إسحاق» قال الهيثمي في «المجمع» (٢٠٥/٨) : «فيه مبارك بن فضالة وقد ضعفه الجمهور» قال البزار : «وقد رواه جماعة عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس موقوفاً» وهذا أشبه وأصح كما قال المصنف والله أعلم .

(٧٠) - انظر هذه الطرق في تفسير ابن جرير (٨٤،٨٣/٢٣) وانظر «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) وصححه الحاكم على شرط الشيخين من طريق الشعبي عنه ابن عباس به «المستدرك» (٥٥٥/٢) ووافقه الذهبي .

(٧١) - تفسير ابن جرير (٨٤/٢٣) ورواه الحاكم (٥٥٥،٥٥٤/٢) من طريق بحر بن نصر الخولاني ، ثنا عبدالله بن وهب به ، وسكت عنه الحاكم ، قال الذهبي : «سمعه ابن وهب منه - يعني من عمر بن قيس - وهو هالك» وعمر بن قيس هنا هو المكي المعروف بـ «سندل » كذبه ابن معين في رواية وتركه أحمد وعمرو ابن علي والنسائي وأبو داود وأبو حاتم وقال البخاري : «منكر الحديث » وضعفه غير واحد .
والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) ولم يعزه لغير ابن جرير والحاكم .

(٧٢) - رواه ابن جرير (٨٣/٢٣) والحاكم (٢٥٤/٢) من طريقين عن إسرائيل به وسكت عنه الحاكم - ونقل السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) تصحيحه عنه ، وقال الذهبي «ثوير بن أبي فاختة : واهٍ » ضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما وتركه الدارقطني وقال النسائي : «ليس بثقة» وقال أبو زرعة : « ليس بذاك القوي» وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٧٣) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٤/٢٣) وإسناده لا يصح إلى الحسن البصري . الحسن بن دينار تركه غير واحد وعمرو بن عبيد متهم بالكذب لا سيما في مروياته عن الحسن ، والأول من رجال «لسان الميزان» والثاني من رجاله «التهذيب» .

(٧٤) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٤/٢٣) والحاكم (٥٥٥/٢) وذكره السيوطي في =

---

[١] - سقط من : ز ، خ. 		[٢] - سقط من : ز ، خ.

إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل . وإنا لنجد ذلك في كتاب الله ، وذلك أن الله حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين** ﴾ يقول الله تعالىٰ : ﴿ **فبشرناه[١] بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ ، يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعود ما وعده ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل .

وقال ابن إسحاق (٧٥) : عن بُرَيدة بن سفيان بن فَرْوَةَ الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم : أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت . ثم أرسل إلىٰ رجل كان عنده بالشام ، كان يهوديًا فأسلم وحَسُن إسلامه ، وكان يرىٰ أنه من علمائهم ، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك - قال محمد بن كعب : وأنا عند عمر بن عبد العزيز - فقال له عمر : أيّ ابني إبراهيم أُمِرَ بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب علىٰ أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لِمَا أمر به ، فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، بكون إسحاق أباهم[٢] ، والله أعلم أيهما كان ، وكلٌّ قد كان طاهرًا طيبًا مطيعًا لله - عز وجل - .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : سألت أبي عن الذبيح ، مَن هو ؟ إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : إسماعيل . ذكره في « **كتاب الزهد** » .

وقال ابن أبي حاتم : وسمعت أبي يقول : الصحيح أن الذبيح إسماعيل - عليه السلام -. قال : ورُوِيَ عن علي ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وأبي الطفيل ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، والشعبي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأبي جعفر محمد بن علي ، وأبي صالح أنهم قالوا : الذبيح إسماعيل .

وقال البغوي في تفسيره : وإليه ذهب عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والسدي ، والحسن البصري ، ومجاهد ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن كعب القرظي ، والكلبي ، وهو رواية عن ابن عباس ، وحكاه أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء .

وقد روىٰ ابنُ جرير في ذلك حديثًا غريبًا فقال(٧٦) : حدثني محمد بن عمار الرازي ،

= «الدر المنثور» (٥/٥٢٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٧٥) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٢٣/٨٤،٨٥) وبريدة بن سفيان الأسلمي «ليس بالقوي ، وفيه رفض» كذا في «التقريب» وابن إسحاق مدلس وقد عنعنه غير أنه رواه عن محمد بن كعب مباشرة دون واسطة ، وفيه تصريحه بالسماع لكن دون ذكر لعمر بن عبدالعزيز في الخبر انظر السابق .

(٧٦) - إسناده واهٍ =

---

[١] - في ز ، خ: « وبشرناها » . [٢] - في ز ، خ: « أبوهم » .

حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي ، عن عُبَيد اللّٰه ابن محمد العُتْبي - من ولد عُتبة بن أبي سفيان - عن أبيه : حدثني عبد اللّٰه بن سعيد ، عن الصُّنَابحي قال : كنا عند معاوية بن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : علىٰ الخبير سَقَطْتُم ، كنا عند رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول اللّٰه ، عُدْ علي مما أفاء اللّٰه عليك يا ابن الذبيحين . فضحك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أُمِر بحفر زمزم نذر للّٰه إن سهل اللّٰه أمرها عليه[١] ، ليَذْبَحَنّ أحدَ ولده ، قال : فخرج السهم علىٰ عبد اللّٰه ، فمنعه أخواله وقالوا : افد ابنك بمائة من الإبل . ففداه بمائة من الإبل ، وإسماعيل الثاني .

وهذا حديث غريب جدًا ، وقد رواه الأموي في مغازيه : حدثنا بعض أصحابنا ، أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، حدثنا عمر بن عبد الرحمن القرشي ، حدثنا عبيد[٢] اللّٰه بن محمد العتبي - من[٣] ولد عتبة بن أبي سفيان - حدثنا عبد اللّٰه بن سعيد[٤] ، حدثنا الصنابحي قال : حضرنا مجلس معاوية ، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ، وذكره . كذا كتبته من نسخة [ ][٥] وإنما عَوّل ابنُ جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فبشرناه[٦] بغلام حليم ﴾ ، فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله : ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ ، وأجاب عن البشارة بيعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي ، أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضًا ، قال : وأما القرنان اللذان كانا مُعلّقين بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلا من بلاد الشام . قال[٧] : وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلىٰ أنه ذبح[٨] إسحاق هناك . هذا ما اعتمد عليه في تفسيره ، وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم ، بل هو[٩] بعيد جدًا ، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي علىٰ أنه إسماعيل أثبت

= تفسير ابن جرير (٨٥/٢٣) وقد رواه الأموي - كما يذكره المصنف بعد هذا وعزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) - والحاكم في «المستدرك» (٥٥٤/٢) من طريق إسماعيل بن عبيد به ، وعند الحاكم تحريف في الإسناد يصوب من هنا وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي :«إسناده واهٍ» وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» وزاد عزوه إلى الخلعي في فوائده - وبين علة ضعفه في «الفتاوى» (٣٥/٢) فقال : «هذا حديث غريب ، وفي إسناده من لا يعرف حاله» قلت : عبدالله بن سعيد جهله الذهبي في «ديوان الضعفاء» (ت/٢١٨١) وعمر بن عبدالرحيم والعتبي لم أهتد لترجمة لهما ، وانظر لزاماً «الضعيفة» لأبي عبدالرحمن الألباني (٣٣١/١) ، (١٦٧٧/٤) والله المستعان

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في خ ، ز : « عبد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ز : « سعد » .
[٥] - بياض في : خ ، ز .
[٦] - في ز ، خ: « وبشرناه » .
[٧] - سقط من : ز، خ .
[٨] - في خ ، ز : « ذهب » .
[٩] - سقط من : ز، خ .

وأصح وأقوىٰ ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، لما تقدمت البشارة بالذبيح - وهو إسماعيل - عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق ، وقد ذكرت في سورتي « **هود** » و « **الحجر** » . وقوله : ﴿ **نبيًّا** ﴾ حال مقدرة[١] أي سيصير منه نبي من الصالحين .

وقال ابن جرير(٧٧) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : الذبيح إسحاق . قال : وقوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : بشر بنبوته ، قال : وقوله : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ ، قال : كان هارون أكبر من موسىٰ ، ولكن أراد : وَهَب له نبوته .

وحدثنا ابن عبد الأعلىٰ(٧٨) ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال[٢] : سمعتُ داود يُحدّث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : إنما بُشّر به نبيًّا حين فداه اللَّه من الذبح ، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده .

وقال ابن أبي حاتم (٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا سفيان][٣] الثوري ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : بُشّر به حين ولد ، وحين نُبِّئ .

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَة (٨٠) : عن قتادة في قوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين** ﴾ ، قال : بعد ما كان من أمره ، لما جاد للَّه بنفسه وقال اللَّه : ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحاق** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وباركنا عليه وعلىٰ إسحاق. ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلىٰ أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يَمَسّهم منا عذاب أليم** ﴾ .

---

(٧٧) - (٧٨) - تفسير ابن جرير (٨١،٨٩) وإسناده صحيح وتقدم تخريجه برقم (٦١) .

(٧٩) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣٦) ورواه الحاكم (٢/٥٥٧) من طريق وكيع عن سفيان به . وقال : «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وانظر السابق وقد زاد عزو هذا الخبر السيوطي إلى عبد حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر» .

(٨٠) - تفسير ابن جرير (٨٩/٢٣) بإسناد صحيح إلى قتادة ، ورواه عنه أيضاً عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

---

[١] - في خ ، ز : « تقرره » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ
﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾
سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

يذكر تعالىٰ ما أنعم به علىٰ موسىٰ وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما ، من قهر فرعون وقومه ، وما كان يعتمده في حقهم من الإساءة العظيمة ، من قتل الأبناء واستحياء النساء ، واستعمالهم في أخسّ الأشياء . ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم ، وأقر أعينهم منهم ، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم . ثم أنزل الله علىٰ موسىٰ الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين ، وهو التوراة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان وضياءً** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم** ﴾ أي : في الأقوال والأفعال ، ﴿ **وتركنا عليهما في الآخرين** ﴾ أي : أبقينا لهما من بعدهما ذكرًا جميلًا وثناءً حسنًا ثم فسره بقوله : ﴿ **سلامٌ على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين. إنهما من عبادنا المؤمنين** ﴾ .

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾

قال قتادة ومحمد بن إسحاق ، يقال : إلياس هو إدريس .

وقال ابن أبي حاتم[٨١] : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ،

(٨١) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣٧) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/٨٣/مخطوط) وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ماجه في «التفسير» - كما في «التهذيب» لابن حجر ترجمة (عبيدة بن ربيعة) وكذا في «الدر المنثور» - من طريق إسرائيل به وعلقه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأنبياء ، باب (رقم٤) فقال : « ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو =

عن عَبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إلياس هو إدريس . وكذا قال الضحاك .

وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن ياسين[١] بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ، بعثه الله في بني إسرائيل بعد حزقيل - عليهما السلام - وكانوا قد عبدوا صنمًا يقال له : « **بعل** » ، فدعاهم إلىٰ الله ، ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد ، واستمروا علىٰ ضلالتهم ، ولم يؤمن به منهم أحد . فدعا الله عليهم ، فحَبَس عنهم القَطْر ثلاث سنين ، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ، ووعدوه[٢] الإيمان به إن هم أصابهم المطر . فدعا الله لهم ، فجاءهم الغيث فاستمروا علىٰ أخبث ما كانوا عليه من الكفر ، فسأل الله أن يقبضه إليه . وكان قد نشأ علىٰ يديه اليسع بن أخطوب - عليه السلام - فأمر إلياس أن يذهب إلىٰ مكان[٣] كذا وكذا ، فمهما جاءه فليركبه [ولا يهبه][٤] ، فجاءته فرس من نار فركب ، وألبسه الله النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكًا إنسيًا سماويًا أرضيًا . هكذا حكاه وهب عن أهل الكتاب ، والله أعلم بصحته .

﴿ **إذ قال لقومه ألا تتقون** ﴾ ؟ أي : ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ؟ ﴿ **أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي : بعلًا يعني : ربًّا .

قال قتادة وعكرمة : وهي لغة أهل اليمن . وفي رواية عن قتادة قال : هي لغة أزْد شَنُوءة .

وقال ابن إسحاق : أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها « **بعل** » .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه : هو اسم صنم كان يعبده أهل مدينة يقال لها : « **بعلبك** » ، غربي دمشق .

وقال الضحاك : هو صنم كانوا يعبدونه .

وقوله : ﴿ **أتدعون بعلًا** ﴾ ، أي : أتعبدون صنمًا ؟ ﴿ **وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ أي : هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له .

= إدريس» قال ابن حجر في «الفتح» (٣٧٣/٦) : «قول ابن مسعود وصله عبد بن حميد وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه .... وقول ابن عباس وصله جويبر في تفسيره عن الضحاك عنه ، وإسناده ضعيف ، ولهذا لم يجزم به البخاري وكذا لم يجزم بخبر ابن مسعود حيث أن عبيدة بن ربيعة لم يوثقه غير العجلي وابن حبان وقال ابن حجر نفسه «التقريب» . «مقبول» !! .

---

[١] - في خ : « نسبى » ، وفي ز : « تسبي» .
[٢] - في ز ، خ: « فوعدوه » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه فإنهم لمحضرون** ﴾ أي : للعذاب يوم الحساب ، ﴿ **إلا عباد اللَّه المخلصين** ﴾ أي : الموحدين منهم ؛ وهذا استثناء منقطع من مثبت .

وقوله : ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين** ﴾ أي : ثناءً جميلًا ، ﴿ **سلام علىٰ إلْ ياسِين** ﴾ ، كما يقال[١] في إسماعيل : إسماعين ، وهي لغة بني أسد . وأنشد بعض بني نمير[٢] في ضبٍّ صاده

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب [البيت إسرائينا][٣]

ويقال : ميكال وميكائيل وميكائين ، وإبراهيم وإبراهام ، وإسرائيل وإسرائين ، وطور سيناء ، وطور سينين ، وهو موضع واحد ، وكل هذا سائغ .

وقرأ آخرون : « **سلام على إدريس**[٤] » . وهي قراءة عبد اللَّه بن مسعود . وآخرون : « **سلام علىٰ آل ياسين** » ، يعني : آل محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾ قد تقدم تفسيره .

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله لوط - عليه السلام - أنه بعثه إلىٰ قومه فكذبوه ، فنجاه اللَّه من بين أظهرهم هو وأهله ، إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها ، فإن اللَّه تعالىٰ أهلكهم بأنواع من العقوبات ، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح ، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلًا ونهارًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ أي : أفلا تعتبرون بهم ، كيف دمر اللَّه عليهم ، وتعلمون أن للكافرين أمثالها ؟ !

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ

---

[١] - في ز، خ : « قال » .
[٢] - في خ ، ز : « تميم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنس أبينا » .
[٤] - في ز ، خ: « إل ياسين » .

﴿ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

وقد تقدمت قصة يونس - عليه السلام - في «**سورة الأنبياء**» وفي الصحيحين(٨٢) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال: « **ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس ابن متىٰ** » . ونَسَبه إلىٰ أمه وفي رواية قيل: « **إلىٰ أبيه** » .

وقوله: ﴿ **إذ أبق إلىٰ الفلك المشحون** ﴾ ، قال ابن عباس: هو المُوقر . أي: المملوء بالأمتعة .

﴿ **فساهم** ﴾ أي: قارع ، ﴿ **فكان من المدحضين** ﴾ أي: المغلوبين ، وذلك أن السفينة تَلَعَّبَتْ بها الأمواج من كل جانب ، وأشرفوا علىٰ الغرق ، فتساهموا[١] علىٰ من تقع عليه القرعة يُلقىٰ في البحر ، لتخف بهم السفينة ، فوقعت القرعة علىٰ نبي اللَّه يونس - عليه الصلاة والسلام - ثلاث مرات ، وهم يضنون به أن يلقىٰ من بينهم ، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك . وأمر اللَّه تعالىٰ حوتًا من البحر الأخضر أن يشق البحار ، وأن يلتقم يونس - عليه السلام - فلا يَهْشِمُ له لحمًا ، ولا يكسر له عظمًا . فجاء ذلك الحوت وألقىٰ يونس - عليه السلام - نفسه ، فالتقمه الحوت ، وذهب به فطاف به البحار كلها . ولما استقر يونس في بطن الحوت ، حسب أنه قد مات ، ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي ، فقام يصلي في بطن الحوت ، وكان من جملة دعائه: « **يا رب ، اتخذتُ لك مسجدًا في موضع لم يبلغه أحد من الناس** » . واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت ، فقيل: ثلاثة أيام . قاله قتادة . وقيل: جُمْعَة . قاله جعفر الصادق . وقيل: أربعين يومًا . قاله أبو مالك .

وقال مُجَالد ، عن الشعبي: التقمه ضحًى ، وقذفه عشية .

والله أعلم بمقدار ذلك وفي شعر أمية بن أبي الصلت:

وَأَنْتَ بفضلٍ منْكَ نجَّيتَ يُونُسا   وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَاف حُوتٍ لَياليَا

وقوله: ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلىٰ يوم يبعثون** ﴾ ، قيل: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء . قاله الضحاك بن قيس ، وأبو العالية ، ووهب بن منبه ، وقتادة ،

(٨٢) - صحيح البخاري: كتاب: الأنبياء (٣٤١٣) - وانظره بأطرافه عند رقم (٣٣٩٥) - ورواه أحمد (٢٤٢/١) ومسلم كتاب: الفضائل (١٦٧) (٢٣٧٧) ، وأبو داود ، كتاب: السنة (٤٦٦٩) من طريق شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً به .

[١] - في ت: « فساهموا » .

وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد في الحديث الذي سنورده ما يدل علىٰ ذلك إن صح الخبر . وفي حديث عن[١] ابن عباس (٨٣) : « **تَعَرّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة** » .

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعطاء بن السائب ، والسدي ، والحسن ، وقتادة : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ يعني : المصلين . وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم : كان من المسبحين في جوف أبويه .

وقيل المراد : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ هو قوله : ﴿ **فنادىٰ في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾ ، قاله سعيد بن جبير وغيره .

وقال ابن أبي حاتم (٨٤) : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا أبو صخر : أن يزيد الرقاشي حَدّثه : أنه سمع أنس بن مالك - ولا أعلم إلا أنّ[٢] أنسًا يرفع الحديث إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - : « **أن يونس النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت ، فقال : اللّهم ، لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين . فأقبلت الدعوة تحف[٣] بالعرش ، قالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة[٤] غريبة ؟ فقال : أما[٥] تعرفون ذلك . قالوا : يا رب ، ومن هو ؟ قال : عبدي يونس . قالوا : [عبدك يونس الذي][٦] لم يزل يرفع له عمل متقبل[٧] ، ودعوة مستجابة ؟ ! قالوا : يارب ، أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجّيَه من البلاء ؟ قال : بلىٰ . فأمر الحوت فطرحه بالعراء** » .

(٨٣) - رواه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٣) والترمذي ، كتاب : صفة القيامة (٢٥١٦) وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٢٥٥٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥) والطبراني في «الدعاء» (٢/رقم٤٢) والبيهقي في «الشعب» (١/رقم ١٩٥) من طريق الليث بن سعد - مقروناً به ابن لهيعة عند الترمذي - عن قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس مرفوعاً بالحديث المشهور - « يا غلام ، إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك . . . » وليس فيه اللفظة التي هنا وهذه قد رواها أحمد (١/٣٠٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/رقم١٢٦) من طريق نافع بن يزيد وابن لهيعة وكهمس بن الحسن وهمام عن قيس بن الحجاج به ورواه الآجري في «الشريعة» (١/رقم٤٥٠) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن حنش به باللفظ الأول ، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» - قال الحافظ أبو عبدة بن منده : « لهذا الحديث طرق - انظرها في ، المصدر الآتي ، و «السنة» لا بن أبي عاصم (٣١٦:٣١٨) - عن ابن عباس وهذا أصحها وهذا إسناد مشهور رواته «ثقات» - نقلاً من كتاب «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم =

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز،خ .
[٣] - في ز ، خ: « تجن » .
[٤] - سقط من : ز،خ .
[٥] - في خ ، ز : « ألا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٧] - في ز : « متقبلًا » .

ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به . زاد ابن أبي حاتم : قال أبو صخر حُمَيد بن زياد : فأخبرني ابن قُسَيط وأنا أحدثه[١] هذا الحديث : أنه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء ، وأنبت اللّٰه عليه اليقطينة . قلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّباء . قال أبو هريرة : وَهَيَّأَ اللّٰه له أُرْوِيَّة[٢] وحشيةً تأكل من خشاش الأرض - أو قال : هشاش الأرض - قال : فتتفشح[٣] عليه فَتَرْويه من لبنها كل عَشية وبُكرةٍ حتىٰ نَبَت .

وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتًا من شعره :

فأنبت يقطينًا عليه برحمةٍ من الله لولا الله ألفى ضاحيًا

وقد تقدم حديث أبي هريرة(٨٥) مسندًا مرفوعًا في تفسير « **سورة الأنبياء** » ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فنبذناه** ﴾ أي: ألقيناه ﴿ **بالعراء** ﴾، قال ابن عباس، وغيره: وهي الأرض التي ليس فيها[٤] نبت ولا بناء . قيل : علىٰ جانب دجلة . وقيل : بأرض اليمن . فاللّٰه أعلم .

﴿ **وهو سقيم** ﴾ أي : ضعيف البدن . قال ابن مسعود - رضي اللّٰه عنه - : كهيئة الفرخ ليس عليه ريش . وقال السدي : كهيئة الصبي يعني[٥] حين يولد ، وهو المنفوس . وقاله ابن

= لابن عباس» لابن رجب الحنبلي (ص ٣٠، ٣١) وقال ابن رجب هنا أيضاً وفي «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٣) : «وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة . . . وفي أسانيدها جميعها مقال : وفي ألفاظها بعض الزيادة والنقص ، . . . وأجود أسانيده من رواية حنش عن ابن عباس ، وهو إسناد حسن لا بأس به» ومن هذا الوجه اختاره الضياء في «المختارة» (٨/١٢ : ١٥) وصححه أبو عبدالرحمن الألباني كما في حاشية «السنة» (١/رقم ٣١٦) والله الموفق .

(٨٤) - وقد تقدم عند المصنف (سورة الأنبياء/آية٨٧) كما هنا ، وكذا نقله في «قصص الأنبياء» له وقد عزاه لابن أبي حاتم أيضاً السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٥٩٩) ، (٥/٥٤٠) وقد رواه ابن جرير (٢٣/١٠٠) حدثني يونس عن ابن وهب به ، وإسناده ضعيف ، لضعف يزيد الرقاشي ، لكن قواه المصنف بحديث أبي هريرة الآتي تخريجه - فقال في «القصص» عقب هذا الحديث «غريب من هذا الوجه ، ويزيد الرقاشي ضعيف ، لكن يتقوى بحديث أبي هريرة ، كما يتقوى ذلك بهذا والله أعلم » وقد تابع يزيد الرقاشي هنا يحيى بن العلاء عن حميد أبي صخر به : وفيه زيادة خبر أبي هريرة رواه من هذا الوجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/١٥٦، ١٥٧) غير أن يحيى بن العلاء هذا مرمي بالوضع ، وقد روى خبر أبي هريرة ابن جرير (٢٣/ ١٠٣) من طريق آخر بإسناد حسن .

(٨٥) - تقدم عند المصنف (سورة الأنبياء/آية٨٧) من طريق محمد بن إسحاق عمن حدثه عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت . . . .» الحديث ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (١٧/٨١) وهذا إسنادٌ ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق . وقد رواه البزار في مسنده (٣/٢٢٥٤/كشف) (٢/١٥٠٢/زوائد ابن حجر)=

[١] - في ز : « أخدمه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فتتفسخ » .
[٤] - في ت : « بها » .
[٥] - سقط من : ت .

عباس ، وابن زيد أيضًا .

﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ قال ابن مسعود(٨٦) ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ووهب بن منبه ، وهلال بن يَساف ، وعبد اللَّه بن طاوس ، والسدي[١] ، وقتادة ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، وغير واحد - قالوا كلهم - : اليقطين هو القرع .

و[٢]قال هشيم(٨٧) عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير : كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين . وفي رواية عنه : كل شجرة تهلك[٣] من عامها[٤] فهي من اليقطين .

وذكر بعضهم في القرع فوائد ، منها : سرعة نباته ، وتظليلُ ورقه لكبره ، ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة أغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئًا ومطبوخًا بلبه وقشره أيضًا . وقد ثبت أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يُحبُّ الدباء ، ويتتبعه من حَوَاشي الصَّحْفة(٨٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون ﴾ ، روىٰ شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه قال : إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

رواه ابن جرير(٨٩) [حدثني الحارث قال : حدثنا الحسن قال : حدثنا][٥] أبو هلال عن شهر

= ثنا بعض أصحابنا - عبيدالله بن سعيد وغيره - عن يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي ، عن ابن إسحاق عن عبدالله بن رافع به هكذا - بدون واسطة ، وقال البزار : «لا نعلمه مرفوعاً بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد» وكأن عدم ذكر الواسطة من تدليس ابن إسحاق لا سيما وقد عنعنه ، وفيه أيضاً جهالة شيخ البزار ، وقد أعله الهيثمي في «المجمع» (١٠١/٧) بالعلتين فقال : «رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه !! وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح» ، وقال الحافظ ابن حجر :«هذا خبر منكر» وقد أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤١/٥) ولم يعزه لغير المذكورين هنا ، وانظر السابق .

(٨٦) - رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٥٩/٧) وابن أبي الدنيا في «كتاب العقوبات» (رقم ١٧١) في خبر طويل عنه بإسناد صحيح إليه وقد رواه مختصرًا ابن جرير (١٠٢/٢٣، ١٠٣) وأورده مطولاً السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤١/٥) وزاد عزوه إلى أحمد في «الزهد» - ولم أجده في المطبوع منه - وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨٧) - رواه ابن جرير (١٠٢/٢٣) والرواية الأخرى من طريق الأصبع بن زيد عن القاسم به ، وإسنادهما صحيح .

(٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : الخياط (٢٠٩٢) وصحيح مسلم ، كتاب : الأشربة ، باب : جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين . . . (١٤٤، ١٤٥) (٢٠٤١) من حديث أنس بن مالك .

(٨٩) - تفسير ابن جرير (١٠٥/٢٣) وشهر بن حوشب ، ضعيف والخبر أورده السيوطي في «الدر المنثور»=

---

[١] - في ز ، خ: « النسائي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - في ز، خ : « يهلك » .
[٤] - في ز ، خ: « عليها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « حدثني » .

به .

وقال ابن أبي نَجِيح : عن مجاهد : أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت .

قلت : ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولا أُمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت ، فصدقوه كلهم وآمنوا به . وحكىٰ البغوي أنه أرسل إلىٰ أمة أخرىٰ بعد خروجه من الحوت ، كانوا مائة ألف أو يزيدون .

وقوله : ﴿ **أو يزيدون** ﴾ ، قال ابن عباس - في رواية عنه - : بل يزيدون ، وكانوا مائة وثلاثين ألفًا . وعنه : مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفًا . وعنه : مائة ألف وبضعة وأربعين ألفًا .

وقال سعيد بن جبير : يزيدون سبعين ألفًا . وقال مكحول : كانوا مائة ألف وعشرة آلاف . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير (٩٠) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال[١] : سمعت زُهَيرًا، عمن سمع أبا العالية قال[٢] : حدثني [ ][٣] أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ **وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون** ﴾ قال : « **يزيدون عشرين ألفًا** » . ورواه الترمذي عن علي بن حُجْر ، عن الوليد بن مسلم ، عن زُهَير ، عن رجل ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، به ، وقال : غريب . ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك : معناه إلىٰ المائة الألف[٤] ، أو كانوا يزيدون عندكم ، يقول : كذلك كانوا عندكم .

وهكذا[٥] سلك ابن جرير هاهنا ما سلكه عند قوله تعالى : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾وقوله : ﴿ **إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾ وقوله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ** ﴾ أن المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد .

= (٥٤٧/٥) وزاد عزوه إلى أحمد في «الزهد» ولم أجده في المطبوع منه - وعبد بن حميد وابن مردويه .

(٩٠) - تفسير ابن جرير (١٠٤/٢٣) ورواه الترمذي ، كتاب : التفسير (٣٢٢٩) من طريق الوليد ين مسلم عن زهير به ، وفوق ما فيه من الجهالة ، فإن رواية أهل الشام عن زهير - وهو ابن محمد التميمي - غير مستقيمة وهذه منها ، والحديث ضعفه الترمذي فقال : «حديث غريب » وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤٧/٥) وزاد عزوه إلى ابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « محمد بن » .

[٤] - في ز ، خ: « ألف » .

[٥] - في ز، خ : « هلا » .

وقوله : ﴿ **فآمنوا** ﴾ أي : فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس - عليه السلام - جميعهم ، ﴿ **فمتعناهم إلىٰ حين** ﴾ أي : إلىٰ وقت آجالهم ، كقوله : ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين** ﴾ .

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ هؤلاء المشركين في جعلهم للّٰه البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ، أي : من الذكور ، أي : يودون لأنفسهم الجيد . ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثىٰ ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم** ﴾ أي : يسوؤه ذلك ، ولا يختار لنفسه إلا البنين . يقول تعالىٰ : فكيف نسبوا إلىٰ اللّٰه القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ؟ ولهذا قال : ﴿ **فاستفتهم** ﴾ أي : سلهم علىٰ سبيل الإنكار عليهم : ﴿ **ألربك البنات ولهم البنون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثىٰ * تلك إذًا قسمة ضيزىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم خلقنا الملائكة إناثًا وهم شاهدون** ﴾ أي : كيف حكموا علىٰ الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم ؟ كقوله : ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ أي : يسألون عن ذلك يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **ألا إنهم من إفكهم** ﴾ أي : من كذبهم ﴿ **ليقولون * ولد اللّٰه** ﴾ أي : صدر منه الولد ، ﴿ **وإنهم لكاذبون** ﴾ . فذكر اللّٰه عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب : فأولًا جعلوهم بنات اللّٰه ، فجعلوا للّٰه ولدًا ، وجعلوا ذلك الولد أنثىٰ ، ثم عبدوهم من دون اللّٰه . وكل[١] منها كاف في التخليد في نار جهنم .

ثم قال منكرًا عليهم : ﴿ **أصطفىٰ البنات علىٰ البنين** ﴾ ، أي : أيّ شيء يحمله علىٰ[٢] أن

---

[١] - في ز ، خ: « فكل » .   [٢] - في ت : « عن » .

يختار البنات دون[١] البنين ؟ ! كقوله : ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا إنكم لتقولون قولًا عظيمًا** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **مالكم كيف تحكمون** ﴾ ، أي : ما لكم عقول [تتدبرون بها][٢] ما تقولون ﴿ **أفلا تذكرون * أم لكم سلطان مبين** ﴾ أي : حجة علىٰ ما تقولونه ، ﴿ **فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين** ﴾ أي : هاتوا برهانكم علىٰ ذلك يكون مستندًا إلىٰ [كتاب مُنزَّل][٣] من السماء عن الله أنه اتخذ ما تقولونه ، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده[٤] إلىٰ عقل ، بل لا يُجوِّزه العقل بالكلية .

وقوله : ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا** ﴾ قال مجاهد (٩١) : قال المشركون : الملائكة بنات الله فسأل[٥] أبو بكر - رضي الله عنه - : فمن أمهاتهن ؟ قالوا : بنات سروات الجن . وكذا قال قتادة ، وابن زيد ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد علمت الجنة** ﴾ أي : الذين نسبوا إليهم ذلك : ﴿ **إنهم لمحضرون** ﴾ ، أي : إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم ، وقولهم الباطل بلا علم .

وقال العوفي(٩٢) : عن ابن عباس في قوله: ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا** ﴾ قال : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالىٰ [ ][٦] هو وإبليس أخوان . حكاه ابن جرير وقوله : ﴿ **سبحان الله عما يصفون** ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد ، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوًّا كبيرًا .

وقوله : ﴿ **إلا عباد الله المخلصين** ﴾ استثناء منقطع ، وهو من مثبت ، إلا أن يكون الضمير في قوله : ﴿ **عما يصفون** ﴾ عائد إلىٰ جميع الناس ثم استثنىٰ منهم المخلصين ، وهم المتبعون للحق المنزل علىٰ كل[٧] نبي ومرسل . وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله : ﴿ **إنهم لمحضرون... إلا عباد الله المخلصين** ﴾ . وفي هذا الذي قاله نظر .

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾
وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾

---

(٩١) - رواه ابن جرير (١٠٨/٢٣) بإسناد صحيح إلى مجاهد غير أن مجاهداً لم يسمع من أبي بكر والخبر عزاه السيوطي لغير واحدٍ فانظر «الدر المنثور» (٥٤٨/٥) .

(٩٢) - رواه ابن جرير (١٠٨/٢٣) والعوفي . ضعيف .

---

[١] - في خ : « على » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « تدبرون » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « من نزل » .
[٤] - في ز، خ : « إسناده » .
[٥] - في ز ، خ: « قال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « أنه » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا للمشركين : ﴿ **فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم** ﴾ أي : ما ينقاد لمقالكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة إلا من هو أضل منكم ممن ذُرئ للنار . ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ . فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك** ﴾ أي[١] : إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل .

ثم قال تعالىٰ مُنزِّهًا للملائكة مما نَسَبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات اللَّه : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ أي : [ ][٢] موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة لا [يتجاوزه ولا يتعداه][٣] .

قال[٤] ابن عساكر (٩٣) في ترجمته لمحمد بن خالد ، بسنده إلىٰ عبد الرحمن بن العلاء بن سعد[٥] ، [عن أبيه][٦] - وكان ممن بايع يوم الفتح - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [ ][٧] قال يومًا لجلسائه : « **أطّتِ السماء وحُقّ لها أن تَئِطّ ، ليس فيها موضع قَدَم إلا عليه ملك راكع أو ساجد** » . ثم قرأ : ﴿ **وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون** ﴾ .

---

(٩٣) - رواه أبو عبدالله بن منده في «الصحابة» - كما في «أسد الغابة» لا بن الأثير (٤/٧٦) و «الإصابة» لابن حجر (٧/٤٠) - ومن طريق ابن منده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/٢٧٧/مخطوط/ترجمة محمد بن خالد أبو جعفر الهاشمي» ، ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم٢٥٥) وبإسناده نقله المصنف في تفسيره (سورة المدثر/آية ٣١) - وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ورقة٢٢٧/ مخطوط) ، ثلاثتهم (ابن منده وأبو نعيم وابن نصر) من طريق محمد بن خالد أبي جعفر ، ثنا المغيرة بن عمر ابن عطية ، حدثني عمرو بن عوف ، حدثني سليمان بن أيوب - من بنى سالم بن عوف - حدثني عطاء بن زيد بن مسعود - من بنى الحبلي - حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع بن سالم ، حدثني عبدالرحمن بن العلاء به . وذكره السيوطي «الدر المنثور» (٥/٥٤٩) ولم يعزه لغير ابن نصر وابن عساكر وقال المصنف - في الموضع المشار إليه سابقاً - «إسناده غريب جداً» قلت : وهو موضوع والمتهم به : «محمد بن خالد» هذا فقد كذبه أبو حاتم الرازي ، وله عن مالك خبر منكر ، واستنكره له ابن عساكر والذهبي في «الميزان» وتبعه ابن حجر =

---

[١] - سقط من : ز، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : به .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « يتجاوزه ولا يتعداه » .

[٤] - في ت : وقال .

[٥] - في خ ، ز : « سعيد » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: « أنه » .

وقال الضحاك في تفسيره (٩٤) : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ قال : كان مسروق يَرْوي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم** » . فذلك قوله : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ .

وقال الأعمش (٩٥) : عن [أبي إسحاق](*) ، عن مسروق، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال[١]: إن في السماوات لسماءً ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه. ثم قرأ

= في «اللسان» ثم إن من فوقه لم أجد لهم تراجم في كتب الرجال ، لكن للحديث طريق آخر وهو الآتي:

(٩٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (١١٢/٢٣) وأبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٣/رقم٥٠٨) وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم٢٥٣) - ومن طريقه نقله المصنف في تفسيره سورة المدثر آية (٣١) - من طريقين عن أبي معاذ النحوي الفضل بن خالد ، ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول . . . . . . فذكره وقال المصنف - في الموضع المشار إليه - : «وهذا مرفوع غريب جداً ولا تضر غرابته فقد قال أبو عبد الرحمن الألباني في الصحيحة (١٠٥٩/٣) هذا إسناد حسن في الشواهد ، رجاله ثقات غير الفضل بن خالد ، فقد ترجمه ابن أبي حاتم (٦١/٢/٣) من رواية ثقتين عنه ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً» وأشار له البخاري في «التاريخ الصغير» (٢٩٥/٢) ووثقه ابن حبان «الثقات» (٧/٩) وقد أكثر عنه أبو منصور الأزهري في كتابه اللغوي «التهذيب» كما في «بغية الوعاة» للسيوطي (٢٤٥/٢) وشيخه عبيد بن سليمان الذي وثقه أبو عبدالرحمن !! لم يوثقه غير ابن حبان (٤٢٨/٨) ، وقال أبو حاتم الرازي : «لابأس به » وبهذا وسمه ابن حجر في «التقريب» فالحديث بهذا الإسناد لا شك أنه محتمل للتحسين جداً ، لا سيما وأن له شاهدين - دون ذكر الآية - من حديث أبي ذر عند أحمد (١٧٣/٥) والترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) وقال الترمذي : «حديث حسن غريب» وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٤/ ٥٧٩) ووافقه الذهبي . والشاهد الثاني من حديث حكيم بن حزام عند ابن نصر (١/رقم ٢٥٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣١٢٢/٣) وأبي الشيخ في «العظمة» (٥٠٩/٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٣) وقصر في عزوه السيوطي جداً فلم يعزه في «الدر المنثور» (٥٥٠/٥) لغير ابن مردويه . وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

(٩٥) - رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٨/٣) وابن جرير (١١٢/٢٣) من طريق سفيان الثوري ، ورواه الفريابي - كما في «الدر المنثور» (٥٥٠/٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٤٢/٩) من طريق قيس بن الربيع ، ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم٢٥٤) - ومن طريقه نقله المصنف في تفسيره (سورة المدثر/آية٣١) ، وابن جرير ، والبيهقي في «الشعب» (١/رقم١٥٩) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم ، ثلاثتهم (الثوري وقيس وأبو معاوية) عن الأعمش به ، وإسناده صحيح ، ولا تضر عنعنة الأعمش هنا ، إذ أن أبا معاوية من أثبت الناس فيه ، والأغرب أن يُعله الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠١) بشيخ الطبراني !! وهو متابع والخبر زاد نسبته السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(*) كذا وقع هنا ، والصواب : « أبي الضحى مسلم بن صبيح » .

---

[١] - سقط من : ز، خ .

عبد الله : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ . وكذا قال سعيد بن جبير .

وقال قتادة : كانوا يصلون الرجال والنساء جميعًا ، حتىٰ نزلت : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ ، فتقدم الرجال وتأخر النساء .

﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ أي : نقف صفوفًا في الطاعة ، كما تقدم عند قوله : ﴿ **والصافات صفًا** ﴾ ، قال ابن جريج[١] (٩٦) : عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال : كانوا لا يصفون في الصلاة حتىٰ نزلت : ﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ ، فصفوا .

وقال أبو نضرة : كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استووا قيامًا ، يريد الله بكم هَدْيَ الملائكة ، ثم يقول : ﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ ، تأخر يا فلان ، تقدم يافلان ، ثم يتقدم فيكبر - رضي الله عنه . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٩٧) .

وفي صحيح مسلم (٩٨) عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فُضلنا علىٰ الناس بثلاث : جُعلَت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجدًا ، وتربتها طهورًا** ... » . الحديث .

﴿ **وإنا لنحن المسبحون** ﴾ أي : نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص ، فنحن عبيد له ، فقراء إليه ، خاضعون لديه .

وقال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم** ﴾ : الملائكة ، ﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ : الملائكة ، ﴿ **وإنا لنحن المسبحون** ﴾ : الملائكة يسبحون الله ، عز وجل .

وقال قتادة : ﴿ **وإنا لنحن المسبحون** ﴾ يعني : المصلون ، يثبتون[٢] بمكانهم من العبادة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون * ومن يَقُلْ منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي**

---

(٩٦) - رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/٥٥٠) - ورواه عبدالرزاق في «المصنف» (٢/٢٤٢٣) عن ابن جريج قال : حدثت أنهم كانوا لا يصفون حتى نزلت (وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون» .

(٩٧) - رواه ابن جرير (١١٢/٢٣) حدثني يعقوب بن إبراهيم ، ثنا ابن علية ، أخبرنا الجريري عن أبي نضرة به وهذا إسناد رجاله ثقات ، رجال الشيخين غير أنهم لم يذكروا رواية لأبي نضرة - واسمه المنذر ابن مالك العبدي - عن عمر بن الخطاب ، فالإسناد منقطع .

(٩٨) - تقدم تخريجه في فاتحة هذه السورة (رقم٤) .

---

[١] - في خ ، ز : « جرير » .

[٢] - في ز ، خ: « ينبيون » .

الظالمين ﴾.

وقوله : ﴿ **وإن كانوا ليقولون * لو أن عندنا ذكرًا من الأولين * لكنا عباد الله المخلصين** ﴾ أي : قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله ، وما كان من أمر القرون الأولىٰ ، ويأتيهم بكتاب الله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **أن تقولوا إنما أنزل الكتاب علىٰ طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدىٰ ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصَدَف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فكفروا به فسوف يعلمون** ﴾ ، وعيد أكيد وتهديد شديد ، علىٰ كفرهم بربهم سبحانه وتعالىٰ وتكذيبهم رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** ﴾ أي : تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة . كما تقدم بيان نصرتهم علىٰ قومهم ممن كذبهم وخالفهم ، و[١] كيف أهلك الله[٢] الكافرين ، ونجىٰ عباده المؤمنين ، ﴿ **وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ [أي : تكون لهم العاقبة . وقوله جل وعلا][٣] : ﴿ **فتول عنهم حتىٰ حين** ﴾ أي : اصبر علىٰ أذاهم لك ، وانتظر إلىٰ وقت مؤجل ، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ، ولهذا قال [بعضهم : غيًا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضًا في معناها .

وقوله][٤] : ﴿ **وأبصرهم فسوف يبصرون** ﴾ أي : انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال علىٰ مخالفتك وتكذيبك ؛ ولهذا قال علىٰ وجه التهديد والوعيد : ﴿ **فسوف**

---

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - سقط من : ز ، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يبصرون﴾ . ثم قال -عز وجل- : ﴿ **أفبعذابنا يستعجلون** ﴾ أي : هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم ، فإن اللَّه يغضب عليهم بذلك ، ويعجل[١] لهم العقوبة ، ومع هذا أيضًا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين** ﴾ أي : فإذا نزل العذاب بمحلتهم ، فبئس ذلك اليوم يومُهم ، بإهلاكهم ودمارهم[٢] .

قال السدي : ﴿ **فإذا نزل بساحتهم** ﴾ يعني : بدارهم ، ﴿ **فساء صباح المنذرين** ﴾ أي : فبئس ما يصبحون ، أي : بئس الصباح صباحهم ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين(٩٩) من حديث إسماعيل بن عُلَية ، عن عبد العزيز بن صُهَيب ، عن أنس رضي اللَّه عنه قال : صَبَّح رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خيبر ، فلما خرجوا بفئوسهم ومساحيهم و[٣]رأوا الجيش ، رجعوا وهم[٤] يقولون : محمد واللَّه ، محمد والخميس . فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللَّه أكبر خَربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين** » .

ورواه البخاري(١٠٠) من حديث مالك عن حميد عن أنس .

وقال الإمام أحمد (١٠١) : حدثنا رَوح ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، عن أبي طلحة قال : لما صَبَّح رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم خيبر ، وقد أخذوا مساحيَهم وغَدَوا إلىٰ حروثهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ولوا مدبرين ، فقال نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : [« **اللَّه أكبر ، اللَّه أكبر**][٥] ، **إنا إذا نزلنا بساحة قوم**

---

(٩٩) - صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة : باب ، ما يذكر في الفخذ . . . . (٣٧١) ، وصحيح مسلم ، كتاب : النكاح ، باب : فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها (٨٤) (١٣٦٥) وأبو داود ، كتاب : الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في سهم الصيفي (٢٩٩٨) والنسائي ، كتاب : النكاح ، باب : البناء في السفر (٦/ ١٣١) وأحمد (١٠١/٣، ١٨٦) من طرق عن إسماعيل بن علية به .

(١٠٠) - صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس إلى الإسلام والنبوة . . . . (٢٩٤٥) - وهو في «موطأ مالك» كتاب ، الجهاد باب : ما جاء في الخيل والمسابقة بينها . . . . (رقم٤٨) (٣٧٣/٢) ومن طريق مالك أخرجه أيضاً الترمذي ، كتاب : السير ، باب في البيات والغادات : والنسائي في الكبرى ، كتاب / السير باب : وقت الغارة (٨٥٩٨) .

(١٠١) - «المسند» (٢٨/٤، ٢٩) ورواه أحمد أيضاً (٢٨/٤) من طريقين عن شيبان عن قتادة به ، و إسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال المصنف ، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٥٢/٦) وقال : « رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد رجال الصحيح» ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» كتاب : المغازي ، =

---

[١] - في ز ، خ: « ويجعل » .
[٢] - في ز : « وبإدمارهم » .
[٣] - في ز ، خ : « فلما » .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فساء صباح المنذرين» . لم يخرجوه من هذا الوجه ، وهو صحيح على شرط الشيخين .

وقوله : ﴿ **وتول عنهم حتىٰ حين * وأبصر فسوف يبصرون** ﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك .

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ينزه تعالىٰ نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون[١] - تعالىٰ وتقدس عن قولهم علوًا كبيرًا - ولهذا قال : ﴿ **سبحان ربك رب العزة** ﴾ أي : ذي العزة التي لا تُرَام ، ﴿ **عما يصفون** ﴾ أي : عن قول هؤلاء المعتدين المفترين ، ﴿ **وسلام علىٰ المرسلين** ﴾ أي : سلام اللَّه عليهم في الدنيا والآخرة ، لسلامة ما قالوه في ربهم ، وصحته وحَقّيّته[٢] ، ﴿ **والحمد للَّه رب العالمين** ﴾ أي : له الحمد في الأولىٰ والآخرة في كل حال . ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من[٣] النقص بدلالة المطابقة ، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن الحمد يدل علىٰ إثبات صفات الكمال مطابقة ، ويستلزم التنزيه من النقص - قرن بينهما في هذا الموضع ، وفي مواضع كثيرة من القرآن ؛ ولهذا قال : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد للَّه رب العالمين** ﴾ .

وقال سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة قال : قال[٤] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا سلمتم عليّ فسلموا علىٰ المرسلين ، فإنما أنا رسول من المرسلين** » .

هكذا[٥] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك (١٠٢) ، وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه اللَّه فقال (١٠٣) : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو بكر الأعين ، ومحمد

= باب : غزوة خيبر (٥٢١/٨) ثنا يزيد بن هارون نا ابن عوف عن عمرو بن سعيد عن أبي طلحة به وهذا إسناد صحيح أيضاً .

(١٠٢) - رواه ابن جرير (١١٦/٢٣) ثنا بشر ، ثنا يزيد ، ثنا سعيد به ، وهذا إسناد منقطع وقد ذكره من هذا الوجه السيوطي في «الدر المنثور» (٥٥٣/٥) وزاد نسبته إلى عبدالرزاق - وهو غير موجود في تفسيره المطبوع • وعبد بن حميد وابن المنذر وكذا ابن أبي حاتم . وانظر ما بعده .

(١٠٣) - ورواه ابن سعد وابن مردويه - كما في الدر المنثور (٥٥٣/٥) - من طريق سعيد عن قتادة به ، ورجاله ثقات رجال الصحيحين ، غير أن قتادة مدلس ولم يصرح فيه بالسماع ورواه ابن مردويه أيضًا كما في الدر المنثور من طريق أبي العوام عن قتادة عن أنس مرفوعًا ، وفيه نفس العلة المشار إليها .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ ، ز : « وحقيقته » .

[٣] - في ز، خ : « و » .

[٤] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - في ز، خ : « هذا » .

بن عبد الرحيم - صاعقة - قالا : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا شيبان[١] ، عن قتادة قال : حدّث أنس بن مالك ، عن أبي طلحة قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إذا سلمتم عليّ فسلموا علىٰ المرسلين** » .

و[٢]قال الحافظ أبو يعلى(١٠٤) : حدثنا محمد بن أبى بكر، حدثنا نوح[٣] وحدثنا أبو هارون، عن أبي سعيد ، عن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه كان إذا سَلَّم قال : « **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علىٰ المرسلين والحمد للّه رب العالمين** » . ثم يسلم . إسناده ضعيف .

وقال ابن أبي حاتم (١٠٥) : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا شبابة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن الشعبي قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من سره أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ من الأجر يوم القيامة ، فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد للّه رب العالمين ﴾** » .

وروي من وجه آخر متصل موقوف علي عليّ - رضي الله عنه - :

(١٠٤) - لم أجده في المسند لأبي يعلى بهذا الإسناد ، وإنما رواه (٢/ رقم ١١١٨) ثنا إسحاق ، ثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن أبي هارون نحوه ، ورواه الطيالسي في مسنده (رقم ٢١٩٨) ثنا حماد بن سلمة به وعنده : أنه كان يقول ذلك ثلاث مرات .

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٧/١) ثنا هشيم ، وعبد بن حميد في المنتخب (٩٥٦) أخبرنا علي بن عاصم ، ورواه أيضًا (٩٥٤) والطبراني في الدعاء (٢/رقم ٦٥١) وأبو بكر بن السُّنِّيّ في عمل اليوم والليلة (رقم ١١٩) من طريق سفيان الثوري ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣٨/١٣) من طريق مُطَرِّف بن طريف ، أربعتهم (هشيم وعلي والثوري ومطرف عن أبي هارون به وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ١٥٠،١٥١) ووقع عنده : عن أبي هريرة قال : قلنا لأبي سعيد وهذا محرف وصوابه : عن أبي هارون ... وكأن هذا تحرف على الهيثمي ولذلك قال : رواه أبو يعلي ، ورجاله ثقات ونقل ذلك عنه أبو الأشبال في حاشيته على جامع الترمذي ولم ينبه على تصحيفه !! فجلّ من لا يسهو !!!! وأبو هارون العبدي - واسمه عمارة بن جوين البصري - متروك ، وكذبه ابن معين وحماد بن زيد وغيرهما ولذلك علقه الترمذي في الجامع (٩٧/٢/ تحت حديث رقم ٢٩٩) بصيغة التحريض ، وقد ذكر هذا الحديث ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٢٩٠/٢) وقال : مدارُ هذا الحديث على أبي هارون ... وهو ضعيف جدًا ، اتفقوا على تضعيفه ، وكذبه بعضهم وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥٥٣/٥) وزاد نسبته إلى سعيد ابن منصور وابن مردويه والدارقطني في الأفراد وانظر ما بعده :

(١٠٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥٥٤/٥) ورجاله ثقات رجال الصحيح غير أنه مرسل والمرسل من أقسام الضعيف ، وقد ورد من وجه آخر متصلًا موقوفًا على علي بن أبي طالب ، فانظر الأتي :

[١] - في خ ، ز : « شيبة » .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - في خ ، ز : « فرج » .

قال أبو محمد البغوي في تفسيره : أخبرنا أبو سعيد أحمد بن شريح ، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي ، أخبرني ابن منجويه ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، حدثنا إبراهيم بن سهلويه ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، عن ثابت بن أبي صفية ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي رضي الله عنه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في[١] مجلسه : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد لله رب العالمين** ﴾ .

وروى الطبراني(١٠٦) من طريق عبد الله بن صخر [بن أنس][٢] عن عبد الله بن زيد بن أرقم ، عن أبيه ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **من قال دُبُر كل صلاة : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ ، ثلاث مرات ، فقد اكتال بالجَرِيب الأوفى من الأجر** » .

وقد وردت أحاديث(١٠٧) في كفارة المجلس : « **سبحانك اللّهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك** » .

وقد أفردت لها جزءًا على حدة ، فليكتب هاهنا إن شاء الله تعالى .

[آخر تفسير سورة الصافات]

(١٠٦) - المعجم الكبير للطبراني (٥/٥١٢٤) ثنا أحمد بن رشدين المصري ، ثنا عبد المنعم بن بشير الأنصاري ، ثنا عبد الله بن محمد الأنسي من ولد أنس - كذا - عن عبد الله بن زيد به ، وعبد الله بن محمد - أو ابن صخر كما هنا - لم أجد له ترجمة هو وشيخه عبد الله بن زيد ، ثم إن عبد المنعم بن بشير هذا جرحه يحيى بن معين واتهمه . وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًّا ، لا يجوز الاحتجاج به ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال الخليلي في الإرشاد : هو وضاع على الأئمة . راجع ترجمته في الميزان واللسان - وبه أعله الهيثمي ، فأورده في المجمع (١٠/١٠٥،١٠٦) وقال : رواه الطبراني وفيه عبدالمنعم بن بشير ، وهو ضعيف جدًّا . والحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب والسيوطي في الدر المنثور (٥/٥٥٤) ولم يعزياه لغير الطبراني .

(١٠٧) - فمن ذلك حديث أبي هريرة عند الترمذي ، كتاب الدعوات (٣٤٣٣) وقال : حديث حسن صحيح غريب . وصححه أيضًا الحاكم (١/٥٣٦) ووافقه الذهبي ، وكذا صححه ابن حبان (٢/٥٩٤) ، وهو عند أبي داود (٤٨٥٧،٤٨٥٨) من وجه آخر بإسناد صحيح ، وفي الباب عن جبير بن مطعم عند الطبراني في الكبير (٢/١٥٨٦) وصححه الحاكم (١/٥٣٧) ووافقه الذهبي ، ومن حديث أبي برزة الأسلمي عند أبي داود (٤٨٥٩) والحاكم (١/٥٣٧) والدارمي (٢/٢٨٣) وإسناده صحيح : وآخر من حديث رافع ابن خديج عند الطبراني (٤/٤٤٤٥) والحاكم وإسناده حسن .

[١] - في ز، خ : « من » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « الأنسي » .

تفسير سورة ص

وهي مكية

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول « **سورة البقرة** ». بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **والقرآن ذي الذكر** ﴾ أي : والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد . قال الضحاك في قوله : ﴿ **ذي الذكر** ﴾ ، كقوله : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم** ﴾ ، أي : تذكيركم . وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وابن عيينة ، وأبو حصين ، وأبو صالح ، والسدي : ﴿ **ذي الذكر** ﴾ : ذي الشرف ، أي : ذي الشأن والمكانة .

ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، واختلفوا في جواب هذا القسم ، فقال بعضهم : هو قوله : ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب** ﴾ . وقيل : قوله : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ ، حكاهما ابن جرير ، [وهذا الثاني فيه بُعد كبير ، وَضَعَّفَه ابن جرير][١] .

وقال قتادة : جوابه : ﴿ **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ ، [واختاره ابن جرير][٢] .

وقيل : جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها ، والله أعلم .

ثم حكىٰ ابن جرير عن بعض أهل العربية[٣] أنه قال : جوابه : « ص » بمعنىٰ[٤] : صدق حق والقرآن ذي الذكر .

وقوله : ﴿ **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾ أي : إن في هذا القرآن لذكرًا[٥] لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر . وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ **في عزة** ﴾ أي : استكبار عنه وحمية ، ﴿ **وشقاق** ﴾ أي : مخالفة له ومعاندة ومفارقة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « العلم » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « لذكر » .

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال : ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** ﴾ أي : من أمة مكذبة ، ﴿ **فنادوا** ﴾ أي : حين جاءهم العذاب استغاثوا وجَأَرُوا إلىٰ اللّٰه ، وليس ذلك بمُجدٍ عنهم شيئًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون** ﴾ أي : يهربون ، ﴿ **لا تركضوا وارجعوا إلىٰ ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون** ﴾ .

قال أبو داود الطيالسي(١) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس عن قول اللّٰه : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، قال : ليس بحين نداء[١] ، ولا نَزْوٍ[٢] . ولا فرار

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ليس بحين مغاث .

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس : نادوا النداء حين لا ينفعهم ، وأنشد :

تَذَكَّرَ[٣] لَيْلَى لَاتَ حَيْنَ تَذَكُّرِ .

وقال محمد بن كعب في قوله : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، يقول : نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستباصوا[٤] للتوبة[٥] حين تولت الدنيا عنهم .

وقال قتادة : لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين[٦] النداء .

وقال مجاهد : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ ، ليس بحين فرار ولا إجابة .

وقد روي نحو هذا عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي[٧] مالك ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة .

وعن مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ **ولات حين مناص** ﴾ ، ولا نداء في غير حين النداء .

وهذه الكلمة وهي « **لات** » ، هي « **لا** » التي للنفي ، زيدت معها « **التاء** » ، [كما تزاد[٨] في « **ثُمّ** » ، فيقولون : « **ثُمّت** » ، و« **رب** » فيقولون[٩] : « **رُبّت** » . وهي

(١) - أخرجه أيضًا الطبري في تفسيره (١٢١/٢٣) ، والحاكم (٤٣٢/٢-٤٣٣) من طرق عن أبي إسحاق به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٥٦/٥) أيضًا إلى عبدالرزاق ، والفريابي ، وعبد بن حميد وابن المنذر .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « ترو » .
[٣] - في ز : « يذكر » .
[٤] - في خ : « واستناصوا » .
[٥] - بياض في خ ، ز .
[٦] - بعده في ز : « لا » .
[٧] - في خ : « أبو » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في ز : « ويقولون » .

مفصولة ، والوقف عليها . ومنهم من حكىٰ عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير][١] أنها متصلة بحين : (ولا تحين مناص) . والمشهور الأول . ثم قرأ الجمهور بنصب ﴿ حين ﴾ ، تقديره : وليس الحين حينَ مناص . ومنهم من جوز النصب بها ، وأنشد :

تَـذَكُّـرَ حُـبِّ لَـيْـلَـى لَاتَ حِـينا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينا

ومنهم من جوَّز الجر بها ، وأنشد :

طَـلَـبُـوا صُـلْـحَـنَـا وَلَاتَ أَوَانٍ فَـأَجَـبْنَا أَنْ لَـيْـسَ حَـيْنَ بَـقَـاءِ

وأنشد بعضهم أيضًا :

ولاتَ ساعةِ مَنْدَمِ[٢] .

بخفض الساعة ، وأهل اللغة يقولون : « النوص : التأخر ، والبوص : التقدم » ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي : ليس الحين حين فرار ولا ذهاب .

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في تعجبهم من بعثه الرسول بشرًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلىٰ رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي : بشر مثلهم ، ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلهًا واحدًا ﴾ أي: أزعم أن المعبود[٣] واحد لا إله إلا هو ؟ ! أنكر المشركون ذلك - قبَّحهم الله تعالىٰ - وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز .

[٢] - في ز : « مند » . [٣] - بعده في ز ، خ : إلهًا .

قلوبهم ، فلما دعاهم الرسول صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ خلع ذلك من قلوبهم ، وإفراد الله بالوحدانية ، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن** ﴾ ، وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين : ﴿**امشوا**﴾ أي : استمروا علىٰ دينكم ، ﴿ **واصبروا علىٰ آلهتكم** ﴾ ، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد .

وقوله : ﴿ **إن هذا لشيء يراد** ﴾ قال ابن جرير : إن هذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم ، والاستعلاء ، وأن يكون له منكم أتباع[١] ، ولسنا[٢] مُجيبيه إليه .

ذكر سبب نزول هذه الآيات

قال السدي : إن ناسًا[٣] من قريش اجتمعوا ، فيهم : أبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلىٰ أبي طالب فَلْنُكَلِّمْه فيه ، فَلْينصفنا منه ، فَلْيكف عن شَتْم آلهتنا ، ونَدَعه وإلهه الذي يعبده ؛ فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكونَ منا إليه شيء ، فتعيرنا العرب ، يقولون : تركوه حتىٰ إذا مات عنه تناولوه . فبعثوا رجلًا منهم يقال له : المطلب ، فاستأذن لهم علىٰ أبي طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك وسَرَاتهم يستأذنون عليك ؟ قال : أدخلهم . فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه . قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : يا ابن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسَرَاتهم ، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدَعُوك وإلهك . قال : « **ياعم ، أفلا أدعوهم إلىٰ ما هو خير لهم ؟** » قال : وإلام تدعوهم ؟ قال : « **أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها[٤] العرب ، ويملكون بها العجم** » . فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها[٥] وعشرة أمثالها . قال : « **تقولون : لا إله إلا الله** » . فنفر وقال : سَلْنا غير هذا . قال : « **لو جئتموني بالشمس حتىٰ تضعوها في يدي ، ما سألتكم غيرها** » . فقاموا من عنده غضابًا ، وقالوا : والله لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا . ﴿ **وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا علىٰ آلهتكم إن هذا لشيء يراد** ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٢) ، وزاد : فلما خرجوا دعا رسول الله صلىٰ الله عليه

(٢) - تفسير الطبري (١٢٧/٢٣-١٢٨) .

[١] - في خ : « الباع » .
[٢] - في ز : « لنا » .
[٣] - في خ : « أناسًا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « لنعطينها »

وسلم عمه[١] إلىٰ قول « لا إله إلا الله » ، فأبىٰ وقال : بل علىٰ دين الأشياخ . ونزلت : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ .

وقال أبو جعفر بن جرير(٣) : حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش ، حدثنا عباد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهط من قريش ، فيهم[٢] أبو جهل ، فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا . ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيته ؟ فبعث إليه ، فجاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشي أبو جهل إن جلس إلىٰ جنب أبي طالب أن يكون أرقّ له عليه . فوثب فجلس في ذلك المجلس ، ولم يجد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مجلسًا قرب عمه ، فجلس عند الباب . فقال له أبو طالب : أي ابنَ أخي ، ما بال قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول ؟ قال : وأكثروا عليه من القول . وتكلم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **يا عم ، إني أريدهم علىٰ كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية** » . ففزعوا لكلمته ولقوله ، وقالوا : كلمة واحدة ! نعم وأبيك عشرًا ، فقالوا : وما[٣] هي ؟ وقال أبو طالب : و[٤]أي كلمة هي يا بن أخي ؟ فقال : « **لا إله إلا الله** » . فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ . قال : ونزلت من[٥] هذا الموضع إلىٰ قوله : ﴿ **لما يذوقوا عذاب** ﴾ . لفظ أبي كريب .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن[٦] نمير ، كلاهما عن أبي أسامة ، عن الأعمش ، عن عباد ، غير منسوب ، به نحوه . ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير أيضًا ، كلهم في تفاسيرهم(٤) من حديث سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن يحيىٰ بن عُمَارة الكوفي ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه . وقال الترمذي : حسن .

وقولهم : ﴿ **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** ﴾ أي : ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة .

---

(٣) - تفسير الطبري (٢٣/١٢٥) ، وأخرجه أحمد (١/٢٢٨،٣٦٢) والنسائي في التفسير (٤٥٧) من طريق أبي أسامة عن الأعمش به .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « منهم » .

[٣] - في ز : « فما » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « في » .

[٦] - في ز ، خ : « وابن » .

و[١]قال مجاهد وقتادة وابن[٢] زيد : يعنون دين قريش .

وقال غيرهم : يعنون النصرانية . قاله محمد بن كعب ، والسدي .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** ﴾ يعني النصرانية ، قالوا : لو كان هذا القرآن حقًّا أخبرتنا به النصارى ﴿ **إنْ هذا إلّا اختلاق** ﴾ قال مجاهد وقتادة : كذب . وقال ابن عباس : تخرص .

وقولهم : ﴿ **أأنزل عليه الذكر من بيننا** ﴾ يعني : أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه[٣] من بينهم كلهم ، كما قالوا في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم** ﴾ ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ ، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل علىٰ[٤] جهلهم وقلة عقلهم ، في استبعادهم إنزالَ القرآن علىٰ الرسول من بينهم ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **بل لما يذوقوا عذاب** ﴾ أي : إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلىٰ حين قولهم ذلك عذابَ اللّٰه ونقمته ، سيعلمون غِبّ ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعًّا ثم قال مبينًا أنه المتصرف في ملكه ، الفعال لما يشاء ، الذي يعطي من شاء لمن يشاء ، [ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويضل من يشاء][٥] ، وينزل الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده ، ويختم علىٰ قلب من يشاء ، فلا يهديه أحد من بعد اللّٰه ، وإن العباد لا يملكون شيئًا من الأمر ، وليس إليهم من التصرف [في الملك][٦] ولا مثقال ذرة ، وما يملكون من قطمير ؛ ولهذا قال تعالىٰ منكرًا عليهم : ﴿ **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** ﴾ ، أي : العزيز الذي لا يُرَام جَنَابه ، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد .

وهذه الآية شبيهة بقوله : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا * أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم اللّٰه من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفىٰ بجهنم سعيرًا** ﴾ وقوله : ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا** ﴾ وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البَشَريّ ، وكما أخبر تعالىٰ عن قوم صالح حين قالوا : ﴿ **أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾

وقوله : ﴿ **أم لهم ملك السمٰوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب** ﴾ أي : إن

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « وأبو » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « عليه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب .

قال[١] ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم : يعني[٢] : طرق السماء .

وقال الضحاك : فليصعدوا إلى السماء السابعة .

ثم قال : ﴿ **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب** ﴾ أي : هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون[٣] ويغلبون ويُكبتُون ، كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين ، وهذه كقوله : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ ، [وكان ذلك يوم بدر][٤] ، ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ** ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء القرون الماضية ، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء . وقد تقدّمت قصصُهم مبسوطة في أماكن متعددة .

وقوله : ﴿ **أولئك الأحزاب** ﴾ أي : كانوا أكثر منكم وأشد قوة ، وأكثر أموالًا وأولادًا ، فما[٥] دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء ، لما جاء أمر ربك ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب** ﴾ ، فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل ، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر .

وقوله : ﴿ **وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق** ﴾ قال مالك ، عن زيد بن أسلم : أي : ليس لها مثنوية . أي : ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ، أي : قد اقتربت ودنت وأزفت . وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر[٦] الله إسرافيل أن يُطَوّلها ، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع ، إلا من استثنى الله ، عز وجل .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « فسيهزمون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « لما » .
[٦] - في ز : « أمر » .

وقوله : ﴿ **وقالوا ربنا عجّل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ . هذا إنكار من الله على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب ، فإن القطّ هو الكتابُ . وقيل : هو الحظ والنصيب .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وغير واحد : سألوا تعجيل العذاب . زاد قتادة : كما قالوا : ﴿ **اللهم ؛ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾

وقيل : سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة ، إن كانت موجودة أن يلقوا ذلك[١] في الدنيا . وإنما خَرَج هذا[٢] منهم مَخْرَج الاستبعاد والتكذيب .

وقال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو[٣] الشر في الدنيا . وهذا الذي قاله جيد ، وعليه يدور كلام الضحاك ، وإسماعيل بن أبي خالد ، والله أعلم .

ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد ، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آمرًا له بالصبر على أذاهم ، ومبشرًا له على صبره بالعاقبة والنصر[٤] والظفر .

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام ؛ أنه كان ذا أيد ، والأيد : القوة في العلم والعمل ، قال ابن زيد والسدي : الأيد القوة . وقرأ ابن زيد : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ وقال مجاهد : الأيد : القوة في الطاعة .

وقال قتادة : أعطي داود عليه السلام قوة في العبادة ، وفقهًا في الإسلام ، وقد ذُكر لنا أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ، ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت في الصحيحين(٥) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يفر إذا لاقى ، وإنه كان أوابًا** » . وهو الرجاع إلى الله عز وجل في جميع أموره وشئونه .

---

[١] - في خ : « هذا » .
[٢] - في خ : « ذلك » .
[٣] - في خ : « و » .
[٤] - في خ : « والصبر » .

وقوله : ﴿ **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ أي : إنه تعالىٰ سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾ ، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه ، وترجّع بترجيعه ، إذا مر به الطير وهو سابح[١] في الهواء فسمعه[٢] وهو يترنم بقراءة الزبور ، لا تستطيع الذهاب ، بل تقف في الهواء ، تسبح[٣] معه وتجيبه الجبال الشامخات ، ترجع معه ، وتسبح تبعًا له .

قال ابن جرير(٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسْعَر ، عن عبد الكريم ، عن موسىٰ بن أبي كثير ، عن ابن عباس أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم فتح مكة صلىٰ الضحىٰ ثمان ركعات . قال ابن عباس : [قد ظننت][٤] أن لهذه الساعة صلاة ، يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ .

ثم رواه(٧) من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب بن صفوان ، عن مولاه[٥] عبد اللّٰه بن الحارث بن نوفل ، أن ابن عباس كان لا يصلي الضحىٰ . قال : فأدخلته علىٰ أم هانئ فقلت : أخبري هذا ما أخبرتيني به[٦] ، فقالت أم هانئ : دخل عليّ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ، ثم أمر بماء صُبّ في قصعة ، ثم أمر بثوب ، فأخذ بيني وبينه ، فاغتسل ثم رَش ناحية البيت ، فصلىٰ ثماني ركعات ، وذلك من الضحىٰ ، قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن[٧] سواء ، قريب بعضهن من بعض . فخرج ابن عباس وهو يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحىٰ إلا الآن : ﴿ **يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ ، وكنت أقول : أين صلاة الإشراق ؟ ! وكان بَعدُ يقول : صلاة الإشراق .

---

(٤) - أخرجه أحمد (٢٢٧/١) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة (ص) ، حديث (٣٢٢٣) ، والنسائي في التفسير (٤٥٦) وأبو يعلى (٢٥٨٣) والطبري (١٢٥/٢٣) ، وابن حبان (١٧٥٧-موارد) ، والحاكم (٤٣٢/٢) ، والبيهقي (١٨٨/٩) من طرق عن سفيان به .

(٥) - صحيح البخاري في التهجد ، باب : من نام عند السحر ، حديث (١١٣١) ومسلم في الصيام ، حديث (١١٥٩) من حديث عبدالله بن عمرو به .

(٦) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) ، وانظر التالي .

(٧) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣/٤) من طريق عبدالوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة به .

---

[١] - في ز : « سانح » .

[٢] - في ز : « فيسمعه » .

[٣] - في خ ، ت : وتسبح .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فظننت » .

[٥] - في ز : « مولا » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

ولهذا قال : ﴿ والطير محشورة ﴾ أي : محبوسة في الهواء ، ﴿ كل له أواب ﴾ أي : مطيع يسبح تبعًا له .

قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ﴿ كل له أواب ﴾ أي : مطيع .

﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي : جعلنا له ملكًا كاملًا من جميع ما يحتاج إليه الملوك .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : كان أشد أهل الدنيا سلطانًا .

وقال السدي : كان يحرسه في كل يوم أربعة آلاف .

وقال بعض السلف : بلغني أنه كان حَرَسُه في كل ليلة ثلاثة وثلاثين ألفًا ، لا تدور عليهم النَّوبة إلىٰ مثلها من العام القابل .

وقال غيره : أربعون ألفًا [مشملون بالسلاح][١] .

وقد ذكر ابنُ جرير ، وابن أبي حاتم (٨) ، من رواية علْباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن نَفَرين من بني إسرائيل استعدىٰ أحدهما علىٰ الآخر إلىٰ داود - عليه السلام - أنه اغتصبه بقرًا، فأنكر الآخر، ولم يكن للمدعي بيّنة ، فأرجأ أمرهما. فلما كان الليل أمر داود - عليه السلام - في المنام بقتل المدعي . فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي ، فقال : يا نبي الله ؛ علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري ؟ فقال : إن الله - عز وجل - قد[٢] أمرني بقتلك ، فأنا قاتلك لا محالة . فقال : والله[٣] يا نبي الله ؛ إن الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيتُ عليه ، وإني لصادق فيما ادعيت ، ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ، ولم يشعر بذلك أحد ، فأمر [داود بقتله فقتل][٤] .

قال ابن عباس : فاشتدت هيبته في بني إسرائيل، وهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿ وشددنا ملكه ﴾ .

وقوله : ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ ، قال مجاهد : يعني الفهم والعقل والفطنة . وقال مَرّة : الحكمة والعدل . وقال مَرّة : الصواب .

وقال قتادة : كتاب الله واتباع ما فيه .

---

(٨) - تفسير الطبري (١٣٨/٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: «مشتكون السلاح». [٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في ز : « يالله » . [٤] - في ت : « به داود فقتل » .

وقال السدي : ﴿الحكمة﴾ النبوة .

وقوله : ﴿وفصل الخطاب﴾ قال شريح القاضي ، والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان .

وقال قتادة : شاهدان على المدعي ، أو يمين المدعى عليه ، هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل - أو قال : المؤمنون والصالحون - وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة . وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي .

وقال مجاهد والسدي : وإصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد أيضًا : هو الفصل في الكلام وفي الحكم ، وهذا يشمل هذا كله ، وهو المراد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم(٩) : حدثنا عمر بن شبّة النميري ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن بلال بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال : أول من قال : « **أما بعد** » . داود - عليه السلام - وهو فصل الخطاب .

وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : « **أما بعد** » .

۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ
مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾
فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ[١] من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم

---

(٩) - عزاه السيوطي في الدرالمنثور (٥/٥٦٤) إلى ابن أبي حاتم والديلمي

---

[١] - في ز : « مأخوذة » .

حديث يجب اتباعه ، ولكن روىٰ ابن أبي حاتم(١٠) هنا حديثًا لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي ، عن أنس ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولىٰ أن يقتصر علىٰ مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُرَدّ علمها إلىٰ اللَّه - عز وجل - فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضًا .

وقوله : ﴿ ففزع منهم ﴾ ، إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه ، وهو أشرف مكان في داره ، وكان قد أمرَ أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم ، فلم يشعر إلا بشخصين قد تَسَوّرا عليه المحراب ، أي : احتاطا به يسألانه عن شأنهما .

وقوله : ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي : غلبني يقال : عزّ يعزُّ : إذا قهر وغلب .

وقوله : ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أي اختبرناه .

وقوله : ﴿وخر راكعًا﴾ أي : ساجدًا ﴿وأناب﴾ ويحتمل أنه ركع أولًا ، ثم سجد بعد ذلك . وقد ذكر أنه استمر ساجدًا أربعين صباحًا ، ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ أي : ما كان منه مما يقال فيه : « إن حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

وقد اختلف الأئمة -رضي اللَّه عنهم- في سجدة « ص » ، هل هي من عزائم السجود ؟ علىٰ قولين ؛ الجديد من مذهب الشافعي رحمه اللَّه أنها ليست من عزائم السجود ، بل هي سجدة شكر . والدليل علىٰ ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال(١١) :

حدثنا إسماعيل - وهو ابن عُلَيّة - ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في السجود في « ص » : ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يسجد فيها .

ورواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي في تفسيره ، من حديث أيوب به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال النسائي(١٢) أيضًا عند تفسير هذه الآية : أخبرني إبراهيم بن[1] الحسن ، هو المِقْسَمي ،

(١٠) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٠/٢٣) ، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس به ، وزاد السيوطي نسبته في الدرالمنثور (٥٦٥/٥) إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

(١١) - المسند (٣٦٠/١) ، وأخرجه البخاري في كتاب سجود القرآن ، باب : سجدة (ص) ، حديث (١٠٦٩) ، وطرفه في (٣٤٢٢) ، وأبو داود في سجود القرآن ، باب : السجود في (ص) ، حديث (١٤٠٩) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في (ص) ، حديث (٥٧٧) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٩٨٨) من طرق عن أيوب السختياني به .

(١٢) - تفسير النسائي رقم (٤٥٨) ، وهو في السنن الصغرى له أيضًا في كتاب الافتتاح ، باب :=

[1] - في ز : « عن » .

حدثنا حجاج بن محمد ، عن عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم سجد في « ص » ، وقال : « **سجدها داود عليه السلام ، توبة ، ونسجدها شكرًا** » .

تفرد بروايته النسائي ، [ورجال إسناده كلهم][١] ثقات .

وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّي قراءة عليه وأنا أسمع :

أخبرنا أبو إسحاق المدرجي ، أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي ، أخبرنا زاهر بن طاهر الشحّامي[٢] ، أخبرنا أبو سعيد[٣] الكنجروذي[٤] ، أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد[٥] بن محمد الحافظ ، أخبرنا أبو العباس السراج ، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنَيس ، عن الحسن بن محمد بن عبيد[٦] الله بن أبي يزيد ، قال : قال لي ابن جريج : يا حسن ؛ حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد ، عن ابن عباس ؛ قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني رأيت فيما يرىٰ النائم كأني أصلي خلف شجرة ، فقرأت السجدة ، فسجدتُ فسجدتِ الشجرةُ لسجودي ، فسمعتها تقول وهي ساجدة : « **اللّهم ، اكتب لي بها عندك أجرًا ، واجعلها لي عندك ذخرًا ، وضع عني بها وزرًا ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود** » .

قال ابن عباس : فرأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ، ثم سجد ، فسمعته يقول وهو ساجد كما حكىٰ الرجل عن كلام الشجرة(١٣) .

رواه الترمذي عن قتيبة ، وابن ماجة عن أبي بكر بن خلاد ، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس ، نحوه ، وقال الترمذي : غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

= سجود القرآن (السجود في ص) (١٥٩/٢) ، وفي الكبرى برقم (١٠٢٩) بسنده ومتنه . وأخرجه الدارقطني في سننه (٤٠٧/١) من طريق عبدالله بن بذيع عن عمرو بن ذر به .

(١٣) - أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما يقوله في سجود القرآن حديث (٥٧٩) ، وفي الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن ، حديث (٣٤٢٤) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، والسنة ، باب : سجود القرآن ، حديث (١٠٥٣) ، وابن خزيمة (٥٦٢،٥٦٣) من طرق عن محمد بن يزيد بن خنيس به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وإسناده رجالهم كلهم » .

[٢] - في ز : « السحابي » .

[٣] - في ز ، خ ، ت : « أبو سعد » والتصويب من اللباب لابن الأثير (١١٣/٣) .

[٤] - في ز : « الكنجدروذي » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في خ : « عبد » .

وقال البخاري(١٤) عند تفسيرها أيضًا : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، عن العوام؛ قال : سألت مجاهدًا عن سجدة « ص » ؟ فقال : سألت ابن عباس : من أين سَجَدْتَ ؟ فقال : أو ما تقرأ : ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان** ﴾ ، ﴿ **أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده** ﴾ ، فكان داود - عليه السلام - ممن[١] أُمِرَ نَبِيّكم صلىٰ الله عليه وسلم أن يقتدى به ، فسجدها داود - عليه السلام - فسجدها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد (١٥) : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا حميد ، حدثنا بكر - هو ابن عبد الله المزني - أنه أخبره : أن أبا سعيد الخدري رأىٰ رؤيا أنه يكتب « ص » ، فلما بلغ إلىٰ التي يسجد بها رأىٰ الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدًا . قال[٢] : فقصها علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فلم يزل يسجد بها بعد . تفرد به أحمد .

وقال أبو داود(١٦) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، عن أبي سعيد الخُدْري -رضي الله عنه- قال : قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو علىٰ المنبر ﴿ ص ﴾ ، فلما بلغ السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس معه ، فلما كان يوم آخر قرأها ، فلما بلغ السجدة تَشَزَّن(*) الناس للسجود فقال: « **إنما هي توبة نبي، ولكني رأيتكم تشزَّنتم**[٣] » . فنزل وسجد وسجدوا[٤] . تفرد به أبو داود، وإسناده على شرط الصحيح.

وقوله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ أي : وإن له يوم القيامة لقربة يُقَرِّبه الله ، عز وجل، بها ، وحسن مرجع ، وهو الدرجات العاليات في الجنة ، لنبوته[٥] وعدله التام في ملكه ، كما جاء في الصحيح : « **المقسطون علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يقسطون في أهليهم وما وُلّوا** » .

---

(١٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : سورة ص ، حديث (٤٨٠٧) ، وانظر أيضًا الحديث رقم (٤٨٠٦) ، والحديث في مسند أحمد (١/٣٦٠) أيضًا من طريق يحيى بن أبي غنية عن العوام بن حوشب به .

(١٥) - المسند (٣/٧٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٨٧) : رجاله رجال الصحيح.

(١٦) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب السجود في (ص) حديث (١٤١٠) . وأخرجه الدارمي (١٤٧٤)، (١٥٦٢) ، وابن خزيمة (١٤٥٥) (١٧٩٥) من طريق سعيد بن أبي هلال به .

(*) التشزن : التأهب والتهيؤ للشيء ، والاستعداد له . النهاية (٢/٤٧١)

---

[١] - في ز : « فيمن » .

[٢] - في ز : « فقال » .

[٣] - في ز : « نشزتم » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ : « لتوبته » .

وقال الإمام أحمد (١٧) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا فضيل ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أحب الناس إلىٰ اللَّه يوم القيامة وأقربهم منه مجلسًا ، إمام عادل . وإن أبغض الناس إلىٰ اللَّه يوم القيامة وأشدهم عذابًا ، إمام جائر** » .

ورواه الترمذي من حديث فضيل - وهو ابن مرزوق الأغرّ عن عطية به . وقال : لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم (١٨) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد اللَّه بن أبي زياد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، سمعت مالك بن دينار في قوله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ قال : مقام[١] داود يوم القيامة عند ساق العرش ، ثم يقول : يا داود ؛ مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به[٢] في الدنيا . فيقول : وكيف وقد سُلِبتُه ؟ فيقول : إني أرده عليك اليوم . قال : فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

هذه وصية من اللَّه - عز وجل - لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالىٰ ، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله . وقد توعد تعالىٰ من ضل عن سبيله ، وتناسىٰ يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح ، حدثني إبراهيم أبو زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك ؛ قال له : أيحاسب الخليفة ، فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن وفقهتَ ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أقول ؟ قال : قل في أمان . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أنت أكرم علىٰ اللَّه أو داود ؟ إن اللَّه - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعده[٣] في كتابه فقال : ﴿ **يا داود إنا**

(١٧) - المسند (٢٢/٣) ، وأخرجه في (٥٥/٣) ، والترمذي في الأحكام باب : ما جاء في الإمام العادل ، حديث (١٣٢٩) من طريق فضيل بن مرزوق به .

(١٨) - عزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٥٧٣/٥) إلى أحمد في الزهد والحكيم الترمذي وابن المنذر.

[١] - في ز ، خ ، ت: يقم . والمثبت من الدر والمنثور .

[٢] - سقط من : ز . [٣] - في ز : « تواعده » .

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوىٰ فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ الآية .

[وقال عكرمة : ﴿ **لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾][١] ، هذا من المقدم والمؤخر ، لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا .

وقال السدى : لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب .

وهذا القول أمشىٰ علىٰ ظاهر الآية ، فالله أعلم .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه ما خلق الخلق عبثًا ، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ، ثم يجمعهم[٢] ليوم الجمع ، فيثيب المطيع ويعذب الكافر ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا** ﴾ أي : الذين لا يرون بعثًا ولا معادًا ، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ، ﴿ **فويل للذين كفروا من النار** ﴾ أي : ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم .

ثم بين تعالىٰ أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر ، فقال : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ أي : لا نفعل ذلك ، ولا يستوون عند الله ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بُدّ من دار أخرىٰ ، يثاب فيها هذا المطيع ، ويعاقب فيها هذا الفاجر . وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطرَ المستقيمة علىٰ أنه لابد من معاد وجزاء ، فإنا نرىٰ الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ، ونرىٰ المطيع المظلوم يموت بكَمَده ، فلابد في حِكمَة الحكيم العليم العادل ، الذي لا يظلم مثقال ذرة ، من إنصاف هذا من هذا . وإذا لم يقع هذا في هذه الدار ، فتعين [أن هناك دارًا][٣] أخرىٰ لهذا الجزاء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلىٰ المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة ، قال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ أي : ذوو العقول ، وهي الألباب ، جمع لب ، وهو العقل .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : « جمعهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، وفي ز «دار».

قال الحسن البصري : واللَّه ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتىٰ إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن ، ما يُرىٰ له القرآن في خلق ولا عمل . رواه ابن أبي حاتم .

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

يقول تعالى مخبرًا[١] أنه وهب لداود سليمان أي : نبيًّا ؛ كما قال : ﴿**وورث سليمان داود**﴾ أي : في النبوة ، وإلا فقد كان له بنون غيره ، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر .

وقوله : ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، ثناء علىٰ سليمان - عليه السلام - بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلىٰ اللَّه عز وجل .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا مكحول؛ قال : لما وهب اللَّه لداود سليمان - عليه السلام - قال له : يابني ؛ ما أحْسَنُ ؟ قال : سكينة اللَّه وإيمان . قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان . قال : فما أحلىٰ ؟ قال : روح اللَّه بين[٢] عباده . قال : فما أبردُ ؟ قال : عفو اللَّه عن الناس ، وعفو الناس بعضهم عن بعض . قال داود - عليه السلام - : فأنت نبي .

وقوله : ﴿ **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** ﴾ أي : إذ عرض علىٰ سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات .

قال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . والجياد : السراع . وكذا قال غير واحد من السلف .

و[٣]قال ابن جرير(١٩) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مُؤمَّل ، حدثنا سفيان ، عن أبيه سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي في قوله : ﴿ **إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** ﴾ قال : كانت عشرين فرسًا ذات أجنحة . كذا رواه ابن جرير .

(١٩) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٣) لكن نقله السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٥) عن إبراهيم بلفظ " قال : عشرين ألف فرس ذات أجنحة ، فعقرها " . وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم.

[١] - في خ : « مختبرًا » . [٢] - في خ ، ز : « من » .
[٣] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم (٢٠) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا[١] إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرني إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي ؛ قال : كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس ، فعقرها . وهذا أشبه ، والله أعلم .

وقال أبو داود(٢١) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا يحيىٰ بن أيوب ، حدثني عُمَارة بن غَزِيّة ؛ أن محمد بن إبراهيم حدثه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قَدِمَ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم من غزوة تبوك - أو : خيبر - وفي سهوتها ستر ، فهبت الريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لُعَب - فقال : « **ما هذا يا عائشة ؟** » . قالت : بناتي . ورأىٰ بينهن فرسًا له جناحان من رقاع ، فقال : « **ما هذا الذي أرىٰ وسطهن ؟** » . قالت: فرس . قال : « **وما هذا**[٢] **الذي عليه ؟** » . قالت : جناحان . قال : « **فرس له جناحان ؟ !** » . [قالت : أما][٣] سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ؟ قالت[٤] : فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتىٰ توارت بالحجاب** ﴾ ، ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتىٰ فات وقت صلاة العصر ، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدًا بل نسيانًا ، كما شُغِل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتىٰ صلاها بعد الغروب ، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه(٢٢) ؛ من ذلك : عن جابر؛ قال : جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، ويقول : يا رسول الله ؛ والله ما كدْتُ أصلي العصر حتىٰ كادت الشمس تغرب . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والله ما صليتها** » . فقال : فقمنا إلىٰ بُطْحَان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب .

ويحتمل أنه كان سائغًا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال ، وقد ادعىٰ[٥] طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعًا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلىٰ ذلك في حال المسايفة والمضايقة ، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود ، كما فعل

---

(٢٠) - انظر السابق .

(٢١) - سنن أبي داود في الأدب ، باب : في اللعب بالبنات ، حديث (٤٩٣٢) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب : من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت ، حديث (٥٩٦) ، وأطرافه في (٥٩٨،٦٤١،٩٤٥،٤١١٢) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٦٣١) من حديث جابر رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ما » .

[٤] - سقط من خ ، ت .

[٥] - بعده في ز : هذا .

الصحابة - رضي الله عنهم - في فتح تُستَر ، وهو منقول عن مكحول ، والأوزاعي ، وغيرهما . والأول أقرب ؛ لأنه قال بعدها : ﴿ ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق ﴾ .

قال الحسن البصري : قال : لا ، والله لا تشغلينى عن عبادة ربي آخر ما عليك . ثم أمر بها فعقرت . وكذا قال قتادة .

وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها ؛ حُبًّالها .

وهذا القول اختاره ابن جرير ، قال : لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا بالعرقبة ، ويهلك مالًا من ماله بلا سبب سوىٰ أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رَجّح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولا سيما إذا كان غضبًا للّه - عز وجل - بسبب أنه اشتغل بها حتىٰ خرج[١] وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها للّه تعالىٰ عوضه اللّه تعالىٰ ما[٢] هو خير منها ، وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، غدوها شهر ورواحها شهر ، فهذا أسرع وخير من الخيل .

و[٣]قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي قتادة وأبي الدهماء - وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالا : أتينا علىٰ رجل من أهل البادية ، فقال البدوي : أخذ بيدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله تعالىٰ ، وقال : « **إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله - عز وجل - إلا أعطاك الله خيرًا منه** » .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

(٢٣) - المسند (٥/٧٨) ، وأخرجه في (٥/٧٩) عن بهز ، وعفان عن سليمان بن المغيرة به.

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « بما » .
[٣] - سقط من : ز .

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾ أي : اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : يعني شيطانًا . ﴿ **ثم أناب** ﴾ أي : ثم[١] رجع إلىٰ ملكه وسلطانه وأبهته .

قال ابن جرير: وكان اسم ذلك الشيطان صخرًا[٢] . قاله ابن عباس ، وقتادة . وقيل : آصف . قاله مجاهد . وقيل : أصروا . قاله مجاهد أيضًا . وقيل : حبقيق . قاله السدي . وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة .

وقد قال سعيد بن أبي عَرُوبة : عن قتادة ، قال[٣] : أمر سليمان - عليه السلام - ببناء بيت المقدس ، فقيل له : ابنِه ولا يُسمَعُ[٤] فيه صوت حديد . قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه . فقيل له : إن شيطانًا في البحر يقال له : « **صخر** » شبه المارد . قال : فطلبه وكانت عين في البحر يَرِدُها في كل سبعة أيام مرة ، فنُزِح ماؤها وجعل فيها خَمْرًا ، فجاء يوم وِرْده فإذا هو بالخمر ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلًا . قال : ثم رجع حتىٰ عَطِشَ عَطَشًا شديدًا ، ثم أتاها فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلًا . ثم شربها حتىٰ غلبت علىٰ عقله ، قال : فأري الخاتم ، أو ختم به بين كتفيه فَذَلّ . قال[٥] : وكان ملكه في خاتمه ، فأتي به سليمان فقال : إنه قد أمرنا ببناء هذا البيت ، فقيل لنا : لا يسمعن[٦] فيه صوت حديد . قال : فأتىٰ ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة ، فجاء الهدهد فدار حولها ، فجعل يَرَىٰ بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه ، فقطعها به ، حتىٰ أفضىٰ إلىٰ بيضه . فأخذ الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة . وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء - أو : الحمام - لم يدخل بخاتمه ، فانطلق يومًا إلىٰ الحمام ، وذلك الشيطان - صخر - معه ، وذلك عند [مقارفة قارف][٧] فيه بعض نسائه . قال : فدخل الحمام وأعطىٰ الشيطان خاتمه ، فألقاه في البحر ، فالتقمته سمكة ، ونُزِع ملكُ سليمان منه ، وأُلقيَ علىٰ الشيطان شَبَه سليمان . قال : فجاء فقعد علىٰ كرسيه وسريره ، وسُلّط علىٰ ملك سليمان كله غير نسائه . قال : فجعل يقضي بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء ، [حتىٰ قالوا : لقد فتن نبي اللّٰه][٨] . وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة فقال : واللّٰه لأجربنه . قال : فقال : يا نبي اللّٰه - وهو لا يرىٰ إلا أنه نبي اللّٰه - أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة ، فيدع الغسل عمدًا حتىٰ تطلع الشمس ، أترىٰ عليه بأسًا ؟ فقال : لا . قال : فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتىٰ وجد نبي اللّٰه خاتمه في بطن سمكة ، فأقبل فجعل لا

---

[١] - سقط من خ ، ت .
[٢] - في ز : « صخر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تسمع » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « تسمعن » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « مقارنة قارن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يستقبله جني ولا طير إلا سجد له ، حتىٰ انتهىٰ إليهم ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ قال : هو الشيطان صخر .

وقال السدي : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾ أي : ابتلينا سليمان ، ﴿ **وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا** ﴾ قال : [جلس الشيطان][١] علىٰ كرسيه أربعين يومًا . قال : وكان لسليمان - عليه السلام - مائة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها : « **جرادة** » ، وهي آثَرُ نسائه وآمَنُهُنَّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتىٰ حاجة نزع خاتمه ، ولم يَأْتَمِنْ عليه أحدًا من الناس غيرها ، فأعطاها يومًا خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتي الخاتم . فأعطته الخاتم ، فجاء حتىٰ جلس علىٰ مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد ذلك[٢] فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا . وخرج مكانه تائهًا . قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا ، قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم ، فجاءوا حتىٰ دخلوا علىٰ نسائه ، فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه . قال : فبكىٰ النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتىٰ أتوا ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة . قال : فطار من بين أيديهم حتىٰ وقع علىٰ شرفة ، والخاتم معه . ثم طار حتىٰ ذهب إلىٰ البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر . قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ صياد من صيادي[٣] البحر ، وهو جائع ، وقد اشتد جوعه ، فاستطعمهم من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان . فقام إليه بعضهم [فضربه بعصا][٤] فشجَّه ، فجعل يغسل دمه وهو علىٰ شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبَهم الذي ضربه ، وقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان . قال : فأعطوه سمكتين مما قد مَذر عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب حتىٰ قام إلىٰ شط البحر ، فشق بطونهما ، فجعل يغسل ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فرد اللَّه عليه بهاءه وملكه ، وجاءت الطير حتىٰ حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان عليه السلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم علىٰ عذركم ، ولا ألومكم علىٰ ما كان منكم ، كان هذا الأمر لابد منه . قال : فجاء حتىٰ أتىٰ[٥] ملكه ، وأرسل إلىٰ الشيطان ، فجيء به فأمر به ، فجعل في صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وقفل عليه بقفل ، وختم عليه بخاتمه ، ثم أمر به فألقي في البحر ، فهو فيه حتىٰ تقوم الساعة . وكان اسمه حبقيق . قال : وسخر له الريح ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ **وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : «الشيطان جلس».

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « صيادين » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : «بعصا فضربه» .

[٥] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ﴾ قال : شيطانًا يقال له : آصف . فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك . فلما أعطاه إياه[١] نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان وذهب ملكه ، وقعد آصف علىٰ كرسيه ، ومنعه اللّٰه نساء سليمان ، فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنَه . قال : فكان[٢] سليمان يستطعم ، فيقول : أتعرفوني ؟ أطعموني ، أنا سليمان . فيكذبونه ، حتىٰ أعطته امرأة يومًا حوتًا فجعل يطيّبُ بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه ، فرجع إليه ملكه ، وفر آصف ، فدخل البحر فارًّا .

وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرِها ما قال ابن أبي حاتم(٢٤) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، وعثمان بن أبي شيبة ، وعلي بن محمد ؛ قالوا : حدثنا أبو معاوية ، أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ثم أناب ﴾ قال : أراد سليمان أن يدخل الخلاء ، فأعطىٰ الجرادة خاتمه[٣] - وكانت الجرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي . فأعطته إياه[٤] . فلما لبسه[٥] دانت له الإنس والجن والشياطين ، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها : هاتي خاتمي . قالت : قد[٦] أعطيته سليمان ! [قال : أنا سليمان . قالت][٧] : كذبت ، لست سليمان . فجعل لا يأتي أحدًا فيقول له : أنا سليمان ، إلا كذبه ، حتىٰ جعل الصبيان يرمونه بالحجارة . فلما رأىٰ ذلك عرَف أنه من أمر اللّٰه عز وجل . قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد اللّٰه أن يرد علىٰ سليمان سلطانه ، ألقىٰ في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان . قال : فأرسلوا إلىٰ نساء سليمان فقالوا لهن : أتنكرن[٨] من سليمان شيئًا ؟ قلن : نعم ، إنه يأتينا ونحن حُيَّض ، وما كان يأتينا قبل ذلك . فلما رأىٰ الشيطان أنْ قد فُطِن له ، ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبوا كتبًا فيها سحر وكفر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أثاروها وقرءوها علىٰ الناس . وقالوا : بهذا كان يظهر سليمان علىٰ الناس . فأكفر الناسُ سليمانَ - عليه السلام - فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطانُ بالخاتم فطرحه في البحر ، فتلقته سمكة فأخذته . وكان سليمان يحمل علىٰ شط البحر بالأجر ، فجاء رجل فاشترىٰ سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان فقال : تحمل لي[٩] هذا السمك ؟ فقال : نعم . قال : فبكم[١٠] ؟ قال : بسمكة من هذا السمك . قال : فحمل سليمان عليه السلام السمك ، ثم انطلق به إلىٰ منزله ، فلما انتهىٰ الرجل إلىٰ بابه أعطاه

(٢٤) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٨٠) أيضًا إلى النسائي وابن جرير .

[١] - في ز : « سليمان » .
[٢] - في ز : « وكان » .
[٣] - في ز : « امرأته » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « لبس » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز : « تنكرن » .
[٩] - في خ : « منا » .
[١٠] - في خ : « بكم » .

تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان فشق بطنها ، فإذا الخاتم في جوفها ، فأخذه فلبسه . قال : فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين ، وعاد إلىٰ حاله ، وهَرَب الشيطان حتىٰ دخل جزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان في طلبه ، وكان شيطانًا مريدًا ، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه ، حتىٰ وجدوه يومًا نائمًا ، فجاءوا فبنوا عليه بنيانًا من رصاص ، فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب[١] في مكان من البيت إلا انماط معه الرصاص . قال : فأخذوه فأوثقوه ، وجاءوا به إلىٰ سليمان ، فأمر به فنقر له تخت من رخام ، ثم أدخل في جوفه ، ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به فطرح في البحر ، فذلك قوله : ﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا علىٰ كرسيه جسدًا ثم أناب** ﴾ قال : يعني الشيطان الذي كان سلط عليه .

إسناده إلىٰ ابن عباس قوي ، ولكن الظاهر أنه [مما تلقاه][٢] ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه السلام - ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ؛ ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط علىٰ نساء سليمان ، بل عصمهن الله منه ، تشريفًا وتكريمًا لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم . وقد رُويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف ، كسعيد بن المسيب ، وزيد ابن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها مُتلقَّاة من قصص أهل الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

وقال يحيى بن أبي عمرو[٣] السيباني[٤] : وجد سليمان خاتمه في عسقلان ، فمشىٰ في خرقة[٥] إلىٰ بيت المقدس ، تواضعًا لله عز وجل . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار [في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبرًا عجيبًا ، فقال : حدثنا أبي رحمه الله ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، أخبرني أبو إسحاق المصري ، عن كعب الأحبار][٦] : أنه لما فرغ من حديث « **إرم ذات العماد** » قال له معاوية : يا أبا إسحاق ، أخبرني عن كرسي سليمان بن داود ، وما كان عليه ؟ ومن أي شيء هو ؟ فقال : كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مُفصّصًا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ . وقد جُعل له[٧] درجة منها مُفَصّصة[٨] بالدر والياقوت والزبرجد ، ثم أمر بالكرسي فحُفّ من جانبيه بالنخل ، نخل من ذهب ، شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ . وجعل علىٰ رءوس النخل [التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ، ثم جُعِل علىٰ رءوس النخل التي علىٰ يسار الكرسي نسور من ذهب مقابلة الطواويس . وجعل علىٰ يمين الدرجة الأولىٰ شجرتا صنوبر من

---

[١] - في خ : « يثيب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « مما تلقى » ، وفي ت : «إنما تلقاه » .

[٣] - في خ ، ز : « عروبة » .

[٤] - في ز : « الشيباني » .

[٥] - في خ : « جرته » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ز : « مفصّصًا » .

ذهب ، وعن يسارها أسدان من ذهب ، وعلىٰ رءوس الأسدين عمودان من زبرجد][١] ، وجُعِل من جانبي الكرسي شجرتا[٢] كرم من ذهب ، قد أظلتا الكرسي ، وجعل عناقيدهما درًا وياقوتًا أحمر . ثم جعل فوق دَرَج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكًا وعنبرًا . فإذا أراد سليمان أن يصعد علىٰ كرسيه استدار الأسدان ساعة ، ثم يقفان[٣] فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسيّ سليمان - عليه السلام - ثم يوضع منبران من ذهب ، واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بني إسرائيل ذلك الزمان . ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرًا من ذهب ، يقعد عليها سبعون قاضيًا من بني إسرائيل وعلمائهم ، وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرًا من ذهب ، ليس عليها أحد ، فإذا أراد أن يصعد علىٰ كرسيه وضع قدميه علىٰ الدرجة السفلىٰ ، فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ، ويبسط الأسد يده اليمنىٰ وينشر النسر جناحه الأيسر ، ثم يصعد علىٰ الدرجة الثانية ، فيبسط الأسد يده اليسرىٰ ، وينشر النسر جناحه الأيمن ، فإذا استوىٰ سليمان علىٰ الدرجة الثالثة وقعد علىٰ الكرسي ، أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان[٤] فوضعه علىٰ رأسه ، [فإذا وضعه علىٰ رأسه][٥] استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحىٰ المسرعة . فقال معاوية[٦] -رضي الله عنه- : وما الذي يديره يا أبا إسحاق ؟ قال : تنين من ذهب ، ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني ، فإذا أحست بدورانه تلك النسور والأُسْدُ والطواويس التي في أسفل الكرسي دُرْنَ إلىٰ أعلاه ، فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رءوسهن علىٰ رأس سليمان - عليه السلام - وهو جالس ، ثم ينضحن جميعًا ما في أجوافهن من المسك والعنبر علىٰ رأس سليمان - عليه السلام - ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة علىٰ عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده[٧] ، فيقرؤها سليمان علىٰ الناس .

وذكر تمام الخبر وهو غريب جدًا

﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ قال بعضهم : معناه لا ينبغي لأحد من بعدي ، أي : لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقي علىٰ كرسيه ، لا أنه يحجر علىٰ من بعده من الناس . والصحيح أنه سأل من الله ملكًا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله ، وهذا هو ظاهر السياق من الآية ، وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم :

قال البخاري(٢٥) ، عند تفسير هذه الآية : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا روح ،

(٢٥) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : (هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « شجرتي » .
[٣] - في ت : « يقعان » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « إسحاق » .
[٧] - في ز : « يدها » .

ومحمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن عفريتًا من الجن تَفَلَّت عليّ البارحة** - أو كلمة نحوها - **ليقطع عليّ الصلاة ، فأمكنني اللّٰه منه ، وأردت أن أربطه إلىٰ سارية من سواري المسجد حتىٰ تُصبحوا وتنظروا[١] إليه كلكم ، فذكرت قول أخي سليمان : ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾** » .

قال روح : فرده خاسئًا .

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به .

وقال مسلم في صحيحه (٢٦) : حدثنا محمد بن سلمة المُرادي ، حدثنا عبد اللّٰه بن وهب ، عن معاوية بن صالح ، حدثني ربيعة بن يَزيد[٢] ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء قال : قام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يصلي ، فسمعناه يقول : « **أعوذ باللّٰه منك** » . ثم قال : « **ألعنك بلعنة اللّٰه** » - ثلاثًا[٣] - وبسط يَدَه كأنه يتناول شيئًا ، فلما فرغ من[٤] الصلاة قلنا : يا رسول اللّٰه ، قد[٥] سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ؟ قال : « **إن عدو اللّٰه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ باللّٰه منك - ثلاث مرات - ثم قلت : ألعنك بلعنة اللّٰه التامة . فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذَه ، واللّٰه لولا دعوة أخينا[٦] سليمان ، لأصبح موثقًا يلعب[٧] به صبيان أهل المدينة** » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا أبو أحمد، حدثنا ميسرة[٨] بن معبد، حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائمًا يصلي ، فذهبت أمرّ بين يديه فردني ، ثم قال : حدثني أبو سعيد الخدري : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قام يصلي صلاة

الوهاب) . حديث (٤٨٠٨) ، وأطرافه في (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤١) ، والنسائي في تفسيره (٤٦٠) من طريق شعبة به .

(٢٦) - صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤٢) . وأخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه في الصلاة (٣/١٣) وفي الكبرى (٥٤٩) ، (١١٣٨) ، وابن خزيمة (٨٩١) من طريق عبد الله بن وهب به .

(٢٧) - المسند (٣/٨٢) .

[١] - في ز : « فتنظروا » .
[٢] - في خ ، ز : « زيد » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ ، ز : « أخي » .
[٧] - في ز : « تلعب » .
[٨] - في خ ، ز : « مرة » .

الصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : « **لو رأيتموني وإبليس ، فأهويت بيدي ، فما زلت أخنقه حتىٰ وجدت بَرْدَ لعابه بين إصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح[١] مربوطًا بسارية من سواري المسجد ، يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل** »

[وقد روىٰ أبو داود منه(٢٨) : « **من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل** »][٢] ، عن أحمد بن أبي سُرَيج ، عن أبي أحمد الزبيري ، به .

وقال الإمام أحمد (٢٩) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني ربيعة بن يزيد[٣] ، عن[٤] عبد الله الديلمي قال : دخلت علىٰ عبد الله بن عمرو ، وهو في حائط له بالطائف يقال له « **الوهط** » ، وهو مُخاصر فتى من قريش يُزَنّ بِشُرب الخمر ، فقلت : بلغني عنك حديث أنه من شرب شربة خَمْر لم يقبل الله - عز وجل - له توبَةً أربعين صباحًا ، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وإنه من أتىٰ بيت المقدس لا يَنْهَزه إلا الصلاة فيه ، خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، فلما سمع الفتىٰ ذكر الخمر اجتذب يده من يده ، ثم انطلق ، فقال عبد الله بن عمرو : إني لا أحل لأحد أن يقول عَلَيّ ما لم أقل ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من شرب من الخمر شربة ، لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، [فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب الله عليه . فإن عاد][٥] قال : فلا أدري في الثالثة[٦] أو الرابعة - فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة** » .

قال : وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدىٰ ، ومن أخطأه ضل ، فكذلك أقول : جف القلم علىٰ علم الله عز وجل** » .

وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن سليمان سأل الله تعالىٰ ثلاثًا ، فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سأله حكمًا يصادف حكمه ، فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله : أيّما رجل خرج من بيته لا يريد**

(٢٨) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يؤمر المصلي أن يدرأ عن الممر بين يديه ، حديث (٦٩٩) .
(٢٩) - المسند (٢/١٧٦) ، وانظر التالي .

[١] - في ز : « أصبح » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « زيد » .
[٤] - في خ ، ز : « بن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ : « الثلاثة ».

إلا الصلاة في هذا المسجد ، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فنحن نرجو أن يكون الله تعالىٰ قد أعطانا إياها » .

وقد روىٰ هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجة من طرق ، عن عبد الله ابن فيروز الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن سليمان لما بنىٰ بيت**[1] **المقدس سأل ربه - عز وجل - خلالاً ثلاثًا** » ... وذكره(٣٠) .

وقد روي من حديث رافع بن عمير - رضي الله عنه - بإسناد وسياق غريبين ، فقال الطبراني (٣١) :

حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني ، حدثنا محمد بن أيوب بن سويد ، حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي الزاهرية ، عن رافع بن عمير قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **قال الله - عز وجل - لداود - عليه السلام - : ابن لي بيتًا في الأرض . فبنىٰ داود بيتًا لنفسه قبل البيت الذي أمر به ، فأوحىٰ الله إليه : يا داود ، نصبت بيتك قبل بيتي . قال : يا رب ، هكذا قضيت ، من ملك استأثر . ثم أخذ في بناء المسجد ، فلما تم السور سقط ، ثلاثًا ، فشكا ذلك إلىٰ الله - عز وجل - فقال : يا داود ، إنك لا تصلح أن تبني لي بيتًا . قال : ولم يارب ؟ قال : لما جرىٰ علىٰ يديك من الدماء . قال : يارب ، أو ما كان ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال : بلىٰ ، ولكنهم عبادي ، وأنا أرحمهم . فشق ذلك عليه ، فأوحىٰ الله إليه : لا تحزن ، فإني سأقضي بناءه علىٰ يدي ابنك سليمان . فلما مات داود أخذ سليمان في بنيانه فلما تم قرّب القرابين ، وذبح الذبائح ، وجمع بني إسرائيل ، فأوحىٰ الله إليه : قد أرىٰ سرورَك ببنيان بيتي ، فسلني أعطك . قال : أسألك ثلاث خصال : حكمًا يصادف حكمك ، وملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومن أتىٰ هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما ثنتان**[2] **فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة** » .

و[3]قال الإِمام أحمد(٣٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عُمَر بن راشد اليمامي ، حدثنا إياس

(٣٠) - أخرجه النسائي في الأشربة ، باب توبة شارب الخمر (٣١٧/٨) ، وابن ماجة في الأشربة ، باب : من شرب الخمر لم تقبل له صلاة ، حديث (٣٣٧٧) ، والدارمي (٢٠٩٧) ، وأحمد (١٧٦/٢) من طرق عن الأوزاعي به .

(٣١) - المعجم الكبير (٢٤/٥) (٤٤٧٧) .

(٣٢) - المسند (٥٤/٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٣٨٧ - منتخب) عن عثمان بن عمر بن راشد اليمامي به.

[1] - في ز : « البيت » .
[2] - في ز : « اثنتين » .
[3] - سقط من : ز .

ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دعا إلا استفتحه : « **سبحان الله**[١] **ربي الأعلىٰ العليّ الوهاب** » .

وقد قال أبو عبيد : حدثنا علي بن ثابت ، عن جعفر بن بَرْقان ، عن صالح بن مسمار قال : لما مات نبي الله داود أوحىٰ الله إلىٰ ابنه سليمان عليهما السلام : « **أن سلني حاجتك . قال : أسألك أن تجعل لي قلبًا يخشاك ، كما كان قلب أبي ، وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي . فقال الله : أرسلت إلىٰ عبدي وسألته**[٢] **حاجته فكانت أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني ، لأهَبَنّ له ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده . قال الله تعالىٰ : ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾** والتي بعدها ، قال : فأعطاه ما أعطاه ، وفي الآخرة لا حساب عليه » .

كذا أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان -عليه السلام- في تاريخه .

وروي عن بعض السلف أنه قال : بلغني عن داود أنه قال : « **إلهي ، كن لسليمان كما كنت لي . فأوحىٰ الله إليه أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنتَ لي أكون له كما كنتُ لك** » .

وقوله: **﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾** قال الحسن البصري رحمه الله : لما عقر سليمان الخيل غضبًا لله - عز وجل - عوضه الله ما هو خير منها وأسرع، الريح التي[٣] غدوها شهر ورواحها شهر .

وقوله : **﴿ حيث أصاب ﴾** أي : حيث أراد من البلاد .

وقوله : **﴿ والشياطين كل بناء وغواص ﴾** أي : منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات ، إلىٰ غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها ، **﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾** أي : موثقون[٤] في الأغلال والأكبال ، ممن قد تمَرّد وعصىٰ وامتنع من العمل وأبىٰ ، أو قد أساء في صنيعه واعتدىٰ .

وقوله : **﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾** أي : هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا ، فأعط من شئت واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، أي : مهما فعلت فهو جائز لك ، احكم بما شئت فهو صواب .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خُير بين أن يكون عبدًا

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « أسأله » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « موثوقون » .

رسولًا - وهو الذي يفعل ما يؤمر به ، وإنما هو قاسم يقسم بين الناس ما أمره اللّٰه به - وبين أن يكون ملكا نبيًا ، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولىٰ بعد ما استشار جبريل ، فقال له : تواضع . فاختار المنزلة الأولىٰ ؛ لأنها أرفع قدرًا عند اللّٰه وأعلىٰ منزلة في المعاد . وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضًا في الدنيا وفي الآخرة . ولهذا لما ذكر تعالىٰ ما أعطي سليمان في الدنيا نبه علىٰ أنه ذو حظ عظيم عند اللّٰه يوم القيامة أيضًا ، فقال : ﴿ **وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب** ﴾ أي : في الدار الآخرة .

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ (٤١) ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ (٤٢) وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٤٣) وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ (٤٤) ﴾

يذكر تعالىٰ عبده ورسوله أيوب - عليه السلام - وما كان ابتلاه تعالىٰ به من الضر في جسده وماله وولده ، حتىٰ لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليمًا سوىٰ قلبه ، ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به علىٰ مرضه وما هو فيه ، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها باللّٰه ورسوله ، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه ، وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة . وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فَسُلبَ جميعَ ذلك . حتىٰ آل به الحال إلىٰ أن ألقي علىٰ مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ، ورفضه القريب والبعيد سوىٰ زوجته - رضي اللّٰه عنها - فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ، ثم تعود إليه قريبًا . فلما طال المطال ، واشتد الحال ، وانتهىٰ القدر المقدور ، وتم الأجل المقدَّر ، تضرع إلىٰ رب العالمين وإله المرسلين ، فقال : ﴿ **إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ وفي هذه الآية الكريمة قال : ﴿ **رَبِّ إني مسني الشيطان بنصب وعذاب** ﴾ قيل : بنصب في بدني ، وعذاب في مالي وولدي . فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين ، وأمره أن يقوم من مقامه ، وأن يركض الأرض برجله . ففعل ، فأنبع اللّٰه عينًا وأمره أن يغتسل منها ، فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذىٰ . ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر ، فأنبع له عينًا أخرىٰ وأمره أن يشرب منها ، فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء ، وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ .

قال ابن جرير ، وابن أبي حاتم جميعًا (٣٣) : حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك - رضي اللّٰه

(٣٣) - تفسير الطبري (١٦٧/٢٣) .

عنه - : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن نبي اللَّه أيوب - عليه السلام - لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد ، إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به ، كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم - واللَّه - لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. قال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : من ثماني عشرة سنة لم يرحمه اللَّه ، فيكشفَ ما به . فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتىٰ ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أن اللَّه يعلم أني كنت أمرّ علىٰ الرجلين يتنازعان ، فيذكران اللَّه - عز وجل - فأرجع إلىٰ بيتي فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكرا اللَّه إلا في حق . قال : وكان يخرج إلىٰ حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتىٰ يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها ، وأوحىٰ اللَّه تعالىٰ إلىٰ أيوب - عليه السلام - أن ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾** ، فاستبطأته ، فتلقته[١] تنظر ، فأقبل[٢] عليها ، قد أذهب اللَّه ما به من البلاء ، وهو علىٰ أحسن ما كان . فلما رأته قالت : أي بارك اللَّه فيك ، هل رأيت نبي اللَّه هذا المبتلىٰ . فواللَّه على ذلك ، ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا ، قال : فإني أنا هو . قال : وكان له أندران ، أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث اللَّه سحابتين ، فلما كانت إحداهما علىٰ أندر القمح أفرغَت فيه الذهب حتىٰ فاض ، وأفرغت الأخرىٰ في أندر الشعير حتىٰ فاض » . هذا لفظ ابن جرير رحمه اللَّه .

وقال الإمام أحمد (٣٤) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن مُنَبّه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بينما[٣] أيوب يغتسل عريانًا ، خَرّ عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثو[٤] في ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ؛ ألم أكن أغنيتك عما ترىٰ ؟ قال : بلىٰ يا رب ، ولكن لا غنىٰ بي عن بركتك** » . انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به .

ولهذا قال تعالىٰ : **﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾** ، قال الحسن ، وقتادة : أحياهم اللَّه تعالىٰ له بأعيانهم وزادَه مثلهم معهم .

وقوله : **﴿ رحمة منا ﴾** أي : به علىٰ صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته ، **﴿ وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾** أي : لذوي العقول ، ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرجُ والمخرجُ والراحة .

وقوله : **﴿ وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث ﴾** ، وذلك أن أيوب - عليه السلام -

(٣٤) - المسند (٣١٤/٢) ، وأخرجه البخاري في الغسل ، باب : من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة ... ، حديث (٢٧٨) ، وأطرافه في (٣٤٠٤،٤٧٩٩) .

[١] - في خ : « فبلغته » .
[٢] - في ز : « وأقبل » .
[٣] - في ز : « فبينما » .
[٤] - في ز : « يحثي » .

كان قد غضب علىٰ زوجته ، ووَجَد عليها في أمر فعَلته . قيل : باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه[١] ، فلامها علىٰ ذلك ، وحلف إن شفاه اللَّه ليضربنها مائة جلدة . وقيل : لغير ذلك من الأسباب . فلما شفاه اللَّه وعافاه ، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب ، فأفتاه اللَّه - عز وجل - أن يأخذ ضغثًا - وهو : الشِّمراخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة ، وقد برّت يمينه ، وخرج من حنثه ووفىٰ[٢] بنذره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقىٰ اللَّه وأناب إليه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب** ﴾ ، أثنىٰ اللَّه تعالىٰ عليه ومدحه بأنه ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ أي : رجاع منيب ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ وقد استدل كثير من الفقهاء[٣] بهذه الآية الكريمة علىٰ مسائل في الإيمان وغيرها ، وأخذوها بمقتضاها .

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين : ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار** ﴾ ، يعني بذلك : العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة .

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ **أولي الأيدي والأبصار** ﴾ ، يقول : أولي القوة والعبادة ، ﴿ **والأبصار** ﴾ ، يقول : الفقه في الدين .

وقال مجاهد : ﴿ **أولي الأيدي** ﴾ يعني : القوة في طاعة اللَّه ، ﴿ **والأبصار** ﴾ يعني : البصر في الحق .

وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصرًا في الدين .

وقوله :﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرىٰ الدار** ﴾ قال مجاهد : أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هَمّ غيرها . وكذا قال السدي : ذكرهم للآخرة وعملهم لها .

وقال مالك بن دينار : نزع اللَّه من قلوبهم حب الدنيا وذكرها ، وأخلصهم لحب الآخرة

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « العلماء » .

وذكرها . وكذا قال عطاء الخراساني .

وقال سعيد بن جُبَير : يعني بالدار الجنة ، يقول : أخلصناها لهم بذكرهم لها . وقال في رواية أخرىٰ : ﴿ ذكرىٰ الدار ﴾ : عقبىٰ الدار .

وقال قتادة : كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها .

وقال ابن زيد : جعل لهم خاصَّة أفضل شيء في الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾ أي : لمن المختارين المجتبين الأخيار ، فهم أخيار مختارون .

وقوله : ﴿ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴾ ، قد تقدم الكلام علىٰ قصصهم وأخبارهم مستقصاة في « **سورة الأنبياء** » بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ هذا ذكر ﴾ أي : هذا فضل فيه ذكر لمن يتذكر .

وقال السدي : يعني القرآن .

هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالىٰ عن عباده المؤمنين السعداء ، أن لهم في الآخرة ﴿ لحسن مآب ﴾ وهو : المرجع والمنقلب . ثم فسره بقوله : ﴿ جنات عدن ﴾ أي : جنات إقامة ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ . والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول: « **مفتحة لهم أبوابها** » أي: إذا جاءوها فتحت لهم[١] أبوابها .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب[٢] الهَبَّاري، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد الله ابن مسلم - يعني ابن هرمز عن ابن سابط ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن في الجنة قصرًا يقال له[٣] : عدن ، حوله البروج والمروج ، له خمسة آلاف باب ، عند كل باب خمسة آلاف[٤] حِبَرَة ، لا يدخله - أو: لا يسكنه - إلا نبي أو**

[١] - في ت : « لها » .
[٢] - بياض في خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « إلا » .

صديق أو شهيد أو إمام عدل » . وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة .

وقوله : ﴿ **متكئين فيها** ﴾ قيل : متربعين فيها على سرر تحت الحجال ، ﴿ **يدعون فيها بفاكهة كثيرة** ﴾ أي : مهما طلبوا وجدوا ، وحضر كما أرادوا . ﴿ **وشراب** ﴾ أي : من أيّ أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام ﴿ **بأكواب وأباريق وكأس من معين** ﴾ .

﴿ **وعندهم قاصرات الطرف** ﴾ أي : عن غير أزواجهن ، فلا يلتفتن إلىٰ غير بعولتهن ، ﴿ **أتراب** ﴾ أي : متساويات في السن والعمر . هذا معنىٰ قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد ابن جبير ، ومحمد بن كعب ، والسدّي .

﴿ **هذا ما توعدون ليوم الحساب** ﴾ أي : هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي [ ][١] وعدها لعباده المتقين ، التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار .

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء ، فقال : ﴿ **إن هذا لرزقنا ماله من نفاد** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ وكقوله : ﴿ **عطاء غير مجزوز** ﴾ وكقوله : ﴿ **لهم أجر غير ممنون** ﴾ أي : غير مقطوع ، وكقوله : ﴿ **أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار** ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًا .

هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

لما ذكر تعالىٰ مآل السعداء ، ثنّىٰ بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم ، فقال : ﴿ **هذا وإن للطاغين** ﴾ وهم : الخارجون عن طاعة الله ، المخالفون لرسل الله ، ﴿ **لشر مآب** ﴾ أي : لسوء منقلب ومرجع . ثم فسره بقوله : ﴿ **جهنم يصلونها** ﴾

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « هى » .

أي : يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ، ﴿ فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ ، أما الحميم فهو : الحار الذي قد انتهى حره ، وأما الغَسَّاق فهو ضده ، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم . ولهذا قال : ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ أي : وأشياء من هذا القبيل ، الشيء وضده يعاقبون بها .

قال الإمام أحمد (٣٥) : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي[١] الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لو أن دَلْوًا من غسَّاق يهراق في الدنيا ، لأنتن أهل الدنيا** » .

ورواه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن رِشْدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، به . ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين . كذا قال : وقد تقدم من غير حديثه .

ورواه ابن جرير(٣٦) ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث به .

وقال كعب الأحبار: غساق[٢] : عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك ، فيستنقع ، فيؤتى[٣] بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ، ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه ، ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الحسن البصري في قوله : ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ ألوان من العذاب .

وقال غيره : كالزمهرير ، والسموم ، وشرب الحميم ، وأكل الزقوم ، والصعود والهَوِيّ ، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة ، والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه .

وقوله : ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار ﴾ ، هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض [كما قال تعالى][٤] : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ ، يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ، ويكفر بعضهم ببعض ، فتقول الطائفة التي تدخل قبل

---

(٣٥) - المسند (٨٣،٢٨/٣) ، وأخرجه الترمذي في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث (٢٥٨٤) .

(٣٦) - تفسير الطبري (١٧٨/٢٣) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : وغساق .
[٣] - في ز : « يؤتى » .
[٤] - المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

الأخرىٰ ، إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية : ﴿ **هذا فوج مقتحم** ﴾ أي : داخل معكم ، ﴿ **لا مرحبًا بهم إنهم صالو النار** ﴾ ؛ لأنهم من أهل جهنم . ﴿ **قالوا بل أنتم لا مرحبًا بكم** ﴾ أي : فيقول لهم الداخلون : بل أنتم لا مرحبًا بكم ﴿ **أنتم قدمتموه لنا** ﴾ أي : أنتم دعوتمونا إلىٰ ما أفضىٰ بنا إلىٰ هذا المصير ، ﴿ **فبئس القرار** ﴾ أي : فبئس المنزل والمستقر والمصير . ﴿ **قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار** ﴾ ، [كما قال عز وجل : ﴿ **قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار**][1] **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ أي: لكل منكم عذاب بحسبه[2] ﴿**وقالوا ما لنا لا نرى رجالًا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريًا أم زاغت عنهم الأبصار** ﴾ ، هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يَفقِدُون رجالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟

قال مجاهد : هذا قول أبي جهل ، يقول : ما لي لا أرىٰ بلالًا وعمارًا وصهيبًا وفلانًا وفلانًا .

وهذا مثل ضُرب ، وإلا فكل الكفار هذا حالهم : يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار[3] افتقدوهم فلم يجدوهم ، فقالوا : ﴿ **ما لنا لا نرىٰ رجالًا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريًا** ﴾ أي : في الدنيا ، ﴿ **أم زاغت عنهم الأبصار** ﴾ ، يُسَلون أنفسهم بالمحال ، يقولون : أو لعلهم معنا في جهنم ، ولكن لم يقع بصرنا عليهم . فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات ، وهو قوله : ﴿ **ونادىٰ أصحابُ الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله علىٰ الظالمين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ أي : إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد ، من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ، ولعن بعضهم لبعض ، لحقّ لا مرية فيه ولا شكّ .

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

---

[١] - سقط من خ ، ز .

[٢] - في خ : « يحسبه » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله : إنما أنا منذر ، لست كما تزعمون ، ﴿ **وما من إله إلا الله الواحد القهار** ﴾ أي : هو وحده قد قَهَرَ كل شيء وغلبه . ﴿ **رب السماوات والأرض وما بينهما** ﴾ أي : هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ، ﴿ **العزيز الغفار** ﴾ أي : غفار مع عزته وعظمته .

﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ أي : خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله إياي إليكم ﴿ **أنتم عنه معرضون** ﴾ أي غافلون .

قال مجاهد ، وشُرَيح القاضي ، والسُّدّي في قوله : ﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ يعني : القرآن .

وقوله : ﴿ **ما كان لي من علم بالملأ الأعلىٰ إذ يختصمون** ﴾ أي : لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلىٰ ؟ يعني في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٣٧) حيث قال :

حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا جَهْضَم اليمامي ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن زيد بن أبي سلام ، عن أبي سلام ، عن عبد الرحمن بن عائش ، عن مالك بن يَخَامر ، عن معاذ -رضي الله عنه- قال : احتبس علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح ، حتىٰ كدنا نتراءىٰ قَرن الشمس . فخرج [رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١] سريعًا ، فَثَوَّب بالصلاة فصلى وتجوَّز في صلاته ، فلما سلم قال : « **كما أنتم [علىٰ مَصَافّكم** »][٢] . ثم أقبل إلينا فقال : « [**إني سَأحدثكم ما حَبَسني عنكم الغداة ،**][٣] **إني قمت من الليل فصليت ما قُدِّر لي ، فنَعَست في صلاتي حتىٰ استيقظت ، فإذا أنا بربي في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ قلت : لا أدري رَبِّ - أعادها ثلاثًا - فرأيته وضع كفه بين كتفي حتىٰ وجدت برد أنامله بين صدري ، فتجلىٰ لي كل شيء وعرفت ، فقال**[٤] : **يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ قلت : في الكفارات . قال : وما الكفارات . قلت : نقل الأقدام إلىٰ الجُمُعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات . قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام . قال : سل . قلت : اللهم ، إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حُبَّك ، وحُبَّ من يُحبك ، وحُبّ عمل يقربني إلىٰ حبك** » . وقال رسول

---

(٣٧) - المسند (٥/٢٤٣) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ص حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هانئ عن جهضم به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « فتلك » .

اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **إنها حق فادرسوها**[١] **وتعلموها** » .

فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غَلِط ، وهو في السنن من طرق . وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد اللَّه اليمامي ، به . وقال : حسن صحيح . وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن ؛ فإن هذا قد فُسّر ، وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا ، وهو قوله تعالىٰ :

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

هذه القصة ذكرها اللَّه تعالىٰ في « **سورة البقرة** » ، وفي أول « **الأعراف** » ، وفي « **سورة الحجر** ، **وسبحان** ، **والكهف** » ، وهاهنا ، وهي أن اللَّه سبحانه أعلمَ الملائكةَ قبل خلق آدم - عليه السلام - بأنه سيخلق بشرًا من صلصال من حَمأ مسنون ، وتقدم إليهم بالأمر متىٰ فرغ من خلقه وتسويته فَلْيَسْجُدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالًا لأمر اللَّه عز وجل . فامتثل الملائكةُ كلهم ذٰلكَ سوىٰ إبليس ، ولم يكن منهم جنسًا ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلّته أحوجَ ما كان إليه ، فاستنكف[٢] عن السجود لآدم ، وخاصم ربه - عز وجل - فيه ، وادعىٰ أنه خير من آدم ؛ فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين ، [والنار خير من الطين][٣] في زعمه . وقد

---

[١] - في ز : « فارسوها » .

[٢] - في ز : « فاستأنف » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

أخطأ في ذلك ، وخالف أمر الله ، وكفر بذلك ، فأبعده الله وأرغم أنفه ، وطرده عن[١] باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه « إبليس » ، إعلامًا له بأنه قد أبْلَس من الرحمة ، وأنزله من السماء مذمومًا مَدْحورًا إلىٰ الأرض ، فسأل الله النَّظِرَةَ إلىٰ يوم البعث ، فأنظره الحليم الذي لا يَعْجَل علىٰ من عصاه . فلما أمِنَ الهلاك إلىٰ يوم القيامة تَمرَّد وطغىٰ ، وقال : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ ، كما قال : ﴿ **أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني إلىٰ يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا** ﴾ ، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرىٰ ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفىٰ بربك وكيلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ ، قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع « **الحق** » الأولىٰ ، وفسره مجاهد بأن معناه : أنا الحقُّ ، والحقّ أقول . وفي رواية عنه : الحقُّ مني ، وأقول الحقَّ .

وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي : هو قسم أقسم الله به .

قلت : وهذه الآية الكريمة كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولكن حَقّ القول مني لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿**قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورًا**﴾ .

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ما أسألكم علىٰ هذا البلاغ وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ، ﴿ **وما أنا من المتكلفين** ﴾ أي : وما أزيد علىٰ ما أرسلني الله به ، ولا أبتغي زيادة عليه ، بل ما أمرت به أدّيته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله - عز وجل - والدار الآخرة .

قال سفيان الثوري : عن الأعمش، ومنصور ، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق قال: أتينا عبدالله بن مسعود قال : يا أيها الناس ، من علم شيئًا فليقل به ، ومن لا يعلم فليقل : الله أعلم ؛ فإن من العلم أن يقولَ الرجلُ لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله قال لنبيكم صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ . أخرجاه(٣٨) من حديث الأعمش ، به .

(٣٨) - أخرجه البخاري في التفسير ، باب (وما أنا من المتكلفين) حديث (٤٨٠٩) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، حديث (٢٧٩٨) .

[١] - في خ : « من » .

وقوله : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ يعني : القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن . قاله ابن عباس . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **للعالمين** ﴾ قال : الجن والإنس .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ ، ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولتعلمن نبأه** ﴾ أي : خبره وصدقه ﴿ **بعد حين** ﴾ أي : عن قريب . قال قتادة : بعد الموت . وقال عكرمة : يعني يوم القيامة . ولا منافاة بين القولين ، فإن من مات فقد[١] دخل في حكم القيامة .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ ، قال الحسن[٢] : يا ابن آدم ، عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

[آخر تفسير سورة « ص » ولله الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

[١] - في ز : « قد » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

تفسير سورة الزمر

وهي مكية

قال النسائي(١) : حدثنا محمد بن النضر بن مساور، حدثنا حماد ، عن مروان أبي لبابة[١] ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصوم حتىٰ نقول : ما يريد أن يفطر . ويفطر حتىٰ نقول : ما يريد أن يصوم ، وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

يخبر تعالىٰ أن تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن العظيم - من عنده تبارك وتعالىٰ ، فهو الحق الذي لامرية فيه ولاشك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * علىٰ قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين** ﴾ وقال: ﴿**وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ وقال هاهنا : ﴿ **تنزيل الكتاب من الله العزيز** ﴾ أي : المنيع الجناب ، ﴿ **الحكيم** ﴾ أي : في أقواله وأفعاله ، وشرْعه وقَدَره .

﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصًا له الدين** ﴾ أي : فاعبد الله وحده لا شريك له ، وادع الخلق إلىٰ ذلك ، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له ، وأنه ليس له شريك ولا عَديل ولا نَديد ، ولهذا قال : ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العاملُ لله وحده ، لاشريك له . وقال قتادة في قوله: ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾ شهادة أن لا إله إلا الله .

ثم أخبر تعالىٰ عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ**

(١) - « عمل اليوم والليلة » رقم (٧١٢) ، أخرجه أحمد (٦/٦٨،١٢٢،١٨٩) ، والترمذي في فضائل القرآن حديث (٢٩٢٠) ، وفي الدعوات حديث (٣٤٠٥) وابن خزيمة (١١٦٣) من طرق عن حماد بن زيد به .

[١] - في ز ، خ : مروان بن أبي لبابة ، والمثبت من سنن النسائي ، وغيره .

اللَّه زلفىٰ ﴾ أي : إنما يحملهم علىٰ عبادتهم لهم أنهم عَمَدوا إلىٰ أصنام اتخذوها علىٰ صور الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصّور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ، ليشفعوا لهم عند اللَّه في نَصْرهم ورزْقهم ، وما ينوبهم من أمْر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به .

قال قتادة ، والسّديّ ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وابن زيد : ﴿ **إلا ليقربونا إلىٰ اللَّه زلفىٰ** ﴾ أي : ليشفعوا لنا ، ويقربونا عنده منزلة .

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حَجّوا في جاهليتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين - برَدّها والنهي عنها ، والدعوة إلىٰ إفراد العبادة للَّه[١] وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذَن اللَّه فيه ولا رَضِيَ به ، بل أبغضه ونهىٰ عنه : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي**[٢] **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ وأخبر أن الملائكة التي في السماوات من المقربين وغيرهم ، كلّهم عبيد خاضعون لله ، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضىٰ ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه ، ﴿ **فلا تضربوا للَّه الأمثال** ﴾ تعالى اللَّه عن ذلك .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه يحكم بينهم** ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ **فيما هم فيه يختلفون** ﴾ أي : سيفصل بين الخلائق يوم مَعَادِهم ، ويجزي كل عامل بعمله ، ﴿ **ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه لا يهدي من هو كاذب كفار** ﴾ أي : لا يرشد إلىٰ الهداية مَن قَصْدُه الكذبُ والافتراء علىٰ الله ، وقلبه كَفّار يجحد بآياته وبراهينه .

ثم بين تعالىٰ أنه لا ولد له كما يزعمه جَهَلة المشركين في الملائكة ، والمعاندون من اليهود والنصارىٰ في العُزَير وعيسىٰ ، فقال : ﴿ **لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لاصطفىٰ مما يخلق ما يشاء** ﴾ أي : لكان الأمر علىٰ خلاف ما يزعمون . وهذا شرط لايلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال ، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه ، كما قال : ﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين** ﴾ ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ كل هذا من باب الشرط ، ويجوز تعليق الشرط علىٰ المستحيل لقصد المتكلم .

وقوله : ﴿ **سبحانه هو اللَّه الواحد القهار** ﴾ أي : تعالىٰ وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد ، فإنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي كل شيء عبد لديه ، فقير إليه ، وهو الغني

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « يوحى » .

عما سواه ، الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلّت وخضعت .

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ (٥) خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦) ﴾

يخبر تعالىٰ أنه الخالق لما في السماوات والأرض ، وما بين ذلك من الأشياء ، وأنه مالك الملك المتصرف فيه ، يقلب ليله ونهاره ، ﴿ **يكور الليل علىٰ النهار ويكور النهار علىٰ الليل** ﴾ أي : سخرهما يجريان متعاقبين لا يقرّان ، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، كقوله : ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا** ﴾ . هذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** ﴾ أي : إلىٰ مدة معلومة عند الله ثم تنقضي [ ][١] يوم القيامة . ﴿ **ألا هو العزيز الغفار** ﴾ أي : مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه .

وقوله : ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ أي : خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة ، وهو آدم عليه السلام ، ﴿ **ثم جعل منها زوجها** ﴾ وهي حواء عليهما السلام ، كقوله : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾ أي : وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج ، وهي المذكورة في « **سورة الأنعام** » : ﴿ **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين** ﴾ ﴿ **ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم** ﴾ أي : قدركم[٢] في بطون أمهاتكم ﴿ **خلقًا من**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « يوم » . [٢] - في ز : « يخلقكم » .

بعد خلق ﴾ أي: يكون أحدكم أولًا نطفة ، ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة ، ثم يخلق فيكون لحمًا وعظمًا وعَصَبًا وعروقًا ، وينفخ فيه الروح فيصير خلقًا آخر ، ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **في ظلمات ثلاث** ﴾ يعني : ظلمة الرحم ، وظلمة المَشيمَة - التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد - ، وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو مالك ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وابن[١] زيد .

وقوله : ﴿ **ذلكم الله ربكم** ﴾ أي : هذا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وخلقكم[٢] وخلق آباءكم ، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ، ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ أي : الذي[٣] لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، ﴿ **فأنّى تصرفون** ﴾ أي : فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يُذْهَبُ بعقولكم ؟ !

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨)

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه تعالى : بأنه[٤] الغني عما سواه من المخلوقات ، كما قال موسى : ﴿ **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد** ﴾ .

وفي صحيح مسلم(٢) : « **يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا** » .

وقوله : ﴿ **ولا يرضى لعباده الكفر** ﴾ أي : لا يحبه ولا يأمر به ، ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ أي : يحبه منكم ويزدكم[٥] من فضله .

---

(٢) - تقدم في تفسير سورة يونس الآية (٤٤) .

---

[١] - في خ ، ز : « وأبو » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « التي » .

[٤] - في خ : « إنه » .

[٥] - في ز : « ويزيدكم » .

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ ﴾ أي : لا تحمل نفس عن نفس شيئًا[١] ، بل كلٌّ مطالب بأمر نفسه ، ﴿ ثم إلىٰ ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [أي : فلا تخفىٰ عليه خافية][٢] .

وقوله : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبًا إليه ﴾ أي : عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ أي : في حال الرفاهية ينسىٰ ذلك الدعاء والتضرع ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مس الإنسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه ﴾ .

﴿ وجعل لله أندادًا ليضل عن سبيله ﴾ أي : في حال العافية يشرك بالله ، ويجعل له أندادًا ، ﴿ قل تمتع بكفرك قليلًا إنك من أصحاب النار ﴾ أي: قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه: تمتع بكفرك قليلًا وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، كقوله : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلىٰ النار ﴾ وقوله: ﴿ نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ : أمَّن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادًا ؟ لايستوون عند الله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا ﴾ أي : في حال سجوده وفي حال قيامه ؛ ولهذا استدل بهذه الآية مَن ذهب إلىٰ أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ، ليس هو القيام وحده ، كما ذهب إليه آخرون .

وقال الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، أنه قال : القانت المطيع لله ولرسوله .

وقال ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد : ﴿ آناء الليل ﴾ : جوف الليل .

وقال الثوري ، عن منصور : بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء .

وقال الحسن ، وقتادة : ﴿ آناء الليل ﴾ : أوله وأوسطه وآخره .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ أي : في حال عبادته خائف راج ، ولابدّ في العبادة من هذا وهذا ، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ؛ ولهذا قال : ﴿ **يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ ، فإذا كان عند الاحتضار فَلْيَكن الرجاء هو الغالب عليه[١] ، كما قال الإمام عَبْدُ بن حُمَيد في مسنده (٣) :

حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : دخل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم علىٰ رجل وهو في الموت ، فقال له : « **كيف تجدك ؟** » . قال : أرجو وأخاف . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لايجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه اللّٰه – عز وجل – الذي يرجو ، وأمنه الذي يخافه** » .

ورواه الترمذي والنسائي في « **اليوم والليلة** » ، وابن ماجة من حديث سَيَّار بن حاتم ، عن جعفر بن سليمان ، به ، وقال الترمذي : غريب . وقد رواه بعضهم عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مرسلًا .

و[٢]قال ابن أبي حاتم (٤) ، حدثنا عمر بن شَبَّة ، عن عبيدة النميري ، حدثنا أبو خلف[٣] ، عبد اللّٰه بن عيسى الخزاز[٤] ، حدثنا يحيىٰ البكاء، أنه سمع ابن عمر قَرَأَ : ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ قال ابن عمر: ذاك عثمان بن عفان رضي اللّٰه عنه .

وإنما قال ابن عمر ذلك ؛ لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته ، حتىٰ إنه ربما قرأ القرآن في ركعة ، كما روىٰ ذلك أبو عبيدة عنه رضي اللّٰه عنه ، وقال الشاعر :

ضَحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا

وقال الإمام أحمد (٥) : كتب إلي الربيع بن نافع : حدثنا الهيثم بن حميد ، عن زيد بن واقد ، عن سليمان بن موسىٰ ، عن كثير بن مرة ، عن تميم الداري قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من قرأ بمائة آية في ليلة ، كُتبَ له قنوتُ ليلة** » .

(٣) – المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٣٧٠) ، وأخرجه الترمذي في الجنائز ، حديث (٩٨٣) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٠٦٢) وابن ماجه في الزهد ، باب : ذكر الموت والاستعداد له ، حديث (٤٢٦١) من طريق سيار ، عن جعفر بن سليمان به .

(٤) – عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٥٥-٣٥٦) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية ، وابن عساكر .

(٥) – المسند (٤/١٠٣) ، وأخرجه الدارمي (٣٤٥٣) من طريق يحيى بن حمزة ، عن زيد بن واقد به .

[١] – سقط من : خ ، ز .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – بعده في خ ، ز : « ابن » .
[٤] – في ز : « الخراز » .

وكذا رواه النسائي في « **اليوم والليلة** »(٦) عن إبراهيم بن يعقوب ، عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع ، كلاهما عن الهيثم بن حُمَيد ، به .

وقوله : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ أي : هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادًا ليضل عن سبيله ؟ ! ﴿ **إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ أي : إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا مَن له لُبّ ، وهو العقل .

قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢)

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بالاستمرار علىٰ طاعته وتقواه : ﴿ **قل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾ أي : لمن أحسنَ العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم .

وقوله : ﴿ **وأرض الله واسعة** ﴾ قال مجاهد : فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان[١] .

وقال شريك عن منصور ، عن عطاء في قوله : ﴿ **وأرض الله واسعة** ﴾ قال : إذا دعيتم إلىٰ المعصية فاهربوا ، ثم قرأ : ﴿ **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنما يوفىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ ، قال الأوزاعي : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفًا .

وقال ابن جريج[٢] : بلغني أنه لا يحسب [ ][٣] ثواب عملهم قط ولكن يزادون على ذلك .

وقال السدي : ﴿ **إنما يوفىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ : يعني في الجنة .

وقوله : ﴿ **قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين** ﴾ أي : إنما[٤] أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، ﴿ **وأمرت لأن أكون أول المسلمين** ﴾ ، قال السدي : يعني من أمته صلىٰ الله عليه وسلم .

---

(٦) - عمل اليوم والليلة رقم (٧١٧) .

---

[١] - مكرره في : ز .

[٢] - في خ ، ز : « جرير » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليهم » .

[٤] - سقط من : ز .

قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد وأنت رسول الله : ﴿ **إني أخاف إن عصيت ربي عذابَ يوم عظيم** ﴾ ، وهو يوم القيامة . وهذا شرْط ، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، ﴿ **قل الله أعبد مخلصًا له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه** ﴾ ، وهذا أيضًا تهديد وتبرّ منهم ، ﴿ **قل إن الخاسرين** ﴾ أي : إنما الخاسرون كل الخسران[١] ﴿ **الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة** ﴾ أي : تفارقوا فلا التقاء لهم أبدًا ، سواء ذهب أهلوهم إلىٰ الجنة وقد ذهبوا هم إلىٰ النار ، أو أن الجميع أسكنوا النار ، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور ، ﴿ **ألا ذلك هو الخسران المبين** ﴾ أي : هذا هو الخَسار البيِّن الظاهر الواضح .

ثم وصف حالهم في النار فقال : ﴿ **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل** ﴾ ، كما قال : ﴿ **لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين** ﴾ وقال : ﴿ **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون** ﴾ وقوله : ﴿ **ذلك يخوف الله به عباده** ﴾ أي : إنما يَقص[٢] خبر هذا الكائن لا محالة ليخوّف به عباده ، لينزجروا عن المحارم والمآثم .

قوله : ﴿ **يا عبادى فاتقون** ﴾ أي : اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي .

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه : ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها** ﴾ ، نزلت في زيد بن عمرو[٣] بن نفيل ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي . والصحيح أنها شاملةٌ لهم

---

[١] - في ز : « الخاسرون » .

[٢] - في ز : « نقص » .

[٣] - في خ : « عمر » .

ولغيرهم ، ممن اجتنب عبادة الأوثان ، وأناب إلىٰ عبادة الرحمن . فهؤلاء هم[١] الذين لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

ثم قال : ﴿ **فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ أي : يفهمونه ويعملون بما فيه ، كقوله تعالىٰ لموسىٰ حين آتاه التوراة : ﴿ **فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** ﴾ .

﴿ **أولئك الذين هداهم الله** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم اللّٰه في الدنيا والآخرة ، ﴿ **وأولئك هم أولو الألباب** ﴾ أي : ذوو العقول الصحيحة ، والفطَر المستقيمة .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ : أفمن كتب اللّٰه أنه شَقِيّ [تَقْدرُ تُنقذُه مما][٢] هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي : لا يهديه أحد من بعد الله ؛ لأنه من يضلل اللّٰه فلا هادي له ، ومن يهده فلا مضل له .

ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة ، وهي[٣] القصور الشاهقة ، ﴿ **من فوقها غرف مبنية** ﴾ أي : طباق فوق طباق ، مَبْنيات محكمات مزخرفات عاليات .

قال عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد(٧) : حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، حدثنا محمد[٤] بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن في الجنة لغرفًا يُرَىٰ بطونها من ظهورها ، وظهورها من بطونها** » . فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « **لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلىٰ [لله بالليل][٥] والناس نيام** » . ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، وقال : حسن غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قِبَل حفظه .

---

(٧) - المسند (١/١٥٥) ، وأخرجه الترمذي في البر والصلة ، باب : ما جاء في قول المعروف ، حديث (١٩٨٤) ، وفي صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة غرف الجنة حديث (٢٥٢٧) ، وابن خزيمة (٢١٣٦) من طريق عبدالرحمن بن إسحاق به . وقال ابن خزيمة : في القلب من عبدالرحمن بن إسحاق أبي شيبة الكوفي .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بقدر يُنفذه بما » . [٣] - في ز : « وهو » .

[٤] - في خ : « حماد » . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن ابن مُعانِق - أو : أبي مُعَانِق - عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن في الجنة لغرفة يرىٰ ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلىٰ والناس نيام** » . تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الأشعري عن أبي مالك به .

وقال الإمام أحمد (٩) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون[١] الكوكب في السماء** » . قال : فحدثتُ بذلك النعمان بن أبي عياش ، فقال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : « **كما تراءون الكوكب الدريَّ[٢] في الأفق الشرقي أو الغربي** » .

أخرجاه في الصحيحين(١٠) ، من حديث أبي حازم ، وأخرجاه أيضًا[٣] في الصحيحين من حديث مالك ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد (١١) : حدثنا فزارة ، أخبرني فُلَيح ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف ، كما تراءون الكوكب الدرّيّ الغارب في الأفق الطالع ، في تفاضل[٤] أهل الدرجات** » . فقالوا : يارسول الله ، أولئك النبيون ؟ فقال : « **بلىٰ ، والذي نفسي بيده ، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل** » .

ورواه الترمذي عن سويد ، عن ابن المبارك ، عن فليح به ، وقال : حسن صحيح .

---

(٨) - المسند (٣٤٣/٥) ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢١٣٧) عن الحسين بن مهدي ، عن عبدالرزاق به.

(٩) - المسند (٣٤٠/٥) وأخرجه البخاري في الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٥٥،٦٥٥٦) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ، حديث (٢٨٣٠،٢٨٣١).

(١٠) - صحيح البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة حديث (٣٢٥٦) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ، حديث (٢٨٣١) من طريق مالك بن أنس به .

(١١) - المسند (٣٣٩/٢) ، وأخرجه في (٣٣٥/٢) عن أبي عامر ، وسريج بن النعمان عن فليح به . وأخرجه الترمذي في صفة الجنة ، باب : ما جاء في ترائى أهل الجنة في الغرف حديث (٢٢٥٦) من طريق فليح به .

---

[١] - في خ ، ز : « يترائون » .

[٢] - في ز : « الذي » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « تفاضيل » .

وقال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا أبو النضر وأبو كامل[١] قالا : حدثنا زهير ، حدثنا سعد الطائي ، حدثنا أبو المدَلّه - مولىٰ أم المؤمنين - أنه[٢] سمع أبا هريرة يقول[٣] : قلنا : يارسول الله ، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا ، وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشَممْنَا النساء والأولاد . قال : « **لو أنكم تكونون علىٰ كل حال علىٰ الحال التي أنتم عليها عندي ، لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تُذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي[٤] يغفر لهم** » . قلنا : يارسول الله ، حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : « **لَبِنَةُ ذهب ولَبِنَة فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييْأس[٥] ، ويخلد ولا يموت ، لاتبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه . ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتىٰ يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل علىٰ الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين** » . وروىٰ الترمذي ، وابنُ ماجة بعضَه ، من حديث سعد أبي مجاهد الطائي - وكان ثقة - عن أبي المُدَلّه وكان ثقة ، به.

وقوله : ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي : تسلك[٦] الأنهار بين خلال ذلك ، كما يشاءوا وأين أرادوا ، ﴿ **وعد الله** ﴾ أي : هذا الذي ذكرناه وَعْدٌ وعَدَه الله عباده المؤمنين ﴿ **إن الله لايخلف الميعاد** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

(١٢) - المسند (٢/٣٠٤) ، وأخرجه الحميدي (١١٥٠) ، وأحمد (٢/٣٠٥، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧) ، وعبد بن حميد ، والدارمي (٢٨٢٤) ، والترمذي في الدعوات ، باب : في العفو ، والعافية ، حديث (٣٥٩٨) ، وابن ماجة في الصيام ، باب : في الصائم لا ترد دعوته ، حديث (١٧٥٢)، وابن خزيمة (١٩٠١) من طرق عن سعد بن عبيد أبي مجاهد به . والروايات مطولة ومختصرة .

[١] - في ز : « عامر » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « لكي » .
[٥] - في ز : « ييأس » .
[٦] - في ز : « تلك » .

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا**﴾ ، فإذا أنزل الماء من السماء كَمَن في الأرض ، ثم يصرفه تعالىٰ في أجزاء الأرض كما يشاء ، ويُنبِعهُ عيونًا ما بين صغار وكبار ، بحسب الحاجة إليها ؛ ولهذا قال : ﴿ **فسلكه ينابيع في الأرض** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو قتيبة عتبة بن يقظان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض** ﴾ [قال : ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيره ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **فسلكه ينابيع في الأرض** ﴾][١] ، فمن سره أن يعود الملح عذبًا فليصعده .

وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي : إن كل ماء في الأرض، فأصله من السماء.

وقال سعيد بن جبير : أصله من الثلج . يعني أن الثلج يتراكم علىٰ الجبال ، فيسكن في قرارها ، فتنبع العيون من أسافلها .

وقوله : ﴿ **ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه** ﴾ أي : ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعًا ﴿ **مختلفًا ألوانه** ﴾ أي: أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه، ﴿ **ثم يهيج** ﴾ أي:[٢] بعد نضارته وشبابه يكتهل[٣] ﴿ **فتراه مصفرًا** ﴾ ، قد خالطه اليُبس ، ﴿ **ثم يجعله حُطامًا** ﴾ أي : ثم يعود يابسًا يتحطم[٤] : ﴿ **إن في ذلك لذكرىٰ لأولي الألباب** ﴾ أي : الذين يتذكرون بهذا ، فيعتبرون إلىٰ أن الدنيا هكذا ، تكون خَضِرةً نضرةً حسناء ، ثم تعود عَجُوزًا شوهاء ، والشاب يعود شيخًا هَرِمًا كبيرًا ضعيفًا ، وبعد ذلك كله الموت . فالسعيد من كان حاله بعده إلىٰ خير ، وكثيرًا ما يضرب الله تعالىٰ مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء ، وينبت به زرعًا وثمارًا، ثم يكون بعد ذلك حُطامًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذرُوه الرياح وكان الله علىٰ كل شيء مقتدرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربه** ﴾ أي : هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق ؟ ! كقوله تعالىٰ : ﴿ **أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله** ﴾ أي : فلا تلين[٥] عند ذكره[٦] ، ولا [تخشع ولا تعي ولا

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « يكتمل » .

[٤] - في ز : « ينحطم » .

[٥] - في ز : « يلين » .

[٦] - في ز : « ذكرِ » .

تفهم][١] ، ﴿ **أولئك في ضلال مبين** ﴾ .

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

هذا مَدْحٌ من الله - عز وجل - لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني** ﴾ ، قال مجاهد : يعني القرآن كله[٢] متشابه مثاني .

وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف .

وقال الضحاك : ﴿ **مثاني** ﴾ : ترديد القول ليفهموا عن ربهم عز وجل .

وقال عكرمة والحسن : ثنى الله فيه القضاء . زاد الحسن : تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **مثاني** ﴾ : مُرَدَّد ، رُدِّد موسىٰ في القرآن ، وصالح وهود والأنبياء - عليهم السلام - في أمكنة كثيرة .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **مثاني** ﴾ قال : القرآن يشبه بعضه بعضًا ، ويرد بعضه على بعض .

وقال بعض العلماء : ويُروىٰ عن سفيان بن عيينة معنىٰ قوله : ﴿ **متشابهًا مثاني** ﴾ : أن سياقات القرآن تارةً تكونُ في معنى واحد ، فهذا من المتشابه ، وتارة تكونُ بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، و[٣]كصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم** ﴾ وكقوله : ﴿ **كلا إن كتاب الفجار لفي سجين** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين** ﴾ ﴿ **هذا ذكر ، وإن للمتقين لحسن مآب** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **هذا وإن للطاغين لشر مآب** ﴾ ونحو هذا من السياقات ، فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين[٤] ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا ، فهو المتشابه . وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله : ﴿ **منه**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « يخشع ولا يعي ولا يفهم » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ ، ذلك معنى آخر .

وقوله : ﴿ **تقشعر منه جلود الذين يخشَوْن ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله** ﴾ أي: هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، [المهيمن العزيز الغفار][١] ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد ، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف . ﴿ **ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله** ﴾ ، لما يرجون ويُؤَمِّلون من رحمته ولطفه ، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه :

أحدها : أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نغمات الأبيات[٢] من أصوات القينات .

الثاني : أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وَبُكيًا ، بأدب وخشية ، ورجاء ومحبة ، وفهم وعلم ، كما قال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وَجِلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلىٰ ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقًّا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ أي : لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها ؛ بل مصغين إليها ، فاهمين بصيرين بمعانيها ، فلهذا إنما يعملون بها ، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم .

الثالث : أنهم يلزمون الأدب عند سماعها ، كما كان الصحابة -رضي الله عنهم- عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ، ثم تلين مع قلوبهم إلىٰ ذكر الله . لم[٣] يكونوا يتصارخون ولا يتكلّفون ما[٤] ليس فيهم ، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ، ولهذا فازوا بالقدح المُعَلّىٰ في الدنيا والآخرة .

قال عبد الرزاق : حدثنا معمر قال : تلا قتادة رحمه الله : ﴿ **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله** ﴾ قال : هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم ، وتبكي أعينهم ، وتطمئن قلوبهم إلىٰ ذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم ، إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان .

وقال السدي : ﴿ **ثم تلين [جلودهم و][٥]قلوبهم إلى ذكر الله** ﴾ أي : إلى وعد الله .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « الآيات » .
[٣] - في ز : « لا » .
[٤] - في ز : « لما » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقوله : ﴿ ذلك هدىٰ الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ أي : هذه صفة من هداه الله ، ومن كان علىٰ خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ، ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ .

﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٢٦) ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾ ، ويُقرَّعُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين : ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ ، كمن يأتي آمنًا يوم القيامة ؟ ! كما قال تعالىٰ : ﴿ أفمن يمشي مُكبًا علىٰ وجهه أهدىٰ أمن يمشي سويًّا علىٰ صراط مستقيم ﴾ . وقال[١] : ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾ وقال : ﴿ أفمن يلقىٰ في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة ﴾ واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن[٢] الآخر كقول الشاعر :

فما أدري إذا يممتُ أرضًا ... أريدُ الخيرَ أيُّهما يَليني ؟

[يعني : الخير والشر][٣] .

وقوله : ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعني : القرون الماضية المكذبة للرسل ، أهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق .

وقوله : ﴿ فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ﴾ أي : بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين بهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك ، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل ، وخاتم الأنبياء ، والذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظمُ مما أصابهم في الدنيا ؛ ولهذا قال : ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

[١] - في خ : « فقال » .
[٢] - في خ : « على » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل** ﴾ أي : بينا للناس فيه بضرب الأمثال ، ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ فإن المثل يُقرِّب المعنىٰ إلىٰ الأذهان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ضرب لكم مثلا من أنفسكم**﴾ أي : تعلمونه من أنفسكم ، وقال : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قرآنًا عربيًا غير ذي عوج** ﴾ أي : هو قرآن بلسان عربي مبين ، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله اللّٰه كذلك ، وأنزله بذلك ، ﴿ **لعلهم يتقون** ﴾ أي : يحذرون ما فيه من الوعيد ، ويعملون بما[١] فيه من الوعد .

ثم قال : ﴿**ضرب اللّٰه مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون** ﴾ أي : يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ، ﴿ **ورجلا سلمًا**[٢] **لرجل** ﴾ أي : خالصًا لرجل لا يملكه أحد غيره ﴿**هل يستويان مثلاً**﴾ أي : لا يستوي هذا وهذا . كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا اللّٰه وحده لا شريك له ، فأين هذا من هذا ؟

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلًا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثلُ ظاهرًا بيّنًا جليًا ، قال : ﴿ **الحمد لله** ﴾ أي : علىٰ إقامة الحجة عليهم ، ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أي : فلهذا يشركون بالله .

وقوله : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ، هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، حتىٰ تحقق الناس موته ، مع قوله : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر اللّٰه شيئًا وسيجزي اللّٰه الشاكرين** ﴾ ومعنىٰ هذه الآية : ستنقلون من هذه الدار لا محالة ، وستجتمعون عند اللّٰه في الدار الآخرة ، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي اللّٰه - عز وجل - فيفصل بينكم ، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم . فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين .

ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين ، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة ، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا ، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

---

[١] - في ز : « لما » . [٢] - في ز : « سالمًا » .

قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو ، عن ابن حاطب - يعني يحيىٰ بن عبد الرحمن - [عن ابن الزبير][١] ، عن الزبير قال : لما نزلت : ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ ، قال الزبير : يا رسول الله ؛ أتكرر علينا الخصومة ؟ قال : « **نعم** » . قال : إن الأمر إذًا لشديد .

وكذا رواه الإمام أحمد(١٣) [عن سفيان][٢] ، وعنده زيادة : ولما نزلت : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾ ، قال الزبير: أي رسول الله ؛ أيُّ نعيم نُسألُ عنه وإنما - يعني - هما[٣] الأسودان : التمر والماء ؟ قال « **أما إن ذلك سيكون** » .

وقد روى هذه الزيادةَ الترمذيُّ وابن ماجة من حديث سفيان به . وقال الترمذي : « **حسن** » .

وقال الإمام أحمد أيضًا (١٤) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا محمد - يعني ابن عمرو - عن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير بن العوام ؛ قال : لما نزلت هذه السورة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ ، قال الزبير : أيّ رسول الله ، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع[٤] خواص الذنوب ؟ قال : « **نعم ، ليكررَنّ[٥] عليكم ، حتىٰ [يُؤَدَّىٰ إلىٰ][٦] كل ذي حق حقه** » . قال الزبير : والله إن الأمر لشديد .

ورواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو ، به وقال : « **حسن صحيح** » .

وقال الإمام أحمد (١٥) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي عُشَّانَة ، عن عقبة ابن عامر قال ؛ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول الخصمين يوم القيامة**

(١٣) - المسند (١٦٤/١) (١٤٠٥) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزمر ، حديث (٣٢٣٦) عن ابن أبي عمر عن سفيان به ، دون الزيادة ، وهذه الزيادة أخرجها الحميدي (٦١) ، وأحمد (١٦٤/١) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التكاثر حديث (٣٣٥٦) ، وابن ماجة في الزهد ، باب : معيشة أصحاب النبي ﷺ حديث (٤١٥٢) من طريق سفيان بإسناده إلى عبد الله بن الزبير عن الزبير .

(١٤) - المسند (١٦٧/١) (١٤٣٤) ، وانظر السابق .

(١٥) - المسند (١٥١/٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣/٨) : رواه أحمد ، والطبراني بنحوه وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « بهما » .
[٤] - في ز : « من » .
[٥] - في ز : « لتكررن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « يُؤَدِّي » .

جاران ». تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« والذي نفسي بيده ، إنه ليختصم**[١] **، حتىٰ الشاتان فيما انتطحتا »** . تفرد به أحمد.

وفي المسند عن أبي ذر(١٧) رضي اللَّه عنه قال : رأىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم شاتين ينتطحان ، فقال[٢] : **« أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر ؟ »** . قلت : لا . قال : **« لكن اللَّه يدري وسيحكم بينهما »** .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حيان بن أغلب ، حدثنا أبي ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **« يجاء بالإمام الخائن يوم القيامة ، فتخاصمه الرعية فَيُفْلَجُون عليه ، فيقال له : سُدَّ ركنًا من أركان جهنم »** .

ثم قال : الأغلب بن تميم ليس بالحافظ.

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - : **﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾** يقول : يخاصم الصادقُ الكاذبَ ، والمظلومُ الظالمَ ، والمهديُّ الضالَّ ، والضعيفُ المستكبرَ .

وقد روىٰ ابن مَنْده[٣] في كتاب **« الروح »** ، عن ابن عباس أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة ، حتىٰ تختصم الروح مع الجسد ، فتقول الروح للجسد : أنتَ فعلت . ويقول الجسد للروح : أنت أمرت ، وأنت سولت . فيبعث اللَّه مَلَكًا يفصل بينهما ، فيقول : إن مَثَلكما كمثل رجل مُقعَد بصير وآخر ضرير ، دخلا بستانًا ، فقال المقعد للضرير : إني أرىٰ هاهنا ثمارًا ، ولكن لا أصل إليها . فقال له الضرير : اركبني فتناولها . فركبه فتناولها ، فأيهما المعتدي؟ فيقولان : كلاهما . فيقول لهما الملك : فإنكما[٤] قد حكمتما علىٰ أنفسكما . يعني أن الجسدَ للروح كالمطية ، وهو راكبه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن أحمد بن[٥] عوسجة ، حدثنا ضرار ، حدثنا أبو سلمة

(١٦) - المسند (٣/٢٩) .

(١٧) - المسند (٥/١٦٢) قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وأبو معاوية ، عن أشياخ لمنذر الثوري عن أبي ذر به . ورواه أحمد (٥/١٧٢) ، والطبراني في الأوسط (٦١١٠) من حديث هزيل بن شرحبيل عن أبي ذر قريبًا منه . وانظر مجمع الزوائد (١٠/٣٥٥) .

[١] - في ز : « يختصم » .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - في خ ، ز : « أمية » .

[٤] - في ز : « إنكما » .

[٥] - في ز : « عن » .

الخزاعي منصور بن سلمة ، حدثنا القُمّي - يعني يعقوب بن عبد اللّه - عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عمر قال : نزلت هذه الآية ، وما نعلم في أيّ شيء نزلت : ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ قلنا : من نخاصم ؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة ، فمن نخاصم ؟ حتىٰ وقعت الفتنة ، فقال ابن عمر : هذا الذي وَعَدنا ربّنا - عز وجل - نختصم فيه .

ورواه النسائي[١٨] عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة ، به .

وقال أبو العالية : ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ قال : يعني أهل القبلة

وقال ابن زيد : يعنى أهل الإسلام وأهل الكفر . وقد قدمنا أن الصحيح العموم ، واللّه أعلم .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا للمشركين الذين افتروا علىٰ الله ، وجعلوا معه آلهة أخرىٰ ، وادّعوا أن الملائكة بناتُ الله ، وجعلوا للّه ولدًا - تعالىٰ اللّه عن قولهم علوًّا كبيرًا - ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم علىٰ ألسنة رسل الله - صلوات اللّه عليهم أجمعين - ولهذا قال : ﴿ **فمن أظلم ممن كذب علىٰ اللّه وكذب بالصدق إذ جاءه** ﴾ أي : لا أحد أظلم من هذا ؛ لأنه جمع بين طَرَفي الباطل ، كَذَب علىٰ الله ، وكَذّب رسول الله ، قالوا الباطل وردوا الحق ، ولهذا قال متوعدًا لهم : ﴿ **أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾ ، وهم الجاحدون المكذبون .

ثم قال : ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به** ﴾ قال مجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الذي جاء بالصدق هو الرسول .

---

(١٨) - سنن النسائي الكبرى (٦/٤٤٥) (١١٤٤٧) ، وهو في تفسيره برقم (٤٦٧) ، وأخرجه أيضًا الطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/١٠٣) وقال الهيثمي : رجاله ثقات . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥/ ٣٢٧) إلى عبد بن حميد ونعيم بن حماد ، وابن مردويه والحاكم .

وقال السدي: هو جبريل - عليه السلام - ﴿وصدّق[١] به﴾ يعنى: محمدًا صلى الله عليه وسلم

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ قال: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿ وصَدَّق به ﴾ يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقرأ الربيع بن أنس: ﴿والذين جاءوا بالصدق﴾، يعني: الأنبياء، ﴿ وصدَّق به ﴾ يعني: الأتباع.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ قال: أصحابُ القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتمونا.

وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين؛ فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به، والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير، فإنه جاء بالصدق، وصدّق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿ وصدق به ﴾ المسلمون.

﴿أولئك هم المتقون﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ يعني: في الجنة، مهما طلبوا وجدوا، ﴿ ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴾. كما قال في الآية الأخرى: ﴿ أولئك الذين نتقبل[٢] عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى
ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ
أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

---

[١] - في ز: «وصدقوا».
[٢] - في ز: «يتقبل».

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **أليس الله بكافٍ عبده** ﴾ وقرأ بعضهم : (عباده) ، يعني أنه تعالىٰ يكفي مَن عَبَده وتوكل عليه .

وقال ابن أبي حاتم هاهنا : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمى ، حدثنا أبو هانئ ، عن أبي علي عمرو بن مالك الجَنْبِيّ[١] ، عن فضالة بن عبيد الأنصاري أنه[٢] سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **أفلح من هُدِيَ إلىٰ الإسلام ، وكان عيشه كفافًا ، وقَنَعَ به** » .

[ورواه الترمذي والنسائي(١٩) من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني ، به . وقال الترمذي : صحيح][٣] .

﴿ **ويخوفونك بالذين من دونه** ﴾ يعني المشركين يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يعبدونها[٤] من دونه جهلًا منهم وضلالًا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام** ﴾ ، أي : منيع الجناب لا يضام ، من استند إلىٰ جنابه ولجأ إلىٰ بابه ، فإنه العزيز الذي لا أعز منه ، ولا أشد انتقامًا منه ، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله** ﴾ يعني : المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها ، ومع هذا يعبدون معه غيره ، مما[٥] لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا ، ولهذا قال : ﴿ **قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته** ﴾ ، أي : لا تستطيع[٦] شيئًا من الأمر .

وذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديث قيس بن الحجاج ، عن حَنَش الصّنعاني ، عن ابن عباس

(١٩) - أخرجه أحمد (١٩١٦) والترمذي في الزهد ، باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه ، حديث (١٣٤٩) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١٠٣٣) من طريق حيوة بن شريح به .

[١] - في ز : « الجَمِيّ » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ : « يدعونها » .
[٥] - في ز : « ممن » .
[٦] - في ز : « يستطيع » .

مرفوعًا : « **احفظ اللّٰه يحفظك ، احفظ اللّٰه تجده تجاهك ، تَعَرّف إلىٰ اللّٰه في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يكتبه اللّٰه عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء لم يكتبه اللّٰه لك لم ينفعوك . جفّت الصحف ، ورُفعت الأقلام ، واعمل للّٰه بالشكر في اليقين . واعلم أن في الصبر علىٰ ما تكره خيرًا كثيرًا . وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا** »(٢٠) .

﴿ **قل حسبي الله** ﴾ أي : اللّٰه كافيَّ، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون. كما قال هود - عليه السلام - حين قال له قومه: ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد اللّٰه واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تُنظرون إني توكلت علىٰ اللّٰه ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا عبد اللّٰه بن بكر السهمي ، حدثنا محمد بن حاتم ، عن أبي المقدام - مولىٰ آل عثمان - عن محمد بن كعب القرظي ، حدثنا ابن عباس ، رفع الحديث إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من أحب أن يكون أقوىٰ الناس فليتوكل علىٰ الله . ومن أحب أن يكون أغنىٰ الناس فليكن بما في يد اللّٰه أوثق بما في يديه . ومن أحب أن يكون أكرم الناس ، فليتق الله** »(٢١) .

وقوله : ﴿ **قل يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم** ﴾ أي : علىٰ طريقتكم . وهذا تهديد ووعيد ، ﴿ **إني عامل** ﴾ أي : علىٰ طريقتي ومنهجي ، ﴿ **فسوف تعلمون** ﴾ أي : ستعلمون غِبّ ذلك وَوَباله ﴿ **من يأتيه عذاب يخزيه** ﴾ أي : في الدنيا ، ﴿ **ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ أي : دائم مستمر ، لا محيد له عنه . وذلك يوم القيامة .

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

---

(٢٠) - أخرجه أحمد (٢٩٣/١،٣٠٣) ، والترمذي في صفة القيامة ، حديث (٢٥١٦) من حديث قيس بن الحجاج به دون قوله : « واعمل لله بالشكر في اليقين ... الخ » .

(٢١) - أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٦٧٥- منتخب) عن محمد بن كثير ، عن هشام بن زياد أبي المقدام به .

يقول تعالىٰ مخاطبًا رسولَه محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **إنا أنزلنا عليك الكتاب** ﴾ يعني : القرآن ﴿ **للناس بالحق** ﴾ أي : لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به ، ﴿ **فمن اهتدىٰ فلنفسه** ﴾ أي : فإنما يعود نفعُ ذلك إلىٰ نفسه ، ﴿ **ومن ضل فإنما يضل عليها** ﴾ أي : إنما يرجع وبال ذلك علىٰ نفسه ، ﴿ **وما أنت عليهم بوكيل** ﴾ ، أي[١] : بموكل[٢] أن يهتدوا﴿ **إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل** ﴾ ﴿ **إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفىٰ الأنفس الوفاة الكبرىٰ ، بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان . والوفاة الصغرىٰ عند المنام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرَحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضىٰ أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعمَلون * وهو القاهر فوق عباده ويُرسل عليكم حفظة حتىٰ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾ . فذكر الوفاتين : الصغرىٰ ثم الكبرىٰ . وفي هذه الآية ذكر الكبرىٰ ثم الصغرىٰ ؛ ولهذا قال : ﴿ **اللَّه يتوفىٰ الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضىٰ عليها الموت ويرسل الأخرىٰ إلىٰ أجل مسمى** ﴾ ، فيه دلالة علىٰ[٣] أنها تجتمع في الملأ الأعلىٰ ، كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره .

وفي صحيحي البخاري ومسلم(٢٢) من حديث عُبيد[٤] الله ابن عمر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا أوىٰ أحدكم إلىٰ فراشه فلْينفُضْه بدَاخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خَلَفَهُ عليه ، ثم ليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكتَ نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** » .

وقال بعض السلف : يقبض[٥] أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا ، فتتعارف ما شاء اللَّه تعالىٰ أن تتعارف ، ﴿ **فيمسك التي قضىٰ عليها الموت** ﴾ التي : قد ماتت ، ويرسل الأخرىٰ إلىٰ ﴿أجل مسمى﴾ .

---

(٢٢) - أخرجه البخاري في الدعوات ، حديث (٦٣٢٠) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، حديث (٢٧١٤) . وجاء الحديث من طرق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ليس فيه : (عن أبيه) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في حاشية ز : « وقيل : الوكيل من يجعل إليه الشيء لعجز موكله عنه بنفسه يقول : لسنا بعاجزين عن حملهم الإيمان فنكل ذلك إليك بل نحن قادرون على ذلك قال الله تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكون مؤمنين ﴾ وقيل : نُسِخت بهذه الآية آية الأمر بالقتال . نسفي » .

[٣] - في ز : « إلى » . [٤] - في خ ، ز : « عبد » .

[٥] - في ز : « تقبض » .

قال السدي : إلىٰ بقية أجلها . وقال ابن عباس : يمسك[١] أنفس الأموات ، ويرسل[٢] أنفس الأحياء ، ولا يغلط . ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) ﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله ، وهم الأصنام والأنداد ، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم علىٰ ذلك ، وهي لا تملك شيئًا من الأمر ، بل وليس لها عقل تعقل به ، ولا سمع تسمع به ، ولا بصر تبصر به ، بل هي جمادات أسوأ حالًا من الحيوان بكثير[٣]: قل ، أيْ يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله ، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند اللَّه إلا لمن ارتضاه وأذن له ، فمرجعها كلها إليه ، ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ﴿ له ملك السماوات والأرض ﴾ أي : هو المتصرف في جميع ذلك ، ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ أي : يوم القيامة ، فيحكم بينكم بعدله ، ويجزي كلًّا بعمله .

ثم قال تعالىٰ ذامًّا للمشركين أيضًا : ﴿ وإذا ذكر اللَّه وحده ﴾ أي : إذا[٤] قيل : لا إله إلا اللَّه ﴿اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ ، قال مجاهد : ﴿ اشمأزت ﴾[٥] انقبضت . وقال السدي : نفرت . وقال قتادة : كفرت واستكبرت . وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : استكبرت . كما قال تعالىٰ : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا اللَّه يستكبرون ﴾ أي : عن المتابعة والانقياد لها . فقلوبهم لا تقبل الخير ، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ؛ ولهذا قال : ﴿ وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ أي : من الأصنام والأنداد ، قاله مجاهد ، ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾ أي : يفرحون ويسرون .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي

---

[١] - في ز : « تمسك » .
[٢] - في ز : « ترسل » .
[٣] - بعده في ت : ثم قال ٨,
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر ، من المذمة لهم في حبهم الشرك ، ونفرتهم عن التوحيد : ﴿ **قل اللهم فاطر السماوات والأرض** [**عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي : ادع أنت اللّٰه وحده لا شريك له ، الذي خلق السماوات والأرض][1] وفطرها ، أي : جعلها علىٰ غير مثال سبق ، ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي : السر والعلانية ، ﴿ **أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ أي : في دنياهم ، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم ، وقيامهم من قبورهم .

وقال مسلم في صحيحه(٢٣) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة : بأيّ شيء كان رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاتَه : « **اللهم ؛ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلِفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم** » .

وقال الإمام أحمد (٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، وأخبرنا سهيل بن[2] أبي صالح ، وعبد اللّٰه بن عثمان بن خُثَيم ، عن عون بن عبد اللّٰه بن عتبة بن مسعود ، عن عبد اللّٰه ابن مسعود أن رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من قال : اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، فإنك إن تكلني إلىٰ نفسي تُقَرِّبني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهدًا تُوَفِّينيه يوم القيامة ، إنك لا تُخْلف الميعاد ، إلا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة : إن عبدي قد عهد إليّ عهدًا فأوفوه إياه ، فيدخله اللّٰه الجنة** » .

(٢٣) - صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٧٠) ، قال : حدثنا محمد بن المثنى ، ومحمد بن حاتم ، وعبد بن حميد ، وأبو معين الرقاشي قالوا : ثنا عمر بن يونس به .

(٢٤) - المسند (٤١٢/١) (٣٩١٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « عن » .

قال سهيل : فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونًا أخبر بكذا وكذا ؟ فقال : ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها . انفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد (٢٥) : [حدثنا حسن][١] حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حيي بن عبد الله : أن أبا عبد الرحمن حدثه قال : أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاسًا وقال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعلمنا يقول : « **اللهم فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت ربّ كل شيء ، وإله كل شيء ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، والملائكة يشهدون . أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف علىٰ نفسي إثمًا ، أو أجُرّه إلىٰ مسلم** » .

قال أبو عبد الرحمن : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يعلمه[٢] عبد الله بن عمرو أن يقول ذلك حين يريد أن ينام . تفرد به أحمد أيضا .

وقال أحمد أيضًا (٢٦) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عَيَّاش[٣] ، عن محمد بن زياد الألهاني ، عن أبي راشد الحُبْرَاني قال: أتيت عبد الله بن عمرو فقلت له : حَدِّثنا ما سمعتَ من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فألقىٰ بين يَدَيّ صحيفة فقال: هذا ما كتب لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فنظرت فيها فإذا فيها أن أبا بكر الصديق قال : يا رسول الله ، علّمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت . فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أبا بكر ، قل : اللهم فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت ، ربّ كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شر نفسي ، وشر الشيطان وشركه ، أو أقترف علىٰ نفسي سوءًا ، أو أجره إلىٰ مسلم** » . ورواه الترمذي ، عن الحسن بن عرفة ، عن إسماعيل بن عياش ، به ، وقال : « حسن غريب من هذا الوجه » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا هاشم، حدثنا شيبان[٤] ، عن ليث ، عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق : أمرني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي من الليل : « **اللهم فاطر السماوات والأرض** » إلىٰ آخره .

---

(٢٥) - المسند (١٧١/٢) ، وأخرجه أيضًا عبد بن حميد (٣٣٨ - منتخب) عن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحلبي به . وسيأتي من طريق آخر عن ابن عمرو ، انظر التخريج التالي .

(٢٦) - المسند (١٩٦/٢) ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٠٤) ، والترمذي في الدعوات ، حديث (٣٥٢٩) ، من طريق إسماعيل بن عياش به .

(٢٧) - المسند (١٤/١) (٨١) وضعفه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « يعلم » .
[٣] - في ز : « عباس » .
[٤] - في خ ، ز : « سيار » .

وقوله : ﴿ **ولو أن للذين ظلموا** ﴾ وهم المشركون ﴿ **ما في الأرض جميعًا ومثله معه** ﴾ أي : ولو أن جميعَ ملْك الأرض وضِعْفَه معه[١] ﴿ **لافتدوا به من سوء العذاب** ﴾ أي : الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة ، ومع هذا لا يُتقبَّل منهم الفداء ولو كان ملءَ الأرض ذهبًا ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ أي : وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم ، ﴿ **وبدا لهم سيئات ماكسبوا** ﴾ أي : وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم ، ﴿ **وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الإنسان : إنه في حال الضراء يَضرَع إلىٰ الله - عز وجل - وينيب إليه ويدعوه ، وإذا خوله منه نعمة بغىٰ وطغىٰ ، وقال : ﴿ **إنما أوتيته علىٰ علم** ﴾ أي : لما يعلم الله من استحقاقي له ، ولولا أني عند الله تعالىٰ خصيص لما خَوّلني هذا !

قال قتادة : ﴿ **على علم عندي** ﴾ على خير عندي .

قال الله -عز وجل- : ﴿ **بل هي فتنة** ﴾ أي : ليس الأمر كما زعموا ، بل أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه ، أيُطيع أم يعصي ؟ مع علمنا المتقدم بذلك ، فهي فتنة أي : اختبار ، ﴿ **ولكن أكثرهم[٢] لا يعلمون** ﴾ ، فلهذا يقولون ما يقولون ، ويَدّعون ما يدّعون.

﴿ **قد قالها الذين من قبلهم** ﴾ أي : قد قال هذه المقالة وزَعَم هذا الزعم وادعىٰ هذه[٣] الدعوىٰ - كثير ممن سلف من الأمم ، ﴿ **فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون** ﴾ أي : فما صح

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أكثر الناس » .
[٣] - سقط من : ز .

قولهم ولا منعهم جمعهم[١] وما كانوا يكسبون ، [﴿ **فأصابهم سيئات ما كسبوا**][٢] **والذين ظلموا من هؤلاء** ﴾ أي : من[٣] المخاطبين ﴿ **سيصيبهم سيئات ما كسبوا** ﴾ أي : كما أصاب أولئك ، ﴿ **وما هم بمعجزين** ﴾ كما قال تعالىٰ مخبرًا عن قارون أنه قال [له قومه][٤] : ﴿ **لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته علىٰ علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ أي : يوسّعه علىٰ قوم ويضيقه علىٰ آخرين ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ أي : لعبرًا وحججًا .

۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلىٰ التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله

---

[١] - في ز : « جميعهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « لقومه » .

يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر . ولا يصح حمل هذه علىٰ غير توبة ؛ لأن الشرك لا يُغفر لمن لم يتب منه .

وقال البخاري(٢٨) : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، أخبرنا هشام بن يوسف ؛ أن ابن جُرَيج أخبرهم ؛ قال يعلىٰ : إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس ؛ أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزَنَوْا فأكثروا . فأتوا محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحَسَنٌ لو تُخبرنا أنّ لمَا عملنا كفارة . فنزل : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ ، ونزل قوله : ﴿ **قل ياعبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي(٢٩) ، من حديث ابن جُرَيج ، عن يعلىٰ بن مسلم المكي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به .

والمراد من الآية الأولى قوله : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا ...** ﴾ الآية .

وقال الإمام أحمد (٣٠) : حدثنا حَسَن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو قَبِيل ؛ قال[١] : سمعت أبا[٢] عبد الرحمن المرّيّ[٣] ؛ يقول : سمعت ثوبان مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ يقول : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ يقول[٤] : « **ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية** : ﴿ **ياعبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم** ﴾...» . إلىٰ آخر الآية ، فقال رجل : يارسول الله ؛ فمن أشرك ؟ فسكت النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم قال : « **ألا ومن أشرك** » . ثلاث مرات . تفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٣١) : حدثنا سُرَيج[٥] بن النعمان ، حدثنا نوح[٦] بن قيس ، عن

---

(٢٨) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ...﴾ حديث (٤٨١٠) .

(٢٩) - أخرجه مسلم في الإيمان ، حديث (١٢٢) ، وأبو داود في الفتن والملاحم ، باب : في تعظيم قتل المؤمن ، حديث (٤٢٧٤) والنسائي في تحريم الدم ، باب تعظيم الدم (٨٦/٧) وفي التفسير (٤٦٩) من طريق ابن جريج به .

(٣٠) - المسند (٢٧٥/٥) ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٤) من طريق ابن أبي مريم عن ابن لهيعة به ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٧/١٠) : إسناده حسن .

(٣١) - المسند (٣٨٥/٤) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « المدني » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « شريح » .

[٦] - في ز : « فرج » .

أشعث بن جابر الحُدّاني ، عن مكحول ، عن عمرو بن عَبَسَة[١] ؛ قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، شيخ كبير يَدّعِمُ علىٰ عصا له ، فقال : يا رسول الله ؛ إن لي غَدَرَات وفَجَرَات ، فهل يغفر لي ؟ فقال : « **ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟** » . قال : بلىٰ ، وأشهد أنك رسول الله . فقال : « **قد غفر لك غَدَرَاتك وفجراتك** » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد (٣٢) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن شهر ابن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد ؛ قالت : سمعتُ رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقرأ : ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ ، وسمعته يقول : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ - ولا يبالي - ﴿ **إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به .

فهذه الأحاديث كلها دالة علىٰ أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ، ولا يقنطَنّ عبد من رحمة الله ، وإن عَظُمت ذنوبه وكثرت ؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ألم يعلموا أن اللّٰه هو يقبل التوبة عن عباده** ﴾ [وقال تعالى : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللّٰه يجد اللّٰه غفورًا رحيمًا** ﴾][٢] وقال تعالىٰ في حق المنافقين : ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا * إلا الذين تابوا** ﴾ ، وقال : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن اللّٰه ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **أفلا يتوبون إلىٰ اللّٰه ويستغفرونه واللّٰه غفور رحيم** ﴾ وقال : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا** ﴾ .

قال الحسن البصري : انظر إلىٰ هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة !

والآيات في هذا كثيرة جدًا ، وفي الصحيحين(٣٣) عن أبي سعيد ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، حديثُ الذي قتل تسعًا[٣] وتسعين نفسًا ، ثم ندم وسأل عابدًا من عُبَّاد بني إسرائيل : هل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله وأكمل به مائة . ثم سأل عالمًا من علمائهم : [هل له من توبة][٤] ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أمره بالذهاب إلىٰ قرية يعبد

(٣٢) - المسند (٦/٤٥٤) ، وأخرجه في (٦/٤٦٠) عن عفان عن حماد به . وأخرجه أبو داود في الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٨١،٣٩٨٢) ، والترمذي في القراءات ، باب : ومن سورة هود حديث (٢٩٣١،٢٩٣٢) من طريق ثابت البناني به . وفي بعض الطرق عن شهر عن أم سلمة ، قال الترمذي : سمعت عبد بن حميد يقول : أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية) .

(٣٣) - أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، حديث (٣٤٧٠) ، ومسلم في التوبة ، حديث (٢٧٦٦) من

[١] - في ز : « عنسبة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « تسعة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

اللّٰه فيها ، فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأمر اللّٰه أن يقيسوا ما بين الأرضين ، فإلىٰ أيهما كان أقرب فهو منها . فوجدوه أقرب إلىٰ الأرض التي هاجر إليها بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة . وذُكر أنه نأىٰ بصدره عند الموت ، وأن اللّٰه أمر البلدة الخيِّرة أن تقترب ، وأمر تلك البلدة[١] أن تتباعد .

هذا معنى الحديث ، وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، رضي اللّٰه عنهما قوله : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا** ...﴾ إلىٰ آخر الآية ، قال : قد دعا اللّٰه إلىٰ مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ، ومن زعم أن عُزَيرًا ابن الله ، ومن زعم أن اللّٰه فقير ، ومن زعم أن يد اللّٰه مغلولة ، ومن زعم أن اللّٰه ثالث ثلاثة ، يقول اللّٰه تعالىٰ لهؤلاء : ﴿ **أفلا يتوبون إلىٰ اللّٰه ويستغفرونه واللّٰه غفور رحيم** ﴾ ، ثم دعا إلىٰ توبته مَنْ[٢] هو أعظم قولًا من هؤلاء ، من قال : ﴿ **أنا ربكم الأعلىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ ، قال ابن عباس : مَن آيَسَ عبادَ اللّٰه من التوبة بعد هذا فقد جَحَد كتاب الله ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتىٰ يتوب اللّٰه عليه .

وروى الطبراني من طريق الشعبى ، عن سنيد بن شَكَل؛ أنه قال : سمعتُ ابنَ مسعود يقول : إن أعظم آية في كتاب الله : ﴿ **اللّٰه لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ ، وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر: ﴿ **إن اللّٰه يأمر بالعدل والإحسان** ﴾، وإن أكثر آية في القرآن فرجًا في سورة الغرف: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه**﴾، وإن أشد آية في كتاب اللّٰه تصريفًا : ﴿ **ومن يتق اللّٰه يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ . فقال له مسروق : صدقت .

وقال الأعمش ، عن أبي سعيد ، عن أبي الكنود؛ قال : مر عبد اللّٰه - يعني ابن مسعود - علىٰ قاصٍّ ، وهو يذكِّر الناس ، فقال : يا مُذكِّر ، لِمَ تُقَنِّط الناس ؟ ثم قرأ : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

ذكر أحاديث فيها نفى القنوط

قال الإمام أحمد (٣٤) : حدثنا سُرَيج بن النعمان ، حدثنا أبو عُبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله

حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري به .

(٣٤) - المسند (٢٨٣/٣) وأخرجه البخاري في التاريخ (٦٥/٢) ، وأبو يعلي في مسنده (٤٢٢٦) من طريق عبد المؤمن به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٨/١٠) : رجاله ثقات .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « ومَن » .

السدوسي، حدثني حسن السدوسي؛ قال: دخلت على أنس بن مالك؛ فقال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: « **والذي نفسي بيده ، لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله لغفر لكم ، والذي نفس محمد بيده، لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم** » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد (٣٥) : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثني ليث ، حدثني محمد بن قيس - قاصّ[١] عمر بن عبد العزيز - عن أبي صِرْمة ، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كتمت[٢] منكم شيئًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **لولا أنكم تذنبون**[٣] ، **لخلق الله قومًا يذنبون فيغفر لهم** » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، والترمذي جميعًا ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد به .

ورواه مسلم من وجه آخر به(٣٦) ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي صِرْمةَ - وهو الأنصاري ، صحابي - عن أبي أيوب به .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني ، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النُكري[٤] ؛ قال[٥]: سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [« **كفارة الذنب الندامة** » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم][٦]: « **لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ، فيغفر لهم** ». تفرد به أحمد .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد(٣٨) : حدثني عبد الأعلى بن حماد النَّرسيّ[٧] ، حدثنا داود

(٣٥) - المسند (٥/٤١٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٢٣٠-منتخب) ومسلم في التوبة ، حديث (٢٧٤٨) (٩) ، والترمذي في الدعوات ، باب ، في فضل التوبة والاستغفار حديث (٣٥٣٩) من طريق الليث بن سعد به .

(٣٦) - صحيح مسلم كتاب التوبة حديث (٢٧٤٨) (١٠) .

(٣٧) - المسند (١/٢٨٩) (٢٦٢٣) ، وإسناده ضعيف ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٩/٣٧- ترجمة يحيى بن عمرو) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢١٨) وعزاه لأحمد والطبراني باختصار ، والأوسط ، والبراز وقال : فيه يحيى بن عمرو بن مالك النكري وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات). وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند .

(٣٨) - المسند (١/٨٠،١٠٣) وأخرجه أبو يعلى (٤٨٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٠٣) وقال : رواه عبد الله وأبو يعلى ، وفيه من لم أعرفه). وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على المسند (٦٠٥) .

[١] - في خ ، ز : « قاضي » .
[٢] - في ز : « كتمته » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « البكري » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في خ ، ز : « القرشي » .

ابن عبد الرحمن ، حدثنا أبو عبد الله مسلمة الرازي ، عن أبي عمرو البَجَلي ، عن عبد الملك بن سفيان الثقفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن محمد بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يحب العبد المُفَتَّن التواب** » . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، وحميد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير؛ قال : إن إبليس - عليه لعائن الله - قال : يارب ؛ إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم ، و[١]إني لا أستطيعه إلا بسلطانك . قال : فأنت[٢] مسلط . قال : يارب ؛ زدني . قال : لايولد له ولد إلا ولد لك مثله . قال : يارب ؛ زدني . قال : أجعل[٣] صدورهم مساكن لكم ، وتجرون منهم مجرىٰ الدم . قال : يارب ؛ زدني . قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدْهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا . فقال آدم : يارب ؛ قد سلطته عليّ ، وإني لا أمتنع به[٤] إلا بك . قال : لا يولد لك ولد إلا وَكّلت به من يحفظه من قرناء السوء . قال : يارب ؛ زدني . قال : الحسنة عشر أو أزيد ، والسيئة واحدة أو أمحوها . قال : يارب ؛ زدني . قال : باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد . قال : يارب ، زدني . قال : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : قال نافع ؛ عن عبد الله بن عمر ، عن عمر رضي الله عنه في حديثه؛ قال : وكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صَرْفًا ولا عدلًا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلىٰ الكفر لبلاء أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . قال : فلما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة[٥] ، أنزل الله فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلي ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ . قال عمر رضي الله عنه : فكتبتها بيدي في صحيفة ، [وبعثت بها][٦] إلىٰ هشام بن العاص؛ قال : فقال هشام : لما أتتني جعلت أقرؤها[٧] بذي طُوًى أصعّد بها فيه وأصوت ولا أفهمها ، حتىٰ قلت : اللهم أفهمنيها . قال : فألقىٰ الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا . قال : فرجعت إلىٰ بعيري فجلست عليه ، فلحقت برسول الله صلىٰ الله

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « فإنك » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز : « وبعثها » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

عليه وسلم بالمدينة .

ثم استحث تعالىٰ عباده إلىٰ المسارعة إلىٰ التوبة ، فقال : ﴿ **وأنيبوا إلىٰ ربكم وأسلموا له** ﴾ [أي : ارجعوا إلىٰ الله واستسلموا له ، ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾ أي : بادروا][١] بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة ، ﴿ **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ وهو القرآن العظيم ، ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ أي : من حيث لا [تعلمون ولاتشعرون][٢] .

ثم قال : ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب الله** ﴾ أي : يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإِنابة ، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين للّٰه عز وجل .

وقوله : ﴿ **وإن كنت لمن الساخرين** ﴾ أي : إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق .

﴿ **أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين** ﴾ أي : تود أن لو أعيدت إلىٰ الدار الدنيا فتحسن العمل .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر الله - سبحانه - ما العباد قائلون قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه . وقال : ﴿ **ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ ، ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتىٰ علىٰ ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترىٰ العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين** ﴾ فأخبر الله[٣] تعالىٰ أن لو رُدّوا لما قدروا علىٰ الهدىٰ، وقال تعالىٰ: ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾.

وقد قال الإِمام أحمد (٣٩) : حدثنا أسود ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل أهل النار يرىٰ مقعده من الجنة فيقول : لو أن الله هداني ! فتكون عليه حسرة** » . قال : « **وكل أهل الجنة يرىٰ مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني ! قال[٤] : فيكون له الشكر** » . ورواه

(٣٩) - المسند (٢/٥١٢) ، وأخرجه النسائي في تفسيره (٤٧٤) ، والحاكم في مستدركه (٢/٤٣٥،٤٣٦) وعنه البيهقي في البعث والنشور (٢٦٩) من طريق أبي بكر بن عياش به نحوه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « تعلموا أو تشعروا » .
[٣] - سقط من : ز . [٤] - سقط من : ز .

النسائي من حديث أبي بكر بن عياش ، به .

ولما تمنىٰ أهل الجرائم العودَ إلىٰ الدنيا ، وتحسروا[١] علىٰ تصديق آيات الله واتباع رسله ، قال : ﴿ **بلىٰ قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين** ﴾ أي : قد جاءتك أيها العبد النادم علىٰ ما كان منه - آياتي[٢] في الدار الدنيا ، وقامت حججي عليك ، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها ، وكنت من الكافرين بها ، الجاحدين لها .

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) ﴾

يخبر تعالىٰ عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه ، وتبيض فيه وجوه ، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **ويوم القيامة ترىٰ الذين كذبوا علىٰ الله** ﴾ أي : في دعواهم له شريكًا وولدًا ﴿ **وجوههم مسودة** ﴾ أي : بكذبهم وافترائهم .

وقوله : ﴿ **أليس في جهنم مثوى للمتكبرين**[٣] ﴾ أي : أليست جهنم كافية لهم[٤] سجنًا وموئلًا لهم فيها الخزي والهوان ، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا عيسىٰ بن أبي عيسىٰ الخياط ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتىٰ يدخلوا سجنًا من النار في واد يقال له : بولس**[٥] **، من نار الأنيار**[٦] **، ويسقون عصارة أهل النار ، من طينة الخبال** » .

وقوله: ﴿ **وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم** ﴾ أي: بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله ، ﴿ **لا يمسهم السوء** ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ أي : ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، بل هم آمنون من كل فَزَع ، مزحزحون عن كل شر ، مؤمّلون كل خير .

---

[١] - في ز : « ويتحسروا » .
[٢] - في ز : « بلى قد جائك » .
[٣] - في ز : « للكافرين » .
[٤] - في خ : « لها » .
[٥] - في ز : « بلولس » .
[٦] - في ز : « الأيّار » .

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكلٌّ تحت تدبيره وقهره وكلاءته.

وقوله: ﴿ **له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ قال مجاهد: المقاليد هي المفاتيح بالفارسية، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة. وقال السدي: ﴿ **له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ أي: خزائن السماوات والأرض.

والمعنىٰ علىٰ كلا القولين أن أزمَّة الأمور بيده، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير؛ ولهذا قال: ﴿ **والذين كفروا بآيات الله** ﴾ أي: حججه وبراهينه، ﴿ **أولئك هم الخاسرون** ﴾.

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا غريبًا جدًّا، في صحته[١] نظر، ولكن نذكره كما ذكره فإنه قال: حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر، حدثنا يحيىٰ بن حماد، حدثنا الأغلب بن تميم، عن مخلد بن هذيل العبدي، عن عبد الرحمن المدني، عن عبد اللَّه بن عمر، عن عثمان بن عفان، رضي اللَّه عنه، أنه سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن تفسير: ﴿ **له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ فقال: « **ما سألني عنها أحد قبلك ياعثمان** »، قال: « **تفسيرها: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، وسبحان اللَّه وبحمده، أستغفر اللَّه، ولا قوة إلا باللَّه الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت، [وهو على كل شيء قدير][٢]. من قالها يا عثمان [إذا أصبح][٣] عشر مرات[٤] أعطى خصالًا ستًّا[٥]، أما أولهن: فيحرس من إبليس وجنوده، وأما الثانية: فيعطى قنطارًا من الأجر، وأما الثالثة: فترفع**

---

[١] - في ز: « جدته ».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - في ز: « مرار ».

[٥] - سقط من: خ، ز.

له درجة في الجنة، وأما الرابعة: فيزوج[١] من الحور العين، وأما الخامسة: فيحضره اثنا عشر ملكًا، وأما السادسة: فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور. وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته، واعتمر فتقبلت عمرته، فإن مات من يومه طبع بطابع الشهداء».

ورواه أبو يعلى الموصلي(٤٠) من حديث يحيى بن حماد، به مثله. وهو غريب، وفيه نكارة شديدة، والله أعلم.

وقوله: ﴿ **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون** ﴾، ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره، عن ابن عباس؛ أن المشركين بجهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهه، فنزلت: ﴿ **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾. وهذه كقوله: ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾.

وقوله: ﴿ **بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾ أي: أخلص العبادة لله وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدقك.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تبارك وتعالى ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ أي[٢] ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال مجاهد: نزلت في قريش. وقال السدي: ما عظموه حق عظمته.

وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ماكذبوه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾، هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن[٣] الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.

(٤٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٦٧) وعزاه إلى: أبي يعلى، ويوسف القاضي في سننه وأبي الحسن القطان في المطولات وابن السني في عمل اليوم والليلة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

[١] - في خ: «فيتزوج».
[٢] - في ز: «و».
[٣] - سقط من: ز.

وقد وردت[١] أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها[٢] وفي أمثالها مذهبُ السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف .

قال البخاري (٤١) : قوله : ﴿ **وماقدروا الله حق قدره** ﴾ : حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود؛ قال : جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال[٣] : يامحمد ؛ إنا نجد أن الله - عز وجل - يجعل السماوات علىٰ إصبع ، والأرضين علىٰ إصبع ، والشجر علىٰ إصبع ، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع ، وسائر الخلائق علىٰ إصبع . فيقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه ، تصديقًا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة** ...﴾ الآية .

ورواه البخاري أيضًا في غير هذا الموضع من صحيحه ، والإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عَبيدَة[٤] ، [عن ابن مسعود رضي الله عنه] بنحوه .

وقال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم][٥] ، عن علقمة ، عن عبد الله رضي الله عنه قال][٦] : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فقال : ياأبا القاسم ، أبلغك أن الله يحمل الخلائق علىٰ إصبع ، والسماوات علىٰ إصبع ، والأرضين علىٰ إصبع ، والشجر علىٰ إصبع ، والثرىٰ علىٰ إصبع ؟ قال[٧] : فضحك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بدت نواجذه . قال : وأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **وماقدروا الله حق قدره** ﴾ إلىٰ آخر الآية . وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به .

وقال الإمام أحمد (٤٣) : حدثنا حُسَين بن حسن الأشقر ، حدثنا أبو كُدَينة ، عن عطاء ،

(٤١) - صحيح البخاري - كتاب التفسير ، باب : (وما قدروا الله حق قدره) ، حديث (٤٨١١) ، وأطرافه في (٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٦) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الزمر » حديث (٣٢٣٨، ٣٢٣٩) ، والنسائي في التفسير (٤٧٠، ٤٧١) .

(٤٢) - المسند (١/٣٧٨) ، وانظر السابق .

(٤٣) - المسند (١/٢٥١) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : (ومن سورة الزمر) ، حديث

[١] - في ز : « ورد » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « قال » .

[٤] - في خ : « علقمة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - سقط من : خ .

عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس؛ قال : مر يهودي برسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو جالس فقال[١] : كيف تقول يا أبا القاسم ، يوم يجعل اللّٰه السماء علىٰ ذِهْ - وأشار بالسبابة - والأرض علىٰ ذِهْ ، والجبال علىٰ ذِهْ ، وسائر الخلق علىٰ ذِهْ - كل ذلك يشير بإصبعه - قال : فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **وما قدروا اللّٰه حق قدره ...**﴾ الآية .

وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن الدارمي ، عن محمد بن الصلت أبي جعفر ، عن أبي كُدَينة يحيىٰ بن المهلب ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ مسلم بن صُبَيح ، به ، وقال : حسن صحيح غريب[٢] ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

ثم قال البخاري (٤٤) : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة -رضي اللّٰه عنه- قال : سمعت رسول الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - يقول : « **يقبض اللّٰه الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟** » تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر.

وقال البخاري في موضع آخر(٤٥) : حدثنا مُقَدَّم بن محمد ، حدثنا عمي القاسم بن يحيىٰ ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال : « **إن اللّٰه يقبض يوم القيامة الأرضين علىٰ إصبع وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك** » .

تفرد به أيضًا من هذا الوجه .

ورواه مسلم من وجه آخر .

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول ، فقال(٤٦) :

(٣٢٤٠) ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبو كدينة اسمه يحيى بن المهلب » .

(٤٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ والأرض جميعًا قبضته .. ﴾ حديث (٤٨١٢) ، وأخرجه الدارمي رقم (٢٨٠٢) .

(٤٥) - صحيح البخاري في التوحيد ، باب : قول الله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ، حديث (٧٤١٢) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٨) من طريق سالم بن عبد الله عن أبيه بمعناه .

(٤٦) - المسند (٧٢/٢) (٥٤١٤) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٨) (٢٥) ، (٢٦) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧٣١٥) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية حديث (١٩٨) ، وفي الزهد ، باب : ذكر البعث ، حديث (٤٢٧٥) من حديث عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر به .

[١] - في ز : « قال » . [٢] - سقط من : ز .

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن عبيد الله ابن مقسم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم علىٰ المنبر : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ ، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول هكذا بيده ، يحركها يقبل بها ويدبر : « **يمجد الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم** » . فرجف برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المنبر حتىٰ قلنا : ليخرّن به .

وقد رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجة من حديث عبد العزيز بن أبي حازم ، زاد مسلم : ويعقوب بن عبد الرحمن ، كلاهما عن أبي حازم ، عن عبيد الله بن مقسم ، عن ابن عمر ، به ، نحوه . ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث : أنه نظر إلىٰ عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يأخذ الله سماواته وأرضه** » بيده ويقول : أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها : أنا الملك » حتىٰ نظرت إلىٰ المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتىٰ إني لأقول : أساقط هو برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟

وقال البزار : حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا أبو علي الحنفي ، حدثنا عَباد المِنْقَري ، حدثني محمد بن المنكدر؛ قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قرأ هذه الآية علىٰ المنبر : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يشركون**﴾ ، فقال المنبر هكذا ، فجاء[١] وذهب ثلاث مرات .

ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو وقال : صحيح .

وقال الطبراني في « **المعجم الكبير** »(٤٧) : حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي ، حدثنا حَيَّان بن نافع بن[٢] صخر بن جويرية، حدثنا سعيد بن سالم القداح ، عن معمر بن الحسن ، عن بكر بن خُنَيس[٣] ، عن أبي شيبة ، عن عبد الملك بن عمير، عن جرير؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لنفر من أصحابه : « **إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمَر ، فمن بكىٰ[٤] منكم وجبت له الجنة** » . فقرأها من عند قوله : ﴿ **وماقدروا الله حق قدره** ﴾ ، إلىٰ آخر السورة ، فمنا من بكىٰ ، ومنا من لم يبك ، فقال الذين لم يبكوا : يارسول الله ، لقد جهدنا أن نبكي ، فلم نبك ؟ فقال : « **إني سأقرؤها عليكم ، فمن لم يبك فليتباك** » .

---

(٤٧) - المعجم الكبير (٢٩٨/٢) (٢٤٥٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤/٧) : فيه بكر بن خنيس وهو متروك .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « عن » .
[٣] - في ز : « حبيش » .
[٤] - في خ : « يكن » .

هذا حديث غريب جدًّا.

وأغرب منه ما رواه في « **المعجم الكبير** » أيضًا : حدثنا هاشم بن زيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شُرَيح بن عُبَيد ، عن أبي مالك الأشعري؛ قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن اللّٰه تعالىٰ يقول : ثلاث خلال غَيَّبْتُهُنَّ عن عبادي ، لو رآهن رجل ماعمل سوءًا أبدًا : لو كشفت غطائي فرآني حتىٰ**[١] **يستيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا أتيتهم ، وقبضت السماوات بيدي ، ثم قبضت الأرضين ، ثم قلت : أنا الملك ، من ذا الذي له الملك دوني ؟ ثم أريتهم**[٢] **الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير ، فيستيقنوها . وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ، ولكن عمدًا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون**[٣] **، وقد بينته لهم** ». وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة ، والله أعلم.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هول يوم القيامة ، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة ، فقوله : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ ، هذه النفخة هي الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض ، إلا من شاء الله كما هو مُصَرَّح به مفسرًا في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا ، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ، ويقول : ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ ثلاث مرات . ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : ﴿ **لله الواحد القهار** ﴾ أي : الذي هو واحد وقد قهر كل شيء ، وحكم بالفناء علىٰ كل شيء . ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرىٰ ، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث ، قال تعالىٰ : ﴿ **ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ أي : أحياء بعد ما كانوا عظامًا ورفاتًا ، صاروا أحياء ينظرون إلىٰ أهوال يوم القيامة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة** ﴾ وقال تعالى : ﴿**يوم يدعوكم**

---

[١] - في ز : « حيى ». [٢] - في ز : « أريهم ».

[٣] - في خ : « يعلموني ».

فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلًا﴾ وقال تعالى: **﴿ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾**.

قال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم؛ قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عُرْوة بن مسعود؛ قال: سمعت رجلًا قال لعبد الله بن عمرو: إنك تقول: الساعة تقوم إلىٰ كذا وكذا؟ قال: لقد هممت أن لا أحدثكم شيئًا، إنما قلت: سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا. ثم قال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **يخرج الدجال في أمتي، فيمكث فيهم أربعين - لا أدري أربعين يومًا أو أربعين عامًا أو أربعين شهرًا أو أربعين ليلة - فيبعث الله عيسىٰ ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيظهر فيهلكه الله، ثم يلبث الناس بعده سنين سبعًا ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشامِ، فلا يبقىٰ أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتىٰ [لو أن أحدهم كان][١] في كَبد جَبَل لدخلت عليه** ». قال: سمعتها من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، « **ويبقىٰ شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولاينكرون منكرًا. قال: فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دَارَّة أرزاقهم، حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ له[٢]، وأول من يسمعه رجل يَلُوط حوضه، فيصعق. ثم لا يبقىٰ أحد إلا صُعق. ثم يرسل الله - أو: ينزل الله - مطرًا كأنه الطَّلُّ - أو: الظل، شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ﴿ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون﴾**، ثم يقال: يا أيها الناس؛ هلموا إلىٰ ربكم: **﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾، قال: ثم يقال: أخرجوا بَعْثَ النار. قال: فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[٣]. فيومئذ تبعث الولدان شيبًا، ويومئذ يكشف عن ساق** ».

تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه.

وقال البخاري(٤٩) : حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش؛ قال: سمعت أبا صالح؛ قال[٤] : سمعت أبا هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال: « **بين**

---

(٤٨) - المسند (٢/١٦٦) (٦٥٥٥). وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٠)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٠١) (١١٦٢٩) من طريق شعبة به.

(٤٩) - صحيح البخاري في التفسير، باب (ونفخ في الصور ...) الحديث (٤٨١٤)، وطرفه في (٤٩٣٥)، وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥٥) والنسائي في الكبرى (١١٤٥٩)، وفي التفسير (٤٧٩) من حديث الأعمش به.

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « أن لو كان أحدهم كان ».

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في ز: « وتسعون ».

[٤] - سقط من: ز.

النفختين أربعون » . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يومًا ؟ قال : أبَيت . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبَيت . قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أبَيت . « **ويبلىٰ كلّ شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبِه فيه يركب الخلق »** .

و[١]قال أبو يعلىٰ : حدثنا يحيىٰ بن معين[٢] ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **سألت[٣] جبريل عليه السلام عن هذه الآية** : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ : مَن الذين لم يشأ اللّٰه أن يصعقهم ؟ قال : هم الشهداء ، [ ][٤] مُقَلَّدون أسيافهم حول عرشه ، تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلىٰ المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير ، مَدُّ خطاها[٥] مد أبصار الرجال ، يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا إلىٰ ربنا - عز وجل - لننظر كيف يقضي بين خلقه ، يضحك إليهم إلهي ، وإذا ضحك إلىٰ عبد في موطن فلا حساب عليه[٦] » .

رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش ، فإنه غير معروف ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها** ﴾ أي : أضاءت يوم القيامة إذا تجلىٰ الحق تبارك وتعالىٰ للخلائق لفصل القضاء ، ﴿ **ووضع الكتاب** ﴾ قال قتادة : كتاب الأعمال ، ﴿ **وجيء بالنبيين** ﴾ ، قال ابن عباس : يشهدون علىٰ الأمم بأنهم بلغوهم رسالات[٧] اللّٰه إليهم ﴿ **والشهداء** ﴾ أي : الشهداء من الملائكة الحفظة علىٰ أعمال العباد من خير وشر ، ﴿ **وقضي بينهم بالحق** ﴾ أي : بالعدل ، ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ . قال الله : ﴿ **ولنضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **إن اللّٰه لا يظلم مثقال ذرة وإن تكن حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **ووفيت كل نفس ما عملت** ﴾ أي : من خير أو شر ﴿ **وهو أعلم بما يفعلون** ﴾

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « معن » .
[٣] - في ز : « سأل » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « متقلدون » .
[٥] - في ز : « خطامها » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « رسالة » .

لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالىٰ عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلىٰ النار ؟ وإنما يساقون سوقًا عنيفًا بزجْر وتهديد ووعيد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يُدَعّون إلىٰ نار جهنم دَعًّا** ﴾ أي : يدفعون إليها دفعًا . هذا وهم عطاش ظماء ، كما قال في الآية[١] الأخرىٰ : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفدًا * ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ ، وهم في تلك الحال صُمّ وبكم وعمي ، منهم من يمشي علىٰ وجهه ، ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة علىٰ وجوهم عميًا و[بكمًا وصمًّا]**[٢] **مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا جاءوها فتحت أبوابها** ﴾ أي : بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعًا ، لتعجل لهم العقوبة ، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية - الذين هم غلاظ الأخلاق ، شداد القُوَىٰ ، علىٰ وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل - : ﴿ **ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ أي : من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ، ﴿ **يتلون عليكم آيات ربكم** ﴾ أي : يقيمون عليكم الحجج والبراهين[٣] علىٰ صحة ما دعوكم إليه، ﴿ **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ أي : ويحذرونكم من شر هذا اليوم ؟ فيقول الكفار لهم : ﴿ **بلىٰ** ﴾ أي : قد جاءونا وأنذرونا ، وأقاموا علينا الحجج والبراهين ، ﴿ **ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين** ﴾ أي : ولكن كذبناهم وخالفناهم ، لما سبق إلينا من الشقوة التي كنا نستحقها ، حيث عَدَلْنا عن الحق إلىٰ الباطل ، كما قال تعالىٰ مخبرًا عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ [أي : رجعوا علىٰ أنفسهم بالملامة والندامة . ﴿ **فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير** ﴾][٤] أي : بُعدًا لهم وخسارًا .

وقوله هاهنا : ﴿ **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها** ﴾ أي : كل من رآهم وعَلِم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ، ولهذا لم يسند هذا القول إلىٰ قائل معين ، بل أطلقه ليدل علىٰ أن الكون[٥] شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ؛ ولهذا قال جل وعلا : ﴿ **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها لا

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « صمًا وبكمًا» .
[٣] - في ز : « والبراهان » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « القول » .

خروج لكم منها ، ولا زوال لكم عنها ، ﴿ **فبئس مثوى المتكبرين** ﴾ أي : فبئس المصير وبئس المقيل[١] لكم ، بسبب تكبركم في الدنيا ، وإبائكم عن اتباع الحق ، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه ، فبئس الحال وبئس المآل .

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة ﴿ **زُمَرًا** ﴾ أي : جماعة بعد جماعة : المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم[٢] ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا .

﴿ **حتى إذا جاءوها** ﴾ أي : وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط ، حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم[٣] في الدنيا ، حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، وقد ورد في حديث الصور : أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول[٤] ، فيقصدون آدم ، ثم نوحًا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمدًا - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كما فعلوا في العرصات[٥] عند استشفاعهم إلى الله - عز وجل - أن يأتي لفصل القضاء ، ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر في المواطن كلها .

وقد ثبت في صحيح مسلم(٥٠) عن أنس - رضي الله عنه - قال[٦] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنا أول شفيع في الجنة** » . وفي لفظ لمسلم : « و[٧]**أنا أول من يقرع باب الجنة** » .

---

(٥٠) - صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، حديث (١٩٦) .

---

[١] - في خ ، ز : « المعقل » .

[٢] - في خ ، ز : « أقرانهم » .

[٣] - في ز : « لهم » .

[٤] - في ز : « في الدخول » .

[٥] - في خ ، ز : « الصرخات » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : ز .

وقال الإمام أحمد (٥١) : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . قال : يقول : بك أمرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك** »

ورواه مسلم عن عَمرو الناقد وزهير بن حرب ، كليهما[١] عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان - وهو ابن المغيرة القيسي - عن ثابت ، عن أنس به .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن مُنَبّه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول زُمْرة تلج الجنة صُورهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، لا[٢] يبصقون فيها ، ولا يمتخطون فيها ، ولا يتغوطون فيها . آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم [ ][٣] الألوّة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرىٰ مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن . لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم علىٰ قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيًا** » . رواه البخاري عن محمد بن مقاتل ، عن ابن المبارك .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، كليهما[٤] عن معمر بإسناده نحوه . وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥٣) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٥٤) : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جَرير ، عن عُمَارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول زُمْرَة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم علىٰ ضوء أشدّ كوكب دُرّىّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ،**

(٥١) - المسند (٣/١٣٦) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٧١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، حديث (١٩٧) من طريق هاشم بن القاسم به .

(٥٢) - المسند (٢/٣١٦) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث (٢٨٣٤) (١٧) من طريق عبد الرزاق به ، وأخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة حديث (٣٢٤٥) عن محمد بن مقاتل عن عبد الله عن معمر به .

(٥٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : « ما جاء في صفة الجنة ، وأنها مخلوقة » حديث (٣٢٤٦) من طريق أبي الزناد عن الأعرج به .

(٥٤) - مسند أبي يعلى (٦٠٨٤) .

[١] - في ز : « كلاهما » .
[٢] - في خ : ولا .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .
[٤] - في ز : « كلاهما » .

ومجامرهم الألوّة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعًا في السماء » .

وأخرجاه(٥٥) أيضًا من حديث جرير .

وقال الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة – رضي اللَّه عنه – عن رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **يدخل الجنة من أمتي زُمْرَة ، هم سبعون ألفًا ، تضيء وجوهم إضاءة القمر ليلة البدر** » . فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن فقال : يا رسول الله ، ادع اللَّه أن يجعلني منهم . فقال : « **اللهم اجعله منهم** » . ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع اللَّه أن يجعلني منهم . فقال صلى اللَّه عليه وسلم : « **سبقك بها عُكَّاشة** » . أخرجاه .

وقد روى هذا الحديث – في السبعين ألفًا [يدخلون الجنة][١] بغير حساب – البخاري ومسلم ، عن ابن عباس ، وجابر بن عبد اللَّه ، وعمران بن حصين ، وابن مسعود ، ورفاعة بن عرابة الجهني ، وأم قيس بنت محصن .

ولهما(٥٦) عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد : أن رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا – أو : سبعمائة ألف – آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر** » .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة (٥٧) : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد قال[٢] : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول[٣] : سمعت رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « **وعدني ربي – عز وجل – أن يَدخُلَ الجنة من أمتي سبعون[٤] ألفًا ، مع كل ألف سبعون[٥] ألفًا ، ولا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حَثَيات من حَثَيات ربي ، عز وجل** » .

وكذا رواه الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن سليم[٦] بن عامر ، عن أبي اليمان

(٥٥) – أخرجه البخاري في اللباس ، باب البرود والحبر والشملة ، حديث (٥٨١١) ، وطرفه في (٦٥٤٢) ، ومسلم في الإيمان حديث (٢١٦) من طريق ابن شهاب به .

(٥٦) – أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٤٧) ، وأطرافه في (٦٥٤٣،٦٥٥٤) ، ومسلم في الإيمان ، حديث (٢١٩) .

(٥٧) – مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٧/٧) ، وأخرجه أحمد (٢٦٨/٥) ، والترمذي في صفة القيامة ، حديث (٢٤٣٧) ، وابن ماجة في الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ حديث (٤٢٨٦) من طريق إسماعيل بن عياش به .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – في ز : « سبعين » .
[٥] – في ز : « سبعين » .
[٦] – في خ ، ز : « حكيم » .

عامر بن عبد الله بن لُحَيّ[١] عن أبي أمامة .

ورواه الطبراني ، عن عُتبَة بن عَبْدٍ السُّلَميّ : « **ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفًا** » .

وروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنماري[٢] . وله شواهد من وجوه كثيرة .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ : لم يذكر الجواب هاهنا ، وتقديره : حتىٰ إذا جاءوها ، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكرامًا وتعظيمًا ، وتلقتهم الملائكة الخَزَنة بالبشارة والسلام والثناء ، لا كما تلقىٰ الزبانيةُ الكفرة بالتثريب[٣] والتأنيب ، فتقديره : إذا كان هذا ، سَعدوا وطابوا ، وسُرّوا وفرحوا ، بقَدْر كل ما يكون لهم فيه نعيم . وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كلّ مذهب في الرجاء والأمل .

ومن زعم أن « الواو » في قوله : ﴿**وفتحت أبوابها**﴾ واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية ، فقد أبعد النجعة ، وأغرق في النزع . وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة :

قال الإمام أحمد(٥٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من أنفق زوجين** [**من ماله**][٤] **في سبيل الله ، دُعِي من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الرّيّان** » . فقال أبو بكر – رضي الله تعالىٰ عنه – : يارسول الله ، ما عَلىٰ أحد من ضرورة دُعي من أيها دُعي فهل يُدعىٰ منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ، وأرجو أن تكون منهم** » . رواه البخاري ومسلم من حديث الزهرى بنحوه .

وفيهما(٥٩) من حديث أبي حازم سلمة بن دينار ، عن سهل بن سعد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمىٰ الريان ، لا يدخله إلا الصائمون** » .

(٥٨) – المسند (٤٤٩/٢) ، وأخرجه البخاري في الصوم ، باب الريان للصائمين ، حديث (١٨٩٧) ، وأطرافه في (٢٨٤١،٣٢١٦،٣٦٦٦) ، ومسلم في الزكاة ، حديث (١٠٢٧) .

(٥٩) – أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب صفة أبواب الجنة حديث (٣٢٥٧) عن أبي حازم ، عن سهل به ، وأخرجه مسلم في الصيام حديث (١١٥٢) من حديث أبي حازم ، عن سهل بن سعد به بنحوه .

[١] – في خ ، ز : « يحيى » .
[٢] – في ت : « الأنبارى » .
[٣] – في ز : « بالريب » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وفي صحيح مسلم (٦٠) ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ الوضوء - ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء** » .

وقال الحسن بن عرفة (٦١) : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسَين ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مفتاح الجنة : لا إله إلا الله** » .

ذكر سعة أبواب الجنة

نسأل الله العظيم من فضله أن يجعلنا من أهلها .

في الصحيحين(٦٢) من حديث أبي زُرْعَة، عن أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل : « **فيقول الله : يامحمد ، أدْخِلْ مَن لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس في الأبواب الأُخَر . والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة - ما بين عضادتي الباب - لكما[١] بين مكة وهجر - أو : هجر و[٢] مكة** » . وفي رواية : « **مكة وبصرى** » .

وفي صحيح مسلم (٦٣) ، عن عُتْبَة بن غَزْوَانَ أنه خَطَبهم خطبة[٣] فقال فيها : ولقد ذُكر لنا أن : « **[ما بين][٤] مصراعين من مصاريع الجنة ، مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وَهُو كظيظ من الزحام** » .

وفي المسند(٦٤) عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله .

---

(٦٠) - صحيح مسلم في الطهارة ، حديث (٢٣٤) ، وفيه قصة .

(٦١) - أخرجه أيضًا أحمد في المسند (٥/٢٤٢) والبزار كما في كشف الأستار (١/٩) (٢) وابن عدي في الكامل (٥/٦٠) من طريق إسماعيل بن عياش به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢١) : رواه أحمد والبزار وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها .

(٦٢) - حديث طويل تقدم في الإسراء الآية (٧٩) .

(٦٣) - صحيح مسلم في الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٦٧) .

(٦٤) - المسند (٥/٣) .

---

[١] - في ز : « كما » .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال عبد بن حميد : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة** » .

وقوله : ﴿ **وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم** ﴾ أي : طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم ، كما أمر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يُنادىٰ بين المسلمين في بعض الغزوات : « **إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة** » . وفي رواية : « **مؤمنة** » .

وقوله : ﴿ **فادخلوها خالدين** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولا .

﴿ **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده** ﴾ أي : يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر ، والعطاء العظيم ، والنعيم المقيم ، والملك الكبير ، يقولون عند ذلك : ﴿ **الحمد لله الذي صدقنا وعده** ﴾ أي : الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام ، كما دعَوا في الدنيا : [﴿ **ربنا وآتنا ما وعدتنا علىٰ رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ ، ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي هَدَانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رُسُل ربنا بالحق** ﴾][١] ، ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَن إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسنا فيها لُغُوب** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **وأورَثَنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** ﴾ ، قال أبو العالية ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : أي أرض الجنة .

وهذه الآية كقوله : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ . ولهذا قالوا : ﴿ **نتبوأ من الجنة حيث نشاء** ﴾ أي : أين شئنا حللنا ، فنعم الأجر أجرُنا علىٰ عملنا !

وفي الصحيحين(٦٥) من حديث الزهري ، عن أنس في قصة المعراج ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أدخلت الجنة فإذا فيها جَنَابذُ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك** » .

وقال عبد بن حميد(٦٦) : حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة ؟ فقال : دَرْمَكَةٌ بيضاءُ مِسْكٌ خَالِص . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **صدق** » .

---

(٦٥) - ورد ذلك من طرق عن جمع من الصحابة منها حديث أبي بكر عند أحمد في المسند (١/٣) ، وحديث بشر بن سحيم عند أحمد (٤١٥/٣) والنسائي (١٠٤/٨) ، وابن ماجة (١٧٢٠) .

(٦٦) - تقدم في تفسير سورة الإسراء .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وكذا رواه مسلم(٦٧) من حديث أبي مسلمة[١] عن أبي نضرة عن أبي سعيد به .

ورواه مسلم(٦٨) عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة ، عن الجُرَيري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن ابن صائد سأل رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن تربة الجنة ، فقال : « دَرْمَكة بيضاء مسك خالص » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي بن أبي طالب -رضي اللّٰه عنه- في قوله تعالىٰ : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلىٰ الجنة زمرًا ﴾ ، قال : سيقوا حتىٰ انتهوا إلىٰ باب من أبواب الجنة ، فوجدوا[٢] عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، فعمدوا إلىٰ إحداهما فتطهروا منها ، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلم تُغير أبشارهم بعدها أبدًا ، ولم تُشْعَث أشعارهم أبدًا بعدها ، كأنما دُهنوا بالدّهان . ثم عَمَدوا إلىٰ الأخرىٰ كأنما أمِرُوا بها ، فشربوا منها ، فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى[٣] أو قذى . وتلقتهم الملائكة علىٰ أبواب[٤] الجنة : ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ . ويلقىٰ كل غلمان صاحبهم يُطيفون به ، فعْلَ الولدان بالحميم جاء من الغيبة : أبْشِرْ ، قد أعد اللّٰه لك من الكرامة كذا وكذا ، قد أعد اللّٰه لك من الكرامة كذا وكذا . قال : وينطلق غلام من غلمانه إلىٰ أزواجه من الحور العين ، فيقول : هذا فلانٌ - باسمه في الدنيا - فيقلن : أنت رأيته ؟ فيقول : نعم . فيستخفهن الفَرَح حتىٰ تخرج إلىٰ أُسْكُفَّة الباب . قال : فيجيء فإذا هو بنمارق مصفوفة ، وأكواب موضوعة ، وزرابي مبثوثة . قال : ثم ينظر إلىٰ تأسيس بنيانه ، فإذا هو قد أسس علىٰ جندل اللؤلؤ ، بين أحمر وأخضر وأصفر ، ومن كل لون . ثم يرفع [طرفه إلىٰ سقفه][٥] ، فلولا أن اللّٰه قَدّره[٦] له ، لألَمّ أن يذهب ببصره ، إنه لمثل البرق . ثم ينظر إلىٰ أزواجه من الحور العين ، ثم يتكئ علىٰ أريكة من أرائكه ، ثم يقول : ﴿ الحمد للّٰه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّٰه ﴾ ... الآية .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ، حدثنا مسلمة[٧] بن جعفر البجلي قال[٨] : سمعت أبا معاذ البصري يقول[٩] : إن عليًا رضي اللّٰه عنه كان ذات يوم

(٦٧) - المنتخب (٨٧٦) ، وأخرجه مسلم في الفتن ، حديث (٢٩٢٨) (٩٢) .

(٦٨) - صحيح مسلم في الفتن ، حديث (٢٩٢٨) (٩٣) .

[١] - في خ ، ز : « سلمة » .

[٢] - في ز : « وجدوا » .

[٣] - في ز : « الأذى » .

[٤] - في ز : « باب » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « قدر » .

[٧] - في خ ، ز : « سلمة » .

[٨] - سقط من : ز .

[٩] - سقط من : ز .

عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يُستقبَلون – أو[١] : يُؤْتَونَ – بنُوق لها أجنحة ، وعليها رحال الذهب ، شراك نعالهم نور يتلألأ ، كل خطوة منها مَدّ البصر ، فينتهون إلىٰ شجرة ينبع[٢] من أصلها عينان ، فيشربون من إحداهما فيَغسَل ما في بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرىٰ فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها[٣] أبدًا ، وتجري عليهم نضرة النعيم ، فينتهون – أو : فيأتون – باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء علىٰ صفائح الذهب ، فيضربون بالحلقة علىٰ الصفيحة ، فيسمع[٤] لها طنين يا عليّ ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبعث قَيّمها فيفتح له ، فإذا رآه خرّ له – قال مسلمة[٥] : أراه قال : ساجدًا – فيقول : ارفع رأسك ، فإنما أنا قَيّمك ، وكلت بأمرك . فيتبعه ويقفو أثره ، فتستخف[٦] الحوراءَ العجلةُ ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتىٰ تعتنقه ، ثم تقول : أنت حبي ، وأنا حبّك ، وأنا الخالدة التي لا أموت ، وأنا الناعمة التي لا أبأس ، وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا المقيمة التي لا أظعن ، فيدخل بيتًا من أسّه إلىٰ سقفه مائة ألف ذراع ، بناؤه علىٰ جندل اللؤلؤ ، طرائق أصفر وأخضر وأحمر ، ليس فيها طريقة تشاكل صاحبتها ، في البيت سبعون سريرًا ، علىٰ كل سرير سبعون حَشِيَّة ، علىٰ كل حشية سبعون زوجة ، علىٰ كل زوجة سبعون حلة ، يرىٰ مُخ ساقها من باطن الحُلَل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه . الأنهار من تحتهم تَطّرد ، أنهار من ماء غير آسن – قال : صاف ، لا كَدَر فيه – ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه – قال : لم يخرج من ضروع الماشية – ، وأنهار من خمر لذة للشاربين – قال : لم تعصرها الرجال بأقدامهم – ، وأنهار من عسل مصفى – قال : لم يخرج من بطون النحل – . يستجني الثمار ، فإن شاء قائمًا ، وإن شاء قاعدًا ، وإن شاء متكئًا – ثم تلا : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا ﴾ فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض – قال : وربما قال : أخضر . قال : – فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها ، أيّ الألوان شاء ، ثم [يطير فيذهب][٧] ، فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم ، تلكم الجنة [ ][٨] أورثتموها بما كنتم تعملون . ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في[٩] الأرض ، لأضاءت الشمس معها سوادًا[١٠] في نور** » .

هذا حديث غريب . وكأنه مرسل، والله أعلم .

---

[١] – سقط من : ز .

[٢] – في ز : « ينبت » .

[٣] – في ز : « بعده » .

[٤] – في خ ، ز : « فلو تسمع » .

[٥] – في خ : « سلمة » .

[٦] – في ز : « فيستخف » .

[٧] – ما بين المعكوفتين في ز : «تطير فتذهب» .

[٨] – ما بين المعكوفتين في ز : « التي » .

[٩] – في ت : « لأهل » .

[١٠] – في ز : « سوّا » .

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

لما ذكر تعالى حكمه[١] في أهل الجنة والنار وأنه نزل كلًّا في المحل الذي يليق به ويصلح له ، وهو العادل في ذلك الذي لا يجور ، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد ، يسبحون بحمد ربهم ، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور ، وقد[٢] فصل القضية ، وقضىٰ الأمر ، وحكم بالعدل . ولهذا قال : ﴿ **وقُضي بينهم** ﴾ أي : بين الخلائق ﴿ **بالحق** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ أي : ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين ، بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلىٰ قائل بل أطلقه ، فدل[٣] علىٰ أن جميع المخلوقات شَهِدَت له بالحمد .

قال قتادة : افتتح الخلق بالحمد في قوله : ﴿ **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض** ﴾ ، واختتم بالحمد في قوله : ﴿ **وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

آخر تفسير سورة الزمر ، ولله الحمد.

☆ ☆ ☆

---

[١] - في خ: « محكمه »، وفي ز: «بحكمه» . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « فقال » .

تفسير سورة المؤمن

وهي مكية

قد كره بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - أن يقال : « **الحواميم** » ، وإنما يقال : « **آل حم** »[(١)] .

قال عبد الله بن مسعود : « **آل حم** » ديباج القرآن [(٢)] .

وقال ابن عباس : إن لكل شيء لبابًا ، ولُبَاب القرآن : « **آل حم** » ، أو قال : الحواميم [(٣)] .

قال مسعر بن كدام : كان يقال لهن : « **العرائس** » .

روىٰ ذلك كله الإمام العَلَمُ أبو عُبَيد القاسم بن سلام رحمه الله ، في كتاب « فضائل القرآن»[(٤)] .

وقال حُمَيد بن زَنْجويه : حدثنا عبيد الله بن موسىٰ ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ؛ قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلًا ، فمر بأثر غيث ، فبينما هو يسير فيه ويتعجب ، إذ هبط على روضات دمثات ؛ فقال : عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب . فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات ، مثل آل حم في القرآن . أورده البغوي[(٥)] .

وقال ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب : إن الجَرَّاح بن أبي الجرّاح حَدّثه عن ابن عباس ، قال : لكل شيء لباب ، ولُباب القرآن الحواميم[(٦)] .

---

(١) - رواه أبو عبيد القاسم بن سلاَّم فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٦) بإسناد صحيح إلى ابن سيرين .

(٢) - رواه أبو عبيد فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٥) ثنا الأشجعى ، والحاكم (٢/٤٣٧) وعنه البيهقى فى «الشعب» (٢/٢٤٧١) من طريق الحميدى ، كلاهما (الأشجعى ، والحميدي) ثنا سفيان - مقرونًا به حبيب عند البيهقى - عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد عنه به ، وسكت عنه الحاكم والذهبى ، ومجاهد لم يسمع من ابن مسعود ، كما قال أبو زرعة وغيره . راجع « جامع التحصيل » (ص٢٧٣/ ت : ٧٣٦) والخبر زاد نسبته السيوطى فى « الدر المنثور » (٥/٦٤٣) إلى ابن الضريس وابن المنذر .

(٣) - رواه أبو عبيد (ص٢٥٥) ثنا الأشجعى ، عن مسعر بن كدام قال : بلغنى أنهنَّ كُنَّ يسمين العرائس . ورواه الدارمى (٢/٤٥٨) ثنا جعفر بن عون ، عن مسعر ، عن سعد بن إبراهيم به . وهذا إسناد صحيح ، وقد زاد نسبته السيوطى (٥/٦٤٤) إلى محمد بن نصر .

(٤) - إسناده صحيح . وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٥/٦٤٣) إلى محمد بن نصر ، وحميد بن زنجويه.

(٥) - رواه أبو عبيد فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٤) ثنا أبو الأسود ، عن ابن لهيعة به ، وابن لهيعة سيء الحفظ .

(٦) - رواه أبو عبيد فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٥) ثنا حجاج بن المسعودى ، عن أبى إسحاق ، عن =

وقال ابن مسعود: إذا وقعت في «آل حم» فقد[١] وقعت في روضات أتأنق فيهن.

وقال أبو عبيد(٧) : حدثنا الأشجعي، حدثنا مسعر - هو ابن كدَام - عمن حدثه؛ أن رجلًا رأى أبا الدرداء يبني مسجدًا فقال له: ما هذا؟ فقال: أبنيه من أجل «آل حم».

وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء، هو المسجدَ المنسوب إليه داخل قلعة دِمَشق.

وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وُضع له، فإن هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في بعض الغزوات: «**إن بيّتم الليلة فقولوا: حم، لا ينصرون**» وفي رواية: «**لا تنصرون**»(٨).

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٩) : حدثنا أحمد بن الحكم [بن ظبيان][٢] بن خلف المازني، ومحمد بن الليث الهمداني؛ قالا: حدثنا موسى بن مسعود، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، عن زرارة بن مصعب، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ آية الكرسيّ وأولَ حم المؤمن، عُصِمَ ذلك اليوم من كل سوء**». ثم قال: لا نعلمه يُروَى إلا بهذا الإسناد.

ورواه الترمذي من حديث المليكي، وقال: تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾

أما الكلام على[٣] الحروف المقطعة فقد تقدم في أول «**سورة البقرة**» بما أغنى عن إعادته هاهنا. وقد قيل: إن ﴿**حم**﴾ اسم من أسماء الله -عز وجل- وأنشدوا في ذلك بيتًا:

= أبي عبيدة قال: قال عبد الله: فذكره وإسناده ضعيف لاختلاط المسعودي، ولانقطاع بين أبي عبيدة وأبيه عبدالله، وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٦٤٣/٢) إلى محمد بن نصر، وابن المنذر.

(٧) - في «فضائل القرآن» (ص ٢٥٥) وإسناده منقطع.

(٨) - يأتي تخريجه (رقم: ١٠).

(٩) - وعزاه السيوطي أيضًا في «الدر المنثور» (٦٤٤/٢) إلى محمد بن نصر وابن مرويه، وقد رواه الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٧٩) - ومن طريقه أورده المصنف في تفسير سورة البقرة /٢٥٥) - والطبراني ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٩/ت ١٩٧٩) - والدارمي (٢٣٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٧٤/٢)، والبغوي في «شرح =

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٣] - في ت: «عن».

يُذَكِّرُني حَاميمَ والرمحُ[١] شَاجِرٌ فهلَّا تلا حاميم قبل التقدم

وقد ورد في[٢] الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي(١٠) ، من حديث الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن المهلب بن أبي صُفْرَة ؛ قال[٣] : حدثني من سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إن بيّتم الليلة فقولوا : حم ، لا ينصرون** » . وهذ إسناد صحيح .

واختار أبو عبيد(١١) أن يُروَىٰ : « **فقولوا : حم ، لا ينصروا** » ، أي : إن قلتم ذلك لا ينصروا . جعله جزاء لقوله : « **فقولوا** »[٤] .

وقوله : ﴿ **تنزيل الكتاب من اللّٰه العزيز العليم** ﴾ أي : تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن - من اللّٰه ذي العزة والعلم ، فلا يرام جنابه ، ولا يخفىٰ عليه الذر وإن تكاثف حجَابه .

وقوله : ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب** ﴾ أي : يغفر ماسلف من الذنب ، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخَضَع لديه .

وقوله : ﴿ **شديد العقاب** ﴾ أي : لمن تمرد وطغىٰ وآثر الحياة الدنيا ، وعتا عن[٥] أوامر اللّٰه ، وبغىٰ . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **نبئ عبادى أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن ، ليبقىٰ العبد بين الرجاء

= السنة » (١١٩٨/٤) من طريق عبد الرحمن بن أبى بكر به . وقال الترمذى : « هذا حديث غريب ، وقد تكلّم بعض أهل العلم فى عبد الرحمن بن أبى بكر ابن أبى مُليكة المليكى من قبل حفظه ... فضعفه ابن معين ، وقال أبو حاتم : ليس بقوى فى الحديث ، وقال النسائى : ليس بثقة ، وقال أحمد : منكر الحديث ، وقال ابن عدى : « لا يُتابع فى حديثه ، وهو فى جملة من يكتب حديثه » .

(١٠) - رواه أحمد (٦٥/٤) ، (٣٧٧/٥) ، وأبو داود (٢٥٩٧) ، والترمذى (٢٦٨٢) وأبو عبيد القاسم بن سلاّم فى « فضائل القرآن » (ص٢٥٤) وابن الجارود فى « المنتقى » (١٠٦٣) والحاكم (١٠٧/٢) من طريق سفيان الثورى به . ورواه النسائى فى « الكبرى » (١٠٤٥٣/٦) من طريق شريك بن عبد الله ، والنسائى أيضًا والحاكم من طريق زهير بن معاوية كلاهما (شريك وزهير) عن أبى إسحاق به . وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى !! ولم يرويا للمهلب بن أبى صفرة وهو ثقة ، ومن دونه ثقات ، والثورى من أثبت الناس فى أبى إسحاق ، فالإسناد صحيح كما قال المصنف ، وقد رواه أحمد (٢٨٩/٤) وغيره من طريق الأجلح الكندى ، عن أبى إسحاق ، عن البراء به ، بلفظ : « **إنكم ستلقون العدو غدًا** ، **وإن شعاركم حم لا ينصرون**» وأعله النسائى بالأجلح فقال : « الأجلح ليس بالقوى ، وكان مسرفًا فى التشيع » وتابعه شيبان عند النسائى أيضًا (١٠٤٥١/٦) لكن فيه عنعنة الوليد بن مسلم ، وسوء حفظ هشام بن عمار . فالمعوَّل على الإسناد الأول ، والله الموفق .

(١١) - فضائل القرآن (ص٢٥٤) .

---

[١] - في ز : « الريح » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « على » .

والخوف .

وقوله : ﴿ذى الطول﴾ قال ابن عباس : يعنى السعة والغنى . وكذا قال مجاهد وقتادة .

وقال يزيد بن الأصم : ﴿ ذي الطول ﴾ يعني : الخير الكثير .

وقال عكرمة : ﴿ذى الطول﴾ : ذى المن : وقال قتادة : ذى النعم والفواضل .

والمعنىٰ : أنه المتفضل علىٰ عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه[١] من المنَن والإنعام ، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ، ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...﴾ الآية .

وقوله : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ أي : لانظير له في جميع صفاته ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه ﴿ إليه المصير ﴾ أي : إليه المرجع والمآب ، فيجازي كل عامل بعمله ، ﴿ وهو سريع الحساب ﴾ .

وقال أبو بكر بن عياش(١٢) : سمعت أبا إسحاق السبيعي ؛ يقول[٢] : جاء رجل إلىٰ عمر ابن الخطاب ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني قَتَلْتُ ، فهل لي من توبة ؟ فقرأ عليه : ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ ، وقال : اعمل ولا تيأس . رواه ابن أبي حاتم - واللفظ له - وابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم(١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن مروان الرَّقِّي ، حدثنا عمر - يعني ابن أيوب - أخبرنا جعفر بن بَرْقان ، عن يزيد بن الأصم ؛ قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس ، وكان يفد[٣] إلىٰ عمر بن الخطاب ، ففقده عمر فقال : ما فعل فلان بن فلان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ يتابع في هذا الشراب . قال[٤] : فدعا عمر كاتبه ، فقال : اكتب : من عمر ابن الخطاب إلىٰ فلان بن فلان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير. ثم قال لأصحابه : ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبِلَ بقلبه ، وأن[٥] يتوب عليه . فلما بلغ الرجل كتابُ عمر جعل يقرؤه

(١٢) - رواه ابن جرير (٤١/٢٤) وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٤٥/٥) إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وفى إسناده جهالة .

(١٣) - ورواه أبو نعيم فى « الحلية » (٩٧/٤) - ومن طريقه أورده المصنف فى « مسند الفاروق » (٥١٧/٢) - من طريق كثير بن هشام ، ثنا جعفر بن برقان به ، وقال المصنف فى « مسند الفاروق » : « إسناده جيد ، وفيه انقطاع » يعنى : بين يزيد الأصم ، وعمر بن الخطاب . وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٤٥/٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد .

[١] - سقط من : خ ، ز.
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ، ز : « يوفد » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : خ .

ويردده ، ويقول : غافر الذنب ، وقابل التوب ، [شديد العقاب][١] ، قد حذرني عقوبته ، ووعدني أن يغفر لي .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان ، وزاد : فلم يزل يُردِّدها علىٰ نفسه ، ثم بكىٰ ، ثم نَزَع فأحسن النَّزع . فلما بلغ عمرَ خبرُه قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاكم زَلّ زلّةً فسددوه ووفقوه ، وادعوا اللّه له[٢] أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه .

وقال ابن أبي حاتم (١٤) : حدثنا عمر بن شَبَّة[٣] ، حدثنا حماد بن واقد - أبو عُمَر الصفّار - حدثنا ثابت البناني ، قال : كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطًا أصلي ركعتين ، فافتتحت : حم المؤمن ، حتىٰ بلغت : ﴿ **لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾ فإذا رجل خلفي علىٰ بغلة شهباء عليه مُقَطَّعات يمنية ، فقال : إذا قلت : ﴿ **غافر الذنب** ﴾ فقل : يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي . وإذا قلتَ[٤] : ﴿ **قابل التوب** ﴾ ، فقل: يا قابل التوب ، اقبل توبتي . وإذا قلتَ : ﴿ **شديد العقاب** ﴾ ، فقل : يا شديد العقاب ، لا تعاقبني . قال : فالتفت فلم أر أحدًا ، فخرجت إلىٰ الباب فقلت : مَرّ بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا : ما رأينا أحدًا . فكانوا[٥] يُرَوْن أنه إلياس .

ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه . وليس فيه ذكر إلياس .

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ : ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان ﴿ **إلا الذين كفروا** ﴾ أي : الجاحدون لآيات اللّه وحججه وبراهينه ، ﴿ **فلا يغررك تقلبهم في البلاد** ﴾ أي : في

(١٤) - إسناده ضعيف ، لضعف حمّاد بن واقد ، وزاد نسبته السيوطي في الدر (٢/٦٤٦) إلى ابن أبي شيبة.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « شعبة » .
[٤] - في خ : « بلغت » .
[٥] - في ز : « فكانوا » .

أموالهم ونعيمها وزهرتها ، كما قال : ﴿ **لايغرنَّك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مسليًا لنبيه محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء ، فإنه قد كذبتهم[١] أممهم وخالفوهم ، وما آمن بهم منهم إلا قليل ، فقال : ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح** ﴾ ، وهو أول رسول بَعَثه اللَّه ينهىٰ عن عبادة الأوثان ، ﴿ **والأحزاب من بعدهم** ﴾ أي : من كل أمة ، ﴿ **وهمَّت كل أمة برسولهم ليأخذوه** ﴾ أي : حرصوا علىٰ قتله بكل ممكن ، ومنهم من قتل رسوله ، ﴿ **وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾ أي : مَاحَلُوا بالشبهة[٢] ليردوا الحق الواضح الجلي .

وقد قال أبو القاسم الطبراني(١٥) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا معتمر بن سليمان ؛ قال[٣] : سمعت أبي يحدث عن حَنَش[٤] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **من أعان باطلًا ليدحض بباطله حقًّا ، فقد برئت منه ذمة اللَّه ، وذمة رسوله** » .

(١٥) - « المعجم الكبير » للطبراني (١١٥٣٩/١١) ، ورواه الحاكم فى « المستدرك » (١٠٠/٤) ثنا محمد ابن جعفر الخلدى ، ثنا على بن عبد العزيز به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بأن « حنش الرحبى ، ضعيف » وقد رواه الطبرانى فى « الصغير » (٨٢/١) وفى « الأوسط » (٣/ ٢٩٤٤) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٢٤٨/٥) من طريق إبراهيم بن محمد بن الحسن بن متويه ، ثنا سعيد بن رحمة المصيصى ، قال : ثنا محمد بن حِمير ، عن إبراهيم بن أبى عبلة ، عن عكرمة به . وزاد فيه : « ومن أكل درهمًا من ربا فهو مثلُ ثلاث وثلاثين زنيةً ، ومن نبت لحمُه من السُّحت فالنار أولى به » . ورواه ابن حبان فى « المجروحين » (٣٢٤/١) ثنا أحمد بن عمير ثنا سعيد به مفرقًا . وقال الطبرانى : « لم يروه عن إبراهيم إلا محمد ، ولا رواه عن محمد بن حمير إلاّ سعيد » وهو ضعيف ، قال ابن حبان : « لا يجوز الاحتجاج به لمخالفته الأثبات فى الروايات » وبه أعله الهيثمى فى « المجمع » (١٢٠/٤) ، (٢٠٨/٤) ورواه الطبرانى أيضًا (١١٢١٦/١١) من طريق أبى محمد الجزرى - وهو حمزة النصيبى - عن عمرو بن دينار عن ابن عباس به ضمن حديث طويل ، وذكره من هذا الوجه الهيثمى فى « المجمع » (٢١٤/٥ ، ٢١٥) وقال : « رواه الطبرانى وفيه أبو محمد الجزرى - حمزة - ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » والجزرى هذا هو حمزة بن أبى حمزة النصيبى ، تركه النسائى والدارقطنى ، وقال ابن معين : « ليس حديثه بشيء » ،وقال البخارى وأبو حاتم : « منكر الحديث » وقال ابن عدى : « عامة ما يرويه مناكير ، موضوعة ، والبلاء منه » - راجع « التهذيب » وله طريق آخر رواه الخطيب فى « تاريخ بغداد » (٧٦/٦) - ومن طريقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١٢٧٢/٢) - من طريق إبراهيم بن زياد القرشى عن خُصيف عن عكرمة به ، وقال الخطيب: « إبراهيم بن زياد ، فى حديثه نكارة » ، وقال يحيى بن معين : « لا أعرفه » . وقال البخارى فى=

[١] - في خ : « كذبهم » .
[٢] - في ز : « بالسنة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ز : « حنيش » .

وقوله : ﴿ فأخذتهم ﴾ أي : أهلكتهم على ماصنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام ، ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ أي : فكيف بلغك عذابي لهم ، ونكالي بهم ؟ قد كان شديدًا موجعًا مؤلما .

قال قتادة : كان والله شديدًا .

وقوله : ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ أي : كما حقت كلمةُ العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة ، كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يامحمد بطريق الأولى والأحرى ؛ لأن من كذبك[١] فلا وثوق له بتصديق غيرك .

ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من[٢] الكروبيين ، بأنهم ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ ، أي : يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص ، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ، ﴿ ويؤمنون به ﴾ أي : خاشعون له أذلاء بين يديه ، وأنهم ﴿ يستغفرون للذين آمنوا ﴾ أي : من أهل الأرض ممن آمن بالغيب ، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب ، [ولما كان هذا من سجايا الملائكة - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يُؤمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب][٣] ، كما ثبت في

= « التاريخ الكبير» (٢٨٧/١) عن إسناد آخر من طريق إبراهيم هذا : « لم يصح إسناده » وقد جهله الذهبى في «الميزان» (٣٢/١) فهذه طرق ضعيفة لا يتقوى الحديث بها ، ومع هذا فقد رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى حديث رقم (١٠٢٠) من « الصحيحة » !! .

[١] - في ز : « كذّب بك » .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

صحيح مسلم : « **إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ، ولك بمثل**[١] »(١٦) .

وقد قال الإمام أحمد(١٧) : حدثنا عبد الله بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا عبدة ابن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية في شيء من شعره فقال :

رَجُلٌ[٢] وَثَورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينه   وَالنَّسْرُ[٣] للأُخْرَىٰ ، وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **صدق** » ، فقال :

وَالشمسُ تَطلعُ كلَّ آخر لَيْلَةٍ   حَمْراءَ يُصبحُ لَونُها يَتَوَرَّدُ[٤]

تأبى فما تطلع لنا في رسلها   إلا معذبة وإلا تجلد

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **صدق** » . وهذا إسناد جيد . وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة [كانوا ثمانية][٥] ، كما قال تعالى : ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ .

وهنا سؤال ، وهو أن يقال : ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث ؟ وبين الحديث الذي رواه أبو داود (١٨) :

(١٦) - رواه مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : فضل الدعاء للمسلمين بظهرالغيب (٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧) (٢٧٣٢ ، ٢٧٣٣) من حديث أبي الدرداء .

(١٧) - « المسند » (٢٥٦/١) (رقم : ٢٣١٤) وكذا رواه عبد الله بن أحمد عن عبد الله بن محمد به . وكذا رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم : ٥٧٩) وأبو يعلى في « مسنده » (٢٤٨٢/٤) عن ابن أبي شيبة به - مقرونًا به عبد الله بن عمر بن أبان عند أبي يعلى - ورواه الدارمي (٢٧٠٦) وابن خزيمة في « التوحيد » (١١١/١/ ص٢٠٤) من طريق محمد بن عيسى ، ثنا عبدة به ، ورواه ابن خزيمة (١١١/١/ ص٢٠٢، ٢٠٣) وعبد الله بن أحمد (١١٦٩/٢) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٧٧١/٢) من طرق عن محمد بن إسحاق به والحديث ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٣/١) وقال : « حديث صحيح الإسناد ، رجاله ثقات » وجوَّد إسناده ههنا ، وأعلَّه الهيثمي في « المجمع » (١٣٠/٨) ومن بعده أبو عبد الرحمن الألباني في « تحقيق السنة » بعنعنة ابن إسحاق ، غير أنه متابع فقد رواه ابن خزيمة (١/رقم : ١١٣) ثنا أبو هشام زياد بن أيوب ثنا إسماعيل بن علية ثنا عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس فذكر القصة ، وهذا إسناد صحيح والله الموفق .

(١٨) - « السنن » لأبي داود ، كتاب : السنة ، باب : الجهمية (٤٧٢٣) - ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات » (٨٤٧/٢) - ورواه أحمد (٢٠٧/١) وابن ماجه في « السنن » (١٩٣) ،والعقيلي في «الضعفاء» (٢٨٤/٢) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد)) (٦٥١/٣) من طريق محمد بن الصباح به ورواه =

[١] - في ت : « بمثله » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « واليسر » .

[٤] - في خ ، ز : « يتردد » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن عبد اللّه بن عَميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فمرت بهم سحابة ، فنظر إليها فقال : « **ماتسمون هذه ؟** » قالوا : السحاب . قال: « **والمزن** » قالوا: والمزن . قال : « **والعَنَان** » . قالوا : والعنان - قال أبو داود : ولم أتقن العنان جيدًا - قال : « **هل تدرون بُعد ما بين السماء والأرض ؟** » . قالوا : لا ندري . قال : « **بُعد ما بينهما إما واحدة ، أو اثنتان[١] ، أو ثلاث[٢] وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك** - حتىٰ عَدّ سبع سماوات - **ثم فوق السماء السابعة بحر ، بين[٣] أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلىٰ سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية**

= لوين - ومن طريق ابن الجوزى فى « المتناهية » (١/رقم ٦) والآجرى فى « الشريعة » (٢/٧٠٦ ، ٧٠٧) والمزى فى « تهذيب الكمال » (١٥/٣٤٦٦) مقرونا بـ (« لوين » عباد بن يعقوب ، ومن طريق الأخير رواه عثمان بن أبى شيبة فى « كتاب العرش » (رقم : ٩) والبزار (٤/١٣١٠/ البحر الزخار) وابن خزيمة فى « التوحيد » (١/١٤٥) كلاهما حدثنا الوليد بن أبى ثور به .

ورواه أحمد (١/٢٠٧) وابن أبى شيبة (رقم : ٩) والدارمى فى « الرد على الجهمية » (رقم ٢٤) من طرق عن الوليد به وأعله ابن الجوزى فقال : « قال ابن نمير ويحيى بن معين ، الوليد ليس بشيء ، وقال ابن نمير - فى رواية - هو كذاب ، وقال أحمد والنسائى : ضعيف » والوليد ضعيف كما قال : لكنه لم ينفرد ، فقد تابعه :

١ - عمرو بن أبى قيس : - وهو صدوق له أوهام - رواه أبو داود (٤٧٢٤) ، والترمذى (٣٣٢٠) ، والبزار (٤/١٣٠٩) وابن خزيمة فى « التوحيد » (١/١٤٤) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (١/ح ٥٧٧) ، والرويانى (٢/١٣٢٩) ، وأبو الشيخ فى « العظمة » (٢/رقم ٢٠٤) (١٠/٥٦٨) واللالكائى (٣/٦٥٠) .

٢ - إبراهيم بن طهمان : وهو ثقة إمام - والحديث فى مشيخته (رقم : ١٨) ومن طريقه رواه أبو داود (٤٧٢٥) والآجرى (٢/٧٠٨) ، والبيهقى (٢/٨٨٢) .

٣ - عمرو بن ثابت : وهو ضعيف عند أبى نعيم فى أخبار أصبهان (٢/٢) والرويانى (٢/١٣٣٠) ثلاثتهم (العَمْران وإبراهيم) عن سماك به وأعله البزار فقال : « هذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا الكلام ، وهذا اللفظ إلاَّ من هذا الوجه عن العباس عن النبى - ﷺ - وعبد الله بن عَميرة لا نعلم روى عنه إلاَّ سماك بن حرب» وأعله بجهالة عبد الله الذهبى فقال : « العلو » (ص ٥٠) « تفرد به سماك عن عبد الله ، وعبد الله فيه جهالة» وزاد البخارى : « التاريخ الكبير » (٥/٤٩٤) - « ولا يعلم له سماع من الأحنف)) مع هذا فقد مال ابن القيم فى « تهذيب السنن » (٧/٩٢) ومن قبله شيخه ابن تيمية فى « مجموع الفتاوى » (٣/١٩٢) إلى تصحيحه وحسنه أبو عيسى الترمذى !! ولذلك تعقبهم أبو عبد الرحمن الألبانى ، فانظر « الضعيفة » (٣/ ١٢٤٧) ، ورواه عبد الرزاق - ومن طريقه أحمد (١/٢٠٦) ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة (رقم ١٠٠) وأبو يعلى فى « مسنده » (١٢/٦٧١٣) والحاكم (٢/٣٧٨ ، ٥٠١) وابن الجوزى فى « المتناهية » (١/ رقم ٥) عن يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد ، قال : حدثنى سماك بن حرب به ، لكنه أسقط الأحنف ابن قيس وقال فى لفظه : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ... » وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم =

[١] - في ز : « اثنتين » .

[٢] - في ز : « ثلاثة » . [٣] - في خ ، ز : « ماء » .

أوْعَال ، بين أظلافهن ورُكَبهن مثل مابين سماء إلىٰ سماء ، ثم علىٰ ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء إلىٰ سماء ، ثم اللَّه - عز وجل - فوق ذلك » ؟ ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، من حديث سماك بن حرب ، به . وقال الترمذي : حسن غريب .

وهذا يقتضي أن حملة العرش ثمانية ، كما قال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية ، أربعة يقولون : « سبحانك اللّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ حلمك بعد علمك » . وأربعة يقولون : [« سبحانك اللّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ عفوك بعد قدرتك » .

ولهذا][١] يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا: ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا ﴾ أي : إن رحمتك تَسَع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم ، ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ أي : فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه ، واتبعوا ما أمرتهم به ، من فعل الخيرات وترك المنكرات ، ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ أي : وزحزحهم عن عذاب الجحيم ، وهو العذاب الموجع الأليم . ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي : اجمع[٢] بينهم وبينهم ، لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة ، كما قال : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ أي : ساوينا بين الكل في المنزلة ، لتقر أعينهم ، وما نقصنا العالي حتىٰ يساوي الداني ، بل رفعنا الناقص في العمل ، [فساويناه بكثير العمل][٣] ، تفضلًا منا[٤] ومنة .

قال سعيد بن جبير (١٩) : إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه ، وأين هم ؟

= يخرجاه » ووافقه الذهبى !! مع أن يحيى بن العلاء متهم بالوضع ، فقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا يصح ، قال بعض الحفاظ : تفرد به يحيى بن العلاء . قال أحمد : هو كذاب يضع الحديث ، وقال يحيى : ليس بثقة ، وقال الفلاس : متروك الحديث . وقال ابن عدى : أحاديثه موضوعات ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به » .

ورواه الحاكم (٣٧٨/٢ ، ٥٠١) وأشار إلى هذه الرواية الترمذى - من طريق شريك عن سماك به موقوفًا على العباس مختصرًا جدًا ، ومع ضعف شريك - وهو القاضى - وجهالة ابن عميرة وعدم سماعه من الأحنف ، فقد صححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى !! ورواه أبو الشيخ (٢٠٥/٢) من طريق أبى خالد الدالانى عن سماك عن ابن عميرة عن الأحنف عن النبى صص وهذا مرسل والدالانى : « صدوق يخطئ كثيرًا ويدلس » كذا وصفه ابن حجر فى « التقريب » وعليه فلا يصح الحديث من جميع وجوهه ولله الأمر .

(١٩) - تقدم تخريجه فى سورة الرعد .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « الجمع » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

فيقال : إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل . فيقول : إني إنما عملت لي ولهم . فيُلحقون به في الدرجة ، ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية : ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ .

قال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخير (٢٠) : أنصحُ عبادِ الله للمؤمنين الملائكةُ ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم** ﴾ . وأغشُّ عباد الله للمؤمنين الشياطينُ .

وقوله : ﴿ **إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ أي : الذي لا يمانع ولا يغالب ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الحكيم في أقوالك وأفعالك ، من شرعك وقَدَرك .

﴿ **وقهم السيئات** ﴾ أي: فعلها أو وَبَالها ممن وقعت منه، ﴿ **ومن تق السيئات يومئذ** ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ **فقد رَحمته** ﴾ أي : لطفت به ونَجَّيته من العقوبة ، ﴿ **وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار : إنهم يُنادَون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون ، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قِبَلَ لأحد به ، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض ، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة ، التي كانت سَبَبَ دخولهم إلىٰ النار : فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارًا عاليًا ، نادوهم نداء بأن[١] مقت الله لهم في الدنيا - حين كان يُعرَض عليهم[٢] الإيمان ، فيكفرون - أشدُّ من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة .

(٢٠) - إسناده صحيح إلى مطرف ، وقد رواه ابن جرير (٤٦/٢٤) .

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .

قال قتادة في قوله : ﴿ **لمقت اللّٰه أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تُدعَون إلىٰ الإيمان فتكفرون** ﴾ يقول : لمقتُ اللّٰه أهلَ الضلالة حين عُرِض عليهم الإيمان في الدنيا ، فتركوه وأبواْ أن يقبلوه ، أكبرُ مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب اللّٰه يوم القيامة .

وهكذا قال الحسن البصري ، ومجاهد ، والسدي ، وذر بن عبد[١] اللّٰه الهَمْداني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وابن[٢] جرير الطبري ، رحمهم اللّٰه .

وقوله : ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ قال الثوري(٢١) : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود : هذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **كيف تكفرون باللّٰه وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ﴾ . وكذا قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، وأبو مالك . وهذا هو الصواب الذي لاشك فيه ولا مرية .

وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة .

وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم [ثم أحياهم][٣] يوم القيامة .

وهذان القولان - من السدي ، وابن زيد - ضعيفان ، لأنه يلزمهما علىٰ ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات . والصحيح قول ابن مسعود، وابن عباس ومن تابعهما . والمقصود من هذا كله : أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي اللّٰه - عز وجل - في عَرَصات القيامة ، كما قال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ ، فلا يجابون . ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ، ونظروا إلىٰ مافيها من العذاب والنَّكال ، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة ، فلا يجابون ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُدوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ . فإذا دخلوا النار وذاقوا مَسها وحسيسها ومقامعها وأغلالها ، كان سُؤالهم للرجعة أشد وأعظمَ ، ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أو لم**

(٢١) - رواه ابن جرير (٤٧/٢٤) من طريق عبد الرحمن بن مهدى ثنا سفيان به ، ورواه الفريابى كما فى «الدر المنثور» (٦٥٠/٢) - ومن طريقه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٤٣/٩ ٩٠) - والحاكم فى «المستدرك» (٣٤٧/٢) من طريق إسرائيل أنبأ أبو إسحاق به ، وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، وأعله الهيثمي فى « المجمع » (١٠٥/٧) بشيخ الطبرانى !! وهو متابع من غير واحد والخبر عزاه السيوطى أيضًا فى « الدر المنثور » إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

[١] - في خ ، ز : « عبيد » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

نُعمِّركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ . ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإن ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال ، وقدموا بين يدي كلامهم مُقدمة ، وهي قولهم : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ أي : قدرتك عظيمة ، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتًا ، ثم أمتنا ثم أحييتنا ، فأنت قادر علىٰ ما تشاء ، وقد[١] اعترفنا بذنوبنا ، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا ، ﴿ فهل إلىٰ خروج من سبيل ﴾ أي : فهل أنت مجيبنا [إلىٰ أن تعيدنا][٢] إلىٰ الدار الدنيا ؟ فإنك قادر علىٰ ذلك ، لنعمل غير الذي كنا نعمل ، فإن عدنا إلىٰ ما كنا فيه فإنا ظالمون . فأجيبوا : أن لا سبيل إلىٰ عودكم ومرجعكم إلىٰ الدار الدنيا . ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولاتقتضيه بل تَجْحَده وتنفيه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ ذلكم بأنه إذا دُعي اللّٰه وحده كفرتم وإن يُشرك به تؤمنوا ﴾ أي : أنتم هكذا تكونون ، وإن رددتم إلىٰ الدنيا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ وقوله : ﴿ فالحكم للّٰه العلي الكبير ﴾ أي : هو الحاكم في خلقه ، العادل الذي لايجور ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، ويرحم[٣] من يشاء ، ويعذب من يشاء ، لا إله إلا هو .

وقوله : ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ أي : يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العُلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة علىٰ كمال خالقها و مبدعها ومنشئها ، ﴿ وينزل لكم من السماء رزقًا ﴾ ، وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس ، من اختلاف ألوانه وطعومه ، وروائحه وأشكاله وألوانه ، وهو ماء واحد ، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء ، ﴿ وما يتذكر ﴾ أي : يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها علىٰ عظمة خالقها ﴿ إلا من ينيب ﴾ أي : من[٤] هو بصير منيب إلىٰ اللّٰه عز وجل .

وقوله : ﴿ فادعوا اللّٰه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ أي : فأخلصوا للّٰه وحده العبادة والدعاء ، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم .

قال الإمام أحمد (٢٢) : حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، حدثنا هشام - يعني : ابن عروة بن

(٢٢) - « المسند » (٤/٤) ورواه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة (١٣٩) (٥٩٤) ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، ثنا أبي به . ورواه مسلم (١٤٠) وأبو داود ، كتاب: الصلاة ، باب : ما يقوله الرجل إذا سلَّم (١٥٠٧) ، والنسائى ، كتاب : الصلاة ، باب : عدد التهليل والذكر بعد التسليم (٧٠/٣) من طريق عبدة ثنا هشام به . ورواه أحمد (٥/٤) ومسلم وأبو داود (١٥٠٦) والنسائى (٦٩/٣) من طريق الحجاج بن أبي عثمان ، ومسلم أيضًا من طريق موسى بن عقبة كلاهما (الحجاج وموسى) عن أبي الزبير به .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « ورحم » .
[٤] - سقط من : ز .

الزبير - عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكيّ قال : كان عبد اللّه بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم : « **لا إله إلا اللّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا باللّه ، لا إله إلا اللّه ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا اللّه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** » . قال : وكان رسولُ اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يُهلّل[١] بهن دبر كل صلاة .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق ، عن هشام بن عروة ، وحجاج بن أبي عثمان ، وموسىٰ بن عقبة ، ثلاثتهم عن أبي الزبير ، عن عبد اللّه بن الزبير قال : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول في دبر الصلاة : « **لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له** » . وذكر تمامه .

وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات : « **لا إله إلا اللّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير . لا حول ولا قوة إلا باللّه ، لا إله إلا اللّه ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا اللّه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** » .

وقال ابن أبي حاتم(٢٣) : حدثنا الربيع حدثنا الخصيب بن ناصح ، حدثنا صالح - يعني المرّي - عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **ادعوا اللّه وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن اللّه لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ** » .

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ

(٢٣) - ورواه الترمذى (٣٤٧٩) وابن حبان فى « المجروحين » (٣٦٨/١) ، والخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » (٣٥٦/٤) (٢٣٧/١٤) ، والحاكم فى « المستدرك » (٤٩٣/١) ، وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » (١٢٢/٥/ مخطوط) من طرق عن صالح المرى به وقال الحاكم : « حديث مستقيم الإسناد ، تفرد به صالح المرى ، وهو أحد زهاد البصرة » وتعقبه الذهبى فقال : « صالح متروك » تركه النسائى وغيره وقال البخارى : منكر الحديث ، وضعفه ابن معين وابن المدينى وغيرهما ، وبه أعل الحديث أبو عيسى الترمذى فقال : «حديث غريب ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه » واستنكره ابن عدى لصالح هذا ، سيسس الكامل » (٤/ ١٣٨٠) وكذا أعله به المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٤٩٣/٢) فقال : « صالح المرى ، لا شك فى زهده ، لكن تركه أبو داود والنسائى » - والعراقى فى « تخريج أحاديث الإحياء (٩٥٢/٢/ المستخرج) لكن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (١٧٧/٢) ذكره المصنف (سورة البقرة/ ١٨٦) بإسناده وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف - ومن أجل هذا الشاهد رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى حديث (٥٩٤) من « الصحيحة » .

[١] في ز : « يهل » .

﴿ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ عن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي علىٰ جميع مخلوقاته كالسقف لها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ، وسيأتي بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلىٰ الأرض السابعة ، في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله . وقد ذكر غير واحد : أن العرش من ياقوتة حمراء ، اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة . وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة . وقد تقدم في حديث « **الأوعال** »(٢٤) ما يدل على ارتفاعه عن[١] السماوات السبع بشيء عظيم .

وقوله : ﴿ **يلقي الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ . وكقوله : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به لروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **لينذر[٢] يوم التلاق** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : يوم التلاق : اسم من أسماء يوم القيامة ، حذر منه عباده .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس : يلتقى فيه آدم وآخر ولده .

وقال ابن زيد : يلتقي فيه العباد .

وقال قتادة ، والسدي ، وبلال بن سعد ، وسفيان بن عيينة : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض .

وقال قتادة أيضًا : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخالق والخلق .

وقال ميمون بن مهران : يلتقي الظالم والمظلوم .

وقد يقال : إن يوم القيامة هو يشمل هذا كله ، ويشمل أن كل عامل سيلقىٰ ما عمله من خير وشر . كما قاله آخرون .

وقوله : ﴿ **يوم هم بارزون** ﴾ أي : ظاهرون بادون كلهم ، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا

---

(٢٤) - تقدم تخريجه (رقم ١٨) .

---

[١] - في ز : « من » . [٢] - في ز : « لتندر » .

يسترهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء** ﴾ أي : الجميع في علمه على السواء .

وقوله : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ قد تقدم في حديث[١] ابن عمر(٢٥) : « **أنه تعالى يطوي السماوات والأرض بيده ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟** » وفي حديث الصور(٢٦) : « **أنه تعالى إذا قبض أرواح جميع خلقه ، فلم يبق سواه ، وحده لا شريك له ، حينئذ يقول : لمن الملك اليوم ؟** - ثلاث مرات - **ثم يجيب نفسه قائلاً : ﴿لله الواحد القهار﴾** » أي : الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه .

[وقد قال][٢] ابن أبي حاتم (٢٧) : حدثنا محمد بن غالب الدقاق ، حدثنا عبيد بن عبيدة ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا أبو نضرة ، عن ابن عباس قال : ينادي مناد بين يدي الساعة : يا أيها الناس ، أتتكم الساعة . فيسمعها الأحياء والأموات ، قال : وينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول[٣] : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ .

وقوله : ﴿ **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب** ﴾ : يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه ، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر ، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها ، وبالسيئة واحدة ، ولهذا قال : ﴿ **لا ظلم اليوم** ﴾ . كما ثبت في صحيح مسلم (٢٨) ، عن أبي ذر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه - عز وجل - أنه قال : « **يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا ، فلا تظالموا** » إلى أن قال : « **يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم [ثم أوفيكم إياها][٤] ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنّ إلا نفسه** » .

وقوله : ﴿ **إن الله سريع الحساب** ﴾ أي : يحاسب الخلائق كلهم ، كما يحاسب نفسًا واحدة ، كما قال : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ وقال : ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ .

---

(٢٥) - تقدم تخريجه

(٢٦) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام /آية ٨٢) .

(٢٧) - إسناده صحيح ومعتمر هو ابن سليمان التيمى .

(٢٨) - تقدم تخريجه (سورة يونس/ آية ٤٤) .

---

[١] - في ز : « تفسير » .

[٢] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

[٣] - في خ : « ويقول » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

يوم الآزفة : هو اسم من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالىٰ : **﴿ أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة ﴾** وقال : **﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾** وقال : **﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾** وقال : **﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾** وقال : **﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون ﴾** .

وقوله : **﴿ إذ القلوب لدىٰ الحناجر كاظمين ﴾** قال قتادة : وقفت القلوب في الحناجر من الخوف ، فلا تخرج ولا تعود الىٰ أماكنها . وكذا قال عكرمة ، والسدي ، وغير واحد .

ومعنىٰ **﴿ كاظمين ﴾** أي : ساكتين ، لايتكلم أحد إلا بإذنه . **﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾** .

وقال ابن جريج : **﴿كاظمين﴾** أي : باكين .

وقوله : **﴿ ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾** أي : ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ، ولا شفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير .

وقوله : **﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾** يخبر تعالىٰ عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ، ليحذر الناس علمه فيهم ، فيستحيوا من الله حق الحياء ويتقوه حق تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه تعالىٰ يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ، ويعلم ما تنطوي[١] عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر .

قال ابن عباس في قوله : **﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾** : وهو الرجل يدخل علىٰ أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غضّ بصره عنها ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غضّ ، وقد اطلع الله من قلبه

---

[١] - في ز : « ينطوى » .

أنه ود لو اطلع على فرجها . رواه ابن أبي حاتم (٢٩) .

قال الضحاك : ﴿ **خائنة الأعين** ﴾ : هو الغمز وقول الرجل : رأيت ولم ير ، أو لم أر وقد رأى .

وقال ابن عباس : يعلم تعالى من العين في نظرها ، هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ **وما تخفي الصدور** ﴾ يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا ؟

وقال السدي : ﴿ **وما تخفي الصدور** ﴾ أي : من الوسوسة .

وقوله : ﴿ **والله يقضى بالحق** ﴾ أي : يحكم بالعدل .

وقال الأعمش (٣٠) : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والله يقضي بالحق** ﴾ : قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة ، وبالسيئة السيئة ﴿ **إن الله هو السميع البصير** ﴾ .

وهذا الذي فسره ابن عباس في هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

وقوله ﴿ **والذين يدعون من دونه** ﴾ أي : من الأصنام والأوثان والأنداد ، ﴿ **لايقضون بشيء** ﴾ أي : لايملكون شيئًا ولا يحكمون بشيء ، ﴿ **إن الله هو السميع البصير** ﴾ أي : سميع لأقوال خلقه ، بصير بهم ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك .

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ

(٢٩) - وعزاه له السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٥٣/٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر ، وابن أبي شيبة . وقد رواه هنا فى « الزهد » (١٤٢٨/٢) بإسناد فيه انقطاع ، وانظر الآتى .

(٣٠) - رواه الطبرانى فى « الأوسط » (١٢٨٣/٢) من طريق الحسين بن واقد نا الأعمش ، حدثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس به ، وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلاَّ الحسين بن واقد » وهو ثقة إمام » فالإسناد صحيح ، وأعله الهيثمى فى « المجمع » (١٠٥/٧) بمن فوق الحسين ، ولا شك أنه متابع ، - جزء من الخبر السابق وقد تقدم تخريجه .

لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ : أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿ **في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم** ﴾ أي[١] : من الأمم المكذبة بالأنبياء ، ما حلّ بهم من العذاب والنكال ، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ، ﴿ **وآثارًا في الأرض** ﴾ أي : أثروا في الأرض من البنايات[٢] والمعالم والديارات ، ما لا يقدر عليه هؤلاء ، كما قال : ﴿ **ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه** ﴾ وقال : ﴿ **وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها** ﴾ أي : ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد ، أخذهم الله بذنوبهم ، وهي كفرهم برسلهم ، ﴿ **وما كان لهم من الله من واق** ﴾ [أي : وما دفع عنهم عذاب الله أحد ، ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق][٣] .

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها ، فقال : ﴿ **ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات** ﴾ أي : بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ، ﴿ **فكفروا** ﴾ أي : مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا ، ﴿ **فأخذهم الله** ﴾ أي : أهلكهم ودمّر عليهم وللكافرين أمثالها ، ﴿ **إنه قوي شديد العقاب** ﴾ أي : ذو[٤] قوة عظيمة وبطش شديد ، ﴿ **وهو شديد العقاب** ﴾ أي : عقابه أليم شديد وجيع . أعاذنا الله منه .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، ومبشرًا له بأن

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « النباتات » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « ذي » .

العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة ، كما جرىٰ لموسىٰ بن عمران ، فإن اللّٰه تعالىٰ أرسله بالآيات البينات ، والدلائل الواضحات ؛ ولهذا قال : ﴿ **بآياتنا وسلطان مبين** ﴾ ، والسلطان هو : الحجة والبرهان ﴿ **إلىٰ فرعون** ﴾ هو : ملك القبط بالديار المصرية ،﴿ **وهامان** ﴾ وهو : وزيره في مملكته ، ﴿ **وقارون** ﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مالًا وتجارة ﴿ **فقالوا ساحر كذاب** ﴾ أي : كذبوه وجعلوه ساحرًا مجنونًا مموهًا كذابًا في أن اللّٰه أرسله ، وهذه كقوله : ﴿ **كذلك ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون** ﴾ .

﴿ **فلما جاءهم بالحق من عندنا** ﴾ أي : بالبرهان القاطع الدال علىٰ أن اللّٰه تعالىٰ أرسله إليهم ، ﴿ **قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم** ﴾ . وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل ، أما الأول : فكان لأجل الاحتراز من وجود موسىٰ ، أو لإذلال[١] هذا الشعب وتقليل عددهم ، أو لمجموع الأمرين . وأما الأمر الثاني : فللعلة الثانية ، لإهانة هذا الشعب ، ولكي يتشاءموا بموسىٰ - عليه السلام - ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ قال قتادة : هذا أمر بعد أمر .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما كيد الكافرين إلا في ضلال** ﴾ أي : وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يُنصَروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال .

﴿ **وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربه** ﴾ : و[٢]هذا عَزْمٌ من فرعون - لعنه اللّٰه - علىٰ قتل موسىٰ - عليه السلام - ، أي : قال لقومه : دعوني حتىٰ[٣] أقتل لكم هذا ، ﴿ **وليدع ربه** ﴾ أي : لا أبالي منه . وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد .

وقوله قبحه[٤] اللّٰه : ﴿ **إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** ﴾ يعني : موسى ، يخشىٰ فرعون أن يُضِلَّ موسىٰ الناسَ ويغير رسومهم وعاداتهم . وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مُذَكِّرًا ! [يعني : واعظًا][٥] ، يشفق علىٰ الناس من موسىٰ عليه السلام .

وقرأ الأكثرون : (**أن يبدل دينكم وأن يُظهِرَ في الأرض الفسادَ**) . وقرأ آخرون : (أو أن يُظْهِرَ في الأرض الفسادَ) وقرأ بعضهم : « **يَظْهَرَ في الأرض الفسادُ** » ، بالضم .

وقال موسىٰ : ﴿ **إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب** ﴾ أي : لما

---

[١] - في ز : « أولاد » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في خ : « لعنه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بلغه قولُ فرعون : ﴿ ذروني أقتل موسىٰ ﴾ ، [قال موسىٰ][١] : استجرتُ باللَّه وعُذْتُ به من شره وشر أمثاله ؛ ولهذا قال : ﴿ إني عذت بربي وربكم ﴾ أيها المخاطبون ، ﴿ من كل متكبر ﴾ أي : عن الحق ، مجرم ، ﴿ لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ . ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسىٰ -رضي اللَّه عنه- : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا خاف قومًا قال : «اللّهم ، إنا نعوذ بك من شرورهم ، وندرأ بك في نحورهم » (٣١) .

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيًّا من آل فرعون .

قال السدي : كان ابن عم فرعون ، ويقال : إنه الذي نجا مع موسىٰ . واختاره ابن جرير (٣٢) ، ورَدَّ قول من ذهب إلىٰ أنه كان إسرائيليًّا ؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه، وكفّ عن قتل موسىٰ - عليه السلام - ولو كان إسرائيليًّا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة ؛ لأنه منهم .

وقال ابن جريج : عن ابن عباس : لم يؤمن من آل فرعون سوىٰ هذا الرجل وامرأة فرعون ، والذي قال : ﴿ يا موسىٰ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ . رواه ابن أبي حاتم (٣٣) .

وقد كان هذا الرجلُ يكتم إيمانه عن قومه القبط ، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون :

---

(٣١) - رواه أحمد (٤١٤/٣ ، ٤١٥) وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول إذا خاف قومًا (١٥٣٧) ، والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (٦٠١) وغيرهم وصححه ابن حبان (٤٧٦٥/١١) ، والحاكم (١٤٢/٢) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى .

(٣٢) - تفسير ابن جرير (٥٧/٢٤ ، ٥٨) .

(٣٣) - إسناده منقطع . والخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٥٥/٥) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

﴿ **ذروني أقتل موسىٰ** ﴾ ، فأخذت الرجلَ غضبةٌ لله عز وجل : « **وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر** » كما ثبت بذلك الحديث(٣٤) ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله : ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله** ﴾ ، اللّهم إلا ماروواه البخاري في صحيحه(٣٥) حيث قال :

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني يحيىٰ بن أبي كثير ، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي ، حدثني عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص : أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : بينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيط ، فأخذ بمَنْكب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولَوىٰ ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه - فأخذ بمنكبه[١] ودَفَع عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم قال : ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ .

انفرد به البخاري من حديث الأوزاعي . قال : وتابعه محمد بن إسحاق ، عن يحيىٰ[٢] . عن عروة ، عن أبيه به .

وقال ابن أبي حاتم(٣٦) : حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا عَبْدة ، عن هشام - يعني ابن عروة - ، عن أبيه ، عن عمرو بن العاص أنه سُئل : ما أشد ما رأيت قريشًا بلغوا من

---

(٣٤) - تقدم تخريجه (سورة المائدة/ آية ٧٩) .

(٣٥) - صحيح البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : سورة المؤمن (٤٨١٥) ، ورواه أيضًا ، كتاب : فضائل الصحابة (٣٦٧٨) ثنا محمد بن يزيد الكوفى ، ثنا الوليد به ، وكتاب : مناقب الأنصار (٣٨٥٦) حدثنا عياش بن الوليد ، ثنا الوليد بن مسلم به . وقال فى هذا الموضع الأخير : « تابعه ابن إسحاق حدثنى يحيى بن عروة عن عروة ، قلت لعبد الله بن عمرو ، وقال عبدة عن هشام عن أبيه ، قيل لعمرو بن العاص ، وقال محمد بن عمرو عن أبى سلمة حدثنى عمرو بن العاص » .

(٣٦) - ورواه النسائى فى « التفسير » (رقم ٤٨٢) أخبرنا هناد بن السرى عن عبدة به . ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٢/٢٧٧) من طريق خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن هشام به . ورواه البخارى فى «خلق أفعال العباد» (رقم ٣٠٨) ، وأبو يعلى (٧٣٣٩) - وعنه ابن حبان (١٤/٦٥٦٩/ إحسان) (٥/١٦٨٥/ موارد) - من طريقين عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن عمرو به . قال ابن حجر فى « الفتح » (٧/ ١٦٩): « هكذا خالف هشام بن عروة أخاه يحيى بن عروة فى الصحابى ، فقال يحيى : « عبد الله بن عمرو» ، وقال هشام : « عمرو بن العاص » ويرجح رواية يحيى موافقة محمد بن إبراهيم التيمى عن عروة، على أن قول هشام غير مدفوع . لأن له أصلاً من حديث عمرو بن العاص ، بدليل رواية أبى سلمة عن عمرو، فيحتمل أن يكون عروة سأله مرة ، وسأل أباه أخرى ، ويؤيده اختلاف السياقين ، وقد رواه عبد الله ابن عروة بإسناد آخر عن عثمان ، فلا مانع من التعدد ... » .

---

[١] - في ز : « بمنكبيه » . [٢] - في خ ، ز : « كثير » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قال : مر بهم ذات يوم فقالوا له[١] : أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال : « **أنا ذاك** » . فقاموا إليه ، فأخذوا بمجامع ثيابه ، فرأيتُ أبا بكر محتضنه من ورائه ، وهو يصيح بأعلىٰ صوته ، وإن عينيه ليسيلان ، وهو يقول : يا قوم ، ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾؟ حتى فرغ من الآية كلها .

وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة ، فجعله من مسند عمرو بن العاص ، رضي الله عنه .

وقوله : ﴿**وقد جاءكم بالبينات من ربكم**﴾ أي : كيف تقتلون رجلًا لكونه يقول : « **ربي الله** » ، وقد أقام لكم البرهان علىٰ صدق ماجاءكم به من الحق ؟ ثم تنَزّل معهم في المخاطبة فقال : ﴿ **وإن يك كاذبًا فعليه كذبه وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذي يعدكم** ﴾ ، يعني : إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به ، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه ، فلا تؤذوه ، فإن يك كاذبًا فإن الله سيجازيه علىٰ كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة ، وإن يك صادقًا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم ، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والأخرىٰ ، فمنَ الجائز عندكم أن يكون صادقًا ، فينبغي علىٰ هذا أن لاتتعرضوا له ، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه .

وهكذا أخبر الله عن موسىٰ - عليه السلام - أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله : ﴿ **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إليّ عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا علىٰ الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون * وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون** ﴾ . وهكذا قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لقريش[٢] أن يتركوه يدعو إلىٰ الله عبادَ الله ، ولا يمسوه بسوء ، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ أي : إلا أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس . وعلىٰ هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحًا مبينًا .

وقوله : ﴿ **إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** ﴾ أي[٣] : لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبًا كما تزعمون ، لكان أمره بيّنًا ، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله ، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب ، وهذا نرىٰ أمره سديدًا ومنهجه مستقيمًا ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله ، وأرشده إلىٰ ما ترون من انتظام أمره وفعله .

ثم قال المؤمن محذرًا قومه زوال نعمة الله عنهم[٤] ، وحلول نقم[٥] الله بهم : ﴿ **يا قوم**

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « عليهم » .
[٥] - في خ : « نقمة » .

لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴾ أي : قد أنعم اللّٰه عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض ، فراعوا هذه النعمة بشكر اللّٰه ، وتصديق رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، واحذروا نقمة اللّٰه إن كذبتم رسوله ، ﴿ **فمن ينصرنا من بأس اللّٰه إن جاءنا** ﴾ أي[١] : لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ، ولا ترد عنا شيئًا من بأس اللّٰه إن أرادنا بسوء .

﴿ **قال فرعون** ﴾ لقومه ، رادًا علىٰ ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان[٢] أحق بالملك من فرعون : ﴿ **ما أريكم إلا ما أرىٰ** ﴾ أي : ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي . وقد كذب فرعون ، فإنه كان يتحقق صدق موسىٰ فيما جاءه[٣] به من الرسالة ﴿ **قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ .

وقال اللّٰه تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا** ﴾ .

فقوله : ﴿ **ما أريكم إلا ما أرىٰ** ﴾ : كذب فيه[٤] وافترىٰ ، وخان اللّٰه ورسوله ورعيته ، فغشهم وما نصحهم . وكذا قوله : ﴿ **وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾ أي : وما أدعوكم إلا إلىٰ طريق الحق والصدق والرشد . وقد كذب أيضًا في ذلك ، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وأضل فرعون قومه وما هدى** ﴾ وفي الحديث(٣٧) : « **ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرِح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام** » .

---

(٣٧) - رواه البخارى ، كتاب : الأحكام ، باب : من استُرْعِيَ رعية فلم ينصح (٧١٥٠ ، ٧١٥١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : استحقاق الوالى ، الغاش لرعيته النار (٢٢٧ ، ٢٢٩) (١٤٢) من حديث معقل بن يسار مرفوعًا بلفظ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة » وفى لفظ آخر : « ما من والٍ يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلاَّ حرَّم الله عليه الجنة » ، قال الحافظ فى « الفتح » (١٢٧/١٣) : « وفى رواية الطبرانى من حديث عبد الله بن مغفل : وعرفها يوجد يوم القيامة من مسيرة سبعين عامًا » وفى إسناده هذه الرواية جهالة ، كما قال شيخه الهيثمى فى « المجمع » (٢١٦/٥) وقد وردت روايات متعددة فى ذكر مسافة ريح الجنة ، أقلها : « أربعون عامًا » وأعلاها « خمسمائة عام » ، وقد ذكر هذه الروايات جميعًا الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٢٦٠/١٢) ثم قال : « وهذا اختلاف شديد ، وقد تكلم ابن بطال على ذلك فقال : « الأربعون » هى الأشد فمن بلغها زاد عمله ويقينه وندمه ، فكأنه وجد ريح الجنة التى تبعثه على الطاعة ، قال : والسبعون آخر المعترك ، ويعرض عندها الندم وخشية هجوم الأجل فتزداد الطاع بتوفيق الله فيجد ريحها من المدة المذكورة ، وذكر فى الخمسمائة كلامًا متكلفًا حاصله أنها مدة الفترة التى بين كل نبى ونبى فمن جاء فى آخرها وآمن بالنبيين يكون أفضل من غيره فيجد ريح الجنة ، وقال الكرمانى : يحتمل أن لا يكون العدد بخصوصه مقصودًا بل المقصود المبالغة فى =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « جاء » .
[٤] - في ز : « منه » .

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

هذا إخبار من الله - عز وجل - عن هذا الرجل الصالح ، مؤمن[١] آل فرعون ؛ أنه حذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة فقال : ﴿ **يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب** ﴾ أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر ، كقوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة ، كيف حَلّ بهم بأس الله ، وما ردّه عنهم رادّ ، ولا صده عنهم صاد .

﴿ **وما الله يريد ظلمًا للعباد** ﴾ أي : إنما أهلكهم الله بذنوبهم ، وتكذيبهم رسله ، ومخالفتهم أمره ، فأنفذ فيهم قَدَره ، ثم قال : ﴿ **ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد** ﴾ ، يعني : يوم القيامة . وسُمي بذلك ؛ قال بعضهم : لما جاء في حديث الصور (٣٨) : إن الأرض

= التكثير ، ولهذا خص الأربعين والسبعين ، لأن الأربعين يشتمل على جميع أنواع العدد لأن فيه الآحاد ، وآحاده عشرة ، والمائة عشرات ، والألف مئات ، والسبع عدد فوق العدد الكامل وهو ستة إذ أجزاؤه بقدره وهى النصف ، والثلث والسدس بغير زيادة ولا نقصان ، وأما الخمسمائة فهى ما بين السماء والأرض . قلت - ابن حجر : والذى يظهر لى فى الجمع أن يقال : إن الأربعين أقل زمن يدرك به ريح الجنة من فى الموقف ، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأعمال ، فمن أدركه من المسافة البعدى أفضل ممن أدركه من المسافة القربى وبين ذلك ، وقد أشار إلى ذلك شيخنا فى « شرح الترمذى » فقال : الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص بتفاوت منازلهم ودرجاتهم ثم رأيت نحوه فى كلام ابن العربى ، فقال : ريح الجنة لا يدرك بطبيعة ولاعادة وإنما يدرك بما يخلق الله من إدراكه ، فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين ، وتارة من مسيرة خمسمائة » اهـ.

(٣٨) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام/ آية ٨٢) .

[١] - في خ : « المؤمن من » .

إذا زلزلت وانشقت من قطر إلىٰ قطر ، وماجت وارتجت ، فنظر الناس إلىٰ ذلك ، ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضًا .

وقال آخرون - منهم الضحاك - : بل ذلك إذا جيء بجهنم ، ذهب الناس هِرَابا ، فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلىٰ مقام المحشر ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ **والملك علىٰ أرجائها** ﴾ ، وقوله : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ وقد روي عن ابن عباس والحسن والضحاك : أنهم قرءوا : ﴿**يوم التنادّ**﴾ بتشديد الدال من ندَّ البعير إذا شرد وذهب . وقيل : لأن الميزانَ عنده مَلَك ، و[١]إذا وُزِنَ عَمَلُ العبد فرجَحَ نادىٰ بأعلىٰ صوته : ألا قد سَعِد فلانُ بن فلان سعادة لا يشقىٰ بعدها أبدًا . وإن خَفّ عَمَلُهُ نادىٰ : ألا قد شقي فلانُ بنُ فلان .

وقال قتادة : ينادى كل قوم بأعمالهم ؛ ينادى أهلُ الجنة أهلَ الجنة ، وأهلُ(*) النار أهلَ النار .

وقيل : سُمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهلَ النار : ﴿ **أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا قالوا نعم** ﴾ . ومناداة أهل النار أهلَ الجنة : ﴿ **أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما علىٰ الكافرين** ﴾ ولمناداة أصحاب الأعراف أهلَ الجنة وأهلَ النار كما هو مذكور في سورة الأعراف . واختار البغوي وغيره : أنه سمى بذلك لمجموع ذلك . وهو قول حسن جيد ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **يوم تولون مدبرين** ﴾ أي : ذاهبين هاربين ، ﴿ **كلا لا وزر * إلىٰ ربك يومئذ المستقر** ﴾ . ولهذا قال ﴿ **ما لكم من الله من عاصم** ﴾ أي : ما لكم من مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ، ﴿ **ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ أي : من أضله الله فلا هادي له غيره .

وقوله : ﴿**ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات**﴾ يعنى : أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولًا من قبل موسىٰ ، وهو يوسف - عليه السلام - كان عزيز أهل مصر ، وكان رسولًا يدعو إلىٰ الله أمته القبط ، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ؛ ولهذا قال : ﴿ **فما زلتم في شك مما جاءكم به حتىٰ إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولًا** ﴾ [أي : يئستم فقلتم طامعين : ﴿**لن يبعث الله من بعده رسولًا**﴾][٢] وذلك لكفرهم وتكذيبهم ، ﴿ **كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** ﴾ ، أي : كحالكم[٣] هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه .

ثم قال : ﴿ **الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم** ﴾ أي : الذين يدفعون الحق

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - في خ : « كحاكم » .

بالباطل ، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من اللّه ، فإن اللّه يمقت على ذلك أشد المقت ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كبر مقتًا عند اللّه وعند الذين آمنوا** ﴾ أي : والمؤمنون أيضًا يُبغضُون من تكون هذه صفته ، فإن من كانت هذه صفته يطبع اللّه على قلبه ، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا ، ولا ينكر منكرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **كذلك يطبع اللّه علىٰ كل قلب متكبر** ﴾ أي : علىٰ اتباع الحق ﴿ **جبار** ﴾ .

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة - وحكى عن الشعبي - أنه قال : لا يكون الإنسان جبارًا حتى يقتل نفسين . وقال أبو عمران الجوني وقتادة : آية الجبابرة القتل بغير حق .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ (٣٦) أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ (٣٧) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وعتوه وتمرده ، وافترائه في تكذيبه موسىٰ - عليه السلام - : أنه أمر وزيره هامان أن يبني له ﴿صرحًا﴾ ، وهو : القصر العالي المنيف الشاهق . وكان اتخاذه من الآجرّ المضروب من الطين المشوي ، كما قال : ﴿ **فأوقد لي يا هامان علىٰ الطين فاجعل لي صرحًا** ﴾ ، ولهذا قال إبراهيم النَّخعي : كانوا يكرهون البناء بالآجر ، وأن يجعلوه في قبورهم . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ **لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السمٰوات** ﴾ ، قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح : أبواب السماوات . وقيل : طرق السماوات ، ﴿ **فأطلع إلىٰ إله موسىٰ وإني لأظنه كاذبًا** ﴾ ، وهذا من كفره وتمرده ، أنه كذب موسىٰ في أن اللّه - عز وجل - أرسله إليه ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **وكذلك زُيِّنَ لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل** ﴾ أي : بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئًا يتوصل به إلىٰ تكذيب موسىٰ - عليه السلام - ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما كيد فرعون إلا في تباب** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد : يعني : إلا في خسار .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٣٨) يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغىٰ وآثر الحياة الدنيا ، ونسي الجبار الأعلىٰ ، فقال لهم :

﴿ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ ، لا[١] كما كذب فرعون في قوله : ﴿ وما أهديكم إلاسبيل الرشاد ﴾ .

ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الأخرى ، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى ، فقال : ﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ أي : قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل[٢] ، ﴿ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ [أي : الدار][٣] التي لا زوال لها ، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها ، بل إما نعيم وإما جحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ أي : واحدة مثلها ، ﴿ ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أي : لا[٤] يتقدر بجزاء ، بل[٥] يثيبه الله ثوابًا كثيرًا لا انقضاء له ولا نفاد .

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

يقول لهم المؤمن : ما بالي أدعوكم إلى النجاة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وتصديق رسوله الذي بعثه ، ﴿ وتدعونني إلى النار * تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ﴾ أي على : جهل بلا دليل ﴿ وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ أي : هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه ، ﴿ لا جرم أنما تدعونني إليه ﴾ ، يقول : حقًّا .

---

[١] - بعده في خ ، ز : « ويضمحل » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المتكوفتين سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ثم » .

قال السدي وابن جرير: يعني قوله: ﴿لا جرم﴾: حقًّا[١] . وقال: الضحاك: ﴿لا جرم﴾: لا كذب.

وقال علي بن أبي طلحة (٣٩) ، عن ابن عباس : ﴿ لا جرم ﴾ ، يقول : بلىٰ ، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد ﴿ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾ .

قال مجاهد: الوثن ليس بشيء. وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر.

وقال السدي : لا يجيب داعيه ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ وقوله: ﴿وأن مردنا إلىٰ الله ﴾ أي : في الدار الآخرة ، فيجازي كلًّا بعمله ؛ ولهذا قال: ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ أي: خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله ﴿ فستذكرون ما أقول لكم ﴾ أي : سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ، ونصحتكم ووضحت لكم ، وتتذكرونه ، وتندمون حيث لاينفعكم الندم ، ﴿ وأفوض أمري إلىٰ الله ﴾ أي : وأتوكل علىٰ الله وأستعينه ، وأقاطعكم وأباعدكم ، ﴿ إن الله بصير بالعباد ﴾ أي : هو بصير بهم ، فيهدي من يستحق الهداية ، ويضل من يستحق الإضلال ، وله الحجة البالغة ، والحكمة التامة ، والقدر النافذ .

وقوله : ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في[٢] الدنيا فنجاه الله مع موسىٰ - عليه السلام - وأما في الآخرة فبالجنة . ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ وهو : الغرق في اليم ، ثم النقلة منه إلىٰ الجحيم . [فإن أرواحهم][٣] تعرض علىٰ النار صباحًا ومساء إلىٰ قيام الساعة ، فإذا كان يومُ القيامة اجتمعت أرواحُهم وأجسادهم[٤] في النار ؛ ولهذا قال : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ أي : أشدّه ألـمًا وأعظمه نكالًا . وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور ، وهي قوله : ﴿ النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ﴾ .

ولكن هاهنا سؤال ، وهو أنه لاشك أن هذه الآية مكية ، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ ، وقد قال الإمام أحمد (٤٠) :

(٣٩) - إسناده منقطع ، علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس .

(٤٠) - « المسند » (٨١/٦) وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٥٧/٣ ٥٨) وقال : « هو فى الصحيح باختصار، وهذا رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وصححه المصنف هنا على شرط الشيخين مع أنهما لم يرويا حديثًا =

[١] - في ز : « حق » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأرواحهم » .
[٤] - في ز : « وأجسامهم » .

حدثنا هاشم - هو ابن القاسم أبو النضر - ، حدثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص - حدثنا سعيد - يعني أباه - عن عائشة : أن يهودية كانت تخدمها ، فلا تصنع عائشة إليها شيئًا من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر . قالت : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ فقلت : يا رسول الله ؛ هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال : « **لا ، وعمّ ذلك ؟** » قالت : هذه اليهودية ، لا نصنع إليها شيئًا من المعروف إلا قالت : وقاك الله عذاب القبر . قال : « **كذبت يهودية ، وهم على الله أكذب ، لا عذاب دون يوم القيامة** » . ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، فخرج ذات يوم نصفَ النهار مشتملًا بثوبه ، محمرّة عيناه ، وهو ينادي بأعلى صوته : « **[أيها الناس أظلتكم الفتن] كقطع الليل المظلم ، أيها الناس ؛ لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرًا وضحكتم قليلًا ؛ أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر ، فإن[١] عذاب القبر حق** » .

وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ، ولم يخرجاه .

وروى أحمد ومسلم(٤١) حدثنا يزيد ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - قال[٢] : سألتها امرأة يهودية فأعطتها ، فقالت لها[٣] : أعاذك الله من عذاب القبر ! فأنكرت[٤] عائشة ذلك ، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له ، فقال : « **لا** » . [قالت عائشة][٥] : ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : « **وإنه أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم** » .

وهذا أيضًا على شرطهما فيقال : فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية ، وفيها الدليل على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًّا وعشيًّا في البرزخ ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور ، إذ قد يكون ذلك مختصًّا بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه بسببه ، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها .

وقد يقال : إن هذه الآية إنما دلّت على عذاب الكفار في البرزخ ، ولا[٦] يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب . ومما يدل على هذا ما رواه الإمام أحمد(٤٢) :

= بهذا الإسناد ، وإنما رووا لرجاله جميعًا من طرق أخرى ، فالحديث صحيح الإسناد فحسب ، والله أعلم .

(٤١) - « المسند » (٦/٢٣٨) وسفيان - وهو ابن حسين - ضعيف فى الزهرى ، غير أنه متابع من غير واحدٍ ، فانظر الآتى .

(٤٢) - « المسند » (٦/٢٤٨) . وكذا رواه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : =

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « أنكرت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « فلا » .

حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود ، وهي تقول : أشعرت[١] أنكم تُفتنُون في قبوركم ؟ فارتاع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال : « **إنما يُفتنُ يهود** » . قالت عائشة : فلبثنا ليالي ، ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أشعرت أنه أوحيَ إليّ أنكم تفتنون في القبور ؟** » وقالت عائشة : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد يستعيذ من عذاب القبر .

وهكذا رواه مسلم ، عن هارون بن سعيد وحرملة ، كليهما[٢] عن ابن وهب ، عن يونس ابن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، به .

وقد يقال : إن هذه الآية دلَّتْ علىٰ عذاب الأرواح في البرزخ ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها ، فلما أوحي إليه في ذلك بخصوصيته استعاذ منه ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقد روىٰ البخاري(٤٣) من حديث شعبة ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ أن يهودية دخلت عليها فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ! فسألت عائشة رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم عن عذاب القبر ؟ فقال : « **نعم ، عذابُ القبر حقّ** » . قالت عائشة : فما رأيتُ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم بعدُ صلّى صلاةً إلا تَعَوَّذ من عذاب القبر .

فهذا يدل علىٰ أنه بادر إلىٰ تصديق اليهودية في هذا الخبر ، وقرر عليه . وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتىٰ جاءه الوحي ، فلعلهما قضيتان ، والله أعلم ، وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدًّا .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **غدوًّا وعشيًّا** ﴾ : صباحًا ومساء ، ما بقيت الدنيا ، يقال لهم : يا آل فرعون ؛ هذه منازلكم ، توبيخًا ونقمة وصَغَارًا لهم .

= استحباب التعوذ من عذاب القبر (١٢٣) (٥٨٤) ، والنسائى (٤/١٠٤) من طريق يونس بن يزيد به . ورواه أحمد (٦/٨٩ ، ٢٧١) من طريق شعيب وابن أخي الزهرى عن الزهرى به .

(٤٣) - رواه البخارى ، كتاب : الجنائز : باب : ما جاء فى عذاب القبر (١٣٧٢) ، وكذا رواه أحمد (٦/١٧٤) ، والنسائى (٣/٥٦) من طريق شعبة به ، ورواه مسلم (١٢٦) (٥٨٦) من طريق أبى الأحوص عن أشعث به ، ورواه أحمد (٦/٤٤ و ٢٠٥) ، والبخارى (٦٣٦٦) ، ومسلم (١٢٥٥) ، والنسائى (٤/١٠٥) من طريقين عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن مسروق به مطولاً ومختصرًا .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « كلاهما » .

وقال ابن زيد: هم فيها اليوم يُغدىٰ بهم ويراح إلىٰ أن تقوم الساعة.

وقال ابن أبي حاتم (٤٤): حدثنا أبو سعيد، حدثنا المحاربي، حدثنا ليث، عن عبد الرحمن ابن ثَرْوان، عن هُزَيل، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - رضي اللّٰه عنه - قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خُضْر، تَسرَح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، فتأوي إلىٰ قناديل معلقة في العرش؛ وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سُود، تغدو علىٰ جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها.

وقد رواه الثورى عن أبي قيس عن [الهزيل] بن شرحبيل(٤٥) من كلامه في أرواح آل فرعون، وكذلك قال السدي.

وفي حديث الإسراء من رواية أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال فيه: « **ثم انطلق بي إلىٰ إلىٰ خلق كثير من خلق اللّٰه، رجالٍ، كلٌ[١] رجل منهم بطنُه مثلُ البيت الضخم، مصفدون علىٰ سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون علىٰ النار غدوًا وعشيًا. ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾** وآل فرعون كالإبل المسومة[٢] يخبطون[٣] الحجارة والشجر ولا يعقدون[٤] ».

وقال ابن أبي حاتم (٤٦): حدثنا علي بن الحسين، حدثنا زيد بن أخزم، حدثنا عامر بن مدرك الحارثي، حدثنا عتبة - يعني ابن يقظان[٥] - عن قيس بن مسلم، عن طارق ابن شهاب، عن ابن مسعود، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم؛ قال: « **ما أحسن [من محسن]**[٦]

---

(٤٤) - وعزاه إلى ابن أبى حاتم السيوطى فى « الدر المنثور » (٥/٦٥٩) وليث - هو ابن أبى سليم - ضعيف غير أنه توبع، فقد رواه عبد الرزاق فى تفسيره (٣/١٨٢) عن الثورى عن أبى قيس عبد الرحمن بن ثروان به كذا رواه عبد الرزاق، ورواه وكيع - عند ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٨/٩٨) - وعبد الرحمن بن مهدى - عند ابن جرير فى تفسيره (٢٤/٧١) كلاهما (وكيع وعبد الرحمن) عن الثورى به غير أنهما جعلاه من كلام هزيل لم ينم به إلى ابن مسعود. ورواه اللالكائى فى « شرح أصول الاعتقاد » (٦/٢١٦٥) من طريق سفيان بن عيينة عن مسعر عن أبى قيس به إلى ابن مسعود، وخالفه محمد بن عبيد - كماعند هناد فى « الزهد » (١/رقم ٣٦٦) - فرواه عن مسعر عن أبى قيس لم ينم به إلى ابن مسعود، ويبدو أن الخلاف من هزيل، فكان مرة يوصله إلى ابن مسعود، ومرة يوقفه على نفسه، والله أعلم.

(٤٥) - تقدم تخريجه في سورة الإسراء.

(٤٦) - وعزاه إلى ابن أبى حاتم أيضًا السيوطى فى « الدر المنثور » (٥/٦٦٠) ورواه البزار (٤/١٤٥٤/ البحر الزخار) و (١/٦٤٦/ مختصر زوائد ابن حجر) وابن ماجه فى « التفسير » - كما فى « الميزان » للذهبى =

---

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في ز: « المنسومة ».
[٣] - في خ، ز: « يختطفون ».
[٤] - في ز: « يعقلون ».
[٥] - في خ: « معطان ».
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز: « من محسن ».

مسلم أو كافر إلا أثابه الله » . قال : قلنا : يا رسول الله ؛ ما إثابة الكافر ؟ فقال : « إن كان قد وصل رَحمًا أو تصدّق بصدقة أو عمل حسنة ، أثابه الله المالَ والولدَ والصحة وأشباه ذلك » . قلنا : فما إثابته في الآخرة ؟ قال : « عذابًا دون العذاب » ، وقرأ : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ .

رواه البزار في مسنده عن زيد بن أخزم ثم قال : لا نعلم له إسنادًا غير هذا .

وقال ابن جرير (٤٧) : حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، حدثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي ؛ قال : سمعتُ الأوزاعيّ وسأله رجل فقال : رحمك الله ، رأينا طيورًا تخرج من البحر ، تأخذ ناحية الغرب بيضًا ، فوجًا فوجًا ، لا يعلم عددها إلا الله - عز وجل - فإذا كان العشي رجع مثلها سودًا ؟ قال : وفطنتم إلىٰ ذلك ؟ قال : نعم . قال : إن تلك[١] الطير في حواصلها أرواح آل فرعون ، تُعرض علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا ، فترجع إلىٰ وكورها وقد احترقت ريَاشُها وصارت سودًا ، فينبت عليها من الليل ريش أبيض ، وتتناثر السود ، ثم تغدو علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا ، ثم ترجع إلىٰ وكورها . فذلك دأبهم في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالىٰ : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، قال : وكانوا يقولون : إنهم ستمائة ألف مقاتل .

وقال[٢] الإمام أحمد (٤٨) : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

= (٥٤٨٠/٣) - والحاكم فى « المستدرك » (٢٥٣/٢) ، والبيهقى فى « الشعب » (١/رقم ٢٨١) من طريق زيد ابن أخزم به وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه رواه عن رسول الله - ﷺ - إلا عبد الله بن مسعود ، ولا نعلم له إسنادًا عن عبد الله إلا هذا الإسناد » وصحح إسناده الحاكم !! فتعقبه الذهبى بقوله : « عتبة بن يقظان واهٍ » حيث تركه الدارقطنى ، وقال النسائى : غير ثقة . وقال ابن الجنيد : لا يساوى شيئًا - وقال فى الميزان : « الخبرمنكر » . وقال البيهقى : « فى إسناده من لا يحتج به » وكذا ضعف إسناده ابن حجر فى « الفتح » (٤٣٩/١١ و ٤٣١) وحاول تقويته الهيثمى فقال فى « المجمع » (١١٤/٣) : « رواه البزار وفيه عتبة ابن يقظان ، وفيه كلام وقد وثقه ابن حبان « الثقات » (٢٧١/٧) وبقية رجاله ثقات وتعقبه ابن حجر فى « مختصر الزوائد » فقال : « قد تفرد بهذا ، ولا يحتمل التفرد من مثله ، والمتن شاذ بمرّة » ورواه الطبرانى فى تفسيره (٢٧٠/٣٠) عن كعب القرظى مرفوعًا بنحوه ، وهذا مرسل ، وفى إسناده ضعف والله الموفق .

(٤٧) - تفسير ابن جرير (٧١/٢٤) وحماد بن محمد ضعفه صالح جزرة ، وقال العقيلى : « لم يصح حديثه » راجع « الميزان » للذهبى (٢٢٦٩/٢) ، والخبر ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٦٠/٥) وزاد عزوه إلى ابن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » .

(٤٨) - « المسند » (١١٣/٢) . ورواه البخارى ، كتاب : الجنائز ، باب : الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى (١٣٧٩) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٦) (٦٥) ، والنسائى ،كتاب : الجنائز ، باب : وضع الجريدة على القبر =

---

[١] - في ز : « ذاك » . [٢] - سقط من : خ .

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ؛ فيقال : هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله - عز وجل - إليه يوم القيامة** » . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به .

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالىٰ عن تحاج أهل النار في النار ، وتخاصمهم - وفرعونُ وقومه من جملتهم - فيقول الضعفاء - وهم : الأتباع - للذين استكبروا - وهم : القادة والسادة والكبراء - : ﴿ **إنا كنا لكم تبعًا** ﴾ أي : أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال ، ﴿ **فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار** ﴾ أي : قسطًا تتحملونه[١] عنا . ﴿ **قال الذين استكبروا إنا كل فيها** ﴾ أي : لا نتحمل عنكم شيئًا ، كفىٰ بنا ما عندنا ، وما حملنا من العذاب والنكال . ﴿ **إن الله قد حكم بين العباد** ﴾ أي : يَقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ .

﴿ **وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب** ﴾ : لما علموا أن الله سبحانه لا يستجيب منهم ، ولا يستمع لدعائهم ، بل قد قال : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ سألوا الخزنة - وهم كالبوّابين لأهل النار - أن يدْعُوا لهم الله في أن يخفف عن الكافرين ولو يومًا واحدًا من العذاب ، فقالت لهم الخزنة رادّين عليهم : ﴿ **أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات** ﴾ أي : أو ما قامت عليكم الحججُ في الدنيا علىٰ ألسنة الرسل ؟ ﴿ **قالوا بلىٰ قالوا فادعوا** ﴾ أي : أنتم لأنفسكم ، فنحن لا ندعو لكم ، ولا نسمع منكم ، ولا نود

= (١٠٧/٤ ، ١٠٨) من طرق عن مالك به . ورواه أحمد (١٦/٢ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ١٢٣) ، والبخارى (٣٢٤٠ ، ٦٥١٥) ، والترمذى (١٠٧٢) ، والنسائى (١٠٦/٤ ، ١٠٧) من طرق عن نافع به .

[١] - في ز : « تتحملون » .

خلاصكم ، ونحن منكم برآء ، ثم نخبركم أنه[١] سواء دعوتم أو لم تدعوا ، لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** ﴾ أي : إلا في ذهاب ، لا يتقبل ولا يستجاب .

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى الْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قد أورد أبو جعفر بن جرير - رحمه الله تعالىٰ - عند قوله تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا** ﴾ سؤالًا فقال : قد عُلِم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد[٢] قتله قومه بالكلية كيحيىٰ وزكريا وشعياء ، ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجرًا كإبراهيم ، وإما إلىٰ السماء كعيسىٰ ، فأين النصرة في الدنيا ؟ [ثم أجاب][٣] عن ذلك بجوابين أحدهما : أن يكون الخبر خرج عامًّا ، والمراد به البعض ، قال : وهذا سائغ في اللغة .

الثاني : أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم ، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم ، كما فُعِل بقتلة يحيىٰ وزكريا وشعياء ، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم ، وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام ، من اليهود ، فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم ، وأظهرهم الله عليهم ، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسىٰ ابن مريم إمامًا عادلًا ، وحكمًا مقسطًا ، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام ؛ وهذه نصرة عظيمة ، وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه ، أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ، ويقر أعينهم ممن آذاهم ، ففي صحيح البخاري(٤٩) عن أبي هريرة -

(٤٩) - تقدم تخريجه (سورة البقرة /آية : ٩٨) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأجاب » .

رضي الله عنه - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **يقول الله تعالىٰ : من عادىٰ لي وليًا فقد بارزني بالحرب** » . وفي الحديث الآخر : « **إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرِب** » .

ولهذا أهلك تعالىٰ قوم نوح وعاد وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، وأشباههم وأضرابهم ، ممن كذب الرسل وخالف الحق ؛ وأنجىٰ الله من بينهم المؤمنين ، فلم يهلك منهم أحدًا ، وعذب الكافرين ، فلم يفلت منهم أحدًا[١] .

قال السدى : لم يبعث الله رسولًا قط إلىٰ قوم فيقتلونه ، أو قومًا من المؤمنين يدعون إلىٰ الحق فيقتلون ، فيذهب ذلك القرن حتىٰ يبعث الله لهم من ينصرهم ، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا ، قال : فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا ، وهم منصورون فيها[٢] .

وهكذا نصر الله نبيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه علىٰ من [خالفه وناوأه][٣] ، وكذبه وعاداه ، فجعل[٤] كلمته هي العليا ، ودينه هو الظاهر علىٰ سائر الأديان ؛ وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلىٰ المدينة النبوية ، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر ، فنصره عليهم وخذّلهم له ، وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم ، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ؛ ثم منّ عليهم بأخذه الفداء منهم ، ثم بعد مدة قريبة فتح مكة ، فقرت عينه ببلده ، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم ، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر ، وفتح له اليمن ، ودانت له جزيرة العرب بكمالها ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ؛ ثم قبضه الله تعالىٰ إليه ، لما له عنده من الكرامة العظيمة ، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده ، فبلّغوا عنه دينَ الله ، ودعوا عباد الله إلىٰ الله . وفتحوا البلاد والرّساتيق والأقاليم والمدائن والقرىٰ والقلوب ، حتىٰ انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها . ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلىٰ قيام الساعة ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ أي : يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجلّ .

قال مجاهد : الأشهاد الملائكة .

وقوله : ﴿ **يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم** ﴾ بدَلٌ من قوله : ﴿ **ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ .

وقرأ آخرون : (**يومُ**) بالرفع ، كأنه فسره به (**يومَ يقوم الأشهادُ : يومُ لا ينفع الظالمين**) ، وهم المشركون ﴿ **معذرتهم** ﴾ أي : لا يقبل منهم عذر ولا فدية ، ﴿ **ولهم اللعنة** ﴾ أي : الإبعاد والطرد من الرحمة ، ﴿ **ولهم سوء الدار** ﴾ وهي النار . قاله السدي ، بئس المنزل

---

[١] - في ز : « واحدًا » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « خالفهم وناوأهم » .

[٤] - في ز : « جعل » .

والمقيل .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ولهم سوء الدار﴾ أي : سوء العاقبة .

وقوله : ﴿ ولقد آتينا موسىٰ الهدىٰ ﴾ ، وهو ما بعثه اللّٰه به من الهدىٰ والنور ، ﴿ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب ﴾ أي : جعلنا لهم العاقبة ، وأورثناهم بلادَ فرعونَ وأمواله وحواصله وأرضه ، بما صبروا علىٰ طاعة اللّٰه واتباع رسوله موسىٰ - عليه السلام - وفي الكتاب الذي أورثوه - وهو التوراة - ﴿ هدى وذكرىٰ لأولي الألباب ﴾ وهي : العقول الصحيحة السليمة .

وقوله : ﴿ فاصبر ﴾ أي : يا محمد ، ﴿ إن وعد اللّٰه حق ﴾ ، أي : وعدناك أنا سنعلي كلمتك ، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك ، واللّٰه لا يخلف الميعاد . وهذا الذي أخبرناك به حق[١] لا مرية فيه ولاشك .

وقوله : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ ، هذا تهييج للأمة علىٰ الاستغفار ، ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي ﴾ أي : في أواخر النهار وأوائل الليل ، ﴿ والإبكار ﴾ ، وهي أوائل النهار وأواخر الليل .

وقوله : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات اللّٰه بغير سلطان أتاهم ﴾ أي : يدفعون الحق بالباطل ، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من اللّٰه ، ﴿ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ أي : مافي صدورهم إلا كبر علىٰ اتباع الحق ، واحتقار لمن جاءهم به[٢] ، وليس ما يرومونه من[٣] إخمال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم ، بل الحق هو المرفوع ، وقولهم وقصدهم هو الموضوع ، ﴿ فاستعذ باللّٰه ﴾ أي : من حال مثل هؤلاء ، ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ أو : من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات اللّٰه بغير سلطان . هذا تفسير ابن جرير .

وقال كعب وأبو العالية : نزلت هذه الآية في اليهود : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات اللّٰه بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ ، قال أبو العالية : وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم ، وأنهم يملكون به الأرض . فقال اللّٰه لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم آمرًا له أن يستعيذ من فتنة الدجال ؛ ولهذا قال : ﴿ فاستعذ باللّٰه إنه هو السميع البصير ﴾ .

وهذا قول غريب ، وفيه تعسف بعيد ، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه ، واللّٰه أعلم .

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « بين » .

لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ أنه يعيد الخلائق يوم القيامة ، وأن ذلك سهل عليه ، يسير لديه بأنه خلق السماوات والأرض ، وخلقُهما أكبرُ من خلق الناسِ بدأةً وإعادة ، فمن قدر علىٰ ذلك فهو قادر علىٰ ما دونه بطريق الأوْلىٰ والأحرىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السموات والأرض [ولم يعيَ بخلقهن]**[١] **بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا[٢] يتأملونها ، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن اللَّه خلق السماوات والأرض ، وينكرون المعاد ، استبعادًا وكفرًا وعنادًا ، وقد اعترفوا بما هو أولىٰ مما أنكروا .

ثم قال : ﴿ **وما يستوي الأعمىٰ والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء** ﴾ أي : كما لا يستوي الأعمىٰ الذي لا يبصر شيئًا ، والبصير الذي يرىٰ ما انتهىٰ إليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم ، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار ، ﴿ **قليلًا ما يتذكرون** ﴾ أي : ما أقل ما يتذكر كثير من الناس !

ثم قال : ﴿ **إن الساعة لآتية** ﴾ أي : لكائنة وواقعة ، ﴿ **لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ أي : لا يصدقون بها ، بل يكذبون بوجودها .

قال ابن أبي حاتم (٥٠) : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم ، حدثنا أشهب ، حدثنا مالك ، عن شيخ قديم من أهل اليمن - قدم من ثَمَّ - قال : سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء علىٰ الناس ، واشتد حر الشمس .

وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)

هذا من فضله تبارك وتعالىٰ وكرمه ؛ أنه ندب عباده إلىٰ دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة ، كما

(٥٠) - إسناده صحيح إلى مالك .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .

كان سفيان الثوري يقول : يامَنْ أحبُّ عباده إليه مَنْ سأله فأكثر سؤاله ، ويا مَنْ أبغض عباده إليه مَن لم يسأله ، وليس كذلك غيرك يارب . رواه ابن أبي حاتم .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

اللّه يَغْضَبُ إنْ تركْتَ سُؤَالَهُ وَبُنيُّ آدَمَ حِينَ يُسألُ يَغْضَبُ !

وقال قتادة : قال كعب الأحبار : أعطيت هذه الأمة ثلاثًا لم تُعطهُنّ[١] أمة قبلهم إلا نبي : كان إذا أرسل اللّه نبيًا قيل له : أنت شاهد علىٰ أمتك ، وجعلتكم شهداء علىٰ الناس . وكان يقال له : ليس عليك في الدين من حرج . وقال لهذه الأمة : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ . وكان يقال له : ادعني أستجب لك ، وقال لهذه الأمة : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام الحافظ أبو يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي في مسنده (٥١) ، حدثنا أبو إبراهيم الترجماني ، حدثنا صالح المرّي[٢] ؛ قال : سمعت الحسن يحدّث عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فيما يروي عن ربه - عز وجل - قال : « **أربع خصال ، واحدة منهن لي ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي ؛ فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئًا ، وأما التي لك عليّ فما عملتَ من خير جزيتُك به ، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليّ الإجابة ، وأما التي بينك وبين عبادي فارضَ لهم ما ترضىٰ لنفسك** » .

وقال الإمام أحمد (٥٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن ذرّ ، عن يُسيع الكنْدي ، عن النعمان بن بشير -رضي اللّه عنه- قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن الدعاء هو العبادة** » ، ثم قرأ : ﴿ **ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ .

(٥١) - مسند أبى يعلى (٢٧٥٧/٥) ومن طريقه ابن حبان فى « المجروحين » (٣٦٨/١ ، ٣٦٩) - ورواه البزار (١/رقم ١٩) من طريق صالح المرى به وقال : « تفرد به صالح المرى » وهو ضعيف واستنكره له ابن عدى فى « الكامل » (١٣٨٠/٤) وقال : « لا أعرف يرويه عن الحسن غير صالح » وبه أعله الهيثمى فى «المجمع » (٥٦/١) ، فقال : « رواه أبو يعلى والبزار ، وفى إسناده صالح المرى وهو ضعيف - وتدليس الحسن».

(٥٢) - « المسند » (٢٧١/٤) ورواه أيضًا (٢٦٧/٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٦) ، والترمذى (٢٩٦٩ ، ٣٢٤٧)، ٣٣٧٢) ، والنسائى في « التفسير » من « الكبرى » (١١٤٦٤/٦) وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وابن جرير (٢٤/ ٧٨) من طرق عن الأعمش به ورواه أحمد (٣٧٦/٤) ورواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذى (٢٩٦٩) والنسائى (١١٦٤/٦) وابن جرير (٧٩/٢٤) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (٧١٤) والحاكم =

[١] - في ز : « يعطهن » . [٢] - في خ : « المدني » .

وهكذا رواه أصحاب السنن : الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، كلهم من حديث الأعمش به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وابنُ جرير أيضًا ، من حديث شعبة ، عن منصور ، عن ذَرّ به .

وأخرجه الترمذي أيضًا من حديث الثوري عن منصور والأعمش كليهما[١] عن ذَرّ به .

ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

وقال الإمام أحمد(٥٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو مليح[٢] المدني - شيخ من أهل المدينة - سمعه عن أبي صالح ، وقال مرة : سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من لم يدع اللَّه - عز وجل - غضب اللَّه[٣] عليه** » . تفرد به أحمد(*) ، وهذا إسناد لا بأس به .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٥٤) : حدثنا مَرْوان الفزَاري ، حدثنا صُبيح أبو المليح ، سمعتُ أبا صالح يحدث عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من لا يسأله يغضب عليه** » .

قال ابن معين : أبو المليح هذا اسمه : صُبيح . كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد ؛ وأما أبو صالح هذا فهو[٤] الخُوزيّ ، سكن شعب الخوز . قاله البزار في مسنده .

وكذا وقع في روايته أبو المليح الفارسي ، عن أبي صالح الخُوزيّ ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من لا يسأل اللَّه يغضب عليه** » .

= (٤٩١/١) من طريق شعبة عن منصور به . ورواه الترمذى (٣٢٤٧) وأحمد (٢٦٧/٤ ٢٧٦) والحاكم من طريق سفيان الثورى ورواه ابن حبان (٨٩٠/٣) من طريق جرير عن منصور عن ذر به وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى .

(٥٣) - « المسند » (٤٤٣/٢ ، ٤٧٧) ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٢٤/٧) - وعنه وعن غيره ابن ماجه فى « السنن » (٣٨٢٧) - وابن عدى فى « الكامل » (٢٧٥٠/٧) والبغوى فى « شرح السنة » (٥/ ١٣٨٩) من طريق وكيع به ، وانظر ما بعده .

(٥٤) - « المسند » (٤٤٢/٢) . ورواه البخارى فى « الأدب المفرد » (٦٥٨) ، والحاكم فى « المستدرك » (٤٩٦/١) من طريق مروان بن معاوية به ورواه البخارى والترمذى (٣٣٧٣) من طريق حاتم بن إسماعيل ورواه الترمذى أيضًا والطبرانى فى « الدعاء » (٧٩٦/٢) وفى « الأوسط » (٢٤٣١/٣) ومن طريقه =

[١] - في ز : « كلاهما » .
[٢] - في خ ، ز : « صالح » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : « هو » .

وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٥٥) : حدثنا همام ، حدثنا إبراهيم بن الحسن ، حدثنا نائل بن نجيح ، حدثني عائذ بن حبيب ، عن محمد بن سعيد ؛ قال : لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري ، وجدنا في ذؤابة سيفه كتابًا : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **إن لربكم في بقية دهركم نفحات ، فتعرضوا له ، لعل دعوة أن تُوافق رحمة فيسعد بها**[١] **صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدًا** » .

وقوله : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي** ﴾ أي : عن دعائي وتوحيدي ، ﴿ **سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أي : صاغرين حقيرين[٢] ، كما قال الإمام أحمد(٥٦) :

حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، عن ابن عَجْلان ، حدثني عَمْرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ؛ قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذّر ، في صُوَر**

= المزى فى « تهذيب الكمال » (٣٣/ت ٧٤٣٨) والبيهقى فى « الشعب » (١٠٩٩/٢) من طريق أبى عاصم الضحاك ابن مخلد . كلاهما (حاتم وأبو عاصم) نا به وقال الطبرانى : « لم يرو هذا الحديث عن أبى صالح إلا أبو المليح » وهو ثقة روى عنه جمع من الثقات ، ووثقه ابن معين وابن حبان واعتمد توثيقه الحافظ فى « التقريب» لكن شيخه ضعفه ابن معين ، وقال أبو زرعة : « لا بأس به » وتوسط ابن حجر فلينه وقد استنكر له ابن عدى هذا الحديث فى « الكامل » ومع هذا فقد قال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، فإن أبا صالح الخوزى ، وأبا المليح الفارسى لم يذكرا بالجرح ، وإنما هما فى عداد المجهولين لقلة الحديث » !! وهذا عجيب، فإن أبا المليح تقدم توثيقه ، والخوزى الراجح ضعفه ، لكن للحديث شواهد – تقدم منها حديث ابن مسعود (رقم٣٥٧/ فى سورة النساء) وشاهدًا آخر من حديث أنس عند الطبرانى فى « الدعاء » (رقم ٢٤) لكن إسناده ضعيف ، كمايشهد له حديث النعمان بن بشير المتقدم آنفًا ، ولذلك رقم به أبو عبد الرحمن الألبانى (حديث / ٢٦٥٤) من « الصحيحة » فراجعها إن شئت ، وبالله التوفيق .

(٥٥) – فى كتابه « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » (ص٤٩٧/ رقم ٦١٥) ونائل ضعيف ، والراوى عن محمد بن مسلمة لم أجد له ترجمة . وقد رواه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (٥٢١٩/١٩) وفى « الأوسط » (٢٨٥٦/٣) ، (٦٢٤٣/٦) من طريق أحمد بن عبدة الضبى نا الحسن بن صالح بن أبى الأسود ، نا عمى منصور بن أبى الأسود ، قال : حدثنى شيخ يكنى أبو محمد حدثنى شيخ يقال له : المهاجر عن محمد بن مسلمة به . وقال الطبرانى : « لا يروى هذا الحديث عن محمد بن مسلمة إلاّ بهذا الإسناد ، تفرد به أحمد بن عبدة » وهو ثقة إمام ، لكن شيخه زائغ حائد عن الحق ، كما قال الأزدى – راجع « الميزان » و« اللسان » – والإسناد فيه جهالة ، فهو مظلم من جهات متعددة ، و ذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٣٤/١٠) وقال : « رواه الطبرانى فى « الأوسط » و « الكبير » بنحوه ، وفيه من لم أعرفهم ، ومن عرفتهم فقد وثقوا » لكن للحديث شاهدان من حديث أنس وأبى هريرة وبهما رقم أبو عبد الرحمن الألبانى الحديث فى «الصحيحة» (١٨٩٠/٤) .

(٥٦) – تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٨٩) .

[١] – سقط من : خ . [٢] – في خ : « نفيرين » .

الناس ، يعلوهم كلّ شيء من الصغار ، حتىٰ يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له : بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال : عصارة أهل النار » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٧) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خُنيس ، سمعت أبي يحدث عن وُهيب بن الورد ، حدثني رجل؛ قال : كنت أسير ذات يوم في أرض الروم ، فسمعت هاتفًا من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب ؛ عجبتُ لمن عرفك كيف يرجو أحدًا غيرك ! يارب ؛ عجبت لمن عرفك كيف يطلبُ حوائجه إلىٰ أحد غيرك ؛ قال : ثم ذَهبت ، ثم جاءت الطامةُ الكبرىٰ ، قال : ثم عاد الثانية فقال : يارب ؛ عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك برضى[١] غيرِكَ . قال وَهيب : وهذه الطامة الكبرىٰ . قال : فناديتُه : أجنيّ أنت أم إنسي ؟ قال : بل إنسي ، اشغلْ نفسك بما يَعْنيك عما لا يَعْنيك .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) ﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ خلقه ، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ، ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار ، وجعل النهار ﴿مبصرًا﴾ ، أي : مضيئًا ، ليتصرفوا فيه بالأسفار ، وقطع الأقطار ، والتمكن من الصناعات ، **﴿ إن الله لذو فضل علىٰ الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾** أي : لا يقومون بشكر نعم الله عليهم .

---

(٥٧) - رجاله ثقات معروفون حاشا : « أبابكر بن محمد » فلم أجد فيه جرحًا ولا تعديلاً . وقد أشار له المزى فى ترجمة « أبيه » من « التهذيب » .

---

[١] - في خ : « يرضى » .

ثم قال : ﴿ **ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو** ﴾ أي : الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد ، خالق الأشياء ، الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ﴿ **فأنى تؤفكون** ﴾ أي : فكيف تعبدون غيرَه من الأصنام ، التي لا تخلق شيئًا ، بل هي مخلوقة منحوتة .

وقوله : ﴿ **كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون** ﴾ أي : كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله ، كذلك أفك الذين من قبلهم ، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد الجهل والهوىٰ ، وجحدوا حُجج الله وآياته .

وقوله : ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا** ﴾ أي : جعلها مستقرًا لكم ، بساطًا مهادًا تعيشون عليها ، وتتصرفون فيها ، وتمشون في مناكبها ، وأرساها بالجبال لئلا تَميد بكم ، ﴿ **والسماء بناء** ﴾ أي : سقفًا للعالم محفوظًا ، ﴿ **وصوّركم فأحسن صوركم** ﴾ أي : فخلقكم في أحسن الأشكال ، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم ، ﴿ **ورزقكم من الطيبات** ﴾ أي : من المآكل والمشارب في الدنيا . فذكر أنه خلق الدار ، والسكان ، والأرزاق ، فهو الخالق الرازق ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾ . وقال هاهنا بعد خلق هذه الأشياء : ﴿ **ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين** ﴾ أي : فتعالىٰ وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم .

ثم قال : ﴿ **هو الحي لا إله إلا هو** ﴾ أي : هو الحي أزلًا وأبدًا ، لم يزل ولا يزال[١] ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ أي : لا نظير له ولا عديل له ، ﴿ **فادعوه مخلصين له الدين** ﴾ أي : موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

قال ابن جرير(٥٨) : كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال : « **لا إله إلا الله** » أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين [عملًا][٢] بهذه الآية .

ثم روى(٥٩) عن محمد[٣] بن علي بن الحسن[٤] بن شقيق ، عن أبيه ، عن الحسين بن واقد ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : من قال : « **لا إله إلا الله** » ، فليقل

(٥٨) - تفسير ابن جرير (٨١/٢٤) .

(٥٩) - تفسير ابن جرير (٨١/٢٤) حدثني محمد بن علي بن الحسن به ، وصححه الحاكم (٤٣٨/٢) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وفي إسناده هناك سقط وخطأ يستدرك من هنا . والخبر ذكره السيوطي =

[١] - في ز : « لا زال » .
[٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في ز : « حجر » .
[٤] - في ز : « الحسين » .

على[١] أثرها : « **الحمد لله رب العالمين** » ، [فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين** ﴾][٢].

وقال أبو أسامة وغيره(٦٠) ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا قرأت : ﴿ **فادعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ، فقل : « **لا إله إلا الله** » وقل علىٰ أثرها : « **الحمد لله رب العالمين** » ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : إن الله ينهىٰ أن يُعْبَد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان . وقد بين تعالىٰ أنه لا يستحق العبادة أحد سواه ، في قوله : ﴿ **هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلًا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا** ﴾ أي : هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها ، وحده لا شريك له ، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله ، ﴿ **ومنكم من يتوفىٰ من قبل** ﴾ أي : من قبل أن يوجد ويخرج إلىٰ هذا العالم ، بل تُسقطه أمه سقْطا ، ومنهم من يتوفىٰ صغيرًا وشابًا ، وكهلًا قبل الشيخوخة ، كقوله: ﴿ **لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **ولعلكم تعقلون** ﴾ ، قال ابن جريج : تتذكرون البعث .

= في «الدر المنثور » (٦٦٨/٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى « الأسماء والصفات » ولم أجده فى مظانه بعد البحث . والله أعلم .

(٦٠) – رواه ابن جرير (٨١/٢٤) من طرق عن إسماعيل به ، وإسناده صحيح ، ولم يعزه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٦٨/٥) لغير عبد بن حميد .

[١] – في ز : « في » . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ثم قال: ﴿ هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي: هو المتفرد بذلك، لا يقدر على ذلك أحد سواه، ﴿ فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي: لا يخالف ولا يمانع، بل ما شاء كان.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى: ألا تعجَبُ يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويجادلون في الحق بالباطل، كيف تُصرَفُ عقولهم عن الهدى إلى الضلال، ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ﴾ أي: من الهدى والبيان، ﴿ فسوف يعلمون ﴾: [هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد][١]، من الرب جل جلاله لهؤلاء، كما قال تعالى: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾.

وقوله: ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل ﴾ أي: متصلة بالأغلال، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم؛ ولهذا قال: ﴿ يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾، كما قال تعالى: ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾. وقال بعد ذكره[٢] أكلهم الزقوم وشربهم الحميم: ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ وقال: ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظِلّ من يحموم * لا بارد ولا كريم ﴾ إلى أن قال: ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين ﴾، وقال: ﴿ إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « هذا تهديد ووعيد شديد ».

[٢] - سقط من: خ.

صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون ﴾ أي : يقال لهم ذلك علىٰ وجه التقريع والتوبيخ ، والتحقير والتصغير ، والتهكم والاستهزاء بهم .

قال ابن أبي حاتم(٦١) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا منصور بن عمار ، حدثنا بَشير بن طلحة الخزامي[١] ، عن خالد بن دريك ، عن يعلىٰ بن مُنْيَةَ - رفع الحديث إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ، ويقال : يا أهل النار ؛ أيّ شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون : نسأل بَرْدَ الشراب . فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمرًا يلهب النار عليهم** » . هذا حديث غريب .

وقوله : ﴿ **ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله** ﴾ أي : قيل لهم : أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟ هل ينصرونكم اليوم ؟ ﴿ **قالوا ضلوا عنا** ﴾ أي : ذهبوا فلم ينفعونا ، ﴿ **بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا** ﴾ أي : جحدوا عبادتهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **كذلك يضل الله الكافرين** ﴾ وقوله[٢] : ﴿ **ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون** ﴾ أي : تقول لهم الملائكة : هذا الذي أنتم فيه جزاءٌ علىٰ فَرَحكم في الدنيا بغير الحق ، ومَرَحكم وأشرِكم وبطرِكم ، ﴿ **ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوىٰ المتكبرين** ﴾ أي : فبئس المنزلُ والمَقِيلُ الذي فيه الهوانُ والعذاب الشديد ، لمن استكبر عن آيات الله ، واتباع دلائله وحُجَجه !

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا

(٦١) - وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦٩/٥) أيضًا إلى ابن أبي حاتم . وقد رواه الطبراني في «الأوسط » (٤١٠٣/٤) ثناعلي بن سعيد الرازي نا أحمد بن منيع به . ورواه تمام في « فوائده » (١٧٦٩/٥/ الروض) من طريق محمد بن جعفر العباد نا منصور به . وقال الطبراني : « لا يُروى هذا الحديث عن يعلى إلا بهذا الإسناد ، تفرد به منصور » وهو ضعيف ، فقد قال أبو حاتم : ليس بالقوى . وقال العقيلي : « فيه تجهم»، وقال الدارقطني : « يروى عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها » راجع « اللسان » لابن حجر (٦/ ٨٦٤٤) واستنكر له ابن عدى في « الكامل » (٢٣٩٠/٦) هذا الحديث بعينه . وقال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٢/١٠) : « وفيه من فيه ضعف قليل ، ومن لم أعرفه » !! ورجاله معروفون بعضهم من رجال التهذيب ، وبعضهم في « الميزان » للذهبي و « لسانه » لابن حجر ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (رقم / ٦٢) ثنا أحمد بن منيع ثنا منصور بن عمار به موقوفًا ، قال المنذري في « الترغيب » (٤/ ٤٧٣) : « وهذا أصح » بل مثل سابقه أيضًا فالخطأ فيه من منصور وهو ضعيف ، ثم إن الحديث منقطع بين خالد ويعلى فإنه لم يسمع منه كما قال السخاوي في « المقاصد » (ص١٦٠) ولذلك استغربه المصنف هنا .

[١] - في خ : « الجذامي » ، وفي ز : « الجزامي » . [٢] - سقط من : ز .

يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالصبر علىٰ تكذيب من كذبه من قومه ، فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر علىٰ قومك ، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ، ﴿ **فإما نرينك بعض الذي نعدهم** ﴾ أي : في الدنيا . وكذلك وقع ، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم ، أبيدوا في يوم بدر ، ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **أو نتوفينك فإلينا يرجعون** ﴾ أي : فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة .

ثم قال مسليًا له : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ كما قال في « سورة النساء » . سواء ، أي : منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة ، ﴿ **ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ ، وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف ، كما تقدم التنبيه علىٰ ذلك في « **سورة النساء** » ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله** ﴾ أي : ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات ، إلا أن يأذن الله له في ذلك ، فيدلّ ذلك علىٰ صدقه فيما جاءهم به ، ﴿ **فإذا جاء أمر الله** ﴾ ، وهو عذابه ونَكَاله المحيط بالمكذبين ، ﴿ **قضي بالحق** ﴾ ، فينجو[١] المؤمنون ، ويهلك الكافرون ، ولهذا قال : ﴿ **وخسر هنالك المبطلون** ﴾ .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده ، بما خلق لهم من الأنعام ، وهي : الإبل والبقر والغنم ، ﴿ **فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** ﴾ ، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب ، ويحمل عليها الأثقال في

---

[١] - في ز : « فينجي » .

الأسفار والرحال إلىٰ البلاد النائية ، والأقطار الشاسعة . والبقر تؤكل ، ويشرب لبنها ، وتحرث عليها الأرض . والغنم تؤكل ، ويشرب لبنها . والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها ، فيتخذ منه الأثاث والثياب والأمتعة ، كما فصّل وبيّن في أماكن تقدم ذكرها في « سورة الأنعام » و « سورة النحل » وغير ذلك ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلىٰ الفلك تحملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويريكم آياته** ﴾ أي: حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم ، ﴿ **فأي آيات الله تنكرون** ﴾ ، أي : لا تقدرون[١] علىٰ إنكار شيء من آياته ، إلا أن تعاندوا وتكابروا .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
(٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ
سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)

يخبر تعالىٰ عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر ، وماذا حلّ بهم من العذاب الشديد ، مع شدة قواهم ، وما أثَّروه في الأرض ، وجمعوه من الأموال ، فما أغنىٰ عنهم ذلك شيئًا ، ولارَدّ عنهم ذرّةً من بأس الله ؛ وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات ، والحجج القاطعات ، والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا إليهم ، ولا أقبلوا عليهم ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل .

وقال مجاهد : قالوا : نحن أعلم منه ، لن نبعث ولن نعذب .

وقال السدي : فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم ، فأتاهم من بأس الله مالا قِبَل لهم به ﴿ **وحاق بهم** ﴾ أي : أحاط بهم ﴿ **ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : يكذبون ويستبعدون وقوعه .

﴿ **فلما رأوا بأسنا** ﴾ أي : عاينوا وقوع العذاب بهم ، ﴿ **قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين** ﴾ أي : وحّدوا الله وكفروا بالطاغوت ، ولكن حيث لا تُقال العثرات ، ولا تنفع المعذرة . وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق : ﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به**

---

[١] - في ز : « يقدروا » .

بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾ ، أي ، فلم يقبل الله منه ؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسىٰ دعاءه عليه حين قال : ﴿ **واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وهاهنا قال : ﴿ **فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده** ﴾ أي : هذا حكم الله في جميع مَنْ تاب عند معاينة العذاب : أنه لا يقبل . ولهذا جاء في الحديث : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ** »(٦٢) ، أي : فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة ، وعاين المَلَكَ ، فلا توبة حينئذ ؛ ولهذا قال : ﴿ **وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

آخر تفسير سورة المؤمن[١] ، ولله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

---

(٦٢) - تقدم تخريجه في سورة النساء ، آية (١٧) .

[١] - في ت : « غافر » .

[تفسير حم السجدة
وهي مكية][١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **حم * تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾ يعني : القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق** ﴾ ، وقوله: ﴿**وإنه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين**﴾ ، وقوله : ﴿ **كتاب فصلت آياته** ﴾ أي : بُيّنت معانيه وأحكمت أحكامه ، ﴿ **قرآنًا عربيًّا** ﴾ أي : في حال كونه لفظًا عربيًّا ، بيّنًا واضحًا ، فمعانيه مفصلة ، وألفاظه واضحة غير مشكلة ، كقوله : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ أي : هو معجز من حيث لفظه ومعناه ، ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ ، وقوله : ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ أي: إنما يعرف هذا البيانَ والوضوحَ العلماءُ الراسخون ، ﴿ **بشيرًا ونذيرًا** ﴾ أي : تارة يبشر المؤمنين ، وتارة ينذر الكافرين ، ﴿ **فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون** ﴾ أي : أكثر قريش ، فهم لايفهمون منه شيئًا مع بيانه ووضوحه ، ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة** ﴾ أي : في غلف مغطاة ﴿ **مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر** ﴾ أي : صمم عما جئتنا به ، ﴿ **ومن بيننا وبينك حجاب** ﴾ ، فلا يصل إلينا[٢] شيء مما تقول[٣] ، ﴿ **فاعمل إننا عاملون** ﴾ أي : اعمل أنت علىٰ طريقتك ، ونحن علىٰ طريقتنا لا نتابعك .

قال الإمام العَلَم عبد بن حُمَيد في مسنده (١) : حدثني ابن أبي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن الأجلح ، عن الذّيّال بن حَرْمَلَة الأسدي ، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال : اجتمعت[٤] قريش يومًا فقالوا : انظروا أعلمَكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا

(١) - المنتخب (١١٢٣) .

[١] - في ت : « تفسير سورة فصلت » .
[٢] - في ز : « إلى » .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - في ز : « اجتمع » .

الرجل الذي قد فَرّق جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وعاب ديننا ، فَلْيكلمه وَلْتَنْظُرْ ماذا يَرُدّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحدًا غير عُتْبَة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، قال[١] : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلَّم حتىٰ نسمع قولك ، إنا والله مارأينا سَخْلةً(*) قطُّ أشأم علىٰ قومك(**) منك ، فَرّقت جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وعِبْتَ ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتىٰ لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا ، وأن في قريش كاهنًا ! والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبْلىٰ أن يقوم بعضنا إلىٰ بعض بالسيوف ، حتىٰ نتفانىٰ ! أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتىٰ تكون أغنىٰ قريش رجلًا ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أيّ نساء قريش فَلْنزوجك عشرًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **فرغت ؟** » . قال: نعم . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾** حتىٰ بلغ : **﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾** » . فقال عتبة : حسبك ! حسبك ! ما عندك غير هذا ؟ قال : « لا » . فرجع إلىٰ قريش ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : ماتركت شيئًا أرىٰ أنكم تكلمونه به إلا كلمته . قالوا : فهل أجابك ؟ قال : لا ، والذي نصبها بَنِيَّةً(***) ما فهمتُ شيئًا مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك ! يكلمك[٢] الرجل بالعربية ما تدري ماقال ؟ ! قال : لا ، والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة (٢) .

وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده(٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواء . وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل ، عن الأجلح - وهو ابن عبد الله الكندي، وقد ضُعّف بعض الشيء - عن الذّيّال بن حرملة ، عن جابر ، فذكر الحديث إلىٰ

(*) السخلة : الذكر والأنثى من لد الضأن والمعز ساعة يولد .

(**) في المنتخب : قومه .

(***) يريد الكعبة . وهي بنية إبراهيم عليه السلام لأنه بناها .

(٢) - إسناده ضعيف ؛ الأجلح - وهو ابن عبد الله الكندى - ضعفه غيرواحدٍ ، وقد تفرد ، ولا يحتمل تفرده ، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة فى مصنفه ٤٤٠/٨ عن على بن مسهر ، وأخرجه الحاكم من طريق جعفر بن عون - كلاهما - عن الأجلح به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ . والحديث عزاه السيوطى أيضًا فى الدر إلى ابن مردويه ، وابن عساكر ، من هذا الوجه .

وانظر بقية تخريجه فيما يلى .

(٣) - المسند (١٨١٨) (٣٤٩/٣).

[١] - في ت : ف« قال » . [٢] - في ز : « وكلمك » .

قوله : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة [مثل صاعقة][١] عاد وثمود ﴾ فأمسك عتبة علىٰ فيه ، وناشده بالرَّحِم ، ورجع إلىٰ أهله ، ولم يخرج إلىٰ قريش واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : يامعشر قريش ، واللّه مانرىٰ عتبة إلا قد صَبَا إلىٰ محمد ، وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه . فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : ياعتبة ، ماحَبَسك عنا إلا أنك صبوت إلىٰ محمد وأعجبك طعامه ، فإن كانت لك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد . فغضب عتبة ، وأقسم أن لايكلم محمدًا أبدًا ، وقال : واللّه لقد علمتم أني من أكثر قريش مالًا ، ولكني أتيته وقَصَصتُ عليه القصة[٢] فأجابني بشيء واللّه ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلىٰ قوله : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ ، فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يَكُفَّ ، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب .

وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى ، واللّه أعلم . وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار في كتاب « السيرة »(٤) علىٰ خلاف هذا النمط[٣] ، فقال :

حدثني يزيد[٤] بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : حُدِّثتُ أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدًا - قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ، ورسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم إلىٰ محمد فأكلِّمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيّها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم[٥] حمزة ، ورأوا أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلىٰ يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه . فقام إليه عتبة حتىٰ جلس إلىٰ رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من [السِّطَة في][٦] العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فَرَّقْتَ به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به من مضىٰ من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها . قال : فقال له رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **قل يا أبا الوليد أسمع** » . قال : يا ابن أخي ، إن كنتَ إنما تريدُ بما جئتَ به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا ؛ حتى تكون من أكثرنا أموالًا . وإن كنت تريد به شرفًا سَوّدناك علينا ، حتىٰ لا نقطع أمرًا دونك . وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا . وإن كان هذا[٧] الذي يأتيك رَئِيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتىٰ نبرئك منه ، فإنه ربما غَلَب التابعُ علىٰ الرجل حتىٰ يُداوىٰ منه - أو كما قال له -

(٤) - السيرة ٣٠٥/١ ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢٠٤/٢ .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « الخط » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « أقبل » .
[٦] - في خ ، ز : « السيطة و » .
[٧] - سقط من : ز .

حتىٰ إذا فرغ عتبة ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يستمع منه قال : « **أَفَرَغْتَ يا أبا الوليد** ؟ » . قال : نعم . قال : « **فاستمع مني** » . قال : أفعل . قال : « **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون * بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾** » . ثم مضىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمع عتبةُ أنصتَ لها[١]، وألقىٰ يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه ، ثم انتهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ السجدة منها[٢] ، فسجد ، ثم قال : « **قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك** » . فقام عتبة إلىٰ أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : أقسم - يحلف بالله - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا الكهانة[٣] . يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي[٤] ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونَنّ لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر علىٰ العرب فمُلْكه مُلككم ، وعِزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم(٥) . وهذا السياق أشبه من الذى قبله ، والله أعلم .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء[٥] المكذبين المشركين : ﴿ **إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ أنما إلهكم إله واحد** ﴾ ، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين ، إنما الله إله واحد ، ﴿ **فاستقيموا إليه** ﴾ أي[٦] : أخلصوا له العبادة علىٰ منوال ما أمركم به علىٰ ألسنة الرسل ﴿ **واستغفروه** ﴾ أي : لسالف الذنوب ، ﴿ **وويل للمشركين** ﴾ أي : دَمَارٌ لهم وهلاك

(٥) - إسناده ضعيف ؛ فيه من لم يسم . ويشهد له ما أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢٠٦/٢ من حديث عبد الله ابن عمر بلفظ : « لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة ﴿ **حم تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾ أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم ، واعصونى فيما بعد ... إلخ » . واستغربه المصنف فى البداية والنهاية بقوله : وهذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه اهـ .

[١] - في خ : « إليها » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ : « بالكهانة » .
[٤] - في ت : « لي » ، وفي ز : « في » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .

عليهم ، ﴿ **الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا اللّٰه . وكذا قال عكرمة .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ . **وكقوله** : ﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ وقوله : ﴿ **فقل هل لك إلىٰ أن تزكىٰ** ﴾ . والمراد بالزكاة هاهنا : طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك . وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تُطَهّره من الحرام ، وتكون سَبَبًا لزيادته وبركته وكثرة نفعه ، وتوفيقًا إلىٰ استعماله في الطاعات .

وقال السدي : ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ أي : الذين لا يدينون بالزكاة .

وقال معاوية بن قرة[١] : ليس هم من أهل[٢] الزكاة .

وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم .

وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين ، واختاره ابن جرير . وفيه نظر ؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلىٰ المدينة ، علىٰ ما ذكره غير واحد ، وهذه الآية مكية ، اللّٰهم إلا أن يقال : لا يبعد أن يكون أصل الزكاة والصدقة كان مأمورًا به في ابتداء البعثة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ ، فأما الزكاة ذات النُّصُب والمقادير فإنما بيّن أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعًا بين القولين ، كما أن أصل الصلاة كان واجبًا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة ، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، فرض اللّٰه علىٰ رسوله الصلوات الخمس ، وفَصّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك ، شيئًا فشيئًا ، واللّٰه أعلم .

ثم قال بعد ذلك : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** ﴾ ، قال مجاهد وغيره : لا مقطوع ولا مجبوب . كقوله : ﴿ **ماكثين فيه أبدًا** ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ .

وقال السدي : ﴿ **غير ممنون** ﴾ عليهم . وقد رد عليه بعض الأئمة هذا التفسير ، فإن المنة للّٰه علىٰ أهل الجنة ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **بل اللّٰه يَمُنّ عليكم أن هداكم للإيمان** ﴾ . وقال أهل الجنة : ﴿ **فمن اللّٰه علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ وقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إلا أن يَتَغَمَّدَني اللّٰه برحمة منه وفضل** » (٦) .

(٦) - أخرجه البخارى ، فى كتاب المرض . باب : تمنى المريض الموت (٥٦٧٣) ، وفى الرقاق باب : القصد ، والمداومة على العمل (٦٤٦٤) ، ومسلم فى كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : =

[١] - في خ : « قيس » . [٢] - سقط من : ز .

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾

هذا إنكار من الله علىٰ المشركين الذين عبدوا معه غيره ، وهو الخالق لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، المقدِّر لكل شيء ، فقال : **﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ﴾** أي : نظراء وأمثالًا تعبدونها معه ، **﴿ذلك رب العالمين﴾** أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم.

وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالىٰ : **﴿ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾** ، ففصّل هاهنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء ، فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنها كالأساس ، والأصل أن يُبْدَأ بالأساس ، ثم بعده بالسقف ، كما قال : **﴿ هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعًا ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن سبع سمٰوات ﴾** الآية . فأما قوله : **﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾** ففي هذه الآية أن دَحْيَ الأرض كان بعد خلق السماء فالدَّحْيُ هو مفسر بقوله : **﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾** ، وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه ، فإنه قال :

وقال المنهال : عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : إني أجدُ في القرآن أشياء تختلف عليّ ، قال : **﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾** ، **﴿ وأقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون ﴾** ، **﴿ ولا يكتمون الله حديثا ﴾** ، **﴿ والله ربنا ماكنا مشركين ﴾** ، فقد كتموا في هذه الآية ؟ وقال : **﴿ أم السماء بناها ﴾** ، إلىٰ قوله : **﴿ دحاها ﴾** ، فذكر خَلْقَ

= لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى (٢٨١٦) كلاهما من حديث أبى هريرة .

وأخرجه البخارى فى الرقاق من الموضع السابق (٢٤٦٧) ، ومسلم فى الموضع السابق (٢٨١٨) كلاهما من حديث عائشة وأخرجه مسلم فى نفس الموضع (٢٨١٧) من حديث جابر بن عبد الله .

السماء قبل الأرض ، ثم قال : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين** ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ **طائعين** ﴾ ، فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ؟ وقال : ﴿ **وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ ، ﴿ **عزيزًا حكيمًا** ﴾ ، ﴿ **سميعًا بصيرًا** ﴾ ، فكأنه كان ثُم مضىٰ .

قال - يعني ابن عباس - : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ في النفخة الأولىٰ ، ثم ينفخ في الصور ، ﴿ **فصَعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم[١] في النفخة الأخرى ﴿**وأقبل بعضهم علىٰ بعض يتساءلون**﴾ وأما قوله : ﴿ **ماكنا مشركين** ﴾ ، ﴿ **ولا يكتمون الله حديثًا** ﴾ ، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم[٢] ، فقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين ، فيختم علىٰ أفواههم ، فتنطق أيديهم ، فعند ذلك يعرف أن الله لا يُكتَمُ حديثًا ، وعنده ﴿ **يود الذين كفروا** ﴾ الآية . وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دَحَىٰ الأرض ، ودَحْيُها : أن أخرج منها الماء والمرعىٰ ، وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله ﴿ **دحاها**[٣] ﴾ ، وقوله : ﴿ **خلق الأرض في يومين** ﴾ فَخُلِقَتِ الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخُلِقَت[٤] السموات في يومين ﴿ **وكان الله غفورًا رحيمًا** ﴾ : سمىٰ نفسه بذلك ، وذلك قوله ، أي : لم يزل كذلك ، فإن الله لم يُرِد شيئًا إلا أصاب به الذي أراده ، فلا يختلفَنّ عليك القرآن ، فإن كلًّا من عند الله عز وجل ، قال البخاري (٧) : حدثنيه يوسف بن عَدي ، حدثنا عُبَيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال - هو ابن عمرو - بالحديث .

فقوله : ﴿ **خلق الأرض في يومين** ﴾ ، يعني : يوم الأحد ويوم الاثنين ، ﴿ **وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها** ﴾ أي : جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس ، ﴿**وقدر فيها أقواتها** ﴾ وهو : ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزدرع[٥] وتغرس ، يعني يوم الثلاثاء والأربعاء ، فهما مع اليومين السابقين أربعة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **في أربعة أيام سواء للسائلين**﴾ أي : لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه .

وقال مجاهد وعكرمة في قوله : ﴿**وقدر فيها أقواتها**﴾ : جعل في كل أرض ما[٦] لا يصلح في غيرها ، ومنه ، العصب باليمن ، والسابوري[٧] بسابور ، والطيالسة بالري .

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والسدي في قوله تعالىٰ : ﴿ **سواء للسائلين** ﴾ أي : لمن أراد السؤال عن ذلك .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « ذنبهم » .
[٣] - في ز : « دحيها » .
[٤] - في ز : « وخلق » .
[٥] - في ت : « تزرع » .
[٦] - في ز : « مما » .
[٧] - في ت : « السابري » .

وقال ابن زيد : معناه : ﴿ وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ أي : علىٰ وفق مراد من له حاجة إلىٰ رزق أو حاجة ، فإن اللّٰه قدّر له ما هو محتاج إليه .

وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه[١] خلقت السماء[٢] ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا وكرها ﴾ أي : استجيبا لأمري وانفعلا لفعلي [طائعتين أو مكرهتين][٣].

قال الثوري : عن ابن جُرَيج ، عن سليمان بن موسىٰ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا ﴾ ، قال : قال اللّٰه تعالىٰ للسماوات : أطلعي شمسي وقمري ونجومي . وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي ثمارك . فقالتا : ﴿ أتينا طائعين ﴾ واختاره ابن جرير رحمه اللّٰه .

﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ أي : بل نستجيب لك مطيعين بما فينا ، مما تريد خلقه من الملائكة والإِنس والجن جميعًا مطيعين لك . حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية . قال : وقيل : تنزيلًا لهن معاملة من يعقل بكلامهما[٤] .

وقيل : إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ، ومن السماء ما يسامته منها ، واللّٰه أعلم .

و[٥]قال الحسن البصري : لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابًا يجدان ألمه . رواه ابن أبي حاتم . ﴿ فقضاهن سبع سمٰوات في يومين ﴾ أي : ففرغ من تسويتهن سبع سماوات في يومين ، أي : آخرين ، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة .

﴿ وأوحىٰ في كل سماء أمرها ﴾ أي : ورتب مقررًا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة ، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو ، ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ ، وهنّ الكواكب النيرة[٦] المشرقة علىٰ أهل الأرض ، ﴿ وحفظًا ﴾ أي : حرسًا من الشياطين أن تستمع إلىٰ الملأ الأعلىٰ .

﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ أي : العزيز الذي قد عزّ كل شيء فغلبه وقهره ، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم .

---

[١] - بعده في ت : حين . [٢] - في ت : « الأرض » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « طائعين أو مكرهين » [٤] - في ز : « لكلامهما » .
[٥] - سقط من : ز . [٦] - في ت : « المنيرة » .

قال ابن جرير(٨) : حدثنا هَنّاد بن السري ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد[١] البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - قال هَنَّاد : قرأت سائر الحديث - أن اليهود أتت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض ، فقال : « **خلق اللّٰه الأرض يوم[٢] الأحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، فهذه أربعة ،** ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين** ﴾ : لمن سأل . قال : « **وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلىٰ ثلاث ساعات بقيت منه ، [فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال ، حين يموت من مات][٣] ، وفي الثانية ألقىٰ الآفة علىٰ كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم ، وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له ، وأخرجه منها في آخر ساعة** » . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : « **ثم استوىٰ علىٰ العرش** » . قالوا : قد أصبت لو أتممت ! قالوا : ثم استراح . فغضب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم غضبًا شديدًا ، فنزل : ﴿ **ولقد خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * فاصبر علىٰ ما يقولون** ﴾ (٩) .

هذا الحديث فيه غرابة .

فأما حديث ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد اللّٰه بن رافع ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بيدي فقال : « **خلق اللّٰه التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدوابّ يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلْق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلىٰ[٤] الليل** » . فقد[٥] رواه مسلم والنسائي في كتابيهما ، من حديث ابن جريج ، به . وهو من

---

(٧) - فى صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة حم السجدة الفتح ٥٥٥/٨ .

(٨) - فى تفسيره ٩٥/٢٤ .

(٩) - إسناده ضعيف ؛ لضعف أبي سعد البقال ، قاله الحافظ فى الفتح ٥٥٨/٨ ، والحديث أخرجه عبد الرزاق - كما فى الفتح (٥٥٨/٨) ، والحاكم فى المستدرك ٥٤٣/٢ من طريق أبى سعد البقال به ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبى قائلًا : أبو سعد البقال ، قال ابن معين : « لا يكتب حديثه » .

---

[١] - في ت : « سعيد » .

[٢] - في خ ، ز : « و » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ت : « وقد » .

غرائب الصحيح ، وقد علَّله البخاري في التاريخ فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، وهو أصح[١](١٠) .

---

(١٠) - هذا الحديث أخرجه أحمد ٣٢٧/٢ ، ومسلم فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم من صحيحه ،باب: ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام (٢٧٨٩) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠١٠) ، وأبو يعلى (١٠/ ٥١٣، ٥١٤) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٨١٢) وغيرهم من طريق ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة به .

قال المصنف فى البداية والنهاية (١٨/١) : وقد تكلم فى هذا الحديث على بن المدينى والبخارى والبيهقى وغيرهم من الحفاظ اهـ .

قلت : حاصل هذا الكلام أن ابن المديني يرى أن إسماعيل بن أمية لم يأخذ هذا الحديث عن شيخه أيوب بن خالد مباشرة ، ولكن بينهما إبراهيم بن أبى يحيى ، وهو متروك ، وقد أجاب البيهقى عن هذا الكلام بقوله : وقد تابع إسماعيل بن أمية موسى بن عبيدة الربذي عن أيوب بن خالد ، إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف ، وروي عن بكر بن الشرود عن إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد به ، وإسناده ضعيف والله أعلم . اهـ . قال الشيخ الألباني ردًا على كلام ابن المديني : هذه دعوى عارية عن الدليل ، إلا مجرد الرأي ، وبمثله لا ترد رواية إسماعيل بن أمية ، فإنه ثقة ثبت اهـ . الصحيحة (١٨٣٣) .

أما البخاري فيرى أن هذا الحديث من مسند كعب الأحبار حيث قال في التاريخ (٤١٣/١) ، وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح . اهـ . قال الشيخ المعلمي في كتابه « الأنوار الكاشفة » ردًا على كلام البخاري هذا : لم يرتض البخاري قول شيخه ابن المديني ، وأعل الخبر بأمر آخر ..... ومؤدى صنيعه أن يحدس أن أيوب أخطأ وهذا الحدس مبني على ثلاثة أمور : الأول استنكار الخبر لما مر . الثاني : أن أيوب ليس بالقوي ، وهو مقل لم يخرج له مسلم إلا هذا الحديث كما يُعلم من الجمع بين رجال الصحيحين ، وتكلم فيه الأزدي ولم ينقل توثيقه عن أحد من الأئمة إلا ابن حبان ذكره في الثقات ، وشرط ابن حبان في التوثيق فيه تسامح معروف . الثالث : الرواية التي أشار إليها بقوله : « وقال بعضهم » وليته ذكر سندها ومتنها فقد تكون ضعيفة فى نفسها وإنما قويت عنده للأمرين الآخرين . ويدل على ضعفها أن المحفوظ عن كعب وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ومن يأخذ عنهم أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد ، وهو قول أهل الكتاب المذكور فى كتبهم وعليه بنوا قولهم فى السبت . انظر الأسماء والصفات ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٥ وأوائل تاريخ ابن جرير ، وفى الدر المنثور (٩١/٣) : «أخرجه ابن أبى شيبة عن كعب قال : بدأ الله بخلق السموات والأرض يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وجعل كل يوم ألف سنة »وأسنده ابن جرير فى أوائل التاريخ ٢٢/١ ط - الحسينية » واقتصر على أوله . فهذا يدفع أن يكون ما فى الحديث من قول كعب . اهـ المعلمى الأنوار الكاشفة ص١٨٩ - ١٩٠ وقال الشيخ الألبانى ردًا على كلام البخارى : وهذا كسابقه فمن هذا البعض ؟ وما حاله فى الضبط والحفظ حتى يُرجح على رواية عبد الله بن رافع ؟ وقد وثقه النسائى وابن حبان ، واحتج به مسلم وروى عنه جمع ، ويكفى فى صحة الحديث أن ابن معين رواه ولم يعله بشيء ! اهـ هذا وقد استظهر المصنف فى البداية والنهاية (١٨/١ - ١٩) قول الإمام البخارى فراجع كلامه هناك . ولابن جريج فى هذا الحديث إسناد آخر . =

---

[١] - في ت : « الأصح » .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ
الرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ
لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ
﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ الْعَذَابِ
الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالىٰ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق : إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله ، فإني أنذركم حلولَ نقمة الله بكم ، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين ، ﴿ **صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ أي : ومن شاكلهما[١] ممَّن فعل كفعلهما ، ﴿ **إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم** ﴾ ،كقوله تعالىٰ : ﴿ **واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه** ﴾ أي : في القرىٰ المجاورة لبلادهم ، بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومبشرين ومنذرين ، ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أولياءه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا ، بل كذبوا وجحدوا ، وقالوا : ﴿ **لو شاء ربنا لأنزل ملائكة** ﴾ أي : لو شاء[٢] أرسل الله رسلًا لكانوا ملائكة من عنده ، ﴿ **فإنا بما أرسلتم به** ﴾ أي : أيها البشر

= فقد أخرجه النسائى فى الكبرى (١١٣٩٢) من طريق الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة به . وهذه الطريق غير محفوظة تفرد بها الأخضر بن عجلان ، وخالف بها أصحاب ابن جريج ، منهم حجاج بن محمد وهشام بن يوسف ، وحجاج أثبت الناس فى ابن جريج انظر شرح العلل لابن رجب ص ٢٧٢ ويشبه أن يكون الأخضر قد روى هذا الحديث عن ابن جريج على الجادة . فعامة رواية ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة ، فسلكها الأخضر ووهم فيها . قال الذهبى فى العلو (٧٥) بعد أن ذكرهذا الحديث من طريق الأخضر : الأخضر ثقة ، وثقه ابن معين وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . ولينه الأزدى ، وحديثه فى السنن الأربعة وهذا الحديث غريبٌ من أفراده اهـ .

[١] - في ز : « شاكلها » . [٢] - سقط من خ .

﴿ **كافرون** ﴾ أي : لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فأما عاد فاستكبروا في الأرض** ﴾ أي : بغوا وعَتَوا وعَصَوا ، ﴿ **وقالوا من أشد منا قوة** ﴾ أي : مَنّوا بشدة تركيبهم وقواهم ، واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس اللّٰه ! ﴿ **أو لم يروا أن اللّٰه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة** ﴾ أي : أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة ؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها ، وإن بطشه شديد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ ، فبارزوا الجبار بالعداوة ، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله ، فلهذا قال : ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا** ﴾ ، قال بعضهم : وهي الشديدة الهبوب . وقيل : الباردة . وقيل : هي التي لها صوت .

والحق : أنها متصفة بجميع ذلك ، فإنها كانت ريحًا شديدة قوية ؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم ، وكانت باردة شديدة البرد جدًّا [كقوله تعالىٰ : ﴿ **بريح صرصر عاتية** ﴾ أي : باردة شديدة][١] وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمى النهر المشهور ببلاد المشرق « **صرصر** » لقوة صوت جريه .

وقوله : ﴿ **في أيام نحسات** ﴾ أي : متتابعات ، ﴿ **سبع ليال وثمانية أيام حسومًا** ﴾ كقوله : ﴿ **في يوم نحس مستمر** ﴾ أي : ابتُدِئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم ، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام ، حتىٰ أبادهم عن آخرهم ، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزىٰ** ﴾ أي : ، أشد خزيًا لهم[٢] . ﴿ **وهم لا ينصرون** ﴾ أي : في الأخرىٰ كما لم ينصروا في الدنيا ، وما كان لهم من اللّٰه من واق يقيهم العذاب ويدرأ[٣] عنهم النكال .

وقوله : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم** ﴾ ، قال ابن عباس ، وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : بيّنا لهم . وقال الثورى : دعوناهم . ﴿ **فاستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ** ﴾ أي : بَصّرناهم ، وبيّنا لهم ، ووضّحنا لهم الحقّ علىٰ لسان نبيهم صالح صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فخالفوه وكذبوه ، وعقروا ناقة اللّٰه التي جعلها آية وعلامة علىٰ صدق نبيهم ، ﴿ **فأخذتهم صاعقة العذاب الهون** ﴾ أي: بعث اللّٰه عليهم صيحة ورَجْفَةً وذلًّا وهوانًا وعذابًا ونكالًا ﴿ **بما كانوا يكسبون** ﴾ أي: من التكذيب والجحود ﴿ **ونجينا الذين آمنوا** ﴾ أي : من بين أظهرهم ، لم يَمَسّهم سوء ، ولا نالهم من ذلك ضرر ، بل نجاهم اللّٰه مع نبيهم صالح بإيمانهم ، وتقواهم للّٰه عز وجل .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « بهم » . [٣] - في ز : « ويزرأ » .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ
ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا
فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ويوم يُحشَر أعداء اللّٰه إلىٰ النار فهم يوزعون** ﴾ أي : اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلىٰ النار ، ﴿ **يوزعون** ﴾ أي : تجمع الزبانية أولهم علىٰ آخرهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونسوق المجرمين إلىٰ جهنم وردًا** ﴾ أي : عطاشًا .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا ما جاءوها** ﴾ أي : وقفوا عليها ، ﴿ **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** ﴾ أي : بأعمالهم مما قدموه وأخّروه ، لا يُكتَم[١] منه حرف .

﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** ﴾ ، أي : لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم ، فعند ذلك أجابتهم الأعضاء : ﴿ **قالوا أنطقنا اللّٰه الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة** ﴾ أي : فهو لا يخالف ولا يمانع ، وإليه ترجعون .

قال الحافظ أبو بكر البزار(١١) : حدثنا [محمد بن][٢] عبد الرحيم ، حدثنا علي بن قادم ، حدثنا شريك ، عن عُبَيد المكتب ، عن الشعبي ، عن أنس بن مالك - رضي اللّٰه عنه - قال : ضحك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ذات يوم ، أو تبسّم ، فقال : « **ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت ؟** » . قالوا : يا رسول اللّٰه ، من أي شيء ضحكت ؟ قال : « **عَجبتُ من مجادلة العبد ربّه يوم القيامة ، يقول : أي ربي ، أليس وعدتني أن لا تظلمني ؟ قال : بلىٰ .**

---

(١١) - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٥٤) عن محمد بن عبد الرحيم ، والحاكم (٦٠١/٤) من طريق إبراهيم بن أبي العنبس كلاهما عن علي بن قادم به وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، قلت : قد أخرجه مسلم كما سيأتي .

---

[١] - في ز : « نكتم » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

فيقول : فإني لا أقبل عليّ شاهدًا إلا من نفسي . فيقول اللَّه تبارك وتعالىٰ : أو ليس كفىٰ بي شهيدًا ، وبالملائكة الكرام الكاتبين ؟ قال : فيردد هذا الكلام مرارًا . قال : فيختم علىٰ فيه ، وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول : بُعدًا لكنَّ وسُحقًا !! عنكن كنت أجادل » .

ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي ، عن الثوري ، عن عُبَيد المكتب ، عن فُضيَل بن عمرو ، عن[١] الشعبي ، ثم قال : لا نعلم رواه عن أنس غير الشعبي . وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعًا عن أبي بكر بن أبي النضر ، [عن أبي النضر][٢] عن عُبَيد اللَّه ابن عبد الرحمن الأشجعي ، عن الثوري ، به . ثم قال النسائي : لا أعلم أحدًا رواه عن الثوري غير الأشجعي . وليس كما قال كما رأيت ، واللَّه أعلم (١٢) .

وقال ابن أبي حاتم (١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل بن عُلَية ، عن يونس بن عُبيد ، عن حُمَيد بن هلال قال : قال أبو بردة : قال أبو موسىٰ : ويدعىٰ الكافر والمنافق للحساب ، فَيَعرض عليه ربه - عز وجل - عمله ، فيجحد ويقول : أيْ ربّ ، وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل ! فيقول له الملك : أما عملت كذا ، في يوم كذا ، في مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزتك ، أيْ ربّ ما عملته . فإذا فَعَل[٣] ذلك خُتِم علىٰ فيه ، قال الأشعري: فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (١٤) : حدثنا زهير ، حدثنا حسن ، عن ابن لهيعة ، قال دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إذا كان يوم القيامة ، عُرِّف الكافر بعمله ، فجحد وخاصم ، فيقال : هؤلاء جيرانك يشهدون عليك ؟ فيقول : كذبوا . فيقول : أهلك عشيرتك ؟ فيقول : كذبوا . فيقول : احلفوا . فيحلفون ، ثم يصمتهم اللَّه وتشهد عليهم[٤] ألسنتهم ، ويدخلهم النار** » .

و[٥]قال ابن أبي حاتم (١٥) : وحدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الصمد بن

---

(١٢) - صحيح مسلم ، فى آخر كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٩) ، والنسائى فى الكبرى (١١٦٥٣) .

(١٣) - التفسير (١٨٤٥٥) .

(١٤) - المسند (١٣٩٢) ، و إسناده ضعيف ؛ لضعف رواية دراج وهو أبو السمح عن شيخه أبى الهيثم وقد توبع ابن لهيعة عليه . فأخرجه الطبرى فى تفسيره ١٠٥/١٨ من طريق آخر عن دراج به . قال الإمام أحمد كما فى الكامل لابن عدى - ترجمة دراج - أحاديث دراج عن أبى الهيثم فيها ضعف ، وقال الآجرى - كما فى تهذيب الكمال - عن أبى داود : أحاديث دراج مستقيمة إلا ما كان عن أبى الهيثم عن أبى سعيد .

(١٥) - التفسير (١٨٤٥٦) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « فيه » .

[٣] - في ز : « تعمل » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

عبد الوارث سمعت أبي ، حدثنا علي بن زيد ، عن مسلم بن صبيح أبي الضُّحىٰ ، عن ابن عباس : أنه قال لابن الأزرق : إن يوم القيامة يأتي علىٰ الناس منه حين ، لا ينطقون[١] ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتىٰ يؤذن لهم ، ثم يؤذن لهم فيختصمون ، فيجحد الجاحد بشركه باللّٰه ، فيحلفون له كما يحلفون لكم ، فيبعث اللّٰه عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم ، جلودَهم وأبصارَهم وأيديَهم وأرجلَهم ، ويختم علىٰ أفواههم ، ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارحَ ، فتقول : ﴿ **أنطقنا اللّٰه الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون** ﴾ ، فتقر الألسنة بعد الجحود .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عَبْدَة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَير الحضرمي ، عن رافع أبي الحسن - وَصف رجلًا جحد - قال : فيشير اللّٰه إلى لسانه ، فيربو في فيه[٢] ، حتى يملأه ، فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ، ثم يقول لآرابه كلها : تكلمي واشهدي عليه . فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه : صنعنا ، عملنا ، فعلنا .

وقد تقدم أحاديث كثيرة ، وآثار[٣] عند قوله تعالىٰ في سورة يس : ﴿ **اليوم نختم علىٰ أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) رحمه اللّٰه : حدثنا أبي ، حدثنا سُوَيد بن سعيد ، حدثنا يحيىٰ بن سُلَيم الطائفي ، عن ابن خُثَيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : لما رَجَعت إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مُهَاجِرَةُ البحر قال : « **ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟** » . فقال فتية منهم : بلىٰ يا رسول اللّٰه ، بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم ، تحمل علىٰ رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدىٰ يديه بين كتفيها ، ثم دفعها فخرت علىٰ ركبتيها ، فانكسرت قلتها . فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع اللّٰه الكرسيّ ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا . قال : يقول رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **صَدَقَتْ ، صدقت ، كيف يُقَدِّس اللّٰه[٤] قومًا لا يؤخذ بضعيفهم من شديدهم ؟** » .
هذا حديث غريب من هذا الوجه .

ورواه ابن أبي الدنيا في « **كتاب الأهوال** » : أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا يحيىٰ ابن سليم ، به(١٧) .

---

(١٦) - التفسير (١٨٤٥٧) .
(١٧) - الأهوال (٢٤٣) . والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) ، وابن حبان (٥٠٥٨ ، ٥٠٥٩) =

---

[١] - في ز : « ينطلقون » .
[٢] - في ت : « فمه » .
[٣] - في ز : « آيات » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم** ﴾ أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم : ماكنتم تتكتّمون منا[١] الذي كنتم تفعلونه ، بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ، ولا تبالون منه في زعمكم ، لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ، ولهذا قال : ﴿ **ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم** ﴾ ، أي : هذا الظن الفاسد - وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون - هو الذي[٢] أتلفكم وأرداكم عند ربكم ، ﴿ **فأصبحتم من الخاسرين** ﴾ ، أي : في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم .

قال الإمام أحمد رحمه الله (١٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عُمَارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال : كنت مستترًا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر : قرشي ، وخَتَناه ثَقَفيّان[٣] - أو : ثَقَفي[٤] وخَتَناه قُرشيّان - كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم . فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أتَرَون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه ، وإذا لم نرفعه لم يسمعه . فقال الآخر[٥] : إن سمع منه شيئًا سَمعه كله . قال : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **من الخاسرين** ﴾ .

وكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه (١٩) .

وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضًا ، من حديث سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن عُمَارة بن عُمَير ، عن وهب بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بنحوه (٢٠) .

= والخطيب فى تاريخه ٣٩٦/٧ من طريق مسلم بن خالد ، والفضل بن العلاء - كلاهما - عن ابن خثيم عن أبى الزبير عن جابر به ، وهذا الإسناد حسن ، ابن خثيم من رجال مسلم . وللحديث شواهد من حديث بريدة بن الحصيب ، وابن عباس وعبد الله بن عمرو وغيرهم . أخرجه ابن أبى شيبة ٥٩٢/٦ ، وابن أبى عاصم ٢٥٧/١ ، والطبرانى (١١٢٣٠) ، ٣٨٥/١٩ ، والبيهقى ٩٥/٦ ، وأبو نعيم فى الحلية ١٢٨/٦ .

(١٨) - المسند (٣٨١/١) (٣٦١٤) ، (٤٢٦/١) (٤٠٤٧) ، (٤٤٢/١) (٤٢٢٢) .

(١٩) - أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير من جامعه باب : « ومن سورة حم » حديث (٣٢٤٩) .

(٢٠) - أخرجه أحمد (٤٠٨/١) (٣٨٧٥) ، (٤٤٢/١) (٤٢٢١) ، (٤٤٣/١) (٤٢٣٨) ، ومسلم فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم من صحيحه ، حديث (٥/٢٧٧٥) ، والترمذى عقب الحديث رقم (٣٢٤٩) من الموضع السابق .

[١] - في ز : « من » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « ثقيفيان » .

[٤] - في ز : « ثقيفى» .

[٥] - في ز : « الآخران » .

ورواه البخاري ومسلم أيضًا ، من حديث السفيانين ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر عبد اللّٰه بن سَخْبرة ، عن ابن مسعود ، به [(٢١)] .

وقال عبد الرزاق[(٢٢)] : أخبرنا مَعمر ، عن بَهْز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : ﴿ **أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم** ﴾ ، قال : « **إنكم تُدعَون مُفَدَّمًا علىٰ أفواهكم بالفِدَام ، فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه** » .

قال معمر : وتلا الحسن : ﴿ **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم** ﴾ ، ثم قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قال اللّٰه : أنا مع عبدي عند ظنه بي ، وأنا معه إذا دعاني** »[(٢٣)] . ثم افترّ الحسن ينظر في[١] هذا ، فقال : ألا إنما عمل الناس علىٰ قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسنَ الظنَّ بربه فأحسنَ العملَ ، وأما الكافر والمنافق فأساءا[٢] الظنّ باللّٰه فأساءا[٣] العمل . ثم قال : قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم**

(٢١) - أخرجه البخارى فى التفسير من صحيحه ، باب : ﴿ **وذلكم ظنكم الذى ظننتم ...** ﴾ الآية حديث (٤٨١٧) فى كتاب التوحيد من صحيحه باب : ﴿ **وما كنتم تستترون ...** ﴾ الآية ، وأخرجه مسلم فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث (٥/٢٧٧٥) من طريق الثورى - وحده - عن منصور به والحديث أخرجه أيضًا الحميدى فى مسنده (٨٧) عن ابن عيينة ، وأحمد ١٤٣/١ (٤٢٣٨) من طريق الثورى ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٦٨) من طريق السفيانين - كلاهما - عن منصور به ، ورواه البخارى فى كتاب التفسير باب : ﴿ **وما كنتم تستترون أن يشهد ...** ﴾ الآية حديث (٤٨١٦) من طريق آخر عن منصور به .

(٢٢) - إسناده حسن ؛ أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (١٨٥/٣) ، وفى المصنف (٢٠١١٥) ١١/١٣٠ ومن طريقه النسائى فى الكبرى (١١٤٦٩) .
وأخرجه أحمد (٤/٥) ، والنسائي في الزكاة ، باب : وجوب الزكاة (٤/٥ - ٥) ، وباب من سأل بوجه الله عز وجل (٨٢/٥ - ٨٣) ، وابن المبارك فى الزهد (٩٨٧) ، والطبرانى فى الكبير (٩٦٩ - ٩٧٧) ١٩/ ٤٠٧ - ٤٠٩ من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه به .
وأخرجه أحمد (٤٤٦/٤) ، (٣/٥) ، والنسائي فى الكبرى (١١٤٣١) ، والطبرانى فى الكبير (١٠٣٦ - ١٠٣٨) (٤٢٦/١٩ - ٤٢٨) من طريق آخر عن حكيم به مطولًا ومختصرًا .

(٢٣) - أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٨٥/٣ عن معمر بهذا السياق وهو مرسل وأصله فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة ، فأخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب ما يذكر فى الذات والنعوت ، حديث رقم (٧٤٠٥) ، ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء ، باب : الحث على ذكر الله تعالى حديث رقم (٢٦٧٥) كلاهما من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة به .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « فأسيا » . [٣] - في ز : « فأسيا » .

ولا أبصاركم ﴾ ، إلىٰ قوله : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ (٢٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا النضر بن إسماعيل القاص - وهو أبو المغيرة - حدثنا ابن أبي ليلىٰ ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن[٢] بالله الظن ، فإن قومًا قد[٣] أرداهم سوء ظنهم بالله ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ »(٢٥) .

وقوله : ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ أي : سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها . وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارًا فما لهم أعذار ، ولا تقال لهم عثرات .

قال ابن جرير : ومعنىٰ قوله : ﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي : يسألوا الرجعة إلىٰ الدنيا ، فلا جواب لهم ، قال: وهذه كقوله تعالىٰ إخبارًا عنهم : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شِقْوتنا وكنا قومًا ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ (٢٨)

(٢٤) - عبد الرزاق فى تفسيره (١٨٥/٣) .

(٢٥) - حديث صحيح وهذا الإسناد ضعيف . النضر ضعفه غير واحد ، وقال ابن حبان : كان ممن فحش خطؤه ، وكثر وهمه . استحق الترك من أجله وقال ابن معين : ليس بشيء . والحديث أخرجه أحمد ٣/ ٣٩٠ ، وابن أبي الدنيا فى حسن الظن بالله حديث رقم (٤) من طريق النضر به وأخرجه أحمد ٣٢٥/٣ ، ٣٣٤/٣ ، ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، حديث (٢٨٧٧) (٨٢) ، وعبد بن حميد (١٠٤١) من طريق ابن جريج . وواصل عن أبى الزبير به ، وأخرجه أحمد ٢٩٣/٣ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ وعبد بن حميد ١٠١٥ ، ومسلم فى الموضع السابق حديث رقم (٢٨٧٧) (٨١) ، وأبو داود (٣١١٣) ، وابن ماجه (٤١٦٧) من طريق آخر عن جابر به .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « محسن » .
[٣] - سقط من : ز .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ أنه هو الذي[١] أضل المشركين ، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته ، وهو الحكيم في أفعاله ، بما قيّض لهم من القُرَناء من شياطين الإنس والجن ، ﴿ **فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ أي : حَسَّنوا لهم أعمالهم في الماضي[٢] ، وبالنسبة إلىٰ المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وحق عليهم القول** ﴾ أي : كلمة العذاب كما حَقّ[٣] علىٰ أمم قد خلت من قبلهم ، ممن فعل كفعلهم ، من الجن والإنس ، ﴿ **إنهم كانوا خاسرين** ﴾ أي : استَوَوْا هم وإياهم في الخَسَار والدمار .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن** ﴾ أي : تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ، ولا ينقادوا لأوامره ، ﴿ **والغوا فيه** ﴾ أي : إذا تُلي لا تستمعوا له . كما قال مجاهد : ﴿ **والغوا فيه** ﴾ ، يعني بالمُكاء والصفير والتخليط في المنطق علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا قرأ القرآن ، قريش تفعله .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ **والغوا فيه** ﴾ : عيبوه .

وقال قتادة : اجحدوا به ، وأنكروه وعادوه .

﴿ **لعلكم تغلبون** ﴾ : هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن . وقد أمر اللَّه سبحانه عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ ثم قال تعالىٰ منتصرًا للقرآن ، ومنتقمًا ممن عاداه من أهل الكفران: ﴿ **فلنذيقن الذين كفروا عذابًا شديدًا** ﴾ أي : في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه ، ﴿ **ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون** ﴾ أي : بشر أعمالهم ، وسَيِّئ فعالهم[٤] ﴿ **ذلك جزاء أعداء اللَّه النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** ﴾ .

قال سفيان الثوري عن سلَمَة بن كُهَيل، عن مالك بن الحُصَين الفَزَاري، عن أبيه ، عن علي - رضي اللَّه عنه - في قوله : ﴿ **اللذين أضلانا** ﴾ قال : إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ ، ز : « المعاصي » .
[٣] - في ز : « حقق » .
[٤] - في ت : « أفعالهم » .

وهكذا روى[١] حبة العرني عن عليّ مثل ذلك .

وقال السدي : عن علي : فإبليس يدعو به كلّ صاحب شرك ، وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة ، فإبليس - لعنه اللّه - هو الداعي إلىٰ كل شر من شرك فما دونه ، وابن آدم الأول . كما ثبت في الحديث : « **ما قُتِلت نفس ظلمًا إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل** » (٢٦) .

وقوله : ﴿ **نجعلهما تحت أقدامنا** ﴾ أي : أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابًا منا ، ولهذا قالوا : ﴿ **ليكونا من الأسفلين** ﴾ أي : في الدرك الأسفل من النار ، كما تقدم في « **الأعراف** » من سؤال الأتباع من اللّه أن يعذب قادتهم أضعافَ عذابهم ، قال : ﴿ **لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ أي : إنه تعالى قد أعطى كلًّا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال ، بحسب عمله وإفساده ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللّه زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا** ﴾ أي : أخلصوا العمل للّه ، وعملوا بطاعة اللّه تعالىٰ علىٰ ما شرع اللّه لهم .

قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٢٧) : حدثنا الجراح ، حدثنا سَلْم[٢] بن قتيبة أبو قتيبة الشّعيري ، حدثنا سُهَيل بن أبي حَزم ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قرأ علينا رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم هذه الآية : « ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا** ﴾ ، قد قالها ناس[٣] ثم كفر أكثرهم ، فمن قالها حتىٰ يموت فقد استقام عليها » .

---

(٢٦) - تقدم تخريجه فى سورة المائدة الآية رقم (٣٠) .

(٢٧) - إسناده ضعيف ؛ فى إسناده سهيل بن أبى حزم القطعى وهو ضعيف . وهو في مسند أبي يعلى (٦/ ٣٤٩٥) ومن طريقه ابن عدي في الكامل (١٢٨٨/٣) وأخرجه الترمذى (٣٢٥٠) فى كتاب التفسير =

---

[١] - في ت : « رواه » .

[٢] - في ز : « مسلم » . [٣] - في ز : « قوم » .

وكذا رواه النسائي في تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن عليّ الفلاس عن سلم[١] بن قتيبة ، به . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن الفلاس ، به[٢] . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر ابن سعد[٣] ، عن سعيد بن نمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق هذه الآية : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ ، قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا (٢٨) .

ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر رضي الله عنه ماتقولون[٤] في هذه الآية : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ ؟ قال[٥] : فقالوا : ﴿ **ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ من ذنب . فقال : لقد حملتموها على غير المحمل ، ﴿ **قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ ، فلم يلتفتوا إلى إله غيره ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الظّهراني ، أخبرنا حفص بن عمر العَدَنيّ ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أيّ آية في كتاب الله أرخص ؟ قال : قوله : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال الزهري : تلا عمر هذه الآية على المنبر ، ثم قال : استقاموا - والله - لله بطاعته ، ولم يروغوا رَوَغَانَ الثعالب .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ على أداء فرائضه . وكذا قال قتادة ، قال : وكان الحسن يقول : اللّهم ، أنت ربنا ، فارزقنا الاستقامة .

وقال أبو العالية : ﴿ **ثم استقاموا** ﴾ : أخلصوا له العمل والدين .

وقال الإمام أحمد (٢٩) : حدثنا هشيم ، حدثنا يعلى بن عطاء ، عن عبد الله بن سفيان

= باب : ومن سورة حم السجدة ، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٠) ، من طريق عمرو بن علي الفلاس عن سلم بن قتيبة به . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وزاد السيوطي في الدر نسبته إلى البزار ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم :

(٢٨) - تفسير الطبرى (١١٤/٢٤) .

(٢٩) - حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣٨٤/٤) وأخرجه أيضًا (٤١٣/٣) والدارمي (٢٧١٣) والنسائى في الكبرى (١١٤٨٩) من طريق يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان عن أبيه به .

[١] - في ز : « مسلم » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « سعيد » .
[٤] - في ز : « تقول » .
[٥] - مضبب عليه في : ز .

الثقفي ، عن أبيه ، أن رجلًا قال: يارسول الله، مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: « **قل : آمنت بالله ، ثم استقم** » . قلت : فما أتّقي ؟ فأومأ إلىٰ لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به .

ثم قال الإمام أحمد(٣٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدثني ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز العامري[١] ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يارسول الله، حدثني بأمر أعتصم به . قال: « **قل: ربي الله، ثم استقم** » . قلت: يا رسول الله ، ما أكثر ما تخاف علي ؟ فأخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ، ثم قال : « **هذا** » . وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث الزهري ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي(٣١) ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك . قال : « **قل : آمنت بالله ، ثم استقم** » . وذكر تمام الحديث .

وقوله : ﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ قال مجاهد، والسدي ، وزيد بن أسلم ، وابنه : يعني عند الموت قائلين ﴿ **أن لا تخافوا** ﴾ قال مجاهد ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم : أي مما تقدمون[٢] عليه من أمر الآخرة ، ﴿ **ولا تحزنوا** ﴾ ، علىٰ ما خلفتموه من أمر الدنيا ، من ولد وأهل ، ومال أو دين ، فإنا نَخْلفكم فيه ، ﴿ **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر [وحصول الخير][٣] .

وهذا كما في حديث البراء - رضي الله عنه - : « **إن الملائكة تقول لروح المؤمن : اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلىٰ رَوح وريحان ، ورب غير غضبان** » .

وقيل : إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم . حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، والسدي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا جعفر بن سليمان : سمعت ثابتًا [قرأ سورة « حم .][٤] **السجدة** » ، حتىٰ بلغ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا**

---

(٣٠) - مسلم فى الإيمان من صحيحه باب جامع أوصاف الإسلام حديث رقم (٦٢) (٣٢)

(٣١) - أخرجه أحمد (٤١٣/٣) ، والدارمى (٢٧١٤) ، والترمذى (٢٤١٠) ، وابن ماجه (٣٩٧٢) ، من طريق الزهرى عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز به .

---

[١] - في ت : « الغامدي » .

[٢] - في ز : « يقدمون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﴾ . فوقف فقال : بلغنا أن العبد المؤمن حين[١] يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه[٢] اللذان كانا معه في الدنيا ، فيقولان له : لا تخف ولا تحزن ، ﴿ **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ قال : فيؤمن الله خوفه ، ويُقِرّ عينه ، فما عظيمة يَخْشىٰ الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قُرّة عين ، لما هَدَاه الله ، ولما كان يعمل له في الدنيا (٣٢) .

و[٣]قال زيد بن أسلم : يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم. وهذا القول يجمع الأقوال كلها ، وهو حسن جدًّا ، وهو الواقع .

وقوله : ﴿ **نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ أي : [تقول الملائكة للمؤمنين][٤] عند الاحتضار : نحن كنا أولياءكم ، أي : قرناءكم في الحياة الدنيا ، نُسددكم ونوفقكم ، ونحفظكم بأمر الله ، وكذلك نكون معكم في الآخرة ، نُؤنس منكم الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ، ونوصلكم إلىٰ جنات النعيم . ﴿ **ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم** ﴾ أي : في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس ، وتقر به العيون ، ﴿ **ولكم فيها ما تدعون** ﴾ [أي : مهما طلبتم وجدتم ، وحضر بين أيديكم كما اخترتم][٥] ، ﴿ **نزلًا من غفور رحيم** ﴾ [أي : ضيافة وعطاء وإنعاما من غفور لذنوبكم ، رحيم بكم رءوف ، حيث غفر ، وستر ، ورحم ولطف .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديث « **سُوق الجنة** » عند قوله تعالىٰ : ﴿ **ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفور رحيم** ﴾][٦] ، فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عَمّار ، حدثنا عبد الحميد بن حَبِيب بن أبي العشْرين أبي سعيد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني حَسَّان بن عطية ، عن سعيد بن المسيب : أنه لقي أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : نسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سُوق الجنة . فقال سعيد : أوَ فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها ، نزلوا بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون الله - عز وجل - ويبرز لهم عرشه ، ويَتَبَدّىٰ لهم في روضة من رياض الجنة ، وتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من**

---

(٣٢) - عزاه السيوطي فى الدر (٦٨٣/٥) إلى ابن أبى حاتم ، وابن المنذر . وإسناده حسن ، جعفر بن سليمان تكلم فيه بعضهم من قبل مذهبه فى التشيع ، ووثقه جماعة .

---

[١] - في ز : « حيث » .

[٢] - في خ : « الملكان » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول للمؤمن الملائكة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم دَنيء على كثبان المسك والكافور ما يرون بأن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا » .

قال أبو هريرة : قلت : يارسول اللّه ، وهل نَرَىٰ ربنا ؟ قال : « نعم ، [هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ » قلنا : لا . قال صلىٰ اللّه عليه وسلم : « فكذلك لا تتمارون في رؤية ربكم تعالىٰ][١] ، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره اللّه محاضرة ، حتىٰ إنه ليقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان ، أتذكر يوم عملت كذا وكذا ؟ - يُذكِّره ببعض غَدَراته في الدنيا - فيقول : أيْ ربِّ ، أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلىٰ ، فَبِسَعَة مغفرتي بلغت منزلتك هذه . قال : فبينما هم علىٰ ذلك ، غَشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط . قال : ثم يقول ربنا - عز وجل - : قوموا إلىٰ ما أعددتُ لكم من الكرامة ، وخذوا ما اشتهيتم . قال : فنأتي سوقا قد حَفَّت به الملائكة ، فيها ما لم تنظر العيون إلىٰ مثله ، ولم تسمع الآذانُ ، ولم يخطر علىٰ القلوب . قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيه شيء ولا يُشترىٰ ، وفي ذلك السوق يلقىٰ أهل الجنة بعضُهم بعضًا . قال : فيُقبِلُ الرجل ذو المنزلة الرفيعة ، فيلقىٰ من هو دونه - وما فيهم دَنيء فيَرُوعه ما يرىٰ[٢] عليه من اللباس ، فما ينقضي آخر[٣] حديثه حتىٰ يَتَمثَّل عليه أحسن منه ، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها . ثم ننصرف إلىٰ منازلنا ، فيتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبًا وأهلًا بحبّنا ، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه . فيقول : إنا جالسنا اليوم [ربنا الجبار][٤] - عز وجل - ويَحِقُّنا أن نَنْقَلب بمثل ما انقلبنا به » .

وقد رواه الترمذي في « صفة[٥] الجنة » من جامعه ، عن محمد بن إسماعيل ، عن هشام ابن عمار ، ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار ، به نحوه (٣٣) .

ثم قال الترمذي : « هذا حديث غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حُميد ، عن أنس قال : قال رسول اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - : « من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه ، ومن كره لقاء اللّه كره اللّه

(٣٣) - حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٢٥٤٩) ، وابن ماجه (٤٣٣٦) ، وابن أبى عاصم فى السنة (٥٨٥، ٥٨٧) ، وابن حبان (٧٤٣٨) ، وتمام فى فوائده (١٧٨٧) ، والعقيلى فى الضعفاء ٤١/٣ من طريق هشام ابن عمار به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الجبار ربنا » .
[٥] - في خ ، ز : « قصة » .

لقاءه » . قلنا : يارسول الله ، كلنا نكره الموت ؟ قال : « ليس ذلك كراهية الموت[1] ، ولكن المؤمن إذا حُضِر جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه ، فليس شيء أحبّ إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه » . قال : « وإن الفاجر - أو الكافر - إذا حُضِر جاءه بما هو صائر إليه من الشر - أو : ما يلقىٰ من الشر - فكره لقاء الله ، فكره الله لقاءه » .

وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه (٣٤) .

وهذا الحديث اختلف فيه على الأوزاعى . فقد رواه عبد الحميد بن حبيب - كما ذكر المصنف - عن الأوزاعى عن حسان بن عطية به ، وعبد الحميد بن حبيب لينه غير واحدٍ ، وقد خالفه الوليد بن مسلم عند ابن عساكر فى تاريخه (٤٠/ ٥) ، والهقل بن زياد عند ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة ، باب : سوق الجنة حديث رقم (٢٥٦) كلاهما عن الأوزاعى قال نبئت أن سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة ... الحديث . وهذا أصح . فالهقل بن زياد ، والوليد بن مسلم من أثبت أصحاب الأوزاعى . ولم يذكرا الواسطة بين الأوزاعى وبين سعيد والحديث رواه سويد بن عبد العزيز عن الأوزاعى على ثلاثة أوجه :

الأول : عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد أنه لقى أبا هريرة الحديث . فوافق بها رواية عبد الحميد ابن حبيب عن الأوزاعى . أخرجه ابن أبى عاصم (٥٨٦) ، والآجرى فى الشريعة ص ٢٦٠ ، والعقيلى فى الضعفاء (٤٢/٣) ، وتمام فى فوائده (١٧٨٨ - الروض) .

الثانى : عن الأوزاعى قال : نبئت أن سعيد ... الحديث ، فوافق بها رواية الوليد بن مسلم ، والهقل بن زياد عن الأوزاعى ، أخرجه ابن عساكر (٤/٤٠) .

الثالث : عن الأوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب به فجعل الواسطة بين الأوزاعى وبين سعيد عبد الرحمن بن حرملة .

والحديث رواه أيضًا عبد القدوس بن حجاج عن الأوزاعى فقال : عن الزهرى عن سعيد بن المسيب فذكره . فجعل الواسطة بين الأوزاعى وسعيد الزهرى . أخرجه تمام فى فوائده (١٧٩٠ - الروض) ، وابن عساكر فى تاريخه (٧/٤٠) .

وحكى الدارقطنى فى العلل (٢٧٦/٧)أن عبد القدوس بن حجاج رواه عن الأوزاعى قال : نبئت عن أبى هريرة . ولم يذكر حتى سعيد بن المسيب ثم رجحها قائلاً : وهذا أشبهها بالصواب اهـ . ورواه محمد بن مصعب القرقسانى عن الأوزاعى فقال : عن الزهرى قال : قال لى سعيد . فجعل الزهرى الواسطة بين الأوزاعى وبين سعيد ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٤٠/ ٧ - ٨) ، قال الدارقطنى فى العلل : وهم فى قوله عن الزهرى اهـ .

فالحاصل : أن هذا الحديث ضعيف لإبهام الواسطة بين الأوزاعى وبين سعيد بن المسيب وكل الطرق التى ذكر فيها اسم الواسطة معلولة للمخالفة والله أعلم . وانظر الضعيفة (١٧٢٢) ، والعلل للدارقطنى (٧/ ٢٧٥).

(٣٤) - حديث صحيح . المسند (٢٣٧/٣) ، وأخرجه أبو يعلى (٣٨٧٧) ، والبزار (٧٨٠ - كشف) وعزاه المزى فى التحفة (٧١٢) إلى النسائى فى الكبرى مستدركه على الحافظ بن عساكر ، وتبعه ابن حجر فى الفتح (٣٠٨/١١) وهذا الحديث يرويه أنس عن عبادة بن الصامت ، أخرجه أحمد ٣٣١/٥ ، والبخارى فى الرقاق ح (٦٥٠٧) ، ومسلم فى الذكر والدعاء حديث (٢٦٨٣) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ
بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن أحسن قولًا ممن دعا إلىٰ الله** ﴾ ، أي : دعا عبادَ اللّٰه إليه ، ﴿ **وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين** ﴾ أي : وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، [فنفعُه لنفسه][١] ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلىٰ الخالق تبارك وتعالىٰ . وهذه عامة في كل من دعا إلىٰ خير ، وهو في نفسه مهتد ، ورسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أولىٰ الناس بذلك ، كما قال محمد بن سيرين ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقيل : المراد بها المؤذنون الصلحاء ، كما ثبت في صحيح مسلم : « **المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة** »(٣٥) .

وفي السنن مرفوعًا : « **الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، فأرشد اللّٰه الأئمة ، وغفر للمؤذنين** » (٣٦) .

(٣٥) - صحيح مسلم فى كتاب الصلاة ، باب : فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ، حديث رقم (٣٨٧) .

(٣٦) - حديث صحيح . أخرجه الشافعي فى الأم ١٤١/١ ، والحميدى (٩٩٩) ، والطيالسى (٢٤٠٤) ، وأحمد (٢٨٤/٢ ، ٣٨٢ ، ٤٢٤ ، ٤٦١ ، ٤٧٢) ، وأبو داود (٥١٨) ، والترمذى (٢٠٧) ، والطحاوى فى المشكل ٥٢/٣ ، والطبرانى فى الصغير ص٥٩ ، ١٢٣ ، ١٦٤ ، وأبو نعيم فى الحلية ١١٨/٧ ، والخطيب فى تاريخه (٢٤٢/٣) ، (٣٨٧/٤) ، (٤١٢/٩) ، (٣٠٦/١١) ، والبيهقى (٤٣٠/١) من طريق الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة . وأعل البيهقى هذا الحديث بالانقطاع بين الأعمش وأبى صالح . فقد أخرجه أحمد ٢٣٢/٢ ، وأبو داود (٥١٧) ، ومن طريقه البيهقى ٤٣٠/١ - من طريق الأعمش عن رجل عن أبى صالح به . وأجيب عن ذلك بأجوبة . انظرها فى نيل الأوطار ٣٣٤/١ ، وفى الإرواء ١/ ٢٣٢، وفى الباب عن عائشة عند أحمد ٦٥/٦ ، والطحاوى ٥٣/٣ ، والبيهقى ٤٣١/١ وفى سنده ضعف . ولقوله صلى اللّٰه عليه وسلم : « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » شواهد انظرها فى الإرواء ٢٣١/١ (٢١٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « فنفسه بنفسه » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن عروبة الهروي ، حدثنا غسان قاضي هراة ، وقال أبو زرعة : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن مطر ، عن الحسن ، عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : سهام المؤذنين عند اللّٰه يوم القيامة كسهام المجاهدين ، وهو بين الأذان والإِقامة كالمتشحّط في سبيل اللّٰه في دمه .

قال : وقال ابن مسعود : لو كنت مؤذنًا ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد .

قال : وقال عمر بن الخطاب : لو كنت مؤذنًا لكَمُلَ أمري ، وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار[١] ، سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **اللّٰهم اغفر للمؤذنين** » . ثلاثًا ، قال : فقلت : يارسول اللّٰه ، تركتنا ونحن نَجْتَلِدُ[٢] علىٰ الأذان بالسيوف . قال : « **كلا يا عمر ، إنه يأتي علىٰ الناس زمان يتركون الأذان[٣] علىٰ ضُعَفائهم ، وتلك لحوم حرمها اللّٰه علىٰ النار ، لحوم المؤذنين** » (٣٧) .

قال : وقالت عائشة : ولهم هذه الآية : ﴿ **ومن أحسن قولًا ممن دعا إلىٰ اللّٰه وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين** ﴾ ، قالت[٤]: فهو المؤذن إذا قال: « **حي علىٰ الصلاة** ». فقد دعا إلىٰ اللّٰه .

وهكذا قال ابن عمر وعكرمة : إنها نزلت في المؤذنين .

وقد ذكر البغوي عن أبي أمامة الباهلي -رضي اللّٰه عنه- أنه قال في قوله : ﴿ **وعمل صالحًا** ﴾ ، قال : يعني صلاة ركعتين بين الأذان والإِقامة .

ثم أورد البغوي حديثَ عبد اللّٰه بن المُغَفَّل قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بين كل أذانين صلاة** » . ثم قال في الثالثة : « **لمن شاء** » .

وقد أخرجه الجماعة في كتبهم ، من حديث عبد اللّٰه بن بُرَيدة ، عنه (٣٨) .

وَحديث الثوري ، عن زَيد[٥] العَمّي ، عن [أبي إياس][٦] معاوية بن قرة ، عن أنس بن

---

(٣٧) - أورده المصنف فى مسند الفاروق عن أبى بكر الإسماعيلى بسنده إلى الحسن البصرى عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم . وهذا إسنادٌ منقطع بين الحسن وعمر بن الخطاب . انظر مسند الفاروق ١٤٤/١ .

(٣٨) - أخرجه أحمد (٨٦/٤) ، (٥٤/٥) ، (٥٥/٥) ، والبخارى فى كتاب الأذان باب كم بين =

---

[١] - في ز : « نهار » .
[٢] - في خ ، ز : « نجتهد » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - في ز : « يزيد » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « أبي أمامة بن » .

مالك رضي الله عنه ، قال الثوري : لا أراه إلا قد رفعه إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة** »(٣٩) .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي في « اليوم والليلة » ، كلهم من حديث الثوري ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن(٤٠) .

ورواه النسائي أيضًا من حديث سليمان التيمى عن قتادة عن أنس به .

والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم ، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعًا بالكلية ؛ لأنها مكية ، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة ، حين أرِيَهُ عبد الله ابن زيد بن عبد رَبه الأنصاري في منامه ، فقصَّه علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأمره أن يلقيه علىٰ بلال فإنه أندىٰ صوتًا ، كما هو مقرر[١] في موضعه ، فالصحيح إذًا أنها عامة ، كما قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن البصري : أنه تلا هذه الآية : ﴿ **ومن أحسن قولًا**

= الأذان والإقامة ح (٦٢٤) وطرفه فى (٦٢٧) ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب : بين كل أذانين صلاة ، ح (٨٣٨) ، وأبو داود فى الصلاة باب الصلاة قبل المغرب ح رقم (١٢٨٣) ، والترمذى فى كتاب الصلاة ، باب ما جاء فى الصلاة قبل المغرب ، حديث (١٨٥) ، والنسائى فى كتاب الأذان ، باب : الصلاة بين الأذان والإقامة حديث رقم (٦٨١) ، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة ... باب : ما جاء فى الركعتين قبل المغرب حديث (١١٦٢) .

(٣٩) - هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٤٩٥/١) وابن أبى شيبة (٢٢٥/١٠) ، وأحمد ٣/ ١١٩ ، وأبو داود فى الصلاة (٥٢١) ، والترمذى فى الصلاة (٢١٢) ، وفى الدعوات (٣٥٩٥) ، والنسائى فى كتاب عمل اليوم والليلة من الكبرى ، باب : الترغيب فى الدعاء بين الأذان والإقامة (٩٨٩٦ - ٩٨٩٧) ، والطبرانى فى الدعاء باب فضل الدعاء بين الأذان والإقامة ح (٤٨٣) ، والبيهقى (٤١٠/١) من طريق وكيع وأبي نعيم وأبي أحمد الزبيري عن سفيان الثورى عن زيد العمى عن أبى إياس عن أنس بن مالك به . وسقط من مصنف ابن أبى شيبة المطبوع ذكر « سفيان » ، وهذا إسنادٌ ضعيف لحال زيد العمى فإنه كان سيئ الحفظ ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح وقد رواه أبو إسحاق الهمدانى عن بريد بن أبى مريم عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل هذا اهـ . وأخرجه النسائى فى الكبرى (٩٨٩٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثورى به موقوفًا ، وكذا رواه قتادة عن أنس من قوله . أخرجه النسائى فى الكبرى (٩٨٩٩ - ٩٩٠٠) . أما حديث بريد بن أبى مريم عن أنس والذى ذكره الترمذى فأخرجه ابن أبى شيبة (٢٢٦/١٠) ، وأحمد (١٥٥/٣ ، ٢٥٤) ، (٢٢٥/٣) ، وابن خزيمة (٤٢٦ - ٤٢٧) ، وابن حبان (١٦٩٥) من طرق عنه به ، وانظر الإرواء (٢٦٢/١) .

(٤٠) - كذا نقل المصنف عن الترمذى أنه قال : «حديث حسن »وسبق فى التعليق على الهامش السابق أنه قال : «حديث حسن صحيح » ، وكذا هى فى النسخة التى بين أيدينا والتى قام الشيخ أحمد شاكر بتحقيقها وأثبت كلمة : «صحيح »ثم علق عليها قائلًا : « زيادة من ع ، و ، م وهى زيادة جيدة اهـ . وهذا يعنى أن بعض النسخ ورد فيها : «حديث حسن »بدون صحيح ، وكذا أثبتها الحافظ المزى فى تحفة الأشراف (١٥٩٤) قائلًا : « ت فى الصلاة ... وقال حسن » اهـ ، وقال ابن حجر فى نتائج الأفكار =

[١] - في ز : « مقدر » .

﴿ممن دعا إلىٰ اللّٰه وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ ، فقال : هذا حبيب اللّٰه ، هذا ولي اللّٰه ، هذا صفوة اللّٰه ، هذا خِيَرَةُ اللّٰه ، هذا أحبّ أهل الأرض إلىٰ اللّٰه ، أجاب اللّٰهَ في دعوته ، ودعا الناسَ إلىٰ ما أجاب اللّٰه [فيه من][1] دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال : إنني من المسلمين ، هذا خليفة اللّٰه .

وقوله : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ أي : فرق عظيم بين هذه وهذه ، ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ أي : من أساء إليك فادفعه عنك بالإِحسان إليه ، كما قال عمر : ما عاقبتَ من عَصَىٰ اللّٰه فيك بمثل[2] أن تطيع اللّٰه فيه .

وقوله : ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ ، وهو الصديق ، أي : إذا أحسنت إلىٰ من أساء إليك قادته تلك الحسنةُ إليه إلىٰ مصافاتك ومحبتك ، والحنوّ عليك ، حتىٰ يصير كأنه وَلِيّ لك حَمِيم ، أي : قريب إليك من الشفقة عليك والإِحسان إليك .

ثم قال : ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا ﴾ أي : وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر علىٰ[3] ذلك ، فإنه يشق[4] علىٰ النفوس ، ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ أي : ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والأخرىٰ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر اللّٰه المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإِساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصَمهم اللّٰه من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم .

وقوله : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّٰه ﴾ أي : إن شيطان الإِنس ربما ينخدع بالإِحسان إليه ، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلةَ فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك ، فإذا استعذت باللّٰه ولجأت إليه ، كفه عنك ورد كيده . وقد كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا قام إلىٰ الصلاة يقول : « **أعوذ باللّٰه السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه** » (٤١) .

= (٣٤/أ) - كما فى حاشية الدعاء للطبرانى (١٠٢١/٢) - : « ولم أر هذه الزيادة فى النسخ الموثوقة ... وعدَّدها » اهـ ، يعنى كلمة : « صحيح » فاللّٰهُ أعلم .

(٤١) - حديث صحيح بمجموع طرقه . أخرجه ابن أبى شيبة ٢٣١/٢ ، وأبو داود الطيالسى (٩٤٧) ، وأحمد ٨٥/٤ ، وأبو داود فى الصلاة (٧٦٤) ، وابن ماجه فى الصلاة (٨٠٧) ، وابن الجاورد فى المنتقى (١٨٠) ، والحاكم ٢٣٥/١ ، والبيهقى ٣٥/٢ ، وابن حبان فى الثقات ٢٢٢/٢ وغيرهم من طريق عمرو بن مرة عن عاصم العنزى عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير به . قال الحاكم : «صحيح الإسناد »ووافقه الذهبى . قلت : فى إسناده عاصم العنزى وقد اختلف فى اسمه ، ولم يوثقه أحد . وقال =

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « في » .
[٢] - في ز : « أن بمثل » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « مشق » .

وقد قدمنا أن هذا المقام لانظير له في القرآن إلا في « سورة الأعراف » عند قوله تعالىٰ: ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ ، وفي سورة المؤمنين عند قوله : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

يقول تعالىٰ منبهًا خَلْقه علىٰ قدرته العظيمة ، وأنه الذي لا نظير له ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ، ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر** ﴾ أي : إنه خلق الليلَ بظلامه ، والنهار بضيائه ، وهما متعاقبان لا يَقِرّان ، والشمسَ ونورهَا وإشراقها ، والقمرَ وضياءه وتقديرَ منازله في فَلَكه ، واختلاف سيره [في سمائه][١] ، ليُعْرَفَ باختلاف سيره وسير الشمس مقاديرُ الليل والنهار ، والجُمَع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلولُ الحقوق ، وأوقات العبادات والمعاملات .

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي ، نبه تعالىٰ علىٰ أنهما مخلوقان عبدان من عبيده ، تحت قهره وتسخيره ، فقال : ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ أي : ولا تشركوا به ، فما تنفعكم[٢] عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به . ولهذا قال : ﴿ **فإن استكبروا** ﴾ أي : عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره ، ﴿ **فالذين عند ربك** ﴾ ، يعني الملائكة ﴿ **يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين** ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (٤٢) : حدثنا سفيان - يعني ابن وكيع - حدثنا أبي ، عن ابن أبي

= الحافظ : «مقبول » . وللحديث شواهد كثيرة انظر الإرواء ٢/٥٣ (٣٤٢) .

(٤٢) - المسند (٢١٩٤) وأخرجه الطبراني فى الأوسط (٤٦٩٨ ، ٢٧٩٥) ، وفى الدعاء (٢٠٥١) ، =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « سماءه » . [٢] - في ز : « ينفعكم » .

ليلىٰ ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تسبوا الليل ولا النهار ، ولا الشمس ولا القمر ، ولا الرياح فإنها تُرسَل رحمةً لقوم ، وعذابًا لقوم** » .

وقوله : ﴿ **ومن آياته** ﴾ أي : علىٰ قدرته علىٰ إعادة الموتىٰ ﴿ **أنك ترىٰ الأرض خاشعة** ﴾ أي : هامدة لا نبات فيها ، بل هي ميتة ، ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾ ، أي : أخرجت من جميل[١] ألوان الزروع والثمار ، ﴿ **إن الذي أحياها لمحيي الموتىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله : ﴿ **إن الذين يلحدون في آياتنا** ﴾ قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة : وغيره هو الكفر والعناد .

وقوله : ﴿ **لا يخفون علينا** ﴾[٢] : فيه تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، أي : إنه تعالىٰ عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته ، وسيجزيه علىٰ ذلك بالعقوبة والنكال ، ولهذا قال : ﴿ **أفمن يلقىٰ في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة** ﴾ أي : أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان .

[ثم قال - عز وجل - تهديدًا للكفرة : ﴿ **اعملوا ماشئتم** ﴾ قال مجاهد ، والضحاك ، وعطاء الخراساني : ﴿ **اعملوا ما شئتم** ﴾ : وعيد . أي : من خير أو شر ، إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم . ولهذا قال : ﴿ **إنه بما تعملون بصير** ﴾][٣] .

ثم قال : ﴿ **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم** ﴾ ، قال الضحاك ، والسدي ، وقتادة :

= وتمام في فوائده (١١٣٦ - الروض) من طرق عن سعيد بن بشير . كلاهما - سعيد بن بشير وابن أبي ليلى - عن أبي الزبير عن جابر به مرفوعًا . قال الهيثمي في المجمع ٧/٨ : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن بشير وثقه جماعة وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات . ورواه أبو يعلى بإسنادٍ ضعيف اهـ .

[١] - في ز : « جميع » .

[٢] - بعده في ت : أي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وهو القرآن ، ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ أي : منيع الجناب ، لا يُرام أن يأتي أحد بمثله ، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي : ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين ، ولهذا قال : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أي : حكيم في أقواله وأفعاله ، حميد بمعنىٰ محمود ، أي : في جميع ما يأمر به وينهىٰ عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته .

ثم قال : ﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ ، قال قتادة ، والسدي ، وغيرهما : ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما قد كُذّبت فقد كذبوا ، وكما صَبَروا علىٰ أذىٰ قومهم لهم[١] ، فاصبر أنت علىٰ أذىٰ قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ، ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره .

وقوله : ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ أي : لمن تاب إليه ، ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ أي : لمن استمر علىٰ كفره ، وطغيانه ، وعناده ، وشقاقه ، ومخالفته .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد عن علي ابن زيد عن سعيد بن المسيب قال: لما[٢] نزلت هذه الآية: ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لولا عفوُ الله وتجاوزه ما هَنأَ أحدًا العيشُ ، ولولا وعيده وعقابه لاتّكل كلّ أحد » .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) ﴾

لما ذكر تعالىٰ القرآن وفصاحته وبلاغته ، وإحكامه في لفظه ومعناه ، ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبّه علىٰ أن كفرهم به كُفْرُ عناد وتعنت ، كما قال : ﴿ ولو نزلناه علىٰ بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين ﴾ ، وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغه العجم ، لقالوا علىٰ وجه التعنت والعناد[٣] : ﴿ لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ﴾ أي : لقالوا : هلا أنزل مفصلًا بلغة العرب ولأنكروا ذلك وقالوا : أعجمي وعربي ؟ أي : كيف ينزل كلام أعجمي

---

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ز : « والفساد » .

على مخاطب عربي لا يفهمه؟!

هكذا رُوي هذا المعنىٰ عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، وغيرهم.

وقيل: المراد بقولهم: ﴿**لولا فصلت آياته أعجمي وعربي**﴾ أي: هلا أنزل بعضهما بالأعجمي وبعضها بالعربي؛ هذا قول الحسن البصري، وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله ﴿**أعجمي**﴾ وهو رواية عن سعيد بن جبير، وهو في العناد أبلغ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾ أي: قل يا محمد: هذا القرآن لمن آمن به هدىً لقلبه، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ﴿**والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر**﴾ أي: لا يفهمون ما فيه، ﴿**وهو عليهم عمى**﴾ أي: لا يهتدون إلىٰ ما فيه من البيان، كما قال تعالىٰ: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا**﴾ ﴿**أولئك ينادون من مكان بعيد**﴾ قال مجاهد يعني: بعيد من قلوبهم.

قال ابن جرير: معناه كَأَنَّ[١] مَن يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد، لا يفهمون ما يقول.

قلت: وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿**ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾ وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم وقال السدي: كان عمر بن الخطاب جالسًا عند رجل من المسلمين يقضي، إذ قال: يالبَّيكاه. فقال عمر: لم تُلبّي؟ هل رأيت أحدًا، أودعاك أحد؟ قال: دعاني داع من وراء البحر. فقال عمر: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه**﴾ أي: كُذِّب وأوذي[٢] ﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**﴾ ﴿**ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى**﴾ بتأخير الحساب إلىٰ يوم المعاد، ﴿**لقضي بينهم**﴾ أي: لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا، ﴿**وإنهم لفي شك منه مريب**﴾ أي: وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا، بل كانوا شاكين فيما قالوا، غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجهه[٣] ابن جرير وهو محتمل، والله أعلم.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا

[١] - في خ: «مكان»، وفي ز: «فكأنَّ». [٢] - في خ، ت: «وأذي».

[٣] - في ز: «وجه».

﴿تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه** ﴾ أي : [إنما يعود نفع ذلك علىٰ نفسه][١] ، ﴿ **ومن أساء فعليها** ﴾ أي : إنما يرجع وبَالُ ذلك عليه ، ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ أي : لا يعاقب أحدًا إلا بذنب ، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه .

ثم قال : ﴿ **إليه يرد علم الساعة** ﴾ أي : لا يعلم ذلك أحدٌ سواه ، كما قال صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو سيد البشر لجبريل وهو من سادات الملائكة ، حين سأله عن الساعة ، فقال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** »(٤٣) وكما قال تعالى : ﴿ **إلى ربك منتهاها** ﴾ وقال : ﴿ **لا يجليها لوقتها إلا هو** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثىٰ ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ أي : الجميع بعلمه[٢] لا يعزب عن علمه من[٣] مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ . وقال [جلت عظمته][٤] : ﴿ **يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ وقال : ﴿ **وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويوم يناديهم أين شركائي** ﴾ أي : يوم القيامة ينادي الله المشركين علىٰ رءوس الخلائق : أين شركائي الذين عبدتموهم معي ؟ ﴿ **قالوا آذناك** ﴾ أي : أعلمناك ، ﴿ **ما منا من شهيد** ﴾ أي : ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكًا ، ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل** ﴾ أي : ذهبوا فلم ينفعوهم ، ﴿ **وظنوا ما لهم من محيص** ﴾ [أي : وظن المشركون يوم القيامة ، وهذا بمعنىٰ اليقين ﴿ **ما لهم من محيص** ﴾][٥] أي : لا محيد لهم عن عذاب الله ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ﴾

---

(٤٣) - أخرجه البخارى فى الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام، حديث (٥٠) ، ومسلم فى الإيمان (١) (٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « يعلمه » .

[٣] - سقط من خ ، ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ : لا يَملّ الإنسان من دعائه ربّه بالخير - وهو : المال ، وصحة الجسم ، وغير ذلك ، ﴿ وإن مسه الشر ﴾ ، وهو : البلاء أو الفقر ﴿ فيئوس قنوط ﴾ أي : [يقع في ذهنه][١] أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير .

﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي : إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن : هذا لي ، إني كنت أستحقه عند ربي ، ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي : يكفر بقيام الساعة ، أي : لأجل أنه خُوّل نعمة يفخر ، ويبطر ، ويكفر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغىٰ * أن رآه استغنىٰ ﴾ .

﴿ ولئن رجعت إلىٰ ربي إن لي عنده للحسنىٰ ﴾ أي: ولئن كان ثَمّ معاد فليُحسننّ إليّ ربي ، كما أحسن إليّ في هذه الدار، يتمنىٰ علىٰ اللّه -عز وجل- بعد[٢] إساءته العمل وعدم اليقين . قال اللّه تعالىٰ : ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ يتهدد تعالىٰ من كان هذا عمله واعتقاده ، بالعقاب والنكال .

ثم قال : ﴿ وإذا أنعمنا علىٰ الإنسان أعرض ونأىٰ بجانبه ﴾ أي : أعرض عن الطاعة ، واستكبر عن الانقياد لأوامر اللّه - عز وجل - كقوله تعالىٰ : ﴿ فتولىٰ بركنه ﴾

﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي : الشدة ، ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ ، أي : يطيل المسألة في [الشيء الواحد][٣] . فالكلام العريض : ما طال لفظه وقل معناه ، والوجيز : عكسه ، وهو : ما قلّ ودلّ . وقد قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه ﴾ ... الآية .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ت : « مع » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « الذي يؤاخذ » .

أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن : ﴿ **أرأيتم إن كان** ﴾ هذا القرآن ﴿ **من عند الله ثم كفرتم به** ﴾ أي : كيف ترون حالكم عند الذي أنزله علىٰ رسوله ولهذا قال : ﴿ **من أضل ممن هو في شقاق بعيد** ﴾ أي : في كفر وعناد ومشاقة للحق ، ومسلك بعيد من الهدىٰ .

ثم قال : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم** ﴾ أي : سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًّا منزلًا من عند الله عز وجل - علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم - بدلائل خارجية[١] ﴿ **في الآفاق** ﴾ ، من الفتوحات وظهور الإسلام علىٰ الأقاليم وسائر الأديان .

قال مجاهد ، والحسن ، والسدي : ودلائل في أنفسهم ، قالوا : وقعة بدر ، وفتح مكة ، ونحو ذلك من الوقائع التي حلّت بهم ، نصر الله فيها محمدًا وصحبه ، وخذل فيها الباطل وحِزْبَه

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة ، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال علىٰ حكمة الصانع تبارك وتعالىٰ . وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة ، من حَسَن وقبيح وبين ذلك ، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله ، وقوته ، وحيَلِه ، وحذره أن يجوزها ، ولا يتعداها .

كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه « **التفكر والاعتبار** » ، عن شيخه أبي جعفر القرشي : حيث قال - وأحسن المقالة - :

وَإِذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبَرا ... فَانظُرْ إِلَيكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ
أنتَ الذي يُمْسِي وَيُصْبحُ في الـ ... ـدنيَا وكُلُّ أُمُوره عِبَرُ
أَنْتَ المصرّفُ[٢] كانَ في صِغَرٍ ... ثُمّ استَقَلَّ بِشَخْصِكَ الكِبَرُ
أنتَ الذي تَنْعاه خلْقَتُه ... يَنْعاه منه الشَّعْرُ وَالبَشَرُ
أنتَ الذي تُعْطَىٰ وَتُسْلَبُ لاَ ... يُنْجِيه مِنْ أَنْ يُسْلَبَ الحَذَرُ
أَنْتَ الذي لاشيْءَ مِنْه لَهُ ... وَأَحَقُّ مِنْه بمَاله القَدَرُ

[١] - في ز : « خارجة » . [٢] - في ز : « المتصرف » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه علىٰ كل شيء شهيد** ﴾ أي : كفىٰ بالله شهيدًا علىٰ أفعال عباده وأقوالهم ، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه ، كما قال : ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم** ﴾ أي : في شك من قيام الساعة ، ولهذا لا يتفكرون فيه ، ولا يعملون له ، ولا يحذرون منه ، بل هو عندهم هَدَرٌ لا يعبأون به ، وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري : أن عمر بن عبد العزيز صَعد المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثته[١] فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق ، والمكذب به هالك ، ثم نزل .

ومعنىٰ قوله -رضي الله عنه- : «أن المصدق به أحمق »، أي : لأنه لا يعمل له عمل مثله ، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله ، وهو[٢] مع ذلك مصدق به ، موقن بوقوعه ، وهو مع ذلك يتمادىٰ في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه ، فهو أحمق بهذا الاعتبار ، والأحمق في اللغة : ضعيف العقل .

وقوله : ﴿ **والمكذب به هالك** ﴾ : هذا واضح ، والله أعلم . ثم قال تعالىٰ مقررًا علىٰ أنه علىٰ كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط ، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالىٰ : ﴿ **ألا إنه بكل شيء محيط** ﴾ أي : المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته ، وتحت طي علمه ، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

[آخر تفسير سورة فصلت][٣] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز : « أحدثه » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

تفسير سورة الشورى

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦)

وقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة . وقد روىٰ ابن جرير(١) هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا منكرًا ، فقال : حدثنا أحمد بن زُهَير ، حدثنا عبد الوهاب بن نَجْدَةَ الحَوْطي ، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج ، عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل إلىٰ ابن عباس فقال له - وعنده حُذَيفة بن اليمان - : أخبرني عن تفسير قول الله : ﴿ حم * عسق ﴾ ، قال : فأطرق ثم أعرض عنه ، ثم كرر مقالته فأعرض عنه ، فلم يجبه بشيء وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة فلم يُحِرْ إليه شيئًا . فقال حذيفة : أنا أنبئك بها ، قد عرفت لِمَ كرهها[١] ؟ نزلت في رجل من أهل بيته يقال له : عبد الإله - أو : عبد الله - ينزل علىٰ نهر من أنهار المشرق [يبتني عليه مدينتين ، شق][٢] النهر بينهما شقًّا ، فإذا أذن الله في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم ، بعث الله علىٰ إحداهما نارًا ليلًا ، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت ، كأنها لم تكن مكانها ، وتصبح صاحبتها متعجبة : كيف أفلتت ! فما هو إلا بياض يومها ذلك ، حتىٰ يجتمع فيها كل

---

(١) - أخرجه ابن جرير (٦/٢٥) ، وابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - ونعيم بن حماد فى الفتن ص ١٣٥ ، ومن طريقه الخطيب فى تاريخه (٤٠/١) من طريق أبى المغيرة عبد القدوس بن حجاج ، عن أرطاة ابن المنذر ؛ قال : جاء رجل ... فذكره . وعند نعيم بن حماد ، والخطيب ... عن أرطاة بن المنذر ، عمن حدثه عن ابن عباس . فعندهما واسطة بين أرطاه بن المنذر ، وبين حضور لهذه القصة . وهو الأصوب . وعليه فإن هذا الإسناد ضعيفٌ ، إما لإرساله ، كما أخرجه الطبرى من مرسل أرطاة بن المنذر ، وإما لإبهام أحد رواته كما عند نعيم بن حماد « عن أرطاة عمن حدثه عن ابن عباس » وقد استنكره المصنف هاهنا كما ترى.

---

[١] - في ز : « كررها » . [٢] - في ت : « يبنى عليه مدينتان يشق » .

جبار عنيد منهم ، ثم[١] يخسف الله بها وبهم جميعًا ، فذلك قوله : ﴿ حم * عسق ﴾ ، يعني : عزيمة من الله تعالىٰ وفتنة وقضاء حُمّ : ﴿حم﴾ ، «عين» يعني : عدلًا منه ، «سين» : يعني سيكون ، « ق » : يعني واقع لهاتين المدينتين.

وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(٢) في الجزء الثاني من مسند ابن عباس ، وعن أبي ذر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ذلك ، ولكن إسناده ضعيف جدًّا ومنقطع ، فإنه قال :

حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم ، حدثنا أبو عبد الملك الحسن بن يحيىٰ الخشني الدمشقي ، عن أبي[٢] معاوية قال : صعد عمر بن الخطاب المنبر فقال : أيها الناس ، هل سمع منكم[٣] أحد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يفسر : ﴿ حم * عسق ﴾ ؟ فوثب ابن عباس فقال : أنا . قال : ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله [تعالىٰ . قال : فعين؟ قال : عاين المولون عذاب يوم بدر . قال : فسين ؟ قال : سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . قال : فقاف ؟ فسكت ، فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وقال : قاف : قارعة من السماء تغشىٰ الناس][٤] .

وقوله : ﴿ كذلك يوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك الله العزيزُ الحكيم ﴾ أي : كما أنزل إليك هذا القرآن ، كذلك أنزل الكتب والصحف علىٰ الأنبياء قبلك . وقوله : ﴿ الله العزيز ﴾ أي في انتقامه ، ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله .

قال الإمام مالك(٣) - رحمه الله - : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [فقال : يا رسول الله][٥] ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فيفصِمُ عني ، وقد وعيت ما قال . وأحيانا يأتيني الملك رجلًا فيكلمني ، فأعي ما يقول »** . قالت عائشة : فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فَيفصِم عنه ،

---

(٢) - عزاه في الدر المنثور إلى ابن عساكر ، وأبي يعلى ، وقال : إسناده ضعيف . وهو - كما قال المصنف - ضعيف جدًّا . الحسن بن يحيى ضعفه غير واحدٍ . وقال الدارقطني : متروك ، وقال ابن حبان : استحق الترك . والحديث عزاه في المطالب (٤٠٩٢) إلى أبي يعلى .

(٣) - أخرجه مالك في الموطأ « جامع القراءة » حديث (٢٧٠) ، والبخاري في بدء الوحي من صحيحه حديث (٢) ، ومسلم في الفضائل ، باب : طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم حديث (٢٢٣٣) من طريق هشام بن عروة به .

---

[١] - في ز : « من » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أحد منكم » .

[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وإن جَبِينه ليتفَصَّدُ عَرَقًا .

أخرجاه في الصحيحين ولفظه للبخاري .

وقد رواه الطبراني(٤) عن عبد اللّه ابن الإمام أحمد ، عن أبيه ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن الحارث بن هشام : أنه سأل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال : « **مثل صلصلة الجرس ، فيفصِمُ عني وقد وَعَيتُ ما قال**[١] » . قال: « **وهو أشده عليّ** » . قال : « **وأحيانًا يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني ، فأعي ما يقول** » .

وقال الإمام أحمد (٥) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو ابن الوليد ، عن عبد اللّه بن عمرو - رضي اللّه عنهما - قال : سألت رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أسمع صلاصل ثم أسكن**[٢] **عند ذلك ، فما من مرة يوحىٰ إليّ إلا ظننت أن نفسي تُقبَض** » . تفرد به أحمد .

وقد ذكرنا كيفية إتيان الوحي إلىٰ رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم في أول شرح البخاري بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، وللّه الحمد والمنة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **له ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ أي : الجميع عبيد له وملك له ، تحت قهره وتصريفه ، ﴿ **وهو العلي العظيم** ﴾ ، [كقوله تعالىٰ][٣] : ﴿ **الكبير المتعال** ﴾ ﴿**وهو العلى الكبير**﴾ والآيات في هذا كثيرة .

---

(٤) - المعجم الكبير (٣٣٤٣) عن عبد الله بن أحمد به . والحديث أخرجه أحمد (٢٥٧/٦) عن عامر بن صالح - من ولد عبد الله بن الزبير ، قال : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن الحارث بن هشام . فجعله أيضًا من مسند الحارث بن هشام . قال الحافظ فى الفتح (١٩/١) : ويحتمل أن يكون الحارث أخبرها بذلك بعد ، فيكون من مرسل الصحابة - يعنى حديث عائشة السابق - وهو محكوم بوصله عند الجمهور . وقد جاء ما يؤيد ذلك ؛ ففى مسند أحمد من طريق عامر بن صالح ... وساق حديث أحمد ثم عقّب قائلًا : وعامر ضعيف ، لكن وجدت له متابعًا ... والمشهور الأول . اهـ . يعنى أن المشهور الحديث من مسند عائشة لا من مسند هشام .

(٥) - المسند (٢٢٢/٢) . وعزاه فى المجمع (٢٥٦/٨) إلى الطبرانى وقال : إسناده حسن . قلت : فى إسناده ابن لهيعة ، والكلام فيه مشهور ، والحديث صحيح بما سبق من مسند عائشة ، والحارث بن هشام . والله أعلم .

---

[١] - في ت : « قاله » .
[٢] - في ت : «أسكت » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن** ﴾ ، قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وكعب الأحبار : أي فَرَقًا من العظمة . ﴿ **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض** ﴾ ، كقوله : ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا** ﴾ وقوله : ﴿ **ألا إن الله هو الغفور الرحيم** ﴾ إعلام بذلك وتنويه به .

وقوله : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء** ﴾ يعني المشركين ﴿ **الله حفيظ عليهم** ﴾ أي : شهيد علىٰ أعمالهم ، يحصيها ويَعدّها عدًّا ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء . ﴿ **وما أنت عليهم بوكيل** ﴾ أي : إنما أنت نذير ، والله علىٰ كل شيء وكيل .

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : وكما أوحينا إلىٰ الأنبياء قبلك ، ﴿ **أوحينا إليك قرآنًا عربيًا** ﴾ أي : واضحًا جليًا بينًا ، ﴿ **لتنذر أم القرىٰ** ﴾ وهي مكة ﴿ **ومن حولها** ﴾ أي : من سائر البلاد شرقًا وغربًا . وسُمّيت مكة « أمّ القرىٰ » ؛ لأنها أشرف من سائر[١] البلاد ، لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها . ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد(٦) :

حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرنا أبو سلمة بنُ عبد الرحمن أن عبد الله ابن عديّ بن الحمراء الزهري أخبره ، أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول وهو واقف

(٦) - المسند (٤/٣٠٥) ، وأخرجه عبد بن حميد (٤٩١) ، والدارمى (٢٥١٣) ، والترمذى فى المناقب ، باب : فضل مكة (٣٩٢٥) ، والنسائى فى الكبرى : كتاب الحج ، باب : فضل مكة (٤٢٥٢ - ٤٢٥٣) ، وابن ماجه فى المناسك ، باب فضل مكة (٣١٠٨) ، وابن حبان (٣٧٠٨) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٦٢١) ، والفسوى فى التاريخ (١/٢٤٤) ، والحاكم (٣/٤٣١) ، وابن الأثير فى أسد الغابة (٣/٣٣٦) ، وابن حزم فى المحلى (٧/٢٨٩) ، والمزى فى تهذيب الكمال (١٥/٢٩١) ، من طرق عن الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى به . ورواه ابن أخى الزهرى عند الحاكم (٣/٢٨٠) عن الزهرى عن محمد بن جبير - بدلاً من أبى سلمة - عن عبد الله بن عدى فذكره ، وابن أخى الزهرى روايته ضعيفة فى الزهرى انظر شرح العلل ص ٢٦٧ - ٢٦٨ . ورواه عبد الرزاق عن معمر - عند أحمد (٤/٣٠٥) =

[١] - سقط من : خ .

بالحَزْوَرَة[١] في سوق مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وهكذا رواه[٢] الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من حديث الزهري، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقوله: ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾، وهو يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد.

وقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي: لا شك في وقوعه وأنه كائن لا محالة.

وقوله: ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾، كقوله: ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ أي: يغبن[٣] أهل الجنة أهل النار وكقوله تعالىٰ: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾.

قال الإمام أحمد(٧): حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث، حدثني أبو قَبيل[٤]

= والنسائي في الكبرى (٤٢٥٤)، والبزار ٢/ ٤٠ (١١٥٦ - كشف) - عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة. فجعله من مسند أبى هريرة. وهذه الرواية وهمٌ. قال البزار: لا نعلم رواه عن الزهرى إلا معمر اهـ. يعنى بهذا الإسناد، قال الحافظ فى الإصابة (٦/ ١٦٣): اختلف على الزهرى فيه، فقال الأكثر: عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء، وقال معمر: عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ومرة أرسله، وقال ابن أخى الزهرى: عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدى. والمحفوظ الأول. قال البغوى لا أعلم له غيره. اهـ. وثمَّ خلافٌ آخر على الزهرى فى هذا الحديث انظره فى علل ابن أبى حاتم (١/ ٢٨٢) ورواه البزار برقم (١١٥٧ - كشف) من طريق محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة. وهذه الرواية أيضًا وهمٌ. فقد تفرد بها محمد بن عمرو، قال الترمذى: وحديث الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى، أصح. وقال ابن أبى حاتم، وأبو زرعة كما فى العلل (١/ ٢٨٠) عن حديث محمد بن عمرو: هذا خطأ، وهم فيه محمد بن عمرو، ورواه الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى وهو الصحيح. اهـ.

(٧) - المسند (٢/ ١٦٧)، وأخرجه الدارمى في الرد على الجهمية (٢٦٣)، والترمذى فى القدر (٢١٤١)، والنسائى فى التفسير من الكبرى (١١٤٧٣)، والطبرى فى التفسير (٢٥/ ٧)، وابن أبى عاصم فى السنة (٣٤٨)، وابن وهب فى القدر (١٣) والفريابى فى القدر (٤٥ - ٤٦)، وأبو نعيم فى الحلية ٥/ ١٦٨ - ١٦٩، والبغوى فى التفسير من طرق عن أبى قبيل عن شُفى عن عبد الله بن عمرو به، وهذا الإسناد جيد قوى. أبو قبيل وثقه غير واحد. وقال الحافظ: صدوق يهم. وشفى: تابعى جليل، وترجم له بعضهم فى كتب الصحابة. وللعلامة أحمد شاكر كلام نفيس على توجيه معنى هذا الحديث، فانظره فى تحقيقه لهذا الحديث على مسند أحمد. والحديث أخرجه البغوى فى تفسيره (٤/ ١٢٠) من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو عن النبى، صلى الله عليه وسلم.

[١] - في ز: «بالحزورة».
[٢] - في ت: «رواية».
[٣] - في ت: «يخدم».
[٤] - في ز: «قيل».

المَعَافري[١] ، عن شُفَي الأصبحي ، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وفي يده كتابان ، فقال : « **أتدرون ما هذان الكتابان؟** » . قال[٢] : قلنا : لا ، إلا أن تخبرنا يارسول الله . قال للذي في يده اليُمني : « **هذا كتاب من رب العالمين ، بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجملَ علىٰ آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا** » . ثم قال للذي في يساره : « **هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل علىٰ آخرهم ، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا** » . فقال أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : فلأي شيء إذًا[٣] نعمل إن كان هذا أمرًا[٤] قد فُرغ منه ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **سَدِّدوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة ، وإن عمل أيّ عمل ، وإن صاحب النار ليختم له بعمل النار ، وإن عمل أيّ عمل** » . ثم قال بيديه فقبضهما[٥] ، ثم قال : « **فرغ ربكم - عز وجل - من العباد** » . ثم قال باليمنىٰ فنبذ بها فقال : « **فريق في الجنة** » ، ونبذ باليسرىٰ فقال : « **فريق في السعير** » .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد وبكر بن مضر ، كلاهما عن أبي قَبيل[٦] ، عن شُفَيّ بن مانع الأصبحي ، عن عبد الله بن عمرو ، به .

وقال الترمذي: «**حسن صحيح غريب**» . وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر ، عن سعيد بن عثمان ، عن أبي الزاهرية ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكره بنحوه. وعنده زيادات منها؛ ثم قال: « **فريق في الجنة وفريق في السعير، عدل من الله عز وجل** » .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن صالح - كاتب الليث - عن الليث ، به

ورواه ابن جرير(٨) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي قَبيل ، عن شُفَي ، عن رجل من الصحابة ، فذكره ثم روىٰ عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن

(٨) - تفسير الطبرى (٧/٢٥) بهذا الإسناد . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٧١٣) من طريق آخر عن يحيى بن أسيد به . وقول المصنف : (والموقوف أشبه) . يفهم منه أنه جعل حديث عبد الله ابن عمرو المرفوع وحديثه الموقوف حديثًا واحدًا وعليه رجح الموقوف ، والذى يظهر لى أنهما حديثان مختلفان ، والمرفوع فيه زيادات ليست فى الموقوف ، وإن كان الموقوف جزءًا منه والله أعلم . هذا وإسناد الموقوف ضعيفٌ ، يحيى بن أبى أسيد ترجم له البخارى فى التاريخ (٢٦١/٨) ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (١٢٩/٩) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا وروى عنه جماعة ، ولم يوثقه معتبر فهو مجهول الحال.

[١] - في ز : « المغافري » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « أمر » .
[٥] - في ت : « فقبضها » .
[٦] - في ز : « قيل » .

الحارث وحيوة بن شريح ، عن يحيىٰ بن [أبي أسيد][١] : أن أبا فراس حَدّثه : أنه سمع عبد الله ابن عمرو يقول : إن الله لما خلق آدم نفضه نفض المزْوَد[٢] وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ، ثم قال : شقي وسعيد . ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال : فريق في الجنة وفريق في السعير . وهذا الموقوف أشبه بالصواب . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد رحمه الله(٩) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أخبرنا الجُرَيري ، عن أبي نضرة أن رجلًا من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقال له : أبو عبد الله ، دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي ، فقالوا له : ما يُبكيك ؟ ألم يقل لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« خذ من شاربك ثم أقره حتىٰ تلقاني »** . قال : بلىٰ ، ولكن سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : **« إن الله قبض بيمينه[٣] قبضة ، وأخرىٰ باليد الأخرىٰ ، قال : هذه لهذه ، وهذه لهذه ولا أبالي »** . فلا أدري في أيّ القبضتين أنا .

وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدًا ، منها حديث علي ، وابن مسعود ، وعائشة ، وجماعة جمة .

وقوله : ﴿ **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة** ﴾ أي : إما علىٰ الهداية أو علىٰ الضلالة ، ولكنه تعالىٰ فاوت بينهم ، فهدىٰ من شاء[٤] إلىٰ الحق ، وأضل من شاء[٥] عنه ، وله الحكمة والحجة البالغة . ولهذا قال : ﴿ **ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من وليّ ولا نصير** ﴾ .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي

(٩) - المسند (١٧٦/٤) ، (٦٨/٥) وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (٢١٥/٦) من طريق حماد بن سلمة عن سعيد الجريرى به وهذا الإسناد صحيح على شرط مسلم ، والجريري وإن كان قد اختلط بأخرة إلا أن حماد بن سلمة ممن سمع منه قبل الاختلاط كما ذكر العجلى فى ثقاته (٣٩٤/١) والحديث ذكره الهيثمى فى المجمع (١٨٦/٧) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ ، وفى القبضتين أحاديث انظر الأسماء والصفات للبيهقى (٧٠٥ - ٧١٥) ، والصحيحة (٤٧ - ٥٠) .

(١٠) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٩/٢٥) ووقع في المطبوع من التفسير « ... عن عمرو بن الحارث ، عن أبى شُبَّويه عن ابن حجيرة » ولا أعرف من سماه بأبى شبويه ، وإنما ترجم له المزى فى تهذيبه باسم أبي سَوِيَّة ، وترجم له ابن حبان باسم أبي سويد كما عند المصنف ، وقال : وقد غلط من سماه أبا سوية ، وقال الحافظ فى التقريب : أبو سويد ويقال : أبو سوية ، فالله أعلم ، قال ابن حجر فى التقريب : صدوق اهـ ، وأثنى عليه ابن يونس ، وابن ماكولا وعلى كل فلا يخفى أن الحديث بهذا السياق ضعيف من حيث =

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « الأسيد » .
[٢] - في ز : « المرود » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « يشاء » .
[٥] - في ت : « يشاء » .

سويد حدثه ، عن ابن حُجَيرة : أنه بلغه أن موسىٰ - عليه السلام - قال : يارب خَلقُك الذين خلقتهم ، جعلت منهم فريقًا في الجنة وفريقًا في النار ، لوما أدخلتهم كلهم الجنة ؟ ! فقال : يا موسىٰ ، ارفع ذَرْعك . فرفع ، قال : قد رفعت . قال : ارفع . فرفع[١] ، فلم يترك شيئًا ، قال : يارب ، قد رفعت . قال : ارفع . قال : قد رفعت ، إلا ما لا خير فيه . قال : كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة ، إلا ما لا خير فيه .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، ومخبرًا أنه الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، فإنه القادر علىٰ إحياء الموتىٰ وهو علىٰ كل شيء قدير .

ثم قال : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلىٰ الله** ﴾ أي : مهما اختلفتم فيه من الأمور ، وهذا عام في جميع الأشياء ، ﴿ **فحكمه إلىٰ الله** ﴾ أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم ، كقوله : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلىٰ الله والرسول** ﴾ ﴿ **ذلكم الله ربي** ﴾ أي : الحاكم في كل شيء ، ﴿ **عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ ، أي : أرجع في جميع الأمور .

وقوله : ﴿ **فاطر السمٰوات والأرض** ﴾ أي : خالقهما وما بينهما ، ﴿ **جعل لكم من أنفسكم أزواجًا** ﴾ أي : من جنسكم وشكلكم ، منَّةً عليكم وتفضلًا ، جعل من جنسكم ذكرًا وأنثى ﴿ **ومن الأنعام أزواجًا** ﴾ أي : خلق لكم في الأنعام ثمانية أزواج .

وقوله : ﴿ **يذرؤكم فيه** ﴾ أي : يخلقكم فيه ، أي : في ذلك الخلق علىٰ هذه الصفة لا

= الإسناد فإنه من بلاغات ابن حجيرة عن موسى عليه السلام ، وقد ورد نحو هذا الأثر عن موسى من بلاغات عمار ابن يسار عن ابن عساكر فى تاريخه ٣٧١/١٧ مخطوط « ترجمة موسى بن عمران عليه السلام » .

[١] - سقط من : خ .

يزال يذرؤكم[١] فيه ذكور وإناث ، خلقًا من بعد خلق ، وجيلًا بعد جيل ونسلًا بعد نسل من الناس والأنعام .

[وقال البغوي رحمه الله : ﴿ **يذرؤكم فيه** ﴾ أي : في الرحم . وقيل : في البطن . وقيل : في[٢] هذا الوجه من الخلقة .

قال مجاهد: ونسلًا بعد نسل في الناس والأنعام][٣]. وقيل : « **في** » بمعنىٰ « **الباء** » ، أي : يذرؤكم به .

﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ أي : ليس كخالق الأزواج كلها شيء ؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ، ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **له مقاليد السموات والأرض** ﴾ تقدم تفسيره في « **سورة الزّمر** » ، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم[٤] فيهما ، ﴿ **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ أي : يوسع علىٰ من يشاء ، ويضيق علىٰ من يشاء ، و[٥]له الحكمة والعدل التام ، ﴿ **إنه بكل شيء عليم** ﴾ .

۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ لهذه الأمة : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك** ﴾ ، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح - عليه السلام - وآخرهم وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم : إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم عليهم السلام . وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة ، كما اشتملت آية « **الأحزاب** » عليهم في قوله :

---

[١] - بعده في ت : يذرؤكم .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز .

﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم ﴾ الآية . والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو : عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يُوحىَ إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . وفي الحديث : « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد »[١١] . أي : القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ أي : وصىٰ الله سبحانه وتعالىٰ جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف .

وقوله : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ أي : شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد ، من التوحيد .

ثم قال : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي : هو الذي يُقدّر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة علىٰ من آثرها علىٰ طريق الرشد ، ولهذا قال : ﴿ وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ أي : إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم ، وقيام الحجة عليهم ، وما حملهم علىٰ ذلك إلا البغيُ والعنادُ والمشاقة .

ثم[١] قال تعالىٰ : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلىٰ أجل مسمى ﴾ أي : لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلىٰ يوم المعاد ، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعًا .

وقوله : ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ ، يعني : الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذّب للحق ﴿ لفي شك منه مريب ﴾ أي : ليسوا علىٰ يقين من أمرهم ، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا بُرهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب ، وشقاق بعيد .

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة علىٰ عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ، حكم برأسه ، قالوا : ولا نظير لها سوىٰ آية الكرسي ، فإنها أيضا عشرة فصول كهذه .

فقوله[٢] : ﴿ فلذلك فادع ﴾ أي : فَلِلّذي أوحينا إليك من الدين الذي وصّينا به جميعَ

---

[١] – سقط من : ز . [٢] – في ت : « قوله » .

المرسلين قبلك أصحابَ الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم ، فادعُ الناس إليه .

وقوله : ﴿ **واستقم كما أمرت** ﴾ أي : واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله كما أمرك الله عز وجل

وقوله : ﴿ **ولا تتبع أهواءهم** ﴾ ، يعني : المشركين فيما اختلقوه ، وكذبوه ، وافتروه من عبادة الأوثان .

وقوله : ﴿ **وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب** ﴾ أي : صَدّقتُ بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم .

وقوله : ﴿ **وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ أي : في الحكم كما أمرني الله .

وقوله : ﴿ **الله ربنا وربكم** ﴾ أي : هو المعبود ، لا إله غيره ، فنحن نقر بذلك اختيارًا ، وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارًا ، فله يسجد من في العالمين طوعًا واختيارًا .

وقوله : ﴿ **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم** ﴾ أي : نحن برآء منكم ، كما قال تعالى : ﴿ **وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لا حجة بيننا وبينكم** ﴾ ، قال مجاهد : أي لا خُصُومة . قال السدي : وذلك قبل نزول آية السيف . وهذا مُتّجه ؛ لأن هذه الآية مكية ، وآية السيف بعد الهجرة .

وقوله : ﴿ **الله يجمع بيننا** ﴾ أي : يوم القيامة ، كقوله : ﴿ **قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإليه المصير** ﴾ أي : المرجع والمآب يوم الحساب .

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ
وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى متوعدًا الذين يَصُدّون عن سبيل الله مَن آمن به : ﴿ **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له** ﴾ أي : يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى ، ﴿ **حجتهم داحضة عند ربهم** ﴾ أي : باطلة عند الله ، ﴿ **وعليهم**

غضب ﴾ أي : منه ، ﴿ ولهم عذاب شديد ﴾ أي يوم القيامة .

قال ابن عباس ، ومجاهد : جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ، ليصدوهم عن الهدىٰ ، وطَمعوا أن تعود الجاهلية .

وقال قتادة : هم اليهود والنصارىٰ ، قالوا لهم : ديننا خير من دينكم ، [ونبينا قبل نبيكم ، ونحن خير منكم][١] ، وأولىٰ بالله[٢] منكم . وقد كذبوا في ذلك .

ثم قال : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق ﴾ ، يعني : الكتب المنزلة من عنده علىٰ أنبيائه ﴿ والميزان ﴾ ، وهو : العدل والإِنصاف . قاله مجاهد ، وقتادة . وهذه كقوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ وقوله : ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ .

وقوله : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد[٣] في الدنيا .

وقوله : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ أي : يقولون : ﴿ متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ؟ وإنما يقولون ذلك تكذيبًا واستبعادًا ، وكفرًا وعنادًا . ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ أي : خائفون وَجِلُون من وقوعها ، ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أي : كائنة لا محالة ، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها .

وقد روي من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألفاظه : أن رجلًا سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بصوت جهوريّ ، وهو في بعض أسفاره ، فناداه فقال : يا محمد . فقال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم [نحوًا من صوته][٤] : « هاؤم » . فقال : متىٰ الساعة ؟ فقال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ويحك ، إنها كائنة ، فما أعددت لها ؟ » . فقال : حُبّ الله ورسولِه . فقال : « أنت مع من أحببت »(١٢) .

(١١) - أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣) ، ومسلم فى كتاب الفضائل باب فضل عيسى عليه السلام برقم (٢٣٦٥) من حديث أبى هريرة .

(١٢) - أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب علامة الحب في الله حديث رقم (٦١٧١) ، ومسلم فى البر والصلة باب المرء مع من أحب حديث (٢٦٣٩) من حديث أنس بن مالك ، وأخرجه البخارى فى الموضع السابق حديث (٦١٦٨ - ٦١٧٠) ، ومسلم فى الموضع السابق حديث (٢٦٤٠ - ٢٦٤١) من حديث عبد الله بن مسعود .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « تزهد » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فقوله في الحديث : « **المرء مع من أحب** » . هذا متواتر لا محالة ، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها .

وقوله : ﴿ **ألا إن الذين يمارون في الساعة** ﴾ أي : يحاجّون في وجودها ويدفعون وقوعها ، ﴿ **لفي ضلال بعيد** ﴾ أي : في جهل بيّن ؛ لأن الذي خلق السماوات والأرض قادرٌ على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى ، كما قال : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾.

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى مخبرًا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم ، لا ينسى أحدًا منهم ، سواء في رزقه البرّ والفاجر ؛ كقوله تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ . ولها نظائر كثيرة .

وقوله : ﴿ **يرزق من يشاء** ﴾ أي : يوسع على من يشاء ، ﴿ **وهو القوي العزيز** ﴾ أي : لا يعجزه شيء .

ثم قال : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة** ﴾ أي : عمل الآخرة ، ﴿ **نزد له في حرثه** ﴾ أي : نقويه ونعينه على ما هو بصدده ، ونكثر نماءه ، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما يشاء الله . ﴿ **ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ﴾ أي : ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا ، وليس له إلى الآخرة همّة ألبتة[١] بالكلية ، حرمه الله الآخرة ، والدنيا إن شاء أعطاه منها ، وإن لم يشأ لم يحصل له لا

[١] - سقط من : ز .

هذه ولا هذه ، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مُقَيَّدة بالآية التي في « سبحان » وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا * ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا * كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا** ﴾ .

وقال[١] الثوري : عن مُغيرَة ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة ، والنصرة والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب** »(١٣) .

وقوله : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ أي : هم لا يتبعون ما شرع اللّٰه لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس ، من تحريم ما حرموا عليهم ، من البَحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل الميتة والدم والقمار ، إلىٰ نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة . التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم ، من التحليل والتحريم ، والعبادات الباطلة ، والأقوال الفاسدة .

وقد ثبت في الصحيح(١٤) أن رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **رأيت عَمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَةَ يَجُرّ قُصْبه في النار أنه**[٢] **أول من سيب السوائب** » . وكان هذا الرجل أحد

(١٣) - أخرجه أحمد ، وابنه عبد الله فى زوائده (١٣٤/٥)، والحاكم (٣١١/٤ ، ٣١٨) ، والبيهقى فى الدلائل (٣١٨/٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٤١٤٥) من طريق المعتمر بن سليمان ، ويحيى بن يمان ، وزيد ابن الحباب وغيرهم عن الثورى عن المغيرة بن مسلم عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى ... فذكره ، ورواه قبيصة عن الثورى - فقال - عن أيوب عن أبى العالية عن أبَيّ - فجعل أيوب بدلًا من الربيع ابن أنس. وقبيصة ضعفه ابن معين فى حديثه عن الثورى ، والذى يؤيد أن هذا الحديث حديث الربيع بن أنس أن غير الثورى رواه عنه عن أبى العالية . فقد أخرجه أحمد (١٣٤/٥) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (١٣٤/٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدى ، وعبد الواحد بن غياث - كلاهما - عن عبد العزيز بن مسلم أخى المغيرة بن مسلم عن الربيع به . والحاصل : أن هذا الحديث يرويه المغيرة بن مسلم ، وأخوه عبد العزيز بن مسلم عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب . والربيع بن أنس قال الحافظ فى التقريب : صدوق له أوهام ورمى بالتشيع .

قلت : وقد تفرد بهذا الحديث . ومن حسّن إسناده فقد أصاب . والله أعلم .

(١٤) - أخرجه البخارى فى التفسير باب : ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ...** ﴾الآية حديث رقم (٤٦٢٣ ، ٤٦٢٤) ، ومسلم فى صفة الجنة حديث رقم (٢٨٥٦) من حديث أبى هريرة .

[١] - في ت : وقال . [٢] - في ت : « لأنه » .

ملوك خزاعة ، وهو أول من فعل هذه الأشياء ، وهو الذي حَمَل قريشًا علىٰ عبادة الأصنام ، لعنه اللَّه وقبحه ! ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم** ﴾ أي : لعوجلوا بالعقوبة ، لولا ما تقدم من الإنظار إلىٰ يوم المعاد ، ﴿ **وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ أي : شديد موجع في جهنم وبئس المصير .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ترىٰ الظالمين مشفقين مما كسبوا** ﴾ أي : في عرصات القيامة ، ﴿ **وهو واقع بهم** ﴾ أي : الذي[١] يخافون منه واقع بهم لا محالة ، هذا حالهم يوم معادهم ، وهم في هذا الخوف والوجل ، ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم** ﴾ ، فأين هذا من هذا ؟ أين من هو في العَرَصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ، ممن هو في روضات الجنات ، فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ ، فيما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ؟

قال الحسن بن عرفة : حدثنا عُمَر بن عبد الرحمن الأبار ، حدثنا محمد بن سعد الأنصاري ، عن أبي طَيْبَة قال : إن الشَّرْبَ(*) من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول : ما أمطِرُكم ؟ قال : فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم ، حتىٰ إن القائل منهم ليقول : أمطرينا كواعب أترابًا .

رواه ابن جرير(١٥) عن الحسن بن عرفة ، به .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ أي : الفوز العظيم ، والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ لما ذكر روضات الجنات[٢] ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿ **ذلك**

(*) الشرب : الجماعة من القوم يجتمعون على الشراب .

(١٥) - عزاه أيضًا في الدر إلى ابن جرير . ولم أجده في هذا الموضع من الآية عند قوله : ﴿ **لهم ما يشاءون عند ربهم** ﴾ فلعله سقط من المطبوع والله أعلم ، وهذا الإسناد رجاله لا بأس بهم ، وقد ترجم الحافظ لكل واحدٍ منهم بقوله : « صدوق » .

[١] - في ز : « الذين » . [٢] - في ت : « الجنة » .

الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي : هذا حاصل لهم ، كائن لا محالة ، بيشارة الله لهم به .

وقوله : **﴿ قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ ﴾** أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش [ ][١] : لا أسألكم علىٰ هذا البلاغ والنصح لكم مالًا تعطونيه ، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني ، وتذروني أبلغ رسالات ربي ، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة .

قال البخاري(١٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة قال[٢] : سمعت طاوسًا عن ابن عباس : أنه سُئِل عن قوله تعالىٰ : **﴿ إلا المودة في القربىٰ ﴾** ، فقال سعيد بن جبير : قربىٰ آل محمد . فقال ابن عباس : عَجِلْتَ ، إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة[٣] ، فقال : إلا أن [تصلوا ما][٤] بيني وبينكم من القرابة . انفرد به البخاري .

ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة، به . وهكذا روىٰ عامر الشعبي ، والضحاك ، وعلي بن أبي طلحة ، والعوفي ، ويوسف بن مهران ، وغير واحد ، عن ابن عباس ، مثله . وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وأبو مالك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٧) حدثنا هاشم بن يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا : حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شريك ، عن خُصَيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال لهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تَوَدّوني[٥] في نفسي لقرابتي منكم ، وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم** » .

---

(١٦) - أخرجه البخارى فى التفسير باب : **﴿ إلا المودة فى القربى ﴾** حديث رقم (٤٨١٨) ، وأحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٦) ، والترمذى فى التفسير باب : «ومن سورة حم عسق » حديث رقم (٣٢٥١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٧٤) من طرق عن شعبة به ، وقول المصنف : « انفرد به البخارى » غير صحيح ، فقد رأيت أن الترمذى أخرجه ، وكذلك النسائى فى الكبرى .

(١٧) - أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١/(١٢٢٣٣) من هذه الطريق ، وأخرجه في الأوسط عن جعفر بن محمد القلانسي - وحده - به ، ثم أعاده فى الكبير (١١/ ١٢٢٣٨) من طريق آخر عن سعيد بن جبير ، والحديث عزاه السيطوي فى الدر إلى ابن أبى حاتم فى تفسيره ، وابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قل » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لما » .

[٥] - في ز : « تؤذوني » .

وروىٰ الإمام أحمد(١٨) ، عن حسن بن موسىٰ : حدثنا قَزَعة - يعني ابن سويد - وابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قَزَعة بن سويد ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا أسألكم علىٰ ما آتيتكم من البينات والهدىٰ أجرًا ، إلا أن تُوَادوا الله ، وأن تَقَرّبوا إليه بطاعته** » .

وهكذا روى قتادة(١٩) عن الحسن البصرى، مثله . وهذا كأنه تفسير بقول ثان ، كأنه يقول : ﴿ **إلا المودة في القربىٰ** ﴾ أي : إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفىٰ .

وقول[١] ثالث : وهو ما حكاه البخاري وغيره(٢٠) ، رواية عن سعيد بن جبير - ما معناه - أنه قال : معنىٰ ذلك أن تودوني في قرابتي ، أي : تحسنوا إليهم وتبروهم .

وقال السدي(٢١) : عن أبي الديلم قال : لما جيء بعلي بن الحسين أسيرًا ، فأقيم علىٰ دَرَج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم ، وقطع قَرني الفتنة . فقال له علي بن الحسين : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ، ولم أقرأ آل حم . قال : ما قرأت : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ ؟ قال : وإنكم أنتم هم ؟ قال : نعم .

وقال [أبو إسحاق][٢] السبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تعالىٰ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ ، فقال : قربىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم . رواهما ابن جرير(٢٢) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد السلام ،

(١٨) - المسند (٢٦٨/١) ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١١١٤٤/١١) ، والطبرى فى تفسيره ٢٥/٢٥ ، والحاكم (٤٤٣/٢ ، ٤٤٤) وعزاه فى الدر إلى ابن مردويه ، وابن أبى حاتم من هذا الوجه ، وهذا الإسناد ضعيف لضعف قزعة ، وقال فى المجمع (١٠٣/٧) : « رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد فيهم قزعة وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » ، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبى .

(١٩) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٢٦/٢٥) من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به .

(٢٠) - تقدم ضمن تخريج حديث ابن عباس فانظر الصفحة السابقة .

(٢١) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٢٥/٢٥) من طريق إسماعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المرى عن السدى به ، وإسماعيل بن أبان الوراق رمى بالتشيع ، فلا تقبل له الرواية التى تنصر مذهبه وهذا منه .

(٢٢) - أخرجه الطبرى فى المصدر السابق .

[١] - في ت : وقول .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز: «أبو الحسن» .

حدثني يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، وكأنهم فخروا . فقال ابن عباس - أو : العباس ، شك عبد السلام - : لنا الفضل عليكم . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال : « **يامعشر الأنصار ، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟** » قالوا : بلىٰ ، يارسول الله . قال : « [**ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟** » قالوا : بلىٰ ، يا رسول الله][1] . قال : « **أفلا تجيبوني ؟** » قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : « **ألا تقولون : ألَم يخرجك قومك فآويناك ؟ أوَ لم يكذبوك فصدقناك ؟ أولم يخذلوك فنصرناك ؟** » . قال : فما زال يقول حتىٰ جثوا علىٰ الرُّكَب ، وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله . قال : فنزلت : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن علي بن الحسين ، عن عبد المؤمن بن علي ، عن[2] عبد السلام ، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده مثله ، أو قريبًا منه(٢٣) .

وفي الصحيحين(٢٤) في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ، ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية . وذكْرُ نُزولها في المدينة فيه[3] نظر ؛ لأن السورة مكية ، وليس يظهر بين هذه الآية الكريمة وبين السياق مناسبة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٢٥) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا رجل سماه ، حدثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه

---

(٢٣) - أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٢٥/٥) ، وعزاه فى الدر إلى ابن مردويه وابن أبى حاتم من هذا الوجه، وأعله المصنف هنا بيزيد بن أبى زياد . وضعفه ابن حجر فى الفتح (٥٦٤/٨) وقال : ويبطله أن الآية مكية»اهـ .

(٢٤) - أخرجه البخارى فى المغازى والسير حديث رقم (٤٣٣٠) ، وفى التمنى باب ما يجوز من اللوّ وقوله تعالى : ﴿ **لو أن لي بكم قوة** ﴾ حديث رقم (٧٢٤٥) مختصرًا ، وأخرجه مسلم فى الزكاة حديث رقم (١٠٦١) من مسند عبد الله بن زيد به ، وفى الباب عن أنس بن مالك ، وأبى سعيد الخدرى ، أخرجهما أحمد (٦٧/٣ و ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٥٣) .

(٢٥) - أخرجه الطبرانى ٤٤٤/١١ (١٢٢٥٩) من طريق آخر عن حسين الأشقر به وعزاه السيوطي أيضًا فى الدر إلى ابن المنذر وابن مردويه ، وذكره الهيثمى فى المجمع (١٧١/٩) وقال : رواه الطبرانى وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا . اهـ . يعنى حسين الأشقر وشيخه قيس بن الربيع ، وعليه فهذا الحديث ضعيف ، من حيث الإسناد ، وأما من حيث المتن ، فهذه الآية نزلت بمكة ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلى إلا بعد بدر من السنة الثانية للهجرة كما ذكر المصنف .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « بن » .

[٣] - سقط من : خ .

الآية : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ ﴾ ، قالوا : يارسول الله ، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال : « **فاطمة وولدها عليهم السلام** » .

وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي متحرق ، وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل . وذكْرُ نزول هذه الآية في المدينة بعيد ، فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة .

والحق تفسير الآية بما فسرها به الإمام حَبْرُ الأمة ، وترجمان القرآن ، عبد الله بن عباس ، كما رواه عنه البخاري ، ولا تنكر الوَصاةُ بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامُهم ، فإنهم من ذُرِّية طاهرة ، من أشرف بيت وجد علىٰ وجه الأرض ، فخرًا وحسبًا ونسبًا ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وعليّ وأهل بيته وذويه[١] ، رضي الله عنهم أجمعين .

وفي الصحيح[٢] (٢٦) : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال في خطبته بغدير خم : « **إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، وإنهما لم يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض** » .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد

---

(٢٦) - أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة ، باب : من فضائل على بن أبى طالب حديث رقم (٣٤٠٨) من مسند زيد بن أرقم بنحو السياق التى ذكرها المصنف وليس بلفظه ، ولهذا الحديث شواهد كثيرة . انظرها فى الصحيحة (٣٥٥/٤ ، ٣٦١) ، وسيأتى تخريجه مفصلًا عندما يذكر المصنف طرقه بعد قليل .

(٢٧) - هذا الحديث ضعيف مداره على يزيد بن أبى زياد وهو ضعيف وقد اختلط بأخرةٍ ، وقد اضطرب فى هذا الحديث ، فتارة يجعله من مسند العباس ، وتارة يجعله من مسند عبد المطلب بن ربيعة ، وفى بعض الطرق سماه المطلب بن ربيعة . أخرجه أحمد ٢٠٧/١ ، ١٦٥/٤ ، وفى الفضائل (١٧٥٧) ، والترمذى فى المناقب حديث رقم (٣٧٠٨) ، والنسائى فى المناقب من الكبرى حديث رقم (٨١٧٦) ، والبزار (٣١٦) ، والحاكم (٣٣٢/٣) ، والخطيب فى تاريخه (٣٨٦/٣) من طرق عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث به . قال البزار : لا نعلم رواه إلا يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث وللحديث طريق أخرى عند ابن ماجه فى المقدمة برقم (١٤٠) من طريق محمد بن كعب القرظى عن العباس ، وهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه ، فإن محمد بن كعب لم يدرك العباس بن عبد المطلب كما يعلم من تاريخ وفاتهما ، وله طريق أخرى من مرسل أبى الضحى وهو مسلم بن صبيح قال : قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره مرسلًا . أخرجه أحمد فى الفضائل (١٧٥٦) ، وقد وصله الطبرانى فى الكبير (٤٣٣/١١) (١٢٢٢٨) ، والخطيب فى تاريخه (٣١٦/٥ ، ٣١٧) عن أبى الضحى عن عبد الله بن عباس ، عن العباس ... فذكره . وإسناده ضعيف . ووصله الخطيب من وجه آخر عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة وضعفه أيضًا ، فالحاصل أن هذا الحديث ورد بأسانيد هذا حالها وهى بينة الضعف ، والله أعلم .

---

[١] - في ت : « وذريته » .

[٢] - في ز : « الصحيحين » .

ابن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يارسول الله ، إن قريشًا إذا لقي بعضهم بعضًا لَقُوهم ببشر حَسَن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ؟ قال : فغضب النبي صلىٰ الله عليه وسلم غضبًا شديدًا ، وقال : « **والذي نفسي بيده ، لا يدخل قلبَ الرجل الإيمانُ حتىٰ يحبكم لله ولرسوله** » .

ثم قال أحمد : حدثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد المطلب بن ربيعة قال : دخل العباس علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : إنا لنخرج فنرىٰ قريشًا تَحدَّث ، فإذا رأونا سكتوا . فغضب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ودَرّ عِرْق بين عينيه ، ثم قال : « **والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمانٌ حتىٰ يحبكم لله ولقرابتي** » .

وقال البخاري(٢٨) : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، حدثنا شعبة ، عن واقد قال[١] : سمعتُ أبي يحدّث عن ابن عمر ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : ارقبوا محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم في أهل بيته .

وفي الصحيح(٢٩) : أن الصديق قال لعليّ - رضي الله عنهما - : والله لقرابة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي .

وقال عمر بن الخطاب للعباس(٣٠) - رضي الله عنهما - : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ لأن إسلامك كان[٢] أحب إلىٰ رسول الله من إسلام الخطاب .

فحال الشيخين - رضي الله عنهما - هو الواجب علىٰ كل أحد أن يكون كذلك ، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين - رضي الله عنهما - وعن سائر الصحابة أجمعين .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي حَيّان التيمي ، حدثني يزيد بن حَيّان قال : انطلقتُ أنا وحصين بن ميسرة ، وعمر بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيدُ خيرًا كثيرًا ، رأيتَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوتَ معه ، وصليتَ معه . لقد رأيتَ يازيد خيرًا كثيرًا . حدثنا

---

(٢٨) - أخرجه البخارى فى المناقب باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧١٣)، ثم أعاده فى فضل الحسن والحسين حديث رقم (٣٧٥١) من طريق آخر عن شعبة .

(٢٩) - أخرجه البخارى فى الموضع السابق حديث رقم (٣٧١٢) .

(٣٠) - أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٩١٤/٨ من طريق إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال عمر للعباس ... فذكره .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .

يا زيدُ ما سمعتَ من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقال : يا ابن أخي ، واللّٰه لقد [كَبُرَت][١] سنّي وقدُم عهدي ، ونسيت بعضَ الذي كنت أعي من رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبلوه ، وما لا فلا تُكلّفونيه . ثم قال : قام رسولُ اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يومًا[٢] خطيبًا فينا ، بماء يدعىٰ خُمًا - بين مكة والمدينة - فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه ، وذَكَّر ووَعَظ ، ثم قال : « **أما بعد ، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسولُ ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين ، أولهما : كتابُ الله ، فيه الهدىٰ والنور ، فخذوا بكتاب اللّٰه واستمسكوا به** » - فحثَّ علىٰ كتاب اللّٰه ورَغَّب فيه - وقال : « **وأهل بيتي ، أذكركم اللّٰه في أهل بيتي ، أذكركم اللّٰه في أهل بيتي** » . فقال له حصين : ومَن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عَقِيل ، وآل جعفر ، وآل العباس . قال : أكلّ هؤلاء حُرمَ الصدقة ؟ قال : نعم .

وهكذا رواه مسلم في الفضائل والنسائي من طرق عن يزيد بن حيان ، به(٣١) .

وقال أبو عيسىٰ الترمذي(٣٢) : حدثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد - والأعمشُ ، [عن حبيب بن أبي ثابت][٣] ، عن زيد بن أرقم - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتابُ اللّٰه حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض ، والآخر عترتي : أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما** » . تفرد بروايته الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن غريب[٤] .

وقال الترمذي أيضًا (٣٣) : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحسن ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : رأيت رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم

---

(٣١) - أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة حديث رقم (٣٤٠٨) ، وأبو داود (٤٩٧٣) ، وأحمد ٣٦٦/٤ ، وعبد بن حميد (٢٦٥) ، والدارمى (٣٣١٩) ، وغيرهم من طرق عن يزيد بن حيان به .

(٣٢) - (٣٣) - أخرجهما الترمذى فى المناقب ، باب : مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧٨٦ ، ٣٧٨٨) ، وقد تقدمت الإشارة إلى صحة هذا الحديث بشواهده ومجموع طرقه ، ويستغرب من رواية الترمذى هذه أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الخطبة فى حجة الوداع . والمشهور أنه ذكرها يوم غد يرخم كما جاء فى صحيح مسلم . لذلك قال الترمذى عقب هذه الرواية : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وانظر شواهد هذا الحديث وبعض طرقه فى السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٥٥) ، (٣٦١/٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « لقد كبر » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن أبي حبيب عن أبي ثابت » .

[٤] - في ت : « صحيح » .

في حجته يوم عرفة ، وهو علىٰ ناقته القَصواء[١] يخطب ، فسمعته يقول : « يا أيها الناس ، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي : أهل بيتي » .

تفرد به الترمذي أيضًا، وقال : حسن غريب . وفي الباب عن أبي ذر ، وأبي سعيد ، وزيد ابن أرقم ، وحُذَيفة بن أسيد .

ثم قال الترمذي(٣٤) : حدثنا أبو داود [سليمان بن][٢] الأشعث ، حدثنا يحيىٰ بن مَعِين ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن عبد اللّٰه بن سليمان النوفلي ، عن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد اللّٰه بن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أحبوا اللّٰه لما يَغذُوكم من نِعَمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي » .

ثم قال : حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

وقد أوردنا أحاديث أخَر عند قوله تعالىٰ : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ بما أغنى عن إعادتها هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ (٣٥) : حدثنا سُوَيد بن سَعيد ، حدثنا مُفَضّل بن عبد الله ، عن أبي إسحاق ، عن حَنَش قال : سمعت أبا ذر وهو آخذ بحلقة الباب يقول : يا أيها الناس ، من

---

(٣٤) - أخرجه أحمد فى فضائل الصحابة (١٩٢٢) ، والبخارى فى التاريخ ١/١٨٣ ، والترمذى فى المناقب باب : مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧٩٠) ، والطبرانى فى الكبير (١/ ٣٨) ، (١٠/٣٤٣) ، والحاكم (٣/١٥٠) ، والبيهقى فى الشعب (١/ ٢٨٨) ، وفى مناقب الشافعى (١/٤٥) ، والذهبى فى الميزان (٢/٤٣٢) ، والمزى فى التهذيب (١٥/٦٤) ، والخطيب فى تاريخه (٤/ ١٦٠) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٢١١) ، من طريق هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلى به . وعبد الله بن سليمان ضعيف . قال الذهبى فى الميزان : فيه جهالة . وقال فى الديوان : مجهول . وقال الحافظ فى التقريب : مقبول . وقد تفرد بهذا الحديث ولم يتابع عليه فإسناده ضعيف لا يثبت .

(٣٥) - أخرجه ابن عدى فى الكامل (٦/٢٤٠٦) عن أبى يعلى به وأخرجه الحاكم (٣/١٥٠ - ١٥١) من طريق آخر عن المفضل بن صالح به . ووقع فى رواية أبى يعلى كما ذكر المصنف : «المفضل بن عبد الله» وإنما هو المفضل بن صالح ، قال ابن عدى فى الكامل : وكان سويد - الراوى عنه - يسميه المفضل بن عبد الله . اهـ . والمفضل ضعيف . قال البخارى : منكر الحديث ، وقال الذهبى فى استدراكه على الحاكم : «المفضل واه » وقال ابن عدى : أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن على . قال الذهبى فى الميزان (٥/ ٢٩٢) ، وحديث سفينة نوح أنكر وأنكر . اهـ . يعنى هذا الحديث . والحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٦٣٧) ، وفى الصغير (١/١٣٩ - ١٤٠) من طريق الأعمش ، عن أبى إسحاق به ، وفى إسناده عبد الله ابن داهر وهو متروك . وله طريق أخرى فقد أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٦٣٦) ، والبزار (٣٩٠) من طريق سعيد بن المسيب عن أبى ذر وإسناده واه فيه الحسن بن أبى جعفر وهو متروك ، ورواه الحسن بن أبى جعفر=

---

[١] - في ز : « القصوى » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « وسليمان » .

عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني[١] فأنا أبو ذر ، سمعتُ رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **إنما مثل أهل بيتي فيكم مَثَل سفينة نوح ، من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك** » . هذا بهذا الإِسناد ضعيف .

وقوله : ﴿ **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا** ﴾ أي : ومن يعمل حسنة ﴿ **نزد له فيها حسنًا** ﴾ أي : أجرًا وثوابا ، كقوله : ﴿ **إن اللّٰه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ .

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنةُ بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها .

وقوله : ﴿ **إن اللّٰه غفور شكور** ﴾ أي : يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ، ويضاعف فيشكر .

وقوله : ﴿ **أم يقولون افترىٰ علىٰ اللّٰه كذبًا فإن يشأ اللّٰه يختم علىٰ قلبك** ﴾ أي : لو افتريت عليه كذبًا كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿ **يختم علىٰ قلبك** ﴾ أي : لطَبَع علىٰ قلبك وسَلَبك ما كان آتاك من القرآن ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه .

وقوله : ﴿ **ويمح اللّٰه الباطل** ﴾ ، ليس معطوفًا علىٰ قوله : ﴿ **يختم** ﴾ فيكون مجزومًا ، بل هو مرفوع علىٰ الابتداء . قاله ابن جرير ، قال : وحذفت من كتابته « الواو » في رسم المصحف الإمام ، كما حذفت من[٢] قوله : ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويحق الحق بكلماته** ﴾ معطوف علىٰ ﴿ **ويمح اللّٰه الباطل ويحق الحق** ﴾ أي : يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه ، ﴿ **بكلماته** ﴾ أي : بحججه وبراهينه ، ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ أي : بما تكنه الضمائر ، وتنطوي عليه السرائر .

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ

= بإسناد آخر أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٦٣٨) ، من طريقه عن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذا من تخليط هذا الهالك الحسن بن أبى جعفر . وللحديث شواهد فى أسانيدها كلها مقال وانظرها فى مجمع الزوائد (١٧١/٩) .

[١] - في ز : « أنكر » . [٢] - في ت : « في » .

شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ
مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه : إنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر ، كقوله : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم - رحمه الله - حيث قال(٣٦) :

حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا : حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك - وهو عمه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتىٰ شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو[١] بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم ، أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح** » .

وقد ثبت أيضًا في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود نحوه (٣٧) .

وقال عبد الرزاق(٣٨) ، عن معمر ، عن الزهري في قوله : ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** ﴾ : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله العطش فيه** » .

وقال همام بن الحارث : سُئل ابن مسعود عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال : لا بأس به ، وقرأ : ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** ﴾ الآية . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث شَريك القاضي ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النخعي ، عن همام ،

---

(٣٦) - أخرجه مسلم فى كتاب التوبة من صحيحه ، حديث رقم (٢٧٤٧) .

(٣٧) - أخرجه مسلم فى كتاب التوبة من صحيحه ، حديث رقم (٢٧٤٤) . وفى الباب عن أبى هريرة ، والنعمان بن بشير ، والبراء بن عازب ، وكلها فى صحيح الإمام مسلم ، انظر كتاب التوبة باب فى الحض على التوبة والفرح بها .

(٣٨) - أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٩١/٢ ، وهو فى صحيح مسلم حديث رقم (٢٦٧٥) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة فذكره ، وانظر المصدر السابق .

---

[١] - سقط من : خ .

فذكره (٣٩) .

وقوله : ﴿ ويعفو عن السيئات ﴾ أي : يقبل التوبة في المستقبل ، ويعفو عن السيئات في الماضي ، ﴿ ويعلم ما تفعلون ﴾ أي : هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ، ومع هذا يتوب على من تاب إليه .

وقوله : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، قال السدي : يعني يستجيب لهم . وكذا قال ابن جرير : معناه يستجيب الدعاء لهم ولأصحابهم وإخوانهم . وحكاه عن بعض النحاة ، وأنه جعلها كقوله : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ .

ثم روى هو وابن أبي حاتم(٤٠) ، من حديث الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن سلمة ابن سبرة قال : خطبنا معاذ بالشام فقال : أنتم المؤمنون ، وأنتم أهل الجنة . والله[١] إني أرجو أن يدخل الله من تَسْبُون من فارس والروم الجنة ، وذلك بأن أحدكم إذا عمل له - يعني أحدُهم عملًا قال : أحسنت - رحمك[٢] الله أحسنت بارك الله فيك - ثم قرأ : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ﴾ .

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية [أنه جعل][٣] ﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾ كقوله : ﴿ الذين يستمعون القول ﴾ ، أي : هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ إنما يستجيب][٤] الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ﴾ والمعنى الأول أظهر ، لقوله تعالى : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي : يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن المصفى ، حدثنا بقية ، حدثنا إسماعيل بن عبدالله الكَندي ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ ، قال : « الشفاعة لمن وجبت له النار ، ممن صنع إليهم معروفًا في الدنيا »(٤١) .

(٣٩) - أخرجه ابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - والطبرى فى تفسيره ٢٥/٢٨ وفى إسناده شريك كان صدوقًا سيئ الحفظ ولا سيما بعد توليه القضاء .

(٤٠) - انظر المصدر السابق .

(٤١) - أخرجه ابن أبي حاتم كما فى الدر - وابن أبي عاصم فى السنة (٨٤٦) ، والطبرانى فى الكبير ١٠/ ٢٤٨ ، وفى الأوسط (٥٧٧٠) ، من طرق عن بقية به . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ لا يثبت كما قال المصنف فيما سبق ، وعلته إسماعيل الكندى قال الذهبى : روى عن الأعمش ، وعنه بقية بخبر عجيب منكر .=

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « يرحمك » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن جعله » .
[٤] - مابين المعكوفتين في خ : « جعله قوله » .

و[١]قال قتادة عن إبراهيم النخعي اللخمي في قوله تعالىٰ : ﴿ **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، قال : يشفعون في إخوانهم ، ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ ، قال : يشفعون في إخوان إخوانهم

وقوله : ﴿ **والكافرون لهم عذاب شديد** ﴾ ، لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ، ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم .

وقوله : ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض** ﴾ أي : لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق ، لحملهم ذلك علىٰ البغي والطغيان من بعضهم علىٰ بعض ، أشرًا وبطرًا .

وقال قتادة : كان يقال : خير العيش ما لا يُلهيك ولا يُطغيك . وذكر قتادة حديث : « **إنما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة الحياة الدنيا** » ، و[٢]سؤال السائل : أيأتي الخير بالشر ؟ الحديث (٤٢) .

وقوله : ﴿ **ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير** ﴾ أي : ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم ، وهو أعلم بذلك ، فيغني من يستحق الغنىٰ ، ويفقر من يستحق الفقر . كما جاء في الحديث المروي : « **إن من عبادي لمَن لا يصلحه إلا الغنىٰ ، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي لمَن لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه** »(٤٣) .

= قلت : ولهذا الحديث إسنادٌ آخر ، فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠٨/٤ ، ١٢٨/٧ من طريق ابن حمير عن الثورى عن الأعمش عن شقيق به ، وقال في الموضع الأول : غريب من حديث الأعمش ، عزيز عجيب من حديث الثورى ، تفرد به إسماعيل الكندى عن الأعمش .وقال في الموضع الثاني : «غريب من حديث الثورى تفرد به ابن حمير »، ورواه بقية عن إسماعيل بن عبد الله الكندى عن الأعمش مثله . اهـ .

قلت : يعنى أن حديث الثورى غير محفوظ ، والحديث حديث إسماعيل الكندى ، فقد أفحش الخطأ من اعتبر الثورى متابعًا لإسماعيل وصححه لذلك .

(٤٢) - أخرجه ابن جرير الطبرى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به مرسلًا والحديث فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى فقد أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : يستقبل الإمام القوم حديث (٩٢١) ، وأطرافه (١٤٦٥ ، ٢٨٤٢ ، ٦٤٢٧) ، ومسلم فى كتاب الزكاة باب : تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا حديث رقم (١٢٢ ، ١٢٣) - (١٠٥٢) .

(٤٣) - هذا الحديث يروى من مسند عمر بن الخطاب ، ومن مسند أنس بن مالك .

أولًا : حديث عمر ، أخرجه الخطيب فى تاريخه ١٥/٦ ، ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية ٤٤/١ من طريق يحيى بن عيسى ، عن سفيان الثورى ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن كثير ابن أفلح عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل فذكره ويحيى بن عيسى =

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** ﴾ أي : من بعد إياس الناس من نزول المطر ، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه ، كقوله : ﴿ **وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾

وقوله : ﴿ **وينشر رحمته** ﴾ أي : يعم بها الوجود علىٰ أهل ذلك القُطر وتلك الناحية .

قال قتادة : ذُكر لنا أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، قحط المطر وقَنَط الناس ؟ فقال عمر - رضي الله عنه - : مطرتم ، ثم قرأ : ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد** ﴾(٤٤) . أي : هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله .

= وهو الرملى . قال ابن معين : ليس بشيء . وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال ابن حبان فى المجروحين (١٢٦/٣ - ١٢٧) ، وكان ممن ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الأثبات فيما يروى الثقات ، فلما كثر ذلك فى روايته بطل الاحتجاج به . وقال ابن عدى فى الكامل (٢٦٧٣/٧) : « عامة رواياته مما لا يتابع عليه »وقال ابن الجوزى فى العلل المتناهية عقب روايته لهذا الحديث : «هذا حديث لا يصح ... ففيه يحيى ابن عيسى الرملى قال يحيى : ما هو بشيء . وقال ابن حبان : ساء حفظه فكثر وهمه فبطل الاحتجاج به».

ثانيًا : حديث أنس بن مالك . أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٤٤/١) وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣١٨) ، والبغوى فى شرح السنة (٢٣/٥) والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ٤٢٩/١ ، وابن أبى الدنيا فى الأولياء (١) وزاد السيوطى فى الدر المنثور نسبته إلى ابن عساكر فى تاريخه ، وزاد ابن حجر فى الفتح (٣٤٢/١١) نسبته إلى البزار وأبى يعلى وزاد الألبانى فى الصحيحة (١٨٩/٤) نسبته إلى محمد بن سليمان الربعى فى جزء من حديثه ، وزاد الهيثمى فى المجمع نسبته إلى الطبرانى فى الأوسط . كلهم من طريق عمر بن سعيد الدمشقى ، والحسن بن يحيى الدمشقى كلاهما عن صدقة بن عبد الله الدمشقى عن هشام الكنانى ، عن أنس مرفوعًا وهذا إسنادٌ ضعيف جدًّا ، صدقة بن عبد الله - وهو أبو معاوية السمين - ضعيف ، وشيخه هشام الكنانى لا يعرف . وقال ابن الجوزى - كما فى العلل المتناهية (٤٤/١) : « هذا حديث لا يصح ففيه الخشنى ، قال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال الدارقطنى : متروك ، وأما صدقة فمجروح».

أما الخشنى وهو الحسن بن يحيى فقد تابعه عمر بن سعيد كما تقدم ، والحديث ذكره الهيثمى فى المجمع وعزاه للطبرانى فى الأوسط ، وأعله بعمر بن سعيد هذا . وعليه فهذا الحديث لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فالخشنى ، وصدقة ضعيفان ، وشيخهما ضعيف ، وهشام الكنانى الراوى عن أنس لم أجد من ترجمه ، وقال الشيخ الألبانى فى الصحيحة : لم أعرفه . وانظر كلام الحافظ ابن رجب الحنبلى على هذا الحديث في أثناء كلامه على شرح حديث : « من عادى لى وليًا » الحديث الثامن والثلاثون من جامع العلوم والحكم ، وانظر الصحيحة (١٨٨/٤) .

(٤٤) - أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ، وعزاه فى الدر إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر من هذا الوجه ، وقول عمر : «مطرتم »أى ما دام أن الحال أصبح كما تقولون فسيفى الله عز وجل بوعده وينزل الغيث ، وينشر رحمته ، ويؤيد هذا المعنى قول عمر كما فى الدر المنثور : « مطرتم إذًا ».

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن آياته** ﴾ الدالة علىٰ عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر ﴿ **خلق السماوات والأرض وما بث فيهما** ﴾ أي : ذرأ فيهما ، أي : في السماوات والأرض ، ﴿ **من دابة** ﴾ ، وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات ، علىٰ اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم ، وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم ، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسماوات ، ﴿ **وهو** ﴾ ومع هذا كله ﴿ **وهو علىٰ جمعهم إذا يشاء قدير** ﴾ أي : يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينْفُذهم البصر ، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق .

وقوله : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ أي : مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم ، ﴿ **ويعفو عن كثير** ﴾ أي : من السيئات ، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ، ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهرها من دابة** ﴾ ، وفي الحديث الصحيح : « **والذي نفسي بيده ، ما يصيب المؤمن من نَصَب ولا وَصَب ولا هَمّ ولا حزن ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه ، حتىٰ الشوكة يشاكها** »(٤٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُلَيّة ، حدثنا أيوب قال : قرأت في كتاب أبي قلابة ، قال : نزلت : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ ، وأبو بكر يأكل ، فأمسك وقال : يارسول الله ، إني لَرَاء ما عملت من خير وشر ؟ فقال : « **أرأيت ما رأيت مما تكره ، فهو من مثاقيل ذَرّ الشر ، وتَدّخر مثاقيل الخير حتىٰ تعطاه يوم القيامة** » . قال : قال أبو إدريس : فإني أرىٰ مصداقها في كتاب الله : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ . ثم رواه من وجه آخر عن أبي قلابة عن أنس قال : والأول أصح(٤٦) .

---

(٤٥) - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب المرض ، باب : ماجاء فى كفارة المرض (٥٦٤١) ، (٥٦٤٢) ، ومسلم فى صحيحه - كتاب البر والصلة ، والآداب ، باب : « ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن »حديث (٢٥٧٣) ، من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفى الباب عن أبى هريرة ، وعائشة وغيرهما .

(٤٦) - هذا الحديث يأتى تخريجه والكلام عليه فى سورة الزلزلة حيث استوعب المصنف هناك طرقه ، ورأيت أن الكلام عليه هناك أنسب ، والله المستعان .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن الطباع ، حدثنا مروان بن معاوية الفَزَاري ، حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي ، عن الخَضْر بن القَوّاس البجلي[١] ، عن[٢] أبي سخيلة ، عن علي - رضي اللَّه عنه - قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب اللَّه - عز وجل - وحدثنا به رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : ﴿ **ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ ، وسأفسرها[٣] **لك يا علي : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم، واللَّه تعالىٰ أحلم من أن يُثَنّى عليه العقوبة في الآخرة، وما عفا اللَّه عنه في الدنيا ، فاللَّه تعالىٰ أكرم من أن يعود بعد عفوه** »(٤٧) .

وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية [وعنده] عن[٤] أبي سخيلة قال : قال عليٌّ ... فذكر نحوه مرفوعًا .

ثم روىٰ ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفًا فقال : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو سعيد بن أبي الوضاح ، عن أبي الحسن ، عن أبي جُحَيفة قال : دخلت علىٰ علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يَعيَه ؟ قال : فسألناه ، فتلا هذه الآية : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ . قال : ما عاقب اللَّه به في الدنيا فاللَّه أحلم من أن يُثَنّي عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا اللَّه عنه في الدنيا فاللَّه أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة .

وقال الإمام أحمد (٤٨) : حدثنا يعلىٰ بن عبيد ، حدثنا طلحة - يعني ابن يحيىٰ - ، عن أبي بردة، عن معاوية - هو ابن أبي سفيان، رضي اللَّه عنهما - قال[٥]: سمعت رسول اللَّه

(٤٧) - وعزاه فى الدر المنثور إلى ابن أبى حاتم من هذا الوجه ، والحديث أخرجه أحمد ٨٥/١ ، وأبو يعلى (٣٥٢/١ ، ٤٥٣) ، والدولابى فى الكنى (١٨٥/١ - ١٨٦) ، وزاد السيوطى نسبته إلى ابن مردويه ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، وإسحاق بن راهويه ، وابن منيع ، وعبد بن حميد من هذا الوجه . وهذا إسنادٌ ضعيف ، أزهر بن راشد الكاهلى ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم : مجهول ، وقال الحافظ فى التقريب : ضعيف ، والخضر بن القواس : جهله أبو حاتم وذكره ابن حبان فى الثقات ، وشيخه ؛ قال أبو زرعة : لا أعرف اسمه . وقال الحافظ : مجهول ، وللحديث طريق أخرى فقد أخرجه أحمد (٩٩/١) ، وابن أبى حاتم كما ذكر المصنف ، والسيوطى فى الدر ، والحاكم ٤٤٥/٢ ، وصححه على شرط الشيخين ، وزاد الحاكم نسبته إلى ابن راهويه من طريقين عن أبى جحيفة . به موقوفًا وهذا هو الصحيح عن على ، والمرفوع لا يثبت لما سبق ذكره فى إسناده .

(٤٨) - أخرجه أحمد (٩٨/٤) ، وعبد بن حميد (٤١٥) ، وابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات ، والحاكم ٣٤٧/١ من طريق طلحة بن يحيى عن أبى بردة به ، وصححه على شرط البخارى ومسلم ، وفى إسناده=

[١] - في خ : « الجليلي » ، وفي ز : « الجيلى» . [٢] - بعده في خ : « ابنَ » .
[٣] - في ز : « ما فسرها » . [٤] - بعده في خ : « ابن » .
[٥] - سقط من : خ .

صلى الله عليه وسلم يقول : « **ما من شيء يصيب المؤمن**[١] **في جسده يؤذيه إلا كفر الله عنه به من سيئاته** » .

وقال أحمد أيضًا(٤٩) : حدثنا حسين، عن زائدة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها** » .

وقال ابن أبي حاتم (٥٠) : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن - هو البصري - قال في قوله : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ ، قال[٢] : لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **والذي نفس محمد بيده ، ما من خدش عود ، ولا اختلاج**[٣] **عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه**[٤] **أكثر** » .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو[٥] بن علي ، حدثنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين -رضي الله عنه - قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده ، فقال له بعضهم : إنا [لَنَبْتَئِسُ لك لما][٦] نرى فيك . قال : فلا تبتئس بما

= طلحة بن يحيى لم يحتج به البخارى ، وقال الحافظ فى التقريب : صدوق يخطئ . فإسناد الحديث ضعيف ولكن الحديث له شواهد كثيرة يرتقى بها إلى الصحة ، وهو فى الصحيحين وغيرهما ، عن غير واحد من الصحابة ، وقد سبق بعض الشيء من هذه الشواهد كما ذكر المصنف ، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٢٧٤).

(٤٩) - إسناده ضعيف ، وأخرجه أحمد (١٥٧/٦) ، والبزار ٨٧/٤ (٢٤٧١١ - كشف) من طريق حسين بن على به . وفيه الليث - وهو ابن أبى سليم - وهو ضعيف ، وقال الهيثمى فى المجمع (٢٩١/٢) : «رواه أحمد وفيه ليث ابن أبى سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات »، وذكره أيضًا فى ١٩٢/١٠ وقال : «رواه أحمد والبزار وإسناده حسن» ، وانظر شواهده فيما سبق .

(٥٠) - إسناده ضعيف ، فبين الحسن والنبى صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل ، وإسماعيل ابن مسلم - وهو المكى - ضعيف والحديث أخرجه هناد فى الزهد (٤٢٩) ووكيع فى الزهد (٩٣) وعبد بن حميد وابن المنذر - كما فى الدر - من طرق عن إسماعيل بن مسلم به وفى رواية وكيع من طريق سفيان عن رجل عن الحسن به والحديث أخرجه البيهقي في الشعب ١٥٣/٧ ، وابن جرير الطبرى ٢١/٢٥ من طريق قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلًا أيضًا وفى الباب عن البراء بن عازب عند الطبرانى فى الأوسط - كما فى الجامع الصغير للسيوطى ، وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ١٢٠/٥ - ١٢١) ولفظه ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب .

[١] - في خ ، ز : « ابن آدم » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « اختلاف » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « عمرو » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « لنيس لما » .

ترىٰ ، فإن ما ترىٰ بذنب ، وما يعفو اللّه عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾(٥١) .

وحدثنا أبي : حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحمّاني ، حدثنا جرير ، عن أبي البلاد قال : قلت للعلاء بن بدر : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ ، وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال : فبذنوب والديك (٥٢) .

وحدثنا أبي : حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد ، عن الضحاك قال : ما [نعلم أحدًا حفظ][١] القرآن ثم نسيه إلا بذنب ، ثم قرأ الضحاك : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ . ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن (٥٣) ؟

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) ﴾

يقول تعالىٰ : ومن آياته الدالة علىٰ قدرته وسلطانه ، وتسخيره البحر لتجري فيه الفلك

(٥١) - أخرجه ابن أبى الدنيا فى الكفارات - ومن طريقه البيهقى فى الشعب (١٥٣/٧) ، وأخرجه عبد بن حميد - كما فى الدر المنثور - والحاكم ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ ، وقال : «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» والحديث رواه المبارك بن فضالة عن الحسن قال : «دخلنا على عمران بن الحصين ... فذكر نحوه »أخرجه البيهقى فى الشعب ١٩٦/٧ ، وفيه أن الحسن لقى عمران بن الحصين وسمع منه ، وفى ذلك نظر ، فقد قال على بن المدينى : «سمعت يحيى بن القطان وقيل له كان الحسن يقول : سمعت عمران بن حصين ؟ فقال : أما عن ثقة فلا »وهذا طعن صريح فى رواية المبارك هذه ، وذكر صالح بن أحمد أنه أنكر على من يقول عن الحسن حدثنى عمران - وسئل ابن معين عن الحسن هل لقى عمران بن الحصين ؛ فقال : أما فى رواية البصريين فلا وأما فى رواية الكوفيين فنعم ، وانظر ترجمة الحسن من جامع التحصيل .

(٥٢) - وعزاه فى الدر أيضًا إلى ابن المنذر ، وهذا الإسناد صحيح ، أبو البلاد وهو يحيى بن سليمان كذا ترجم له البخارى فى التاريخ الكبير ، وابن حبان فى الثقات ، وقال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٩/ ١٦٠) : « يحيى بن أبى سليمان » واسم أبى سليمان الضحاك الغطفانى ، ثم نقل بإسناده عن ابن معين أنه قال : « ثقة » .

(٥٣) - أخرجه ابن أبى شيبة (١٦٢/٧) عن وكيع به، وعزاه فى الدر إلى ابن أبى حاتم ، وابن المبارك فى الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر ، والبيهقى فى الشعب من هذا الوجه ، وعبد العزيز بن أبى روّاد صدوق عابد ، ورمى بالإرجاء ، ووقع فى المطبوع من المصنف لابن أبى شيبة : «ابن أبى داود »وهو تصحيف .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « تعلّم أحد » .

بأمره ، وهي الجواري في البحر [كالأعلام ، أي][١] : كالجبال ، [قاله مجاهد ، والحسن ، والسدي ، والضحاك ، أي : هي في البحر كالجبال][٢] في البر ، ﴿ إن يشأ يسكن الريح ﴾ أي : التي تسير بالسفن ، لو شاء لسكنها حتىٰ لا تتحرك السفن ، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب ، بل واقفة علىٰ ظهره ، أي : علىٰ وجه الماء ، ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار ﴾ أي : في الشدائد ، ﴿ شكور ﴾ أي : إن[٣] في تسخيره البحر وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم ، لدلالات علىٰ نعمه تعالىٰ على خلقه ﴿ لكل صبار ﴾ أي : في الشدائد ، ﴿ شكور ﴾ في الرخاء .

وقوله : ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ أي : ولو شاء لأهلك السفن وغرّقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها ، ﴿ ويعف عن كثير ﴾ أي : من ذنوبهم . ولو أخذهم[٤] بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب في البحر .

وقال بعض علماء التفسير : معنىٰ قوله : ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ أي : لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية ، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم ، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال ، آبقة لا تسير علىٰ طريق ، ولا إلىٰ جهة مقصد .

وهذا القول هو يتضمن هلاكها ، وهو مناسب للأول ، وهو أنه تعالىٰ لو شاء لسكن الريح فوقفت ، أو لقواه فشَرَدت وأبِقَت وهَلكت . ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة ، كما يرسل المطر بقدر الكفاية ، ولو أنزله كثيرًا جدًّا لهدم البنيان ، أو قليلًا لما أنبت الزرع والثمار ، حتىٰ إنه يرسل إلىٰ مثل بلاد مصر سيحًا من أرض أخرىٰ غيرها ، لأنهم لا يحتاجون إلىٰ مطر ، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم ، وأسقط جدرانهم .

وقوله : ﴿ ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ﴾ ، أي : لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا ، فإنهم مقهورون بقدرتنا .

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « واخذهم » .

يقول تعالىٰ مُحَقرًا لشأن الحياة الدنيا وزينتها ، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني ، بقوله : ﴿ **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا** ﴾ أي : مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به ، فإنما هو متاع الحياة الدنيا ، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة ، ﴿ **وما عند اللَّه خير وأبقىٰ** ﴾ أي: وثواب اللَّه خير من الدنيا ، وهو باق سَرْمَديّ ، فلا تقَدّموا الفاني علىٰ الباقي ، ولهذا قال : ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ أي : [للذين صبروا][١] علىٰ ترك الملاذ في الدنيا، ﴿ **وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ أي : ليعينهم علىٰ الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات .

ثم قال: ﴿ **والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في « **سورة الأعراف** » .

﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ أي : سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ، ليس سجيتهم الانتقام من الناس .

وقد ثبت في الصحيح(٥٤) : « **أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك[٢] حرمات اللَّه** » .

وفي حديث آخر(٥٥) : كان يقول لأحدنا عند المعتبة : « **ما له ؟ تَربت[٣] جبينه[٤]** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن زائدة ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا ، وكانوا إذا قدروا عفوا(٥٦) .

وقوله : ﴿ **والذين استجابوا لربهم** ﴾ أي : اتبعوا رسله وأطاعوا أمره ، واجتنبوا زجره ، ﴿ **وأقاموا الصلاة** ﴾ ، وهي أعظم العبادات للَّه - عز وجل - ﴿ **وأمرهم شورىٰ بينهم** ﴾ أي : لا يبرمون أمرًا حتىٰ يتشاوروا فيه ، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرىٰ مجراها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل علىٰ اللَّه** ﴾ ولهذا كان - عليه السلام - يشاورهم في الحروب ونحوها ، ليطيب بذلك[٥] قلوبهم . وهكذا لما حضرت عمر بن

---

(٥٤) - أخرجه البخارى فى الأدب باب قول النبى صلى اللَّه عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا » حديث رقم (٦١٢٦) ، وفى المناقب حديث رقم (٣٥٦٠) ، ومسلم فى الفضائل حديث رقم (٢٣٢٧) ، كلاهما من حديث عائشة به .

(٥٥) - أخرجه البخارى فى الأدب من صحيحه ، باب لم يكن النبى صلى اللَّه عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا ، وفى باب ما ينهى عن السباب واللعن حديث رقم (٦٠٣١) ، (٦٠٤٦) .

(٥٦) - وعزاه فى الدر إلى ابن أبى حاتم ، وابن جرير الطبرى ، وابن المنذر ، من هذا الوجه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ز : « انتهكت » .

[٣] - في ز : « برئت » .

[٤] - في خ ، ز : « يمينه » .

[٥] - في ز : « ذلك » .

الخطاب الوفاة حين طُعِن جعل الأمر بعده شورىٰ في ستة نفر ، وهم : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف - رضي اللّٰه عنهم أجمعين[١] - فاجتمع رأي الصحابة كلهم علىٰ تقديم عثمان عليهم رضي اللّٰه عنهم .

﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ، وذلك بالإحسان[٢] إلىٰ خلق الله ، الأقرب إليهم منهم فالأقرب .

وقوله : ﴿ **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون** ﴾ ، أي : فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدىٰ عليهم ، ليسوا بعاجزين ولا أذلة ، بل يقدرون علىٰ الانتقام ممن بغىٰ عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا ، كما قال يوسف - عليه السلام - لإخوته : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّٰه لكم** ﴾ ، مع قدرته علىٰ مؤاخذتهم ومقابلتهم علىٰ صنيعهم إليه ، وكما عفا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ، ونزلوا من جبل التنعيم ، فلما قدر عليهم [عفا عنهم][٣] مع قدرته علىٰ الانتقام(٥٧) .

وكذلك عفوه عن « **غَوْرَث بن الحارث** » لما[٤] أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم ، فاستيقظ - عليه السلام - وهو في يده صَلْتًا ، فانتهره ، فوضعه من يده ، وأخذ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم السيف [من يده][٥] ، ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل ، وعفا عنه . وكذلك عفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره - عليه السلام - ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه[٦] ، وكذلك عفوه - عليه السلام - عن المرأة اليهودية - وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمد بن مسلمة ، التي سمت الذراع يوم خيبر - فأخبره الذراع بذلك ، فدعاها فاعترفت ، فقال : « **ما حملك علىٰ ذلك ؟** » . قالت : أردت : إن كنت نبيًا لم يضرك ، وإن لم تكن نبيًا استرحنا منك . فأطلقها عليه الصلاة والسلام ، ولكن لما مات منه[٧] بشر بن البراء قتلها به ، والأحاديث والآثار [في هذا][٨] كثيرة جدًا ، ولله الحمد .

(٥٧) - ذكر المصنفُ فى هذه الجزئية عدة مواقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسنعرجُ على كل موقف من هذه المواقف ونخرجها من موضعها ، سالكين فى ذلك المنهج المتبع من أول الكتاب ، وهو باختصار ما كان فى الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بتخريج الموضع منهما أو من أحدهما ، وإن كان فى غيرهما استقصينا بقدر المستطاع تخريجه والحكم عليه .

أولًا : عفو النبى صلى الله عليه وسلم عن الثمانين فى غزوة الحديبية انظر هذا الخبر عند المصنف =

[١] - في ز : « جميعهم » .

[٢] - في ز : « الإحسان » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « من عليهم » .

[٤] - في ت : « الذي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « معه » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿ **فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم** ﴾ وقوله: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ فشرع العدل وهو القصاص، وندب إلىٰ الفضل وهو العفو، كقوله: ﴿ **والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾، ولهذا قال هاهنا: ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ الله** ﴾ أي: لا يضيع ذلك عند الله؛ كما صح في الحديث (٥٨): « **وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا** ».

وقوله: ﴿ **إنه لا يحب الظالمين** ﴾ أي: المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة.

ثم قال: ﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** ﴾ أي: ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم.

قال ابن جرير (٥٩): حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزيع، حدثنا معاذ بن معاذ، حدثنا ابن

= في تضاعيف كلامه على غزوة الحديبية في البداية والنهاية ١٩١/٤ .

ثانيًا: قصة غورث بن الحارث انظرها أيضًا في البداية والنهاية للمصنف ٣/٤ - ٤، والدلائل للبيهقي ٣/ ١٦٩ وأصل القصة في الصحيحين وغيرهما، أخرجه البخاري في المغازي باب (٣١) غزوة ذات الرقاع، الفتح (٤٢٦/٧)، ومسلم في الفضائل حديث (١٣)، (١٤).

ثالثًا قصة لبيد بن الأعصم، سوف يذكر المصنف قصته وما ورد فيها عند تفسير سورتي المعوذتين ورأينا أن من الأنسب تخريجها هناك.

رابعًا قصة المرأة اليهودية وهي زينب بنت الحارث. وقد عقد المصنف لها فصلاً كاملاً في البداية والنهاية ٤/ ٢٣٧ باب: « قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر »، وأصل الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجزية الفتح (٢٧٢/٦) باب رقم (٥٨)، وأخرجه في كتاب المغازي باب غزوة خيبر الفتح (٤٠٠/٧)، وأخرجه في الطب باب (٥٥) ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥٨) - سبق تخريج هذا الحديث عند الآية (١٤٩) من سورة النساء وهذا الحديث بلفظ: «ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبدًا بعفو إلا عزا، ومن تواضع لله رفعه».

(٥٩) - إسناده ضعيف. لحال علي بن زيد بن جدعان، وأم محمد زوجة أبي علي بن زيد بن جدعان مجهولة الحال ترجم لها المزي، وابن حجر ولم يذكرا فيها جرحًا ولا تعديلًا، بينما قال الذهبي في الميزان=

عون قال : كنت أسأل عن الانتصار ﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** ﴾ ، فحدثني علي بن زيد بن جدعان ، عن أم محمد - امرأة أبيه ، قال ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل علىٰ أم المؤمنين عائشة - قالت : قالت أم المؤمنين : دخل علينا[١] رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش ، [فجعل يصنع][٢] بيده شيئًا فلم يَفْطِن لها ، فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك ، وأقبلت زينب تقحم[٣] لعائشة ، فنهاها ، فأبت أن تنتهي . فقال لعائشة : « **سُبّيها** » . فسبّتها فغلبتها ، وانطلقت زينب فأتت عليًا فقالت : إن عائشة تقع بكم ، وتفعل بكم . فجاءت فاطمة فقال لها : « **إنها حبّة أبيك وربّ الكعبة** » . فانصرفت وقالت لعلي : إني قلت له كذا وكذا ، فقال لي كذا وكذا . قال[٤] : وجاء عليّ إلىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فكلمه في ذلك .

هكذا ورد هذا السياقُ ، وعلي بن زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالبًا ، وهذا فيه نكارة ، والحديث الصحيح خلاف هذا السياق ، كما رواه النسائي وابن ماجة من حديث خالد بن سلمة الفأفاء ، عن عبد اللّٰه البَهِيّ ، عن عروة قال : قالت عائشة رضي اللّٰه عنها : ما علمتُ حتىٰ دخلَت عَلَيّ زينبُ بغير إذن وهي غضبىٰ ، ثم قالت لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : حسبك إذا قَلَبت لك ابنة أبي بكر ذُرَيِّعَتَيها[٥] .. ثم أقبلت عليّ[٦] فأعرضت عنها ، حتىٰ قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **دونك فانتصري** » . فأقبلت عليها حتىٰ رأيتها قد يَبِس ريقُها في فمها ، ما تَرُدّ عليّ شيئًا . فرأيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يتهلل وجهه . وهذا لفظ النسائي (٦٠) .

= (٤/الترجمة ١٠٩٣٨) : « تفرد عنها على بن زيد بن جدعان قلت : فهذا الإسناد واه والحديث أخرجه أحمد (١٣٠/٦) (٢٥٠٩٨) (٢٥٠٩٩) ، وأبو داود فى الأدب باب فى الانتصار حديث رقم (٤٨٩٨) من طرق عن ابن عون به ، وعزاه فى الدر إلى ابن مردويه ، ووقع عند أحمد «أم سلمة »بدلاً من «زينب بنت جحش »وذلك من رواية سليم بن أخضر عن ابن عون ، قال أحمد « إلا أن سليمًا قال أم سلمة » يعنى جعل الحمل فى هذا على سليم بن أخضر .

(٦٠) - هذا الحديث رواه زكريا بن أبى زائدة . واختلف عليه ، فرواه محمد بن بشر والمعلى بن منصور ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة عنه عن خالد بن سلمة عن عبد الله البهى عن عروة عن عائشة به ، أخرجه هكذا أحمد ٩٣/٦ ، وابنه عبد الله ٩٣/٦ ، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٥٨) ، والنسائى فى الكبرى كتاب عشرة النساء ، باب : فى الانتصار حديث رقم (٨٩١٤) ، (٨٩١٥) ، وفى التفسير ، سورة الشورى باب : ﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه** ﴾ حديث رقم (١١٤٧٦) ، وابن ماجه فى النكاح باب حسن معاشرة النساء (٦٣٧/١) حديث رقم (١٩٨١) ، وخالفهم إسحاق بن يوسف فرواه عن زكريا بن أبى زائدة =

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «فجعلت تصنع» .

[٣] - في ت : « تقلم » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « درعيها » .

[٦] - في ز : « إلى » .

وقال البزار : حدثنا يوسف بن موسىٰ ، حدثنا أبو غسان ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي حَمزة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة - رضي اللّٰه عنها - قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من دعا عَلَىٰ من ظلمه فقد انتصر** » .

ورواه الترمذي(٦١) من حديث أبي الأحوص ، عن أبي حمزة - واسمه ميمون - ، ثم قال : لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد تُكلّم فيه من قبل[١] حِفظِه .

وقوله : ﴿ **إنما السبيل** ﴾ أي : إنما الحرج والعنت ﴿ **علىٰ الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق** ﴾ أي : يبدءون الناس بالظلم . كما جاء في[٢] الحديث الصحيح : « **المستبَّان ما قالا ، فعلىٰ البادى ما لم يعتد المظلوم** » .

﴿ **أولئك لهم عذاب أليم** ﴾ أي : شديد موجع .

قال أبو بكر بن أبي شيبة(٦٢) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد ابن زيد، حدثنا عثمان الشحام ، حدثنا محمد بن واسع قال : قدمت مكة فإذا علىٰ الخندق مَنْظَرة فأُخِذت فانطُلِق بي إلىٰ مروان بن المهلب ، وهو أمير علىٰ البصرة ، فقال : ما حاجتَك يا أبا عبد اللّٰه ؟ قلت : حاجتي إن استطعت أن تكون كما قال أخو بني عدي . قال : ومَن أخو بني عدي ؟ قال : العلاء بن زياد ، استعمل صديقًا له مرة علىٰ عمل ، فكتب إليه : أما بعد ، فإن[٣] استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف ، وبطنك خَميص ، وكَفّك نَقية من دماء المسلمين وأموالهم ، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل ، ﴿ **إنما السبيل علىٰ الذين**

= عن عبد الله البهى عن عائشة ، ولم يذكر عروة ، أخرجه هكذا النسائى فى الكبرى كتاب عشرة النساء باب الانتصار حديث رقم (٨٩١٦) والحديث صححه الشيخ الألبانى على شرط مسلم انظر الصحيحة (١٨٦٢).

(٦١) - هذا الحديث ضعيف وعلته : أبو حمزة هذا ، قال الإمام أحمد : متروك ، والحديث أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف كتاب الدعاء ، باب : الرجل يظلم فيدعو الله على من ظلمه ٩٣/٧ ، والترمذى فى الدعوات من جامعه باب من دعا على من ظلمه فقد انتصر حديث رقم (٣٥٤٧) ، وأبى يعلى حديث رقم (٤٤٥٤ ، ٤٦٣١) وابن عدى فى الكامل ٢٤٠٧/٦ من طريق أبى حمزة به ، قال ابن عدى : « ... وأحاديثه التى يرويها خاصة عن إبراهيم مما لا يتابع عليها »قلت : وهذا منها . والحديث ضعفه الشيخ الألبانى كما فى ضعيف الجامع برقم (٥٥٨٨) .

(٦٢) - إسناده صحيح . الحسن بن موسى - وهو الأشيب - ثقة ثبت ، وسعيد بن زيد قال الحافظ : صدوق له أوهام وهو من رجال مسلم ، وعثمان الشحام قال الحافظ فى التقريب : «لا بأس به »، وهو من رجال مسلم .

---

[١] - في ز : « قبيل » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « إن » .

يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ » . فقال : صدق والله ونَصح ، ثم قال : ما [١]حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قلت : حاجتي أن تلحقني بأهلي . قال : نعم . رواه ابن أبي حاتم .

ثم إنه تعالىٰ لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص ، قال نادبًا إلىٰ العفو والصفح : **﴿ ولمن صبر وغفر ﴾** أي : صبر علىٰ الأذىٰ وستر السيئة ، **﴿ إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾** .

قال سعيد بن جبير : لمن حق الأمور التي أمر الله بها ، أي : لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل .

و[٢]قال ابن أبي حاتم(٦٣) : حدثنا أبي ، حدثنا عمران بن موسىٰ الطرسوسي[٣] ، حدثنا عبد الصمد بن يزيد - خادم الفُضَيل بن عياض - قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا فقل : يا أخي ، اعف عنه ، فإن العفو أقرب للتقوىٰ . فإن قال : لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل . [فقل له][٤] : إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلىٰ باب العفو ، فإنه باب واسع ، فإنه من عفا وأصلح فأجره علىٰ الله ، وصاحب العفو ينام علىٰ فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور .

وقال الإمام أحمد (٦٤) : حدثنا يحيىٰ - يعني ابن سعيد القطان - عن ابن عجلان ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هُرَيرة - رضي الله عنه - : أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي صلىٰ الله عليه وسلم جالس ، فجعل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يعجب ويتبسم ، فلما أكثر رَدّ عليه بعض قوله ، فغضب النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقام ، فلحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله ، إنه

---

(٦٣) - صحيح إلى الفضيل ، فقد أخرج أبو نعيم فى حليته (١١٢/٨) هذا الخبر من وجه آخر عن عبد الصمد عن الفضيل به الحلية .

(٦٤) - أخرجه أحمد ٤٣٦/٢ ، وأبو داود فى كتاب الأدب ، باب : فى الانتصار ، حديث رقم (٤٨٩٨) ، والبيهقى فى الشعب ٢٥٨/٦ من طرق عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى به . ورواية محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى مضطربة . وقد اختلطت عليه رواية المقبرى عن رجل عن أبى هريرة ، ورواية المقبرى عن أبى هريرة فجعلها جميعًا عن أبى هريرة . فروايته عن المقبرى مردودة ، ولاسيما إذا خولف عن المقبرى كما فى هذا الحديث فقد رواه الليث بن سعد ، وهو ثقة ثبت ، عن المقبرى عن بشير بن المحرر عن سعيد بن المسيب مرسلاً . أخرجه هكذا أبو داود فى الموضع السابق حديث رقم (٤٨٩٧) والبخارى فى التاريخ الكبير ١٠٢/٢ كلاهما من طريق الليث به وقال البخارى : «وقال ابن عجلان : عن سعيد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والأول أصح »يعنى رواية الليث .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « الترسوسي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قال له الفضيل » .

كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رَدَدت عليه بعض قوله غضبتَ وقمتَ ! قال : « **إنه كان معك مَلَك يرد عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله حضَر الشيطان ، فلم أكن لأقعد مع الشيطان** » . ثم قال : « **يا أبا بكر ، ثلاث كلهن حَقّ : ما من عبد ظُلم بمظلمة فيغضي عنها لله ، إلا أعزّ الله بها نَصْرَه ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة ، إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة ، إلا زاده الله بها قلة** » .

وكذا[١] رواه أبو داود ، عن عبد الأعلىٰ بن حماد ، عن سفيان بن عيينة . قال : ورواه صفوان بن عيسىٰ ، كلاهما عن محمد بن عجلان . ورواه من طريق الليث ، عن سعيد المقبري ، عن بشير بن المحرر ، عن سعيد بن المسيب مرسلًا(٦٥) ، وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو سبب سبه للصديق .

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نفسه الكريمة : إنه ما شاء كان ولا رَادّ له ، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له ، وأنه من هداه فلا مُضِلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، كما قال : ﴿ **ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ ثم قال مخبرًا عن الظالمين ، وهم المشركون بالله ﴿ **لما رأوا العذاب** ﴾ أي : يوم القيامة يتمنون الرجعة إلىٰ الدنيا ، ﴿ **يقولون هل إلىٰ مَرَدّ من سبيل** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وتراهم يعرضون عليها** ﴾ أي : علىٰ النار ﴿ **خاشعين من الذل** ﴾ أي : الذي

---

(٦٥) - تقدم تخريجه فى سورة البقرة عند الآية رقم (٢٨٢) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله ، ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ ، قال مجاهد : يعني ذليل . أي : ينظرون إليها مُسَارَقَةً خوفًا منها ، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم مما في نفوسهم . أجارنا اللَّه من ذلك .

﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ أي : يقولون يوم القيامة : ﴿ إن الخاسرين ﴾ أي : الخَسَارَ الأكبرَ ﴿ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي : ذهب بهم إلى النار ، فَعَدِمُوا لذتهم في دار الأبد ، وخسروا أنفسهم ، وفرّق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم ، فخسروهم ، ﴿ ألا إن الظالمين في عذاب مقيم ﴾ أي : دائم سرمدي أبدي ، لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها .

وقوله : ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أي : ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ، ﴿ ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ أي : ليس له خلاص .

اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة ، حَذّر منه وأمر بالاستعداد له ، فقال : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ أي : إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون ، وليس له دافع ولا مانع .

وقوله : ﴿ ما لكم من ملجإ[١] يومئذ وما لكم من نكير ﴾ أي : ليس لكم حصن تتحصنون فيه ، ولا مكان يستركم وتتنكرون[٢] فيه[٣] ، فتغيبوا عن بصره - تبارك وتعالى - بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته ، فلا ملجأ منه إلا إليه ، ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ .

وقوله : ﴿ فإن أعرضوا ﴾ ، يعني المشركين ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظًا ﴾ أي : لست عليهم بمصيطر . وقال تعالى : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ قال تعالى :﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أي :

---

[١] - في ز : « نجاء » .
[٢] - في ز : « تكرون » .
[٣] - سقط من : خ .

إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها** ﴾ أي : إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك ، ﴿ **وإن تصبهم** ﴾ يعني الناس ﴿ **سيئة** ﴾ أي : جدب ونقمة وبلاء وشدة ، ﴿ **فإن الإنسان كفور** ﴾ أي : يجحد ما تقدم من النعمة ولا يعرف إلا الساعة الراهنة ، فإن أصابته نعمة أشر وبطر ، وإن أصابته محنة يئس وقنط . كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٦٦) : « **يا معشر النساء ، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » . فقالت امرأة : ولم يا رسول الله ؟ قال : « **لأنكن تُكثرن الشكاية ، وتكفُرن العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يومًا ، قالت : ما رأيت منك خيرًا قط** » . وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده ، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالمؤمن كما قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن** »(٦٧) .

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالىٰ أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ولا مانع لما أعطىٰ ، ولا معطي لما منع ، وأنه يخلق ما يشاء ، و ﴿ **يهب لمن يشاء إناثًا** ﴾ أي : يرزقه البنات فقط - قال البغوي : ومنهم لوط - عليه السلام - ﴿ **ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾ أي : يرزقه البنين فقط . قال البغوي : كإبراهيم الخليل - عليه السلام - لم يولد له أنثىٰ .

﴿ **أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا** ﴾ أي : ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثىٰ ؛ أي : من هذا ومن[١] وهذا ، قال البغوي ، كمحمد عليه الصلاة والسلام . ﴿ **ويجعل من يشاء عقيمًا** ﴾ أي : لا يولد له . قال البغوي : كيحيىٰ وعيسىٰ ، عليهما السلام . فجعل الناس أربعة أقسام : منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا ، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا يولد له . ﴿ **إنه عليم** ﴾ أي : بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ، ﴿ **قدير** ﴾ أي : علىٰ ما[٢] يشاء ، من

(٦٦) - تقدم هذا الحديث مرارًا . فى سورة البقرة الآية رقم (١٥٣) ، وفى الأعراف رقم (٩٥) ، وفى يونس (١٢) ، وفى الروم رقم (٣٣) ، وفى سبأ الآية (١٩) وسيأتى فى التغابن الآية (١١)

(٦٧) - تقدم هذا الحديث فى سورة البقرة عند الآية رقم (٨٧) .

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ ، ت : « من » .

تفاوت الناس في ذلك .

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى : ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ ؛ أي : دلالة لهم[١] على قدرته - تعالى وتقدس - حيث خلق الخلق على أربعة أقسام : فآدم - عليه السلام - مخلوق من تراب ، لا من ذكر ولا أنثى ، وحواء - عليها السلام - من ذكر بلا أنثى ، وسائر الخلق سوى عيسى من ذكر وأنثى ، وعيسى - عليه السلام - من أنثى بلا ذكر . فتمت الدلالة بخلق عيسى ابن مريم ، عليهما السلام ؛ ولهذا قال : ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ ، فهذا المقام في الآباء ، والمقام الأول في الأبناء ، وكل منهما أربعة أقسام ، فسبحان العليم القدير! .

۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله - عز وجل - وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا لا يتمارى فيه أنه من الله - عز وجل - كما جاء في صحيح ابن حبان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إن روح القدس نفث في رُوعي : أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب** »(٦٨) .

وقوله : ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ كما كلم موسى - عليه السلام - فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله : « **ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحًا ..** »... الحديث . وكان قد قتل يوم أحد ، ولكن هذا في عالم البرزخ ، والآية إنما هي في الدار الدنيا .

وقوله : ﴿ **أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ ، كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ، ﴿ **إنه عليّ حكيم** ﴾ ، فهو عليّ عليم خبير حكيم .

---

(٦٨) - تقدم تخريجه فى سورة آل عمران عند الآية رقم (١٦٩ ، ١٧١) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا** ﴾ ، يعني القرآن ، ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ أي[١] : علىٰ التفصيل الذي شرع لك في القرآن ، ﴿ **ولكن جعلناه** ﴾ أي القرآن ﴿ **نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا** ﴾ ، كقوله : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنك** ﴾ أي يا محمد ﴿ **لتهدي إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ ، وهو الحق[٢] القويم ، ثم فسره بقوله : ﴿ **صراط الله** ﴾ أي : شرعه الذي أمر به الله ، ﴿ **الذي له مافي السماوات وما في الأرض** ﴾ أي : ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ﴿ **ألا إلىٰ الله تصير الأمور** ﴾ أي ترجع الأمور ، فيفصلها ويحكم فيها .

[آخر تفسير سورة « سورة الشورى » والحمد لله رب العالمين] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : « الخلق » .

تفسير سورة الزخرف

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **حم * والكتاب المبين** ﴾ أي : البيّن الواضح ، الجلي المعاني والألفاظ ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنا جعلناه** ﴾ أي : أنزلناه ﴿ **قرآنًا عربيًّا** ﴾ أي : بلغة العرب ، فصيحًا واضحًا ، ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ أي : تفهمونه وتتدبرونه ، كما قال ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإنه في أم الكتاب [لدينا لعليّ حكيم]**[١] ﴾ ، [بيّن شرفه في الملإ الأعلىٰ ، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض ، فقال تعالىٰ : ﴿ **وإنه** ﴾ أي : القرآن ﴿ **في أم الكتاب** ﴾][٢] أي : اللوح المحفوظ ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ﴿ **لدينا** ﴾ أي : عندنا ، قاله قتادة وغيره ، ﴿ **لعليّ** ﴾ أي : ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل ، قاله قتادة ، ﴿ **حكيم** ﴾ أي : محكم بريء من اللبس والزيغ .

وهذا كله تنبيه علىٰ شرفه وفضله ، كما قال : ﴿ **إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين** ﴾ ، وقال : ﴿ **كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة** ﴾ ، ولهذا استنبط العلماء، رحمهم الله، من هاتين الآيتين أن المُحدثَ لا يمس المصحف ، كما ورد به الحديث إن صحّ(١) ؛ لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة علىٰ القرآن في الملإ الأعلىٰ ، فأهل الأرض

(١) - يعني حديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال لحكيم بن حزام : « **لا يمس المصحف إلا طاهر** » =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.

= الدارقطني (١/١٢٢، ١٢٣)، الحاكم في المعرفة من مستدركه (٣/٤٨٥)، والبيهقي في الخلافيات، والطبراني (٣/ ٢٠٥ /رقم: ٣١٣٥) من حديث حكيم، قال: لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، قال: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر» وفي إسناده سويد أبو حاتم، وهو ضعيف، وذكر الطبراني في الأوسط (٢/ل ٣٠) مجمع البحرين (رقم: ٤٣٢): أنه تفرد به، وحسن الحازمي إسناده.

وحديث عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه إلى أهل اليمن: «وأن لا يمس القرآن إلا طاهر ...»، وهو مشهور قد رواه مالك (٢/ ٨٤٩) والشافعي - كما في معرفة السنن (٦/ ٢٦٦/ رقم: ٤٩٧٩) - عنه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه: أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم .... ووصله نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن معمر، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن أبيه، عن جده، وجده محمد بن عمرو بن حزم ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يسمع منه. وكذا أخرجه عبد الرزاق (٤/ ٤- ٥/ رقم: ٦٧٩٣)، عن معمر، ومن طريقه الدارقطني (١/ ١٢٢). ورواه أبو داود (ص ٢١١- ٢١٢/ رقم: ٢٥٧) والنسائي في كتاب العقول: ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/ ٥٩/ رقم: ٤٨٥٥) من طريق ابن وهب، عن يونس، عن الزهري مرسلًا، ورواه أبو داود في المراسيل (ص ٢١١ ٢١٢/ رقم: ٢٥٧) عن ابن شهاب قال: قرأت في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران ...، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم. ورواه النسائي في كتاب العقول، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/ ٥٧، ٥٨/ رقم: ٤٨٥٣) وابن حبان (٨/ ١٨٠- ١٨٢/ رقم: ٦٥٢٥)، والحاكم (١/ ٣٩٥ - ٣٩٧)، والبيهقي (٨/ ٢٨) موصولًا مطولًا، من حديث الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة، عن سليمان بن داود، حدثني الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده. وفرقه الدارمي في مسنده (٢/ ٢٤٩) عن الحكم مقطعًا. وقد اختلف أهل الحديث في صحة هذا الحديث فقال أبو داود في المراسيل: قد أسند هذا الحديث ولا يصح، والذي في إسناده سليمان بن داود وهم، إنما هو سليمان ابن أرقم.

وقال في موضع آخر: لا أحدث به، وقد وهم الحكم بن موسى في قوله: سليمان بن داود، وقد حدثني محمد بن الوليد الدمشقي أنه قرأه في أصل يحيى بن حمزة: سليمان بن أرقم. وهكذا قال أبو زرعة الدمشقي: إنه الصواب. وتبعه صالح بن محمد جزرة، وأبو الحسن الهروي وغيرهما. وقال جزرة: نا دحيم قال: قرأت في كتاب يحيى بن حمزة حديث عمرو بن حزم، فإذا هو عن سليمان بن أرقم، قال صالح: كتب هذه الحكاية عني مسلم بن الحجاج. قلت: ويؤكد هذا ما رواه النسائي في كتاب العقول، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/ ٥٨، ٥٩/ رقم: ٤٨٥٤) عن الهيثم بن مروان - مقبول - عن محمد بن بكار - صدوق - عن يحيى بن حمزة، عن سليمان بن أرقم - قال أحمد: لا يروى عنه. وقال عباس وعثمان عن ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: ساقط. وقال أبو داود والدارقطني: متروك. وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث. (الميزان ٢/١٩٦). وقال في التقريب: ضعيف - عن الزهري، وقال: هذا أشبه بالصواب.

وقال ابن حزم: صحيفة عمرو بن حزم منقطعة لا تقوم بها حجة، وسليمان بن داود متفق على تركه. وقال عبد الحق: سليمان بن داود هذا الذي يروي هذه النسخة عن الزهري ضعيف، ويقال: إنه سليمان بن أرقم. وتعقبه ابن عدي فقال: هذا خطأ إنما هو سليمان بن داود، وقد جوده الحكم بن موسى. انتهى. وقال أبو زرعة: عرضته على أحمد، فقال: سليمان بن داود هذا ليس بشيء. وقال ابن حبان: سليمان =

بذلك أولىٰ وأحرىٰ ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهو[١] أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم ، والانقياد له بالقبول والتسليم ، لقوله : ﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفنضرب عنكم الذكر صفحًا أن كنتم قومًا مسرفين** ﴾ ، اختلف المفسرون في معناها ، فقيل : معناها : أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به؟ ! قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو صالح [والسدي][٢] واختاره ابن جرير(٢) .

= ابن داود اليمامي ضعيف ، وسليمان بن داود الخولاني ثقة ، وكلاهما يروي عن الزهري ، والذي روى حديث الصدقات هو الخولاني ، فمن ضعفه فإنما ظن أن الراوي له هو اليمامي . قلت : ولولا ما تقدم من أن الحكم ابن موسى وهم في قوله : سليمان بن داود ، وإنما هو سليمان بن أرقم لكان لكلام ابن حبان وجه ، وصححه الحاكم ، وابن حبان كما تقدم والبيهقي ، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه قال : أرجو أن يكون صحيحًا ، قال : وقد أثنى على سليمان بن داود الخولاني هذا أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وعثمان بن سعيد ، وجماعة من الحفاظ .

قال الحاكم : وحدثني أبو أحمد الحسين بن علي ، عن ابن أبي حاتم ، عن أبيه : أنه سئل عن حديث عمرو ابن حزم؟ فقال : سليمان بن داود عندنا ممن لا بأس به ، وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة . لا من حيث الإسناد ؛ بل من حيث الشهرة ، فقال الشافعي في رسالته : لم يقبلوا هذا الحديث حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عبد البر : هذا كتاب مشهور عند أهل السير ، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الإسناد ، لأنه أشبه التواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة ، قال : ويدل على شهرته ما روى ابن وهب ، عن مالك ، عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : وجد كتاب عند آل حزم يذكرون أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العقيلي : هذا حديث ثابت محفوظ ؛ إلا أنا نرى أنه كتاب غير مسموع عمن فوق الزهري . وقال يعقوب بن سفيان : لا أعلم في جميع الكتب المنقولة كتابًا أصح من كتاب عمرو بن حزم هذا ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين يرجعون إليه ويدعون رأيهم . وقال الحاكم : قد شهد عمر بن عبد العزيز ، وإمام عصره الزهري ، لهذا الكتاب بالصحة ، ثم ساق ذلك بسنده إليهما .

قال ابن حجر : حديث عمرو بن حزم أشهر - يعني من حديث حكيم المتقدم سابقًا - والشيخ محيى الدين في الخلاصة ضعف حديث حكيم بن حزام ، وحديث عمرو بن حزم ، جميعًا .

وفي الباب عن ابن عمر : رواه الدارقطني (١٢١/١) ، والطبراني (١٢ / ٣١٣ ، ٣١٤ / رقم : ١٣٢١٧) ، وإسناده لا بأس به ، ذكر الأثرم أن أحمد احتج به .

وعثمان بن أبي العاص ، رواه الطبراني ، وابن أبي داود في المصاحف (ص : ١٨٥) ، وفي إسناده انقطاع ، وفي رواية الطبراني من لا يعرف .

وعن ثوبان ، أورده علي بن عبد العزيز في منتخب مسنده ، وفي إسناده خصيب بن جحدر ، وهو متروك . وروى الدارقطني (١٢٣/١) في قصة إسلام عمر ، أن أخته قالت له قبل أن يسلم : « **إنك رجس ، ولا يمسه إلا المطهرون** » وفي إسناده مقال .

وفيه عن سلمان موقوفًا ، أخرجه الدارقطني (١٢٣/١) ، والحاكم (١٨٣/١) .

---

[١] - في ت : « فهم » . [٢] - سقط من ت .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **أفنضرب عنكم الذكر صفحًا** ﴾ ، والله ، لو أن هذا القرآن رفع حين ردَّته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله عاد بعائدته[١] ورحمته ، وكرره[٢] عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة ، أو ما شاء الله من ذلك .

وقول قتادة لطيف المعنىٰ جدًّا ، وحاصله أنه يقول في معناه : إنه تعالىٰ من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه ، بل يأمر[٣] به ليهتدي[٤] من قَدّر هدايته ، وتقوم الحجة علىٰ من كَتَب شقاوته .

ثم قال تعالىٰ مسليًا لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه ، وآمرًا له بالصبر عليهم ، ﴿ **وكم أرسلنا من نبي في الأولين** ﴾ أي : في شيع الأولين ، ﴿ **وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : يكذبونه ويسخرون به .

وقوله : ﴿ **فأهلكنا أشد منهم بطشًا** ﴾ [أي : فأهلكنا المكذبين بالرسل ، وقد كانوا أشد بطشًا][٥] ، من هؤلاء المكذبين لك يا محمد ؛ كقوله : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

وقوله : ﴿ **ومضىٰ مثل الأولين** ﴾ ، قال مجاهد : سنتهم . وقال قتادة : عقوبتهم . وقال غيرهما : عبرتهم . أي : جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم ، كقوله في آخر هذه السورة : ﴿ **فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين** ﴾ وكقوله : ﴿ **سنة الله التي قد خلت في عباده** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلًا** ﴾ .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ
وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ

[١] - في ز ، خ : « بعادته » .
[٢] - في ت : « وكررهم » .
[٣] - في ت : « أمر » .
[٤] - في ز : « ليهدى » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ: ولئن سألت - يا محمد - هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره: ﴿ مَن خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ أي: ليعترفن[١] بأن الخالق لذلك[٢] هو الله وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد.

ثم قال: ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهادًا ﴾، أي: فراشًا قرارًا ثابتةً، يسيرون عليها ويقومون وينامون ويتصرفون[٣]، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا، ﴿ وجعل لكم فيها سبلًا ﴾ أي: طرقًا بين الجبال والأودية ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أي: في سيركم من بلد إلىٰ بلد، وقطر إلىٰ قطر، وإقليم إلىٰ إقليم.

﴿ والذي نزل من السماء ماء بقدر ﴾ أي: بحسب[٤] الكفاية؛ لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم.

وقوله: ﴿ فأنشرنا به بلدة ميتًا ﴾ أي: أرضًا ميتة، فلما جاءها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

ثم نبه بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد[٥] بعد موتها، فقال: ﴿ كذلك تخرجون ﴾ ثم قال: ﴿ والذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي[٦]: مما تنبت الأرض من سائر الأصناف، من نبات وزروع وثمار وأزاهير، وغير ذلك من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها، ﴿ وجعل لكم من الفلك ﴾ أي: السفن ﴿ والأنعام ما تركبون ﴾ أي: ذللها لكم وسخرها ويَسَّرها لأكلكم لحومها، وشربكم ألبانها، وركوبكم ظهورها، ولهذا قال: ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ أي: لتستووا متمكنين واقفين[٧] ﴿ على ظهوره ﴾ أي: على[٨] ظهور هذا الجنس، ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم ﴾ أي: فيما سخر لكم ﴿ إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ أي: مقاومين. ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه.

قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد: ﴿ مقرنين ﴾ أي: مطيقين[٩]. ﴿ وإنا إلى ربنا

---

[١] - في ز، خ: « ليعرفن ».
[٢] - في ز: « كذلك ».
[٣] - في ت: « وينصرفون ».
[٤] - في ت: « في حسب ».
[٥] - في ت: « الميعاد ».
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في ت: « مرتفقين ».
[٨] - سقط من: ز، خ.
[٩] - في ز، خ: « مطيعين ».

لمنقلبون ﴾ أي : لصائرون[١] إليه بعد مماتنا ، وإليه سيرنا الأكبر . وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا علىٰ سير الآخرة ، كما نبه بالزاد الدنيوي علىٰ الأخروي في قوله : [﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ** ﴾ وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى][٢] : ﴿ **وريشًا ولباس التقوى ذلك خير** ﴾

ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة

حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا شَريك بن عبد اللّٰه ، عن أبي إسحاق ، عن علي بن ربيعة ؛ قال : رأيت عليًا - رضي اللّٰه عنه - أتي بدابة ، فلما وضع رجله في الرّكاب قال : باسم اللّٰه . فلما استوىٰ عليها قال : الحمد للّٰه ، ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون** ﴾ ، ثم حمد اللّٰه ثلاثًا ، وكبر ثلاثًا ، ثم قال : سبحانك ، لا إله إلا أنت ، قد ظلمت نفسي فاغفر لي . ثم ضحك ، فقلت له : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال: رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك . فقلت : مم ضحكت يا رسول اللّٰه ؟ فقال : « **يعجب الرب من عبده إذا قال : رب ، اغفر لي ، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري** » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث أبي الأحوص - زاد النسائي ومنصور - عن أبي إسحاق السَّبيعي ، عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح(٣) .

وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة : قلت لأبي إسحاق السَّبيعي[٣] : ممن سمعت

(٢) - راجع تفسيره (٤٩/٢٥) .

(٣) - «المسند» (٩٧/١) . رواه أبو داود (٢٦٠٢) ، والترمذي (٣٤٤٦) ، والطيالسي في « مسنده » (ص ٢٠ /١٣٢) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٠٢) وابن حبان (٢٦٩٨/٦) والطبراني في « الدعاء » (٧٨٤) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ج٩٨١) كلهم من طريق أبي الأحوص به .

والنسائي أيضاً والبزار (٧٧٣/٣/البحر الزخار) ، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ج٥٨٦) - ومن طريق الضياء في «المختارة» (٦٧٦/٢) والطبراني (٧٨٥) والحاكم (٩٩/٣) من طريق منصور بن المعتمر ، عن أبي إسحاق به ، ورواه عبدالرزاق فى «المصنف» (٣٩٦/١٠،٣٩٧) - ومن طريقه أحمد (١١٥/١) وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٨) ، ومن طريقه الضياء (٦٧٧/٢) - والطبرانى فى «الدعاء» (٧٨٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٢/٥) - عن معمر بن راشد ، وأحمد (١٢٨/١) وعبد بن حميد (٨٩) والطبراني (٧٨٣) من طريق إسرائيل بن يونس ، والطبرانى (٧٨١) والدارمي في « الرد على المريسى » (ص ٢٠٢) والدارقطني =

[١] - في ز، خ : « صائرون » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - بعده في خ : « عن على بن ربيعة الأسدي » .

هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خَبّاب . فلقيت يونس بن خَبّاب فقلت : ممن سمعته ؟ فقال من رجل سمعه من علي بن ربيعة(٤) .

ورواه بعضهم عن يونس بن خباب ، عن شقيق بن عقبة الأسدي، عن علي بن ربيعة الوالبي ، به(٥) .

حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله ، عن علي بن أبي طلحة ، عن عبد الله بن عباس ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أردفه علىٰ دابته ، فلما استوىٰ عليها كبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ثلاثًا ، وحمد الله[١] ثلاثًا ، [وسبح ثلاثًا][٢] وهَلَّل الله واحدة . ثم استلقىٰ عليه فضحك ، ثم أقبل عليه فقال : « **ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت ، إلا أقبل الله - عز وجل - عليه ، فضحك إليه كما ضحكت إليك** » . تفرد به أحمد(٦) .

= في «العلل» (٤/س ٤٣٠) عن سفيان الثوري .

والطبراني (٧٨٦) عن أجلح بن عبدالله الكندي ، (٧٨٧) عن عبدالرحمن بن حميد الرؤاسي .

وابن حبان (٢٦٩٧/٦) من طريق علي بن سليمان أبي نوفل الكيساني .

وعمرو بن قيس الملائى كما قال أبو الحسن الدارقطنى في «العلل» (٤/س ٤٣٠) .

كلهم (معمر وإسرائيل والثورى والرؤاسي والكيساني والملائي) عن أبي إسحاق وانظر ما بعده : .

(٤) - قال أبو الحسن الدارقطني في «العلل» (٤/س ٤٣٠) : « . . وأبو إسحاق لم يسمع هذا الحديث من علي بن ربيعة ، يبين ذلك ما رواه عبدالرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، قال : قلت لأبي إسحاق : سمعته من علي بن ربيعة ؟ فقال : حدثني يونس بن خباب ، عن رجل ، عنه . وروى هذا الحديث شعيب بن صفوان عن يونس بن خباب ، عن شقيق بن عقبة الأسدي ، عن علي بن ربيعة ، ورواه المنهال بن عمرو وإسماعيل ابن عبدالملك بن أبي الصغير ، عن علي بن ربيعة ، فهو من رواية أبي إسحاق مرسلاً ، وأحسنها إسناداً حديث المنهال بن عمرو ، عن علي بن ربيعة .... » ومن هذا الوجه صححه الحاكم على شرط مسلم (٢/ ٩٨، ٩٩) ووافقه الذهبي : وإسناده حسن فحسب وكأن لأجل هذا قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه ابن حبان واختاره الضياء ، ورقَّم به أبو عبدالرحمن الألباني (حديث/٢٢٦٧) من «صحيح أبي داود» .

(٥) - رواه من هذا الوجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ج١٧٥) وفي «كتاب الدعاء» (رقم٧٧٩) من طريق ابن لهيعة ، حدثني عبد ربه بن سعيد ، عن يونس بن خباب ، عن شقيق الأزدي ، عن علي بن ربيعة به . وقال الطبراني : « لم يور هذا الحديث عن شقيق الأزدي - وهو : شقيق بن أبي عبدالله - إلا يونس بن خباب ، ولا عن يونس إلا عبد ربه بن سعيد ، تفرد به ابن لهيعة » وهو ضعيف . ويونس بن خباب ضعفه جماعة ، ووثقه آخرون : والضعف إليه أقرب ، لكن الحديث حسن من طريق آخر ، فانظر السابق .

(٦) - «المسند» (٣٣١/١) ، ولم يعزه السيوطي في «الدر المنثور» (٧١٦/٥) لغير أحمد . وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٣٤/١٠) وقال : « رواه أحمد ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف كما أن في سنده انقطاعاً بين علي =

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي الزبير ، عن علي بن عبد اللَّه البارقي ، عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان إذا ركب راحلته[١] كبر ثلاثًا ثم قال : « ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون** ﴾ » ، ثم يقول : « **اللّهم ، إني أسألك في سفري هذا البرّ والتقوىٰ ، ومن العمل ما تَرضَىٰ ؛ اللّهم ؛ هَوّن علينا السفر واطو لنا البعيدَ ؛ اللّهم ؛ أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللّهم ؛ اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا** » . وكان إذا رجع إلىٰ أهله قال : « **آيبون تائبون إن شاء اللَّه ، عابدون ، لربنا حامدون** » .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث ابن جريج ، والترمذي من حديث حماد ابن سلمة ، كلاهما عن أبي الزبير ، به(٧) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبي لاس الخزاعي ؛ قال : حملنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ إبل من إبل الصدقة إلىٰ الحج ، فقلنا : يا رسول اللَّه ، ما نرىٰ أن تحملنا هذه ! فقال : « **ما من بعير إلا في ذروَتِه شيطان ، فاذكروا اسم اللَّه عليها إذا ركبتموها كما آمركم ، ثم امتهنوها لأنفسكم ، فإنما يحمل اللَّه ، عز وجل** »(٨) .

أبو لاس اسمه : محمد بن الأسود بن خلف .

ابن أبي طلحة وابن عباس ، ومع هذا فقد أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٧٣/٤) وسكت عنه !! .

(٧) - «المسند» (١٤٤/٢) ، ورواه الترمذي ، كتاب : الدعوات (٣٤٤٧) والدارمي (٢٦٧٦،٢٦٨٥) وصححه ابن حبان (٢٦٩٥/٦) والحاكم (٢٥٤/٢) من طرق عن حماد بن سلمة به .

ورواه أحمد (١٥٠/٢) ومسلم ، كتاب : الحج (٤٢٥) (١٣٤٢) وأبو داود ، كتاب : الجهاد (٢٥٩٩) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٤٨) وغيرهم من طرق عن ابن جريح عن أبي الزبير به .

(٨) - «المسند» (٢٢١/٤) . ورواه ابن خزيمة (٢٣٧٧،٢٥٤٣) وابن سعد في «الطبقات» (٢٢٢/٤) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٢٨/٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٧/٢٢) والحاكم (٤٤٤/١) - وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٢/٥) وابن عبدالبر في «التمهيد» (٣٠٢/٥) - ورواه إسحاق بن راهويه وابن منده - كما قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢٥/٣) - كلهم من طريق محمد بن عبيد به .

وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وعلقه البخاري في صحيحه كتاب : الزكاة ، باب : (٤٩) فقال : « ويذكر عن أبي لاس الخزاعي . . . . » قال ابن حجر في «التغليق» : « وإنما لم يجزم به لعنعنة ابن إسحاق » ، وقال في «الفتح» (٣٣٢/٣) : « رجاله ثقات ، إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق ولهذا توقف ابن المنذر - «الترغيب والترهيب» (٧٢/٤) - في ثبوته « لكن رواه أحمد » والطبراني (٨٣٨/٢٢) من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، ثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم به ، بتصريح =

---

[١] - في خ : « دابته » .

حديث آخر في معناه : قال أحمد : حدثنا عتّاب ، أخبرنا عبد اللّه (ح) وعلي بن إسحاق ، أخبرنا عبد اللّه - يعني : ابن المبارك - ، أخبرنا أسامة بن زيد ، أخبرني محمد بن حمزة ؛ أنه سمع أباه يقول : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **علىٰ ظهر كل بعير شيطان ، فإذا ركبتموها فسموا اللّه - عز وجل - ثم لا تقصروا عن حاجاتكم** »[٩] .

وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها للّه ، كما ذكر اللّه عنهم في سورة الأنعام ، في قوله : ﴿ **وجعلوا للّه مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا للّه بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلىٰ اللّه وما كان للّه فهو يصل إلىٰ شركائهم ساء ما يحكمون** ﴾ . وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسَّهما وأردأهما وهو البنات ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثىٰ * تلك إذا قسمة ضيزىٰ** ﴾ وقال هاهنا : ﴿**وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان لكفور مبين**﴾ .

= ابن إسحاق . وهذا إسناد حسن ، وقد قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/١٣٤) : « رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحدها رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالسماع في أحدها».

(٩) - «المسند» (٣/٤٩٤) ، وكذا رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة » (٥٠٤) (٢/٢٨٥،٢٨٦) والطبراني في « المعجم الكبير » (٣/٢٩٩٣) وفي «الأوسط» (٢/١٩٢٤) ابن حبان (٤/١٧٠٣) والحاكم (١/٤٤٤) من طريق أسامة بن زيد به . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن محمد بن حمزة إلا أسامة بن زيد الليثى » وبه أعله أبو عبدالرحمن النسائي فقال عقبه : « أسامة بن زيد ليس بالقوى في الحديث » . لكن وثقه ابن معين . وقال ابن عدي : ليس به بأس . وفي « التقريب » : «صدوق يهم» . فيحتمل تحسين حديثه ، وصححه ابن حبان ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبي ، والليثى إنما أخرج له مسلم متابعة . والحديث رقم به أبو عبدالرحمن الألباني (٣٩١٩) من «صحيح الجامع» وقد ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٣٤) وقال : «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن حمزة وهو ثقة » .

ثم قال : ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ﴾ ، وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار . ثم ذكر تمام الإنكار فقال : ﴿ وإذا بُشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسودًا وهو كظيم ﴾ أي : إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه للّٰه من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة ، وتعلوه كآبة من سوء ما بُشّر بِهِ ، ويتوارىٰ من القوم من خَجَله من ذلك ، يقول تعالىٰ : فكيف تأنفون أنتم من ذلك ، وتنسبونه إلىٰ اللّٰه عز وجل ؟ !

ثم قال : ﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ أي : المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة ، وإذا [خاصمت فلا عبارة][١] لها ، بل هي عاجزة عَيِيَّة ، أو من يكون هكذا ينسب إلىٰ جناب اللّٰه -عز وجل- ؟ ! فالأنثىٰ ناقصة الظاهر والباطن ، في الصورة والمعنىٰ ، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحليّ وما في معناه ، ليجبر ما فيها من نقص ، كما قال بعض شعراء العرب :

وَمَا الحَلْي إلّا زينَةٌ مِنْ نَقيصةٍ يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إذا الحُسْنُ قَصَّرا
وَأمَّا إذَا كَانَ الجَمَالُ مُوَفَّرًا كَحُسْنك لَمْ يَحْتَجْ إلى أَنْ يُزَوَّرا

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار ، لا عبارة لها ولا همة ، كما قال بعض العرب وقد بُشّر ببنت : « ما هي بنعم الولد : نصرها بكاء[٢] ، وبرها سرقة[٣] » .

وقوله : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ﴾ أي : اعتقدوا فيهم ذلك ، فأنكر عليهم تعالىٰ قولهم ذلك ، فقال : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ أي : شاهدوه وقد خَلَقهم اللّٰه إناثًا ؟ ! ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ أي : بذلك ، ﴿ ويسألون ﴾ عن ذلك يوم القيامة . وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد .

﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي : لو أراد اللّٰه لحَال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام ، التي هي علىٰ صور الملائكة التي هي بنات اللّٰه ، فإنه[٤] عالم بذلك وهو يقررنا عليه ، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ : أحدها : جعلهم[٥] للّٰه ولدًا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًا كبيرًا .

الثاني : دعواهم أنه اصطفىٰ البنات علىٰ البنين ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا .

الثالث : عبادتهم لهم مع ذلك كله ، بلا دليل ولا برهان ، ولا إذن من اللّٰه عز وجل، بل

[١] - في ز ، خ : « حاضت فلا عبادة » .
[٢] - في ت : « بالبكاء » .
[٣] - في ز : « لسرقة » ، خ : « تسرق » .
[٤] - في ز، خ : « إنه » .
[٥] - في ت : « جعلوهم » .

بمجرد الآراء والأهواء[١] ، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء ، والخبط في الجاهلية الجهلاء .

الرابع : احتجاجهم بتقريرهم على ذلك قدرًا وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلًا كبيرًا ، [فإنه تعالىٰ قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار ، فإنه منذ بعث الرسل][٢] ، وأنزل الكتبَ يأمُرُ بعبادته وحده لا شريك له ، وينهىٰ عن عبادة ما سواه ، قال : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدىٰ الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ وقال في هذه الآية بعد أن ذكر حجتهم هذه : ﴿ **ما لهم بذلك من علم** ﴾ أي : بصحة ما قالوه واحتجوا به ، ﴿ **إن هم إلا يخرصون** ﴾ أي : يكذبون ويتقولون .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون** ﴾ أي : ما يعلمون قدرة الله على ذلك .

أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في عبادتهم غيرَ الله بلا بُرهان ولا دليل ولا حُجَّة : ﴿ **أم آتيناهم كتابًا من قبله** [﴾ ، أي : من قبل شركهم ، ﴿][٣] **فهم به مستمسكون** ﴾ أي : فيما هم فيه . أي : ليس الأمر كذلك ، كقوله : ﴿ **أم أنزلنا عليهم سلطانًا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون** ﴾ أي : لم يكن ذلك .

ثم قال : ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مهتدون** ﴾ أي : ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوىٰ تقليد الآباء والأجداد ، بأنهم كانوا علىٰ أمة ، والمراد بها

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الدين هاهنا ، وفي قوله : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **وإنا علىٰ آثارهم** ﴾ أي : وراءهم ﴿ **مهتدون** ﴾ ، دعوىٰ منهم بلا دليل .

ثم بين تعالىٰ أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل ، تشابهت قلوبهم ، فقالوا مثل مقالتهم : ﴿ **كذلك ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ أي : يا محمد لهؤلاء المشركين : ﴿ **أو لو جئتكم بأهدىٰ مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾ أي[١] : ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فانتقمنا منهم** ﴾ أي : من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب ، كما فصله تعالىٰ في قصصهم ، ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي : كيف بادوا وهلكوا ، وكيف نجىٰ اللّٰه المؤمنين .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى
فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ
قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ
ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً
لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ
﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ

[١] - سقط من : ز ، خ.

﴿ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٣٥)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ، ووالد من بعث بعده من الأنبياء ، الذي تنتسب[١] إليه قريش في نسبها ومذهبها : إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان ، فقال : ﴿ **إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه** ﴾ أي : هذه الكلمة ، وهي عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : « **لا إله إلا الله** » ، أي : جعلها دائمة في ذريته يقتدي [به فيها][٢] من هداه الله[٣] من ذرية إبراهيم - عليه السلام - ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ أي : إليها .

وقال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه** ﴾ ، يعني : لا إله إلا الله ، لا يزال في ذريته من يقولها ، وروي نحوه عن ابن عباس(١٠) ، وقال ابن زيد : كلمة الإسلام . وهو يرجع إلىٰ ما قاله الجماعة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل متعت هؤلاء** ﴾ يعني المشركين ﴿ **وآباءهم** ﴾ أي : فتطاول عليهم العمر في ضلالهم ، ﴿ **حتىٰ جاءهم الحق ورسول مبين** ﴾ أي : بَيِّن[٤] الرسالة والنّذارة .

﴿ **ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون** ﴾ أي: كابروه[٥] وعاندوه ودفعوا[٦] بالصدور[٧] والراح[٨] كفرًا وحسدًا وبغيًا ، ﴿ **وقالوا** ﴾ كالمعترضين علىٰ الذي أنزله تعالىٰ وتقدس : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم** ﴾ أي : هلَّا كان إنزال هذا القرآن علىٰ رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين ؟ يعنون مكة والطائف . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القُرظي ، وقتادة ، والسديّ ، وابن زيد .

وقد ذكر غير واحد منهم [قتادة][٩] ؛ أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي. وقال مالك : عن زيد بن أسلم ، والضحاك ، والسدي : يعنون الوليد بن المغيرة ، ومسعود بن عمرو الثقفي .

(١٠) - انظر تفسير ابن جرير (٦٢/٢٤، ٦٣) .

[١] - في ز : « تنسب » ، خ : « ينسب » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فيه بها » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « من » .
[٥] - في ز ، خ: « كما يروه » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « بالصور » .
[٨] - في خ : « والسراح » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

وعن مجاهد : عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي . وعنه أيضًا أنهم يعنون عتبة بن ربيعة وعن ابن عباس : جبار من جبابرة قريش . وعنه أنهم يعنون الوليد بن المغيرة ، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي .

وعن مجاهد : يعنون[١] عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد يا ليل بالطائف .

وقال السديّ : عنوا الوليد بن المغيرة ، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي . والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان .

قال اللَّه تعالىٰ رادًا عليهم في هذا الاعتراض : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ أي : ليس الأمر مردودًا إليهم ، بل إلىٰ اللَّه - عز وجل - واللَّه أعلم حيث يجعل رسالاته ، فإنه لا ينزلها إلا علىٰ أزكىٰ الخلق قلبًا ونفسًا[٢] ، وأشرفهم بيتًا ، وأطهرهم أصلًا .

ثم قال تعالىٰ مبينًا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم ، وغير ذلك من القوىٰ الظاهرة والباطنة ، فقال : ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا** ﴾ ، قيل : معناه ليُسخر بعضهم بعضًا في الأعمال ، لاحتياج هذا إلىٰ هذا ، وهذا إلىٰ هذا ، قاله السدي وغيره . وقال قتادة والضحاك : ليملك بعضهم بعضًا . وهو راجع إلى الأول .

ثم[٣] قال : ﴿ **ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ أي : رحمة اللَّه بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** ﴾ أي : لولا أن[٤] يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل[٥] علىٰ محبتنا لمن أعطيناه[٦] ، فيجتمعوا علىٰ الكفر لأجل المال - هذا معنىٰ قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ﴿ **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج** ﴾ أي : سلالم ودَرَجًا من فضة قاله[٧] ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد ، وغيرهم - ﴿ **عليها يظهرون** ﴾ أي : يصعدون ، ﴿ **ولبيوتهم أبوابًا** ﴾ أي : أغلاقًا علىٰ أبوابهم ﴿ **وسررًا عليها يتكئون** ﴾ أي : جميع ذلك يكون فضة ، ﴿ **وزخرفًا** ﴾ أي[٨] : وذهبًا . قاله ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « يقينا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « قليل » .
[٦] - في ز، خ : « أعطينا » .
[٧] - في خ : « قال » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

ثم قال : ﴿ **وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا** ﴾ [أي : إنما ذلك من الدنيا][١] الفانية الزائلة الحقيرة عند الله ، أي : يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها[٢] في الدنيا مآكل ومشاربَ ، ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها ، كما ورد به الحديث الصحيح .

وورد في حديث آخر : « **لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقىٰ منها كافرًا شَربة ماء** » . أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد[٣] ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكره(١١) .

ورواه الطبراني من طريق زَمعة بن صالح ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو عَدَلت الدنيا جناح بعوضة ، ما أعطىٰ كافرًا منها شيئًا** » .

ثم قال : ﴿ **والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ أي : هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم ؛ ولهذا لما قال عمر بن الخطاب(١٢) لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين صَعد إليه في تلك المَشْرَبة لما آلىٰ من نسائه ، فرآه علىٰ رُمَال حصِير قد أثر بجنبه ، فابتدرت عيناه بالبكاء ، وقال : يا رسول الله ؛ هذا كسرىٰ وقيصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه . وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم متكئًا فجلس وقال : « **أوَ في شكٍّ أنت يا ابن الخطاب ؟ !** » ثم قال : « **أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا** » ، وفي رواية : « **أما ترضىٰ أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ !** » .

وفي الصحيحين أيضًا وغيرهما(١٣) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة** » .

وإنما خولهم الله تعالىٰ في الدنيا لحقارتها [ ][٤] ، كما روىٰ الترمذي وابن ماجه(١٤) ، من

(١١) - ومن طريق زكريا بن منظور رواه ابن ماجه (٤١١٠) والحاكم (٣٠٦/٤) وصحح إسناده الحاكم فتعقبه الذهبي بأن : « زكريا بن منظور ضعفوه » ورواه الطبراني في «الكبير» (٥٩٢١/٦) من طريق عبيد بن عقيل ، عن زمعة بن صالح به ، وزمعة ضعيف ، وقد رواه الترمذي (٢٣٢٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣) وغيرهما من طريق عبدالحميد بن سليمان ، عن أبي حازم به . وقال الترمذي : «حديث صحيح غريب» !! وعبدالحميد بن سليمان ضعفوه ، لكن الحديث يتقوى بهذه المتابعات لا سيما وأن له شواهداً عن عدد من الصحابة ولذلك رقم به أبو عبدالرحمن الألباني حديث (٦٨٦) من «الصحيحة» فراجعه بشواهده .

(١٢) - رواه البخاري (٢٤٦٨) - وانظره بأطرافه عند رقم (٨٩) - ومسلم (١٤٧٩) وغيرهما .

(١٣) - رواه البخاري (٥٤٢٦) ، ومسلم (٤) (٢٠٦٧) وغيرهما من حديث حذيفة .

(١٤) - تقدم تخريجه انظر رقم (١٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « تعجلونها » ، خ : « تجعلونها » . [٣] - في ز : « سعيد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « في الدنيا » .

طريق أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جَناح بعوضة ما سقىٰ منها كافرًا شربة ماء أبدًا** » . قال الترمذي : حسن صحيح .

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومن يعش** ﴾ أي : يتعامىٰ ويتغافل ويعرض[١] ﴿ **عن ذكر الرحمن** ﴾ ، والعشا في العين : ضعف بصرها ، والمراد هاهنا عشا البصيرة ، ﴿ **نقيض له شيطانًا فهو له قرين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ومن يُشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولىٰ ونصله جهنم وساءت مصيرًا** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾ وكقوله : ﴿ **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتىٰ إذا جاءنا** ﴾ أي : هذا الذي تَغافل عن الهدىٰ نُقَيّض له من الشياطين من يضله ، ويهديه إلىٰ صراط الجحيم . فإذا وافىٰ الله يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به ، ﴿ **قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين** ﴾ ، وقرأ بعضهم : ﴿ **حتىٰ إذا جاءانا** ﴾ يعنى القرين والمقارن .

---

[١] - سقط من : خ .

قال عبد الرزاق (١٥) : أخبرنا معمر ، عن سعيد الجُرَيري قال : بَلَغَنا أن الكافر إذا بُعث من قبره يوم القيامة شفع[١] بيده شيطان فلم يفارقه ، حتىٰ يصيرهما[٢] اللَّه تعالىٰ إلىٰ النار ، فذلك حين يقول : ﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ .

والمراد بالمشرقين هُنا هو : ما بين المشرق والمغرب . وإنما استعمل هاهنا تغليبًا ، كما قيل[٣] : القَمَران ، والعُمَرَان ، والأبوان . قاله ابن جرير (١٦) وغيره .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ أي : لا يغني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم .

وقوله : ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ﴾ أي : ليس ذلك إليك ، إنما عليك البلاغ ، وليس عليك هداهم ، ولكن اللَّه يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الحكم العدل في ذلك .

ثم قال : ﴿ فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴾ أي : لابد أن ننتقم[٤] منهم ونعاقبهم ، ولو ذهبت أنت ، ﴿ أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ﴾ أي : نحن قادرون علىٰ هذا وعلىٰ هذا . ولم يقبض اللَّه رسوله حتىٰ أقَرّ عينه من أعدائه ، وحَكّمه في نواصيهم ، ومَلّكه ما تضمنته صياصيهم ، هذا معنى قول السدى ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ؛ قال : تلا قتادة : ﴿ فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴾ فقال : ذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وبقيت النقمة ، ولم يُرِ اللَّه نبيّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في أمته شيئًا يكرهه حتىٰ مضىٰ ، ولم يكن نبي قط إلا ورأىٰ العقوبة في أمته ، إلا نبيكم صلىٰ اللَّه عليه وسلم . قال : وذُكر لنا أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أُرِيَ ما يصيب أمته من[٥] بعده ، فما رُئِي ضاحكًا منبسطًا حتىٰ قبضه اللَّه عز وجل (١٧) .

---

(١٥) - «التفسير» لعبد الرزاق (١٩٦/٣) وإسناده صحيح إلى الجريري : وقد رواه ابن جرير (٧٥،٧٤/٢٤) من طريق ابن ثور عن معمر به .

(١٦) - تفسير ابن جرير (٧٤/٢٤) .

(١٧) - تفسير ابن جرير (٧٥/٢٤) ورواه عبدالرزاق (١٩٧/٣) عن معمر به ، وهذا مرسل وقد وصله ، الحاكم (٤٤٧/٢) من طريق محمد بن عبيد ، عن محمد بن ثور به موصولاً ، من حديث أنس ، لكن فيه عنعنة قتادة ، وقد ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٧٢٤/٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

---

[١] - في ت : « سَفَع » .
[٢] - في خ : « يصيرها » .
[٣] - في ت : « يقال » .
[٤] - في ز : « ينتقم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة نحوه . ثم روىٰ ابن جرير [عن الحسن][١] نحو ذلك أيضًا .

وفي الحديث : « **النجوم أمنة للسماء[٢] فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أَمَنَة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتىٰ أصحابي ما يُوعَدُون** »(١٨) .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك علىٰ صراط مستقيم** ﴾ أي : خذ بالقرآن [المنزل][٣] علىٰ قلبك ، فإنه [ ][٤] الحق ، وما يهدي[٥] إليه هو الحق المُفضِي إلىٰ صراط الله المستقيم ، الموصل إلىٰ جنات النعيم ، والخير الدائم المقيم .

ثم قال : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ ، قيل[٦] : معناه لشرف لك ولقومك ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد . واختاره ابن جرير ولم يحك سواه .

وأورد البَغَوِيّ هاهنا حديثَ الزهري ، عن محمد بن جُبير بن مُطعم ، عن معاوية قال : سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكَبّه الله علىٰ وجهه ما أقاموا الدين** » . رواه البخاري (١٩) .

ومعناه : أنه شرف لهم من حيث إنه أنزلَ بلغتهم ، فهم أفهم الناس له ، فينبغي أن يكونوا أقوَم الناس به وأعملهم بمقتضاه ، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخُلّص من المهاجرين السابقين الأولين ، ومن شابههم وتابعهم .

وقيل : معناه : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ أي : لتذكير لك ولقومك ، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم ، كقوله : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون** ﴾ وكقوله : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ .

﴿ **وسوف تسألون** ﴾ أي : عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له .

وقوله : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾

---

(١٨) - رواه مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة (٢٠٧) (٢٥٣١) من حديث أبي موسى الأشعرى ، وبقية الحديث : « . . . . وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون .

(١٩) - رواه البخارى ، كتاب : المناقب قريش (٣٥٠٠) ، وكذا رواه أحمد (٩٤/٤) والنسائي في الكبرى ، كتاب : السير (٨٧٥٠/٥) من طريق شعيب بن أبى حمزة عن الزهري به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « من السماء » .

[٣] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

[٤] - في ت : هو .

[٥] - في ز : « يبدي » ، خ : « يجدى » .

[٦] - سقط من : خ .

أي : جميع الرسل دَعَوا إلىٰ ما دَعَوت الناسَ إليه من عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، ونَهوا عن عبادة الأصنام والأنداد ، كقوله : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، قال مجاهد : في قراءة عبد اللَّه بن مسعود : (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا) . وهكذا[١] حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود . وهذا كأنه تفسير لا تلاوة ، واللَّه أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : واسألهم ليلة الإسراء فإن الأنبياء جمعوا له . واختار ابن جرير الأول (٢٠) .

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله موسىٰ - عليه السلام - : أنه ابتعثه إلىٰ فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة ، والأتباع والرعايا ، من القبط وبني إسرائيل ، يدعوهم إلىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه ، وأنه بعث معه آيات عظامًا كيَده وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها ، وكذبوها [وسخروا منها][٢] ، وضحكوا ممن جاءهم بها . ﴿ **وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها** ﴾ ، ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم ، وجهلهم وخبالهم . وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - ويتلطفون له في العبارة بقولهم : ﴿ **يا أيها الساحر** ﴾ أي : العالم ، قاله ابن جرير (٢١) .

وكان علماء زمانهم هم السحرة . ولم يكن السحر عندهم في زمانهم مذمومًا ، فليس هذا

---

(٢٠) - انظر تفسيره (٧٨/٢٥) .

(٢١) - انظر تفسيره (٨٠/٢٥) .

---

[١] - في ت : « هكذا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « وسخروها منهما » .

منهم؛ علىٰ سبيل الانتقاص منهم ، لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب[١] ذلك ، وإنما هو تعظيم في زعمهم ففي كل مرة يَعِدون موسىٰ إن كَشف عنهم هذا أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل . وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه ، وهذا كقوله : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسىٰ ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجزَ لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلىٰ أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون** ﴾ .

وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (٥١) أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ (٥٣) فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ (٥٦)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده : أنه جمع قومه ، فنادىٰ فيهم مُتَبَجحًا مفتخرًا بملك مصر وتصرفه فيها : ﴿ **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي** ﴾ ، قال قتادة : قد كانت لهم جنانٌ وأنهار ماء ، ﴿ **أفلا تبصرون** ﴾ ؟ أي : أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك ، يعني : وموسىٰ وأتباعه فقراء ضعفاء . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **فحشر فنادىٰ * فقال أنا ربكم الأعلىٰ * فأخذه الله نَكال الآخرة والأولىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿**أم أنا خير من هذا الذى هو مهين**﴾ قال السدي: يقول : بل أنا خير من هذا. الذي هو مهين . وهكذا قال بعض نحاة البصرة : إن « أم » هاهنا بمعنىٰ « بل » . ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها : ﴿**أما أنا خير من هذا الذي هو مهين**﴾ . قال ابن جرير : ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحًا واضحًا ، ولكنها خلاف قراءة الأمصار ، فإنهم قرأوا : ﴿ **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين** ﴾ علىٰ الاستفهام .

قلت : وعلىٰ كل تقدير فإنما يعني فرعون - عليه اللعنة - أنه خير من موسىٰ - عليه السلام - وقد كذب في قوله هذا كذبًا بينًا واضحًا ، فعليه لعائن اللّه المتتابعة[٢] إلىٰ يوم

---

[١] - في ز ، خ: « يناسب » . [٢] - في ز، خ : « التابعة » .

القيامة .

ويعني بقوله ﴿ مهين ﴾ كما قال سفيان : حقير . وقال قتادة ، والسدي : يعني ضعيف . وقال ابن جرير : يعني لا مُلْك له ولا سلطان ولا مال .

﴿ ولا يكاد يبين ﴾ يعني : لا يكاد يفصح عن كلامه ، فهو عيي[١] حصر .

قال السدي : ﴿ لا يكاد يبين ﴾ أي : لا يكاد يفهم . وقال قتادة ، والسدي ، وابن جرير : يعني[٢] عييّ اللسان . وقال سفيان : يعني في لسانه شيء من الجَمْرَة حين وضعها في فيه وهو صغير .

وهذا الذي قاله فرعون - لعنه اللّٰه - كذب واختلاق ، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد ، وهو ينظر إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - بعين كافرة شقية ، وقد كان موسىٰ - عليه السلام - من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب . وقوله : ﴿ مهين ﴾ كذب ، بل هو المهين الحقير خِلْقَةً وخلقًا ودينًا . وموسىٰ هو الشريف الرئيس[٣] الصادق البار الراشد . وقوله : ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ افتراء أيضًا ، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سأل اللّٰه - عز وجل - أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب اللّٰه له في قوله : ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ ﴾ ، وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته ، كما قاله الحسن البصري ، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام ، فالأشياء الخَلْقية[٤] التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها ، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا ، وإنما أراد الترويج علىٰ رعيته ، فإنهم كانوا جهلة أغبياء ، وهكذا قوله : ﴿ فلولا ألقي عليه أسْوِرَة من ذهب ﴾ أي[٥] : وهي ما يجعل في الأيدي من الحلي . قاله ابن عباس وقتادة وغير واحد .

﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ أي : يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه ، [نظر إلىٰ الشكل][٦] الظاهر ، ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر إليه ، لو كان يعلم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ أي : استخف عقولهم ، فدعاهم إلىٰ الضلالة فاستجابوا له ، ﴿ إنهم كانوا قومًا فاسقين ﴾ .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ آسفونا ﴾ : أسخطونا(٢٢) .

---

(٢٢) - رواه ابن جرير (٨٤/٢٥) وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس .

[١] - في خ : « غبي » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز، خ : « الخِلقة » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « نظرًا للشكل » .

وقال الضحاك عنه: أغضبونا. وهكذا قال ابن عباس أيضًا، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد ابن جبير، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، والسدي، وغيرهم من المفسرين.

وقال ابن أبي حاتم(٢٣): حدثنا أبو عبيد[١] الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي، حدثنا ابن لهيعة، عن عقبة بن مسلم التجيبي، عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا رأيت الله - عز وجل - يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك استدراج منه له**[٢]»، ثم تلا: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين**﴾.

وحدثنا أبي(٢٤)، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، حدثنا قيس بن الربيع، عن قيس ابن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة، فقال: تخفيف على المؤمن، وحسرة على الكافر. ثم قرأ: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم**﴾.

وقال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: وجدت النقمة مع الغفلة. يعني قوله: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين**﴾.

وقوله: ﴿**فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين**﴾ قال أبو مجلز: ﴿**سلفًا**﴾ لمثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد: ﴿**ومثلًا**﴾ أي: عبرة لمن عبدهم[٣].

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟
ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ
هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا
مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا
وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم

(٢٣) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام/آية ٤٥/ج٥٢).

(٢٤) - وكذا عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٧٢٧،٧٢٨)، وقد زاد عزوه إلى ابن المنذر وإسناده ضعيف لضعف الحماني وقيس بن الربيع، لكن صح مرفوعاً من وجه آخر [راجع كتاب (الفوائد) بتحقيقنا].

[١] - سقط من: خ.
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في خ: «بعدهم».

بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى مخبرًا عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل: ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾ ، قال غير واحد ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي : يضحكون ، [أي : أعجبوا بذلك .

وقال قتادة : يجزعون ويضحكون][١] . وقال إبراهيم النخعي : يعرضون .

وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - فيما بلغني - يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتىٰ جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصَبُ جهنم أنتم لها واردون** ﴾ ... الآيات . ثم قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرىٰ التميمي ، حتىٰ جلس فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال عبد الله بن الزبعري : أما والله لو وجدته لخَصَمْتُه ، سلوا محمدًا : أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرًا ، والنصارىٰ تعبد المسيح ابن مريم ؟ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزِّبَعْرىٰ ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذُكِرَ ذلك لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **كل من أحَبَّ[٢] أن يعبد من دون الله ، فهو مع من عبده ، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته** » ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون** ﴾ أي : عيسىٰ [وعزير ومن عبد معهما][٣] من الأحبار والرهبان الذين مضوا علىٰ طاعة الله - عز وجل - فاتخذهم[٤] من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها[٥] بنات الله ، ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون** ﴾ ... الآيات ، ونَزَل فيما يذكر من

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « أراد » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وعزيرًا ومن عبدوا » . [٤] - في خ : « فاتخذوهم » .
[٥] - في ت : « وأنهم » .

أمر عيسىٰ وأنه يعبد من دون الله . وعَجِب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾ أي : يصدون عن أمرك بذلك من قوله[1] . ثم ذكر عيسى فقال : ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة** ﴾ أي : ما وضعت علىٰ يديه من الآيات من إحياء الموتىٰ وإبراء الأسقام ، فكفىٰ به دليلًا على علم الساعة . يقول : ﴿ **فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم** ﴾ .

وذكر ابن جرير(٢٥) من رواية العَوفي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾ ، قال : يعني قريشًا ، لما قيل لهم : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ إلىٰ آخر الآيات ، فقالت له قريش : فما ابن مريم ؟ قال : « **ذاك عبد الله ورسوله** » . فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه ربًا ، كما اتخذت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم ربًا . فقال الله تعالىٰ : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا ، بل هم قوم خصمون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢٦) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا شيبان ، عن عاصم بن أبي النَّجود ، عن أبي رَزين ، عن أبي يحيىٰ - مولىٰ ابن عقيل الأنصاري - قال : قال ابن عباس : لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط ، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها ، أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها . قال . ثم طَفق يحدثنا ، فلما قام تَلاوَمْنا أن لا نكون سألناه عنها ؟ . فقلت : أنا لها إذا راح غدًا . فلما راح الغد قلت : يا ابن عباس ؛ ذكرتَ أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط ، فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها ؟ فقلت : أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها . قال : نعم ، إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال

(٢٥) - رواه ابن جرير (٨٦/٢٥) بإسناد مسلسل بالضعفاء ، أولهم عطية العوفي .

(٢٦) - «المسند» (٣١٧/١، ٣١٨) وصحح إسناده الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» [١ج رقم ٢٩٢١/ (٣٢٨/٤، ٣٢٩)] وإسناده حسن لكلام في عاصم بن أبي النجود ، وباقي رجاله ثقات ، وقد رواه ابن أبي حاتم - كما قال المصنف هذا - من طريق آدم ثنا شيبان به ، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٤٠/١٢) من طريق الوليد بن مسلم ثنا سفيان ، وشيبان عن عاصم به .

ورواه الطبراني أيضاً (١٢٧٣٩/١٢) من طريق علي بن المديني ، ثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بهدلة ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس به ، كذا ليس فيه «أبو يحيى الأنصاري» وأبو بكر بن عياش متكلم في حفظه ، فرواية شيبان وسفيان أصح .

والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠٧/٧) وقال : « رواه أحمد والطبراني . . . .وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيىء الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧٢٨/٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

[١] - في خ : « قولك » .

لقريش : « **يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير** » . وقد علمت قريش أن النصارىٰ تعبد عيسىٰ ابن مريم وما تقول في محمد ، فقالوا : يا محمد ؛ ألست تزعم أن عيسىٰ كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا ، فإن كنت صادقًا كان آلهتهم كما[١] تقولون ؟ قال : فأنزل الله ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون**﴾ . [قلت : ما يَصدّون؟][٢] قال : يضحكون ، ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ ، قال : هو خروج عيسىٰ ابن مريم قبل القيامة(٢٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي ، حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي أحمد مولىٰ الأنصار[٣] ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير** » . فقالوا له : ألست تزعم أن عيسىٰ كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا ، فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون** ﴾(٢٨) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون**﴾ ، قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسىٰ عيسىٰ[٤] . ونحو هذا قال قتادة .

وقوله : ﴿ **وقالوا أآلهتنا خير أم هو** ﴾ ، قال قتادة : يقولون[٥] : آلهتنا خير منه . وقال قتادة : قرأ ابن مسعود : (**وقالوا أآلهتنا خير أم هذا**) يعنون محمدًا صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿**ما ضربوه لك إلّا جدلًا** ﴾ أي : مراء ، وهم يعلمون أنه ليس بوارد علىٰ الآية ، لأنها لما لا يعقل ، وهي قوله : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَب جهنم** ﴾ . ثم هي خطاب لقريش ، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتىٰ يوردوه[٦] ، فتعين أن مقالتهم إنما كانت جَدَلًا منهم ليسوا يعتقدون صحتها .

وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالىٰ - : حدثنا ابن نمير ، حدثنا حجاج بن دينار ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما ضل قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلا أورثوا الجدل** » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾ .

---

(٢٧) - المسند (٣١٨/١) .

(٢٨) - الطبراني (١٥٤/١٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « لكما » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ: « الأنصاريين » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : «يقول » .

[٦] - في ز ، خ : « يوردونه » .

وقد رواه الترمذي ، وابن ماجة ، وابن جرير ، من حديث حجاج بن دينار ، به . ثم قال الترمذي : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديثه(٢٩) . كذا قال .

وقد روي من وجه آخر عن أبي أمامة بزيادة ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا حميد بن عياش الرملي ، حدثنا مُؤمل ، حدثنا حماد ، أخبرنا ابن مخزوم ، عن القاسم أبي عبد الرحمن الشامي ، عن أبي أمامة - قال حماد : لا أدري رفعه أم[١] لا ؟ قال : ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل ، ثم قرأ : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾(٣٠) .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، عن عَبَّاد[٢] بن عباد ، عن جعفر ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال[٣] : إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خرج علىٰ الناس وهم يتنازعون في القرآن ، فغضب غضبًا شديدًا حتىٰ[٤] كأنما صب علىٰ وجهه الخل ، ثم قال : « **لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، فإنه ماضل قوم[٥] قط إلا أوتوا الجدل** » ، ثم تلا : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾ .

وقوله :﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه** ﴾ ، يعني عيسىٰ - عليه السلام - ماهو إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة ، ﴿ **وجعلناه مثلًا لبنى إسرائيل** ﴾ أي: دلالة وحجة وبرهانًا[٦] على قدرتنا على ما نشاء.

وقوله : ﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم** ﴾ أي : بدلكم ﴿ **ملائكة في الأرض يخلفون** ﴾ ، قال السدي : يخلفونكم فيها . وقال ابن عباس ، وقتادة : يخلف بعضهم بعضًا ، كما يخلف بعضكم بعضًا[٧] . وهذا القول يستلزم الأول . وقال مجاهد : يعمرون الأرض بدلكم .

---

(٢٩) - المسند (٢٥٦،٢٥٢/٥) . حجاج بن دينار : قال أحمد ويحيى : ليس به بأس . وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وقال الدارقطني : ليس بالقوي . وقد وثقه ابن المبارك ويعقوب بن شيبة والعجلي . (الميزان ١/ ٤٦١) . وشهاب بن خراش : صدوق يخطئ روى له أبو داود .

وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزخرف (٥ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ / رقم : ٣٢٥٣) . وقال : هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار ، وحجاج ثقة مقارب الحديث » . وابن ماجة في المقدمة ، باب : اجتناب الدرع والجدل (١ / ١٩ / رقم : ٤٨) . كلاهما من طريق حجاج بن دينار به .

(٣٠) - تفسير الطبري (٥٣/٢٥) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « عُبادة » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « أمة » .

[٦] - في ت : « وبرهان » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ ، تقدم تفسير ابن إسحاق : أن المراد من ذلك ما بُعث[١] به عيسىٰ - عليه السلام - من إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك من الأسقام . وفي هذا نظر . وأبعد منه ما حكاه قتادة ، عن الحسن البصري وسعيد بن جبير : أن[٢] الضمير في ﴿ **وإنه** ﴾ ، عائد علىٰ القرآن ، بل الصحيح أنه عائد علىٰ عيسي ، فإن[٣] السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، [كما قال تبارك وتعالىٰ : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قبل موت عيسى - عليه السلام - ثم ﴿ **ويوم القيامة**][٤] **يكون عليهم شهيدًا** ﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى : [﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ أي][٥] : [أمارة ودليل علىٰ وقوع الساعة][٦] ، قال مجاهد : ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ أي : آية للساعة خروج عيسي ابن مريم قبل يوم القيامة . وهكذا روي عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وأبي العالية ، وأبي مالك ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى [بن مريم][٧] - عليه السلام - قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا .

وقوله : ﴿ **فلا تمترن بها** ﴾ أي : لا تشكوا فيها ، إنها واقعة وكائنة لا محالة ، ﴿ **واتبعون** ﴾ أي : فيما أخبركم به ﴿ **هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان** [﴾ ، أي : عن اتباع الحق ﴿][٨] **إنه لكم عدو مبين * ولما جاءَ عيسىٰ بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة** ﴾ أي : بالنبوة ، ﴿ **ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه** ﴾ .

قال ابن جرير: يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية(٣١) . وهذا الذي قاله حسن جيد ، ثم رد قول من زعم أن « **بعض** » هاهنا بمعني « **كل** » ، واستشهد بقول لَبيد الشاعر [حيث قال][٩] :

تَـرَّاكَ أَمْـكِـنَـةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَـهَـا ... أَوْ يَعْتَلِقْ[١٠] بَعْضَ النفوسِ حمامها

وأولوه علىٰ أنه أراد جميع النفوس[١١] . قال ابن جرير : وإنما أراد نفسه فقط ، وعبر بالبعض عنها . وهذا الذي قاله محتمل.

---

(٣١) - تفسير الطبري (٢٥/٥٥) .

---

[١] - في ز ، خ: « يبعث » .
[٢] - في ت : « أي » .
[٣] - في خ : « لأن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « آية للساعة » ، وسقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[١٠] - في ز ، خ: « تعتلق » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ أي : فيما أمركم به ، ﴿ **وأطيعون** ﴾ ، فيما جئتكم به ، ﴿ **إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم** ﴾ ، [أي : أنا وأنتم عبيد له ، فقراء إليه ، مشتركون في عبادته وحده لا شريك له ، ﴿ **هذا صراط مستقيم** ﴾][١] ، أي : هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم ، وهو عبادة الرب - عز وجل - وحده .

وقوله : ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ أي : اختلفت الفرق وصاروا شيعًا فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله - وهو الحق - ومنهم من يدعي أنه ولد الله ، ومنهم من يقول : إنه الله - تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا - ولهذا قال : ﴿ **فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم** ﴾ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالىٰ : هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل﴿ **إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ أي : فإنها كائنة لا محالة وواقعة ، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين . فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها ، فحينئذ يندمون كل الندم ، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم .

وقوله تعالىٰ :﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ أي : كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة ، إلا ما كان لله - عز وجل - فإنه دائم بدوامه . وهذا كما قال إبراهيم - عليه السلام - لقومه : ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي -رضي الله عنه - : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ ، قال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، فتوفي[١] أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله ، فقال : اللّهم ؛ إن فلانًا خليلي ؛ كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ، وينبئني أني[٢] ملاقيك ، اللّهم ؛ فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني ، وترضىٰ عنه كما رضيت عني . فيقال له : اذهب فلو تعلم ماله[٣] عندي لضحكت كثيرًا وبكيت قليلًا . قال : ثم يموت الآخر ، فتجتمع أرواحهما ، فيقال : ليثن أحدكما علىٰ صاحبه ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : نعم الأخ ، ونعم الصاحب ، ونعم الخليل . واذا مات أحد الكافرين فبشر[٤] بالنار ذكر خليله فيقول : اللّهم ؛ إن خليلي فلانًا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ، ويخبرني أني غير ملاقيك ، اللّهم؛ فلا تهده بعدي حتىٰ تريه مثل ما أريتني ، وتسخط عليه كما سخطت عليّ . قال : فيموت الكافر الآخر[٥] ، فيجمع بين أرواحهما . فيقال : ليثن كل واحد منكما علىٰ صاحبه . فيقول كل واحد منهما لصاحبه : بئس الأخ ، وبئس الصاحب ، وبئس الخليل . رواه ابن أبي حاتم(٣٢) .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد ، عن هشام بن عبد اللّه بن كثير : حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة ، عن معافىٰ ، حدثنا[٦] حكيم بن نافع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **لو أن رجلين تحابا في اللّه ، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، لجمع[٧] اللّه بينهما يوم القيامة ، يقول : هذا الذي أحببته فيّ** »(٣٣) .

وقوله : ﴿ **يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** ﴾ [ثم بشرهم فقال : ﴿ **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين** ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم وبواطنهم ، وانقادت لشرع اللّه جوارحهم وظواهرهم .

قال المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : إذا كان يوم القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقىٰ أحد منهم

(٣٢) - تفسير عبد الرزاق (١٦٤/٢) .
(٣٣) - مختصر تاريخ دمشق (٧٩/٢٧) .

[١] - في ت : « فتوفى » .
[٢] - في خ : « أنه » .
[٣] - في تفسير عبد الرزاق : مالك .
[٤] - في ت : « وبشر » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « بن » .
[٧] - في خ : « يجمع » .

إلا فزع ، فينادي مناد : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾][١] فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيتْبِعُها : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ ، قال : فييأس الناس منها غير المؤمنين .

﴿ ادخلوا الجنة ﴾ أي : يقال لهم : ادخلوا الجنة ﴿ أنتم وأزواجكم ﴾ أي : نظراؤكم ﴿ تحبرون ﴾ أي : تنعمون[٢] وتسعدون ، وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم .

﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب ﴾ أي : زبادى آنية الطعام ، ﴿ وأكواب ﴾ ، وهي : آنية الشراب ، أي : من ذهب لا خراطيم لها ولا عُرى ، ﴿ وفيها ماتشتهي الأنفس ﴾ - وقرأ بعضهم : ﴿ تشتهيه الأنفس ﴾ ﴿ وتلذ الأعين ﴾ أي : طيب الطعم والريح و[٣]حسن المنظر .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد ، عن عكرمة - مولىٰ ابن عباس - أخبره أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة ، لَرَجُلٌ لا يدخل الجنة [بعده][٤] أحد ، يُفْسَح[٥] له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب ، وخيام من[٦] لؤلؤ ، ليس فيها موضع شبر إلا معمور يغدىٰ عليه ويراح بسبعين ألف صحفة[٧] من ذهب ، ليس فيها صحفة إلا فيها لون ليس في الأخرىٰ مثله ، شهوته[٨] في آخرها كشهوته في أولها ، لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطي ، لا ينقص ذلك مما أوتي شيئًا »(٣٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا عمرو بن سوَّاد[٩] السّرْحي[١٠] ، حدثنا عبد اللّٰه بن وهب ، عن ابن لَهيعَة ، عن عُقَيل بن خالد ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ؛ أن أبا أمامة -رضي اللّٰه عنه- حدث أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حدثهم - وذكر الجنة - فقال : « والذي نفس محمد بيده ، لَيأخُذَنّ أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر علىٰ باله طعام آخر ، فيتحول الطعام الذي في فيه علىٰ الذي اشتهىٰ » ثم قرأ : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن - هو ابن موسى - حدثنا سكين بن عبد العزيز ، حدثنا

---

(٣٤) - تفسير عبد الرزاق (١٦٥/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « تتنعمون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز، خ : « يفتح » .
[٦] - سقط من : ز ، خ.
[٧] - في ز : « صحيفة » .
[٨] - في ز : « فشهوته » ، خ : « فيشهونه » .
[٩] - في ز : « ثوار » .
[١٠] - في ز ، خ : « الرخى » .

[ ][١] الأشعث الضرير ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات ، وهو علىٰ السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثلاثمائة خادم ، ويغدىٰ عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة**[٢] - **ولا أعلمه**[٣] **إلا قال : من ذهب - في كل صحفة**[٤] **لون ليس في الأخرىٰ ، وإنه لَيَلَذّ أوله كما يلذ آخره ،** [**ومن الأشربة ثلاثمائة إناء ، في كل إناء لون ليس في الآخر ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره**][٥] **وإنه ليقول**[٦] : **رب**[٧] ، **لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم ، لم ينقص مما عندي شيء ، وإن له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض**(٣٥) .

﴿**وأنتم فيها**﴾ أي : في الجنة ﴿**خالدون**﴾ أي : لا تخرجون منها ولا تبغون[٨] عنها حولًا . ثم قيل لهم علىٰ وجه التفضل والامتنان : ﴿ **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ أي : أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة اللّه إياكم ، فإنه لا يدخل أحدًا عملُه الجنة ، ولكن بفضل من[٩] اللّه ورحمته . وإنما الدرجات تفاوتها بحسب عمل الصالحات .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الفضل بن شاذان المقرئ ، حدثنا يوسف بن يعقوب - يعني الصفار - حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **كل أهل النار يرىٰ منزله من الجنة حسرة ، فيقول : ﴿ لو أن اللّه هداني لكنت من المتقين ﴾** . وكل أهل الجنة يرىٰ منزله من النار فيقول : ﴿ **وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه** ﴾ ، فيكون[١٠] له شكرًا » . قال : و[١١]قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار ، فالكافر يرث المؤمن منزله من**[١٢] **النار . والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة . وذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾**(٣٦) .

وقوله : ﴿ **لكم فيها فاكهة كثيرة** ﴾ أي : من جميع الأنواع ، ﴿ **منها تأكلون** ﴾ أي :

---

(٣٥) - المسند (٥٣٧/٢) .

(٣٦) - ورواه أحمد في المسند (٥١٢/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أبو » .

[٢] - في ز ، خ : « صحيفة » .

[٣] - في ز، خ : « أعلم » .

[٤] - في ز ، خ : « صحيفة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ت : «يقول » .

[٧] - في ت : « يا رب » .

[٨] - في ز، خ : « يبغون » .

[٩] - سقط من : ز، خ .

[١٠] - في ت : « ليكون » .

[١١] - سقط من : ز، خ .

[١٢] - في ز، خ : « في » .

مهما[١] اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ، ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾

لما ذكر حال السعداء ، ثنَّىٰ بذكر الأشقياء ، فقال : ﴿ **إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يُفتَّر عنهم** ﴾ أي : ساعة واحدة ﴿ **وهم فيه مبلسون** ﴾ أي : آيسون من كل خير ، ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾ أي : بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم ، فكذبوا وعصوا ، فجوزوا بذلك جزاء وفاقًا ، وما ربك بظلام للعبيد . ﴿ **ونادوا يا مالك** ﴾ وهو : خازن النار .

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عَمْرو بن عطاء ، عن صفوان بن يعلىٰ ، عن أبيه ؛ قال : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقرأ علىٰ المنبر : ﴿ **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك** ﴾(٣٧) . أي : ليَقْبض[٢] أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه ، فإنهم كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ وقال : ﴿ **ويتجنبها الأشقى * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى** ﴾ فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك : ﴿ **قال إنكم ماكثون** ﴾ ، قال ابن عباس : مكث ألف سنة ، ثم قال : إنكم ماكثون . رواه ابن أبي حاتم .

أي : لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها .

ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم الحق[٣] ومعاندتهم له ، فقال : ﴿ **لقد جئناكم بالحق** ﴾ أي : بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ، ﴿ **ولكن أكثركم للحق كارهون** ﴾ أي : ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تُقبل عليه ، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه ، وتَصُدّ عن الحق وتأباه ، وتُبغضُ أهله . فعودوا علىٰ أنفسكم بالملامة ، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة .

---

(٣٧) - صحيح البخاري (٤٨١٩).

---

[١] - في ز ، خ : « مما » .
[٢] - في ز ، خ : « ليقض » .
[٣] - في ت : « للحق » .

ثم قال تعالى : ﴿ أم أبرموا أمرًا فإنا مبرمون ﴾ قال مجاهد : أرادوا كيد شر فكدناهم وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى : ﴿ ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون ﴾ ، وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه ، فكادهم الله ، ورد وبال ذلك عليهم ، ولهذا قال : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ﴾ أي : سرهم وعلانيتهم ، ﴿ بلىٰ ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ أي : نحن نعلم ماهم عليه ، والملائكة أيضًا يكتبون أعمالهم ، صغيرها وكبيرها .

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ أي : لو فرض هذا لعبدته علىٰ ذلك ، لأني عبد من عبيده ، مطيع لجميع ما يأمرني به ، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته ، فلو فرض كان هذا ، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالىٰ ، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفىٰ مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ .

قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ أي : الآنفين . ومنهم سفيان الثوري ، والبخاري حكاه فقال : ويقال أول العابدين : الجاحدين من عَبِدَ يَعْبَدُ .

وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد مارواه عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب :

حدثني ابن أبي ذئب ، عن أبي[١] قسيط ، عن بعجة بن زيد الجهني ؛ أن امرأة منهم دخلت على زوجها - وهو رجل منهم أيضًا - فولدت له في ستة أشهر ، فذكر ذلك زوجُها لعثمانَ بن عفان ، رضي اللّه عنه فأمر بها أن ترجم ، فدخل عليه[٢] علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - فقال : إن اللّه يقول في كتابه : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ ، قال : فو اللّه ما عَبد[٣] عثمان - رضي اللّه عنه - أن بعث إليها : تردّ ، قال : يونس : قال ابن وهب : عَبد : استنكف(٣٨) .

قال الشاعر:

مَتَىٰ مَا يَشَأْ ذُو الوُدّ يصْرِمْ خليله وَيَعْبَدْ عَلَيه لا محالة ظالمًا

وهذا القول فيه نظر ؛ لأنه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره : إن كان هذا فأنا ممتنع منه ؟ هذا فيه نظر ، فليتأمل . اللّهم إلا أن يقال : إنّ « إن » ليست شرطًا ، وإنما هي نافية ، كما قال علي بن أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد** ﴾ ، يقول : لم يكن للرحمن ولد[٤] فأنا أول الشاهدين .

وقال قتادة : هي كلمة من كلام العرب : ﴿ **إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ أي : إن ذلك لم يكن فلا ينبغي .

وقال أبو صخر : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ أي : فأنا[٥] أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحّده . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال مجاهد : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ أي : أول من عبده ووحده وكذبكم .

وقال البخاري : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ أي[٦] : الآنفين(٣٩) . وهما لغتان : رجل[٧] عابد وعَبِدٌ ، والأول أقرب على أنه شرط وجزاء ، ولكن هو ممتنع .

و[٨]قال السدي : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ ، يقول : لو كان له ولد كنت أول من عبده ، بأن له ولدًا ، لكن لا ولد له ، وهذا[٩] اختيار ابن جرير، ورد قول

(٣٨) - تفسير الطبري (٢٥/٦١) .

(٣٩) - صحيح البخاري - الفتح (٨/٥٦٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز، خ : « عند » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز، خ : « أنا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز، خ .
[٩] - في ت : «هو » .

من زعم أن «إن» نافية؛ ولهذا قال: ﴿ **سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون** ﴾ أي: تعالىٰ وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد، لا نظير له ولا كفء له، فلا ولد له.

وقوله: ﴿ **فذرهم يخوضوا** ﴾ أي: في جهلهم وضلالهم ﴿ **ويلعبوا** ﴾ في دنياهم ﴿ **حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾، وهو يوم القيامة، أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم، وحالهم في ذلك اليوم.

وقوله: ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له[١]، أذلاء بين يديه، ﴿ **وهو الحكيم العليم** ﴾.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ **وهو الله في السموات و[في][٢]الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** ﴾، أي: هو المدعو الله في السماوات والأرض.

﴿ **وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما** ﴾ أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا ممانعة، فسبحانه وتعالىٰ عن الولد، ﴿ **وتبارك** ﴾: أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص، لأنه الرب العليّ العظيم، المالك للأشياء، الذي بيده أزمّة الأمور نقضًا وإبرامًا، ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ أي: لا يجليها لوقتها إلا هو، ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ أي: فيجازي كلًّا بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه** ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿ **الشفاعة** ﴾ أي: لا يقدرون علىٰ الشفاعة لهم، ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾، هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق علىٰ بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له.

ثم قال: ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنىٰ يؤفكون** ﴾ أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿ **من خلقهم ليقولن الله** ﴾ أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئًا ولا يقدر علىٰ شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل؛ ولهذا قال: ﴿ **فأنىٰ يؤفكون** ﴾.

وقوله: ﴿ **وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون** ﴾ أي: وقال محمد قيله، أي: شكا إلىٰ ربه شكواه من قومه الذين كذبوه، فقال: يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿ **وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا** ﴾ وهذا الذي

---

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - سقط من: ز، خ.

قلناه هو قول ابن مسعود ومجاهد وقتادة ، وعليه فسر ابن جرير (٤٠) .

قال البخاري : وقرأ عبد الله - يعني ابن مسعود - (**وقال الرسول يا رب**)(٤١) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون** ﴾ ، قال : فَأَبرّ الله قول محمد .

وقال قتادة : هو قول نبيكم صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى ربه عز وجل .

ثم حكىٰ ابن جرير في قوله : ﴿ **وقيله يارب** ﴾ قراءتين ، إحداهما النصب ، ولها توجيهان : أحدهما : أنه معطوف علىٰ قوله : ﴿ **نسمع سرهم ونجواهم** ﴾ . والثاني : أن يقدر فعل ، وقال : قيلَه . والثانية : الخفض ، وقيلِه عطفًا علىٰ قوله : ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ ، تقديره : وعلم قيله .

وقوله : ﴿ **فاصفح عنهم** ﴾ أي : المشركين ، ﴿ **وقل سلام** ﴾ أي : لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيىء ، ولكن تألفهم[١] واصفح عنهم فعلًا وقولًا ، ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ ، هذا تهديد منه تعالىٰ لهم ، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يُرَدّ ، وأعلىٰ دينه وكلمته ، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد ، حتىٰ دخل الناس في دين الله أفواجًا ، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب .

[آخر تفسير سورة الزخرف] .

☆ ☆ ☆

(٤٠) - تفسير الطبري (٦٢/٢٥) .

(٤١) - صحيح البخاري - الفتح (٥٦٨/٨) .

[١] - في خ : « كالفهم » .

تفسير سورة الدخان

وهي مكية

قال الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا زيد بن الحُبَاب ، عن عُمَر بن أبي خثعم ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول الله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ حم الدخان ، في ليلة ، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك** » .

ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمر بن أبي خثعم يضعف ، قال البخاري : « منكر الحديث »(١) .

ثم قال : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن [هشام أبي المقدام][١] ، عن الحسن ، عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ حم الدّخان ، في ليلة الجمعة ، غفر له** » .

ثم قال : « غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وهشام أبو[٢] المقدام[٣] يضعّف ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة . كذا قال أيوب[٤] ، ويونس بن عُبَيد ، وعلي بن زيد »(٢) .

وفي مسند البزار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن زيد بن حارثة ؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لابن صياد : « **إني قد خبأت خَبأ فما هو ؟** » وخبأ له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم سورة الدخان ، **فقال** : هو الدُّخّ ، [فقال : « **اخسأ**][٥] **ما شاء الله كان** » ثم انصرف(٣) .

---

(١) - **موضوع** ، وهو في سنن الترمذي رقم (٢٨٨٨) .

(٢) - **ضعيف** ، وهو في سنن الترمذي رقم (٢٨٩١) .

(٣) - كشف الأستار (٣٣٩٩) ، ورواه الطبراني في الكبير (٨٨/٥) ، والأوسط (٣٨٧٥) ، وقال البزار : لم يرو هذا الحديث عن فرات القزاز - ثقة - إلا ابنه الحسن - وثقه يحيىٰ بن معين ، وابن حبان ، والدارقطني ، وقال أبو حاتم وحده : منكر الحديث - ولا عن ابنه ؛ إلا ابنه زياد - قال أبو حاتم الرازي : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : لا بأس به ، ولا يحتج به - تفرد به إبراهيم بن عيسى التنوخي . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٨) وقال : رواه البزار ، والطبراني في الكبير والأوسط (٣٨٧٥) ، وفيه زياد بن الحسن بن فرات : ضعفه أبو حاتم ، ووثقه ابن حبان .

---

[١] - في ز ، خ : « هشام عن أبي المقدام » .
[٢] - في ز ، خ : « بن » .
[٣] - في ت : « المقداد » .
[٤] - في ز : خ : « أبو زيد » .
[٥] - سقط من ت .

حمٓ (١) وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ
(٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥)
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن القرآن العظيم : إنه أنزله في ليلة مباركة ، وهي ليلة القدر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في « سورة البقرة » بما أغنى عن إعادته . ومن قال : إنها ليلة النصف من شعبان - كما رُوي عن عكرمة - فقد أبعد النُّجعَة ؛ فإن نص القرآن أنها في رمضان . والحديث الذي رواه عبد اللّه بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس ، أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **تقطع الآجال من شعبان إلىٰ شعبان ، حتىٰ إن الرجل لينكح ويولد له ، وقد أخرج اسمه في الموتىٰ** »(٤) فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص .

وقوله : ﴿ **إنا كنا منذرين** ﴾ [أي : معلمين][١] الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعًا ، لتقوم حُجّة اللّه علىٰ عباده .

وقوله : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ أي : في ليلة القدر ، يفصل من اللوح المحفوظ إلىٰ الكتَبَة أمر السنة ، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق ، وما يكون فيها إلىٰ آخرها . وهكذا

(٤) - عبد الله بن صالح - كاتب الليث ، وثقه ابن معين ، وكان أبو حاتم الرازي حسن الرأي فيه ، وقال أبو زرعة الرزاي : حسن الحديث ، وضعفه : النسائي وابن المديني وابن حبان وأبو أحمد الحاكم وغيرهم . وفي التقريب : صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة - والحديث رواه ابن الديثي من طريق عبد الله بن صالح به ، وهذا إسناد فيه انقطاع فإن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس - له مناكير ، وروايته عن طبقة التابعين ، فروايته عن النبي ﷺ مرسلة ، بل معضلة . ورواه الطبري (١٠٩/٢٥) من حديث عبيد ابن آدم بن أبي إياس - صدوق - عن أبيه ، عن الليث ، عن عقيل به مرفوعًا . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٨٣٩) من طريق محمد بن علي الوراق ، عن سعيد بن سليمان ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عثمان [عن] محمد بن المغيرة بن الأخنس به موقوفًا .

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

رُوي عن ابن عمر ، وأبي مالك ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد من السلف .

وقوله : ﴿ حكيم ﴾ أي : محكم ، لا يبدل ولا يغير ؛ ولهذا قال : ﴿ أمرًا من عندنا ﴾ أي : جميع ما يكون ويقدره الله تعالىٰ وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه ، ﴿ إنا كنا مرسلين ﴾ أي : إلىٰ الناس ، رسولًا يتلو عليهم آيات الله مبينات ، فإن الحاجة كانت ماسة إليه ؛ ولهذا قال : ﴿ رحمة من ربك إنه هو السميع العليم * رب السمٰوات والأرض وما بينهما ﴾ أي : الذي أنزل هذا القرآن هو رب السمٰوات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما ، ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ أي : إن كنتم متحققين .

ثم قال : ﴿ لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ، وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ﴾ الآية .

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون ، أي : قد جاءهم الحق اليقين ، وهم يشكون فيه ويمترون ، ولا يصدقون به ، ثم قال تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ .

قال سليمان بن مهْرانَ الأعمش ، عن أبي الضحىٰ مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال : دخلنا المسجد - يعني مسجد الكوفة - عند أبواب كندة ، فإذا رجل يقص علىٰ أصحابه : ﴿ يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ ، تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة ، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام . قال : فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له ، وكان مضطجعًا ففزع فقعد ، وقال : إن الله - عز وجل - قال لنبيكم صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ ، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم . سأحدثكم عن ذلك ، إن قريشًا لما[١] أبطأت عن الإسلام

[١] - سقط من : ز ، خ .

واستعصت علىٰ رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم من الجهد والجوع حتىٰ أكلوا العظام والميتة ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلىٰ السماء فلا يرون إلا الدخان . وفي رواية : فجعل الرجل ينظر إلىٰ السماء ، فيرىٰ ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشىٰ الناس هذا عذاب أليم** ﴾ ، فأتي رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقيل : يا رسول الله ؛ استسق اللّٰه لمضر ، فإنها قد هلكت . فاستسقىٰ لهم فَسُقُوا ، فأنزل الله : ﴿ **إنا كاشفو العذاب قليلًا إنكم عائدون** ﴾ ، قال ابن مسعود : فيكشف العذاب عنهم يوم القيامة ، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلىٰ حالهم ، فأنزل الله : ﴿ **يوم نبطش البطشة الكبرىٰ إنا منتقمون** ﴾ ، قال : يعني يوم بدر . قال ابن مسعود : فقد مضىٰ خمسة : الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللِّزام .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٥) ورواه الإمام أحمد في مسنده وهو عند الترمذي ، والنسائي في تفسيرهما ، وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة ، عن الأعمش به(٦) . وقد وافق ابن مسعود علىٰ تفسير الآية بهذا ، وأن الدخان مَضَىٰ - جماعةٌ من السلف كمجاهد ، وأبي العالية ، وإبراهيم النخَعي ، والضحاك ، وعطية العوفي ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيىٰ بن حَسَّان ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد الرحمن الأعرج في قوله : ﴿ **يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، قال : كان يوم فتح مكة . وهذا قول غريب جدًّا بل منكر .

وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة ، كما تقدم من حديث أبي سَريحة حُذَيفة بن أسيد الغفاري - رضي اللّٰه عنه - قال : أشرف علينا رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : « **لا تقوم الساعة حتىٰ تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسىٰ ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو : تحشر الناس - : تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا** » . انفرد[١] بإخراجه مسلم في صحيحه(٧) .

وفي الصحيحين أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لابن الصياد : « **إني خبأت لك**

---

(٥) - البخاري (٤٨٢٠) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

(٦) - المسند (١/٣٨٠ ، ٤٣١) وسنن الترمذي (٣٢٥٤) والنسائي في الكبرى (١١٤٨١) والطبري (٢٥/٦٦)

(٧) - صحيح مسلم (٢٩٠١) .

---

[١] - في ت : « تفرد » .

خَبأ » ، قال : هو الدُّخّ . فقال له : « اخسأ فلن تعدو قدرك » ، قال : وخبأ له رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾(٨) .

وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب ، وابن صياد كاشف علىٰ طريقة الكهان بلسان[١] الجان ، وهم يُقَرطمون العبارة ؛ ولهذا قال : هو[٢] الدخ ، يعني : الدخان . فعندها عرف رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مادته وأنها شيطانية ، فقال له : « **اخسأ فلن تعدو قدرك** » .

ثم قال ابن جرير : وحدثني عصام بن رَوّاد بن الجراح ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن سعيد الثوري ، حدثنا منصور بن المعتمر ، عن ربعي بن حِرَاش[٣] ؛ قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن أول الآيات الدخان**[٤] ، **ونزول عيسىٰ ابن مريم ، ونار تخرج من قعر عدن أبين ، تسوق الناس إلىٰ المحشر ، تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان** - قال حذيفة : يارسول الله ؛ وما الدخان ؟ فتلا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشىٰ الناس هذا عذاب أليم** ﴾ - يملأ ما بين المشرق والمغرب ، يمكث أربعين يومًا وليلة ، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة ، وأما الكافر [فيكون بمنزلة][٥] السكران[٦] يخرج من منخريه وأذنيه ودبره »(٩) .

قال ابن جرير : لو صح هذا الحديث لكان فاصلًا ، وإنما لم أشهد له بالصحة ، لأن محمد ابن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادًا عن هذا الحديث : هل سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا . قال : فقلت : أقرأته عليه ؟ قال : لا . قال : فقلت له : فقُرِئَ عليه وأنت حاضر [فأقرّ به][٧] ؟ فقال : لا . فقلت له : فمن أين جئت به ؟ ! فقال : جاءني به قوم فعرضوه عليَّ ، وقالوا لي : اسمعه منا . فقرءوه عليّ ثم ذهبوا به[٨] ، فحدثوا به عني ، أو كما قال(١٠) .

وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا ، فإنه موضوع بهذا السند ، وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير ، وفيه منكرات كثيرة جدًا ، ولا سيما في أول سورة « **بني إسرائيل** » في ذكر المسجد الأقصىٰ ، واللّٰه أعلم .

(٨) - صحيح البخاري (٣٠٥٥) ومسلم (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر .

(٩) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) ز

(١٠) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) .

[١] - كررت في : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز، خ : « خراش » .
[٤] - في ت : « الدجال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « كمنزلة » .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا خُليد[١] ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري -رضي اللَّه عنه- : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **يهيج الدخان بالناس ، فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة ، وأما الكافر فينفخه حتىٰ يخرج من كل مسمع منه** » .

ورواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري موقوفًا . ورواه عوف[٢] عن الحسن قوله .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثني محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل [بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عُبَيد][٣] ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن ربكم أنذركم ثلاثًا : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتىٰ يخرج من كل مِسْمَع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال** » .

ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد ، عن محمد بن إسماعيل بن عياش به(١١) . وهذا إسناد جيد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللَّه بن صالح بن مسلم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي -رضي اللَّه عنه- قال : لم تمض آية الدخان بعد ، يأخذ[٤] المؤمن كهيئة الزكام ، وتنفخ الكافر حتىٰ ينفد[٥] .

وروىٰ ابن جرير من حديث الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن ابن البيلماني ، عن ابن عمر ؛ قال : يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتىٰ يكون[٦] كالرأس الحنيذ ، أي : المشوي علىٰ الرّضف .

ثم قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج ، عن عبد اللَّه بن أبي مليكة ؛ قال : غدوت علىٰ ابن عباس -رضي اللَّه عنهما- ذات يوم[٧] فقال : ما نمتُ[٨] الليلة حتىٰ أصبحت . قلت : لم ؟ قال[٩] : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت[١٠] أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتىٰ أصبحت(١٢) .

---

(١١) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) والمعجم الكبير (٢٩٢/٣) .

(١٢) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) .

---

[١] - في ت : « خليل » .

[٢] - في ز ، خ : « سعيد بن عوف » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « تأخذ » .

[٥] - في ز، خ : « تنفذ » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز، خ : « تمن » .

[٩] - سقط من : ز، خ .

[١٠] - في ز، خ : « فحسبت » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن ابن أبي[١] عمر ، عن سفيان ، عن عبد الله[٢] ابن أبي يزيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس فذكره .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن . وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين[٣] ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة علىٰ أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، أي : بين واضح يراه كل أحد ، وعلىٰ ما فسر به ابن مسعود -رضي الله عنه- : إنما[٤] هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد . وهكذا قوله : ﴿ **يغشىٰ الناس** ﴾ ، أي : يتغشاهم ويَعُمهم ، ولو كان أمرًا خياليًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه : ﴿ **يغشىٰ الناس** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هذا عذاب أليم** ﴾ . أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم يُدَعون إلىٰ نار جهنم دعًا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون** ﴾ أو يقول بعضهم لبعض ذلك . وقوله : ﴿ **ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون** ﴾ . أي : يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم ، كقوله : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾ . وكذا قوله : ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **أنّى لهم الذكرىٰ وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا : معلم مجنون** ﴾ .

[يقول : كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولًا بين الرسالة والنذارة ، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه ، بل كذبوه وقالوا : معلم مجنون][٥] . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم يتذكر الإنسان وأنىٰ له الذكرىٰ * يقول ياليتني قدمت لحياتي** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وأنىٰ لهم التناوش من مكان بعيد * وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد * وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب** ﴾ وقوله : ﴿ **إنَّا كاشفو العذاب قليلًا إنكم عائدون** ﴾ يحتمل معنيين : أحدهما : أنه يقوله تعالىٰ : ولو كشفنا عنكم[٦] العذاب ورجعناكم إلىٰ الدار الدنيا ، لعدتم إلىٰ ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب ، كقوله : ﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون** ﴾ . وكقوله : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم**

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « عنهم » .

لكاذبون﴾ والثاني : أن يكون المراد : إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلًا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم ، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال[١] ، ولا يلزم من[٢] الكشف عنهم أن يكون باشرهم[٣] ، [كقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين**﴾ ، ولم يكن العذاب باشرهم][٤] واتصل بهم ، بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضًا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه .

قال الله تعالىٰ إخبارًا عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا : ﴿ **لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا علىٰ الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها** ﴾ . وشعيب لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم .

وقال قتادة : ﴿ **إنكم عائدون** ﴾ إلىٰ عذاب الله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم نبطش البطشة الكبرىٰ إنا منتقمون** ﴾ ، فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر . وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود علىٰ تفسيره الدخان بما تقدم ، وروي أيضًا عن[٥] ابن عباس من رواية العوفي ، عنه . وعن أبيّ بن كعب وجماعة[٦] ، وهو محتمل .

والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدْر يوم بطشة أيضًا .

قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ؛ قال : قال ابن عباس : قال ابن مسعود : البطشة الكبرىٰ يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة(١٣) . وهذا إسناد صحيح عنه ، وبه يقول الحسن البصري ، وعكرمة في أصح الروايتين عنه .

۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ
عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾
فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾

(١٣) - تفسير الطبري (٢٥/٧٠) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز، خ .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « من رواية » .
[٦] - بعده في خ : « عنه » .

وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ
﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا
فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ : ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون ، وهم قبط مصر ، ﴿ **وجاءهم رسول كريم** ﴾ ، يعني موسىٰ كليمه - عليه السلام - : ﴿ **أن أدوا إليّ عباد الله** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فأرسل**[١] **معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ** ﴾

وقوله : ﴿ **إني لكم رسول أمين** ﴾ أي مأمون على ما أبلغكموه. وقوله : ﴿ **وأن لا تعلوا علىٰ الله** ﴾ ، أي : لا تستكبروا عن اتباع آياته ، والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه ، كقوله : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾

﴿ **إني آتيكم بسلطان مبين** ﴾ ، أي : بحجة ظاهرة واضحة ، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة القاطعات[٢] .

﴿ **وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون** ﴾ قال ابن عباس وأبو صالح : هو الرجم باللسان وهو الشتم ، وقال قتادة : الرجم[٣] بالحجارة ، أي : أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم أن تصلوا إليّ بسوءٍ من قول أو فعل.

﴿ **وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون** ﴾ ، أي : فلا تتعرضوا[٤] لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلىٰ أن يقضي الله بيننا ، فلما طال مقامه بين أظهرهم ، وأقام حجج الله عليهم ، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا ، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم ، كما قال تعالىٰ :

---

[١] - في ز ، خ: « أن أرسل » .
[٢] - في ت : « القاطعة » .
[٣] - في ز، خ : « بالرجم » .
[٤] - في ز ، خ : « تعرضوا » .

﴿ وقال موسىٰ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ﴾ ، فعند ذلك أمره الله تعالىٰ أن يخرج بني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ، ولهذا قال : ﴿ فأسر بعبادي ليلًا إنكم متبعون ﴾ ، كما قال : ﴿ ولقد أوحينا إلىٰ موسىٰ أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا لا تخاف دركًا ولا تخشىٰ ﴾ وقوله هاهنا : ﴿ واترك البحر رهوًا إنهم جند مغرقون ﴾ ، وذلك أن موسىٰ - عليه السلام - لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر ، أراد موسىٰ أن يضربه بعصاه حتىٰ يعود كما كان ، ليصير حائلًا بينهم وبين فرعون ، فلا يصل إليهم . فأمره الله أن يتركه علىٰ حاله ساكنًا ، وبَشَّره بأنهم جند مغرقون فيه ، وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشىٰ .

قال ابن عباس : ﴿ واترك البحر رهوًا ﴾ كهيئته وامضه . وقال مجاهد : ﴿ رهوًا ﴾ طريقًا يبسًا كهيئته ، يقول : لا تأمره يرجع ، اتركه حتىٰ يرجع آخرهم . وكذا قال عكرمة ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد ، وكعب الأحبار ، وسماك بن حرب ، وغير واحد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ كم تركوا من جنات ﴾ - وهي البساتين - ﴿ وعيون * وزروع ﴾ ، والمراد بها الأنهار والآبار ، ﴿ ومقام كريم ﴾ ، وهي المساكن الأنيقة والأماكن الحسنة .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : ﴿ ومقام كريم ﴾ المنابر .

و[١]قال ابن لهيعة ، عن وهب بن عبد الله المعافري ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : نيل مصر سيد الأنهار ، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، وذَلَّله له ، فإذا أراد الله أن يُجري نيل مصر أمر كل نهر أن يَمُدّه ، فأمدته الأنهار بمائها ، وفجر الله له الأرض عيونًا ، فإذا انتهىٰ جريه[٢] إلىٰ ما أراد الله ، أوحىٰ الله إلىٰ كل ماء [أن يرجع][٣] إلىٰ عنصره .

وقال في قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ ، قال : كانت الجنان بحافتيْ[٤] هذا النيل من أوله إلىٰ آخره في[٥] الشقين جميعًا ، ما بين أسوان إلىٰ رشيد ، وكان له تسعة خلج : خليج إسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج سَرْدَوس ، وخليج مَنْف ، وخليج الفيوم ، وخليج المَنْهَى ، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء ، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلىٰ آخر ما يبلغه الماء ، وكانت جميع أرض

---

[١] - سقط من : ز، خ .
[٢] - في ز ، خ : « جربته » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « ارجع » .
[٤] - في ز، خ : « حافتيْ » .
[٥] - في ز، خ : « من » .

مصر تروىٰ من ستة عشر ذراعًا ، لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها[١] ، ﴿ **ونعمة كانوا فيها فاكهين** ﴾ ، أي : عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاءوا ويلبسون ما أحبوا ، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد ، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة ، و[٢]فارقوا الدنيا وصاروا إلىٰ جهنم وبئس المصير ، واستولىٰ علىٰ البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **كذلك وأورثناها قومًا آخرين** ﴾ وهم بنو[٣] إسرائيل كما تقدم .

وقوله : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾ . أي : لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي علىٰ فقدهم ، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا اللَّه فيها[٤] فقدتهم ، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم ، وعتوهم وعنادهم .

قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلىٰ في مسنده : حدثنا أحمد بن إسحاق البصري ، حدثنا مكي[٥] ابن إبراهيم ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، حدثني يزيد الرقاشي ، حدثني أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ما من عبد إلا وله في السماء بابان : باب يخرج منه رزقه ، وباب يدخل فيه**[٦] **عمله وكلامه ، فإذا مات فقداه وبكيا عليه** » ، وتلا هذه الآية : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾ . وذكر أنهم لم يكونوا عملوا علىٰ الأرض عملًا صالحًا يبكي عليهم ، ولم يصعد لهم إلىٰ السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ، ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم(١٤) .

ورواه[٧] ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة[٨] ، وهو الربذي .

وقال ابن جرير : حدثني يحيىٰ بن طلحة ، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عُبيد الحضرمي ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن الإِسلام بدأ**

---

(١٤) – مسند أبي يعلى (٧/١٦٠) ورواه الترمذي (٣٢٥٥) مختصرًا .وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، موسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث .

---

[١] – في ز، خ : « وخليجها » .
[٢] – سقط من : ز، خ .
[٣] – في ز، خ : « بنى » .
[٤] – سقط من : ز، خ .
[٥] – في خ : « بكر » .
[٦] – في ت : « منه » .
[٧] – في ت : « رواه » .
[٨] – في ز : « عبدة » .

غريبًا وسيعود غريبًا ، ألا لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » . [ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾][١] . ثم قال : « **إنهما لا يبكيان على الكافر** »(١٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - حدثنا العلاء بن صالح ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ؛ قال : سأل رجل عليًا - رضي الله عنه - : هل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ فقال له : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، إنه ليس عبد إلا له مُصَلى في الأرض ، ومصعد عمله من السماء ، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض ، ولا عمل يصعد في السماء ، ثم قرأ عليٌّ - رضي الله عنه - : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين** ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا طلق بن غَنَّام[٢] ، عن زائدة ، عن منصور ، عن منهال ، عن سعيد بن جُبَير قال : أتى ابن عباس رجل فقال : يا أبا عباس ، أرأيت قول الله : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين** ﴾ . فهل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ قال : نعم ، إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه ؛ وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه [ ][٣] بكى عليه ، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي[٤] كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة ، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير ، فلم تبك عليهم السماء والأرض(١٦) . وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا .

وقال سفيان الثوري : عن أبي يحيى القَتَّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان يُقال : تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحًا . [وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد .

وقال مجاهد أيضًا : ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا][٥] . قال : فقلت له : أتبكي الأرض ؟ فقال : أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دويٌّ كدوي النحل ؟ .

(١٥) - تفسير الطبري (٧٥/٢٥) وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » .
(١٦) - تفسير الطبري (٧٤/٢٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز، خ : « غشام » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فقد » .
[٤] - في ز، خ : « الذي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال قتادة: كانوا أهون على الله من أن تبكي عليهم السماء والأرض.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عبد السلام بن عاصم، حدثنا إسحاق ابن إسماعيل، حدثنا المستورد بن سابق، عن عبيد المُكتب، عن إبراهيم قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين. قلت لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه حيث يصعد عمله. قال: وتدري ما بكاء السماء؟ قلت[١]: لا. قال: تحمر وتصير وردة كالدّهان، إن يحيى بن زكريا لما قتل احمرت السماء وقطرت دمًا. وإن حسين بن علي لما قتل احمرت السماء.

وحدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو - زُنَيج - حدثنا جرير، عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين[٢] بن علي -رضي الله عنهما- احمرت آفاق السماء أربعة أشهر. قال يزيد: واحمرارها بكاؤها. وهكذا قال السدي الكبير.

وقال عطاء الخراساني: بكاؤها أن تحمرّ أطرافها.

وذكروا أيضًا في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ[٣] إلا وجد تحته دم عَبيط، وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة. وفي كل ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخْف[٤] الشيعة وكذبهم، ليعظّموا الأمر - ولا شك أنه عظيم - ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ماهو أعظم من قتل الحسين -رضي الله عنه- ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قُتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصورًا مظلومًا، ولم يكن شيء من ذلك، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه. ويوم مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف، وخطبهم وبين لهم أنّ الشمس والقمر لا يَنْخَسِفان لموت أحد ولا لحياته(١٧).

وقوله: ﴿ **ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين** ﴾. يمتن عليهم تعالى بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله

(١٧) - رواه البخاري في صحيحه برقم (١٠٤٣) ومسلم في صحيحه (٩١٥).

[١] - في ز، خ: «قال».
[٢] - في ت: «حسين».
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز، خ: «خسف».

لهم ، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة .

وقوله : ﴿من فرعون إنه كان عاليًا﴾ أي : مستكبرًا جبارًا عنيدًا . وكقوله : ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ وقوله : ﴿فاستكبروا وكانوا قومًا عالين﴾ ، سَرِفًا في أمره ، سخيف الرأي علىٰ نفسه .

وقوله : ﴿ ولقد اخترناهم علىٰ علم علىٰ العالمين ﴾ ، قال مجاهد : ﴿ اخترناهم علىٰ علم علىٰ العالمين ﴾ ، علىٰ مَن هم بين ظَهْرَيه .

وقال قتادة : اختيروا علىٰ أهل زمانهم ذلك . وكان يقال : إن لكل زمان عالمًا وهذه كقوله تعالى : ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أي : أهل زمانه ، وكقوله لمريم : ﴿ واصطفاك علىٰ نساء العالمين ﴾ ، أي : في زمانها ، فإن خديجة أفضل منها وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، أو[١] مساوية لها في الفضل ، وفضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام » .

وقوله : ﴿ وآتيناهم من الآيات ﴾ ، أي : الحجج والبراهين وخوارق العادات ﴿ مافيه بلاء مبين ﴾ ، أي : اختبار ظاهر جليّ[٢] لمن اهتدىٰ به .

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في إنكارهم البعث والمعاد ، وأنه ما ثَمَّ إلا هذه الحياة الدنيا ، ولا حياة بعد الممات ، ولا بعث ولا نشور . ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا ، فإن كان البعث حقًّا ﴿ فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ . وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة ، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار ، بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد اللّٰه العالمين خلقًا جديدًا ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا ، يوم تكونون[٣] شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا .

ثم قال تعالىٰ متهددًا لهم ، ومتوعدًا ومنذرًا لهم بأسه الذي لا يُرد ، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث ، وكقوم[٤] تبع - وهم سبأ - حيث أهلكهم اللّٰه

---

[١] - في ز ، خ : « إما » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز، خ : « تكونوا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز، خ :وكقوم .

وخَرَّب بلادهم ، وشرَّدهم في البلاد ، وفرقهم شَذَر مَذَر ، كما تقدم ذلك في سورة سبأ ، وهي مُصَدَّرة بإنكار المشركين للمعاد . وكذلك هاهنا شَبَّههم بأولئك ، وقد كانوا عربًا من قحطان [كما أن][١] هؤلاء عرب من عدنان ، وقد كانت حمير - وهم سبأ - كلما مَلَكَ فيهم رجل سموه تُبَّعًا ، كما يقال : كسرىٰ لمن ملك الفرس ، وقيصر لمن ملك الروم ، وفرعون لمن ملك مصر كافرًا ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، وغير ذلك من أعلام الأجناس .

ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتىٰ وصل إلىٰ سمرقند ، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه ، واتسعت مملكته وبلاده ، وكثرت رعاياه وهو الذي مَصَّر الحيرة فاتفق أنه مَرّ بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية ، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار ، وجعلوا يَقْرُونه بالليل ، فاستحيا منهم وكَفّ عنهم ، واستصحَبَ معه حَبْرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له علىٰ هذه البلدة ، فإنها مُهَاجَرُ نَبيّ يكون في آخر الزمان ، فرجع عنها وأخذهما معه إلىٰ بلاد اليمن ، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه أيضًا ، وأخبراه بعظمة هذا البيت ، وأنه من بناية إبراهيم الخليل وأنه سيكون له شأن عظيم علىٰ يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان ، فعظمها وطاف بها ، وكساها المُلاء والوصائل والحِبِير . ثم كرّ راجعًا إلىٰ اليمن ودعا أهلها إلىٰ التهود معه ، وكان إذ ذاك دين موسىٰ - عليه السلام - فيه من يكون علىٰ الهداية قبل بعثة المسيح - عليه السلام - فتهود معه عامة أهل اليمن . وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه « السيرة »(١٨) .

وقد ترجمه الحافظ [ابن عساكر] في تاريخه ترجمة حافلة(١٩) ، أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومالم نذكر . وذكر أنه ملك دمشق ، وأنه كان إذا استعرض الخيل صُفَّت له [الخيل][٢] من دمشق إلىٰ اليمن . ثم ساق من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **ما أدري الحدُودِ طهارة لأهلها أم لا ؟ ولا أدري تُبَّع لَعينًا كان أم لا ؟ ولا أدري ذو القرنين نبيًّا كان أم ملكًا ؟** » وقال غيره : « **أعزيرًا كان نبيًّا أم لا ؟** » . و[٣]كذا رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن حماد الطّهراني ، عن عبد الرزاق(٢٠) .

---

(١٨) - السيرة النبوية (١/١٩) .

(١٩) - تاريخ دمشق مخطوط (٣/٥٠٠) .

(٢٠) - ورواه الحاكم في المستدرك (١/٣٦) من طريق عبد الرزاق به . ورواه أبو داود في سننه (٤٦٧٤) من طريق عبد الرزاق به إلا أنه قال : « عزير » بدل « ذو القرنين » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « فإن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٣] - سقط من : ز، خ .

قال الدارقطني : تفرد به عبد الرزاق ، ثم روىٰ ابن عساكر من طريق محمد بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - مرفوعًا : « **عُزير لا أدري أنبيًا كان أم لا ؟ ولا أدري [ألعين تُبع][١] أم لا ؟** »(٢١) .

ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتىٰ . وكأنه - واللَّه أعلم - كان كافرًا ثم أسلم ، وتابع دينَ الكليم[٢] علىٰ يَدَيْ مَن كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان علىٰ الحق قبل بعثة المسيح - عليه السلام - وحج البيت في زمن الجُرهُميين ، [وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ست آلاف بدنة وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلىٰ][٣] اليمن . وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسوطة عن أبي بن كعب ، وعبد اللَّه ابن سَلَام ، وعبد اللَّه بن عباس، وكعب الأحبار . وإليه المرجع في ذلك كله ، وإلىٰ عبد اللَّه ابن سلام أيضًا ، وهو أثبت وأكبر وأعلم .

وكذا روىٰ قصته وهب بن مُنَبِّه ، ومحمد بن إسحاق في « السيرة » كما هو مشهور فيها . وقد اختلط علىٰ الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تُبَّع هذا[٤] بترجمة آخر[٥] متأخر عنه بدهر طويل ، فإن تُبَّعًا هذا المشارَ إليه في القرآن أسلم قومه علىٰ يديه ، ثم لما مات عادوا بعده إلىٰ عبادة الأصنام والنيران ، فعاقبهم اللَّه تعالىٰ كما ذكر[٦] في سورة سبأ ، وقد بسطنا قصتهم هنالك ، وللَّه الحمد والمنة .

وقال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة، وكان سعيد ينهىٰ عن سبه .

وتُبَّع هذا هو تُبَّع الأوسط ، واسمه أسعد أبو كريب بن مَلْكيكَرِب اليماني ، ذكروا أنه ملك علىٰ قومه ثلاثمائة سنة وستًّا[٧] وعشرين سنة ، ولم يكن في حمير أطول مُدّة منه ، وتوفي قبل مبعث رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بنحو من سبعمائة عام . وذكروا أنه لما ذكر له الحَبْران من يهود المدينة أن هذه البلدة[٨] مُهاجَرُ [نبي في آخر الزمان][٩] ، اسمه أحمد ، قال في ذلك شعرًا واستودعه عند أهل المدينة . وكانوا يتوارثونه ويَرْوُونه خلفًا عن سلف . وكان ممن يحفظه

---

(٢١) - تاريخ دمشق (٥٠١/٣) مخطوط .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ألعن تتبعًا » .
[٢] - في ز ، خ : « الخليل » . وفي هامش ز : لعله الكليم .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ.
[٦] - في ت : « ذكره » .
[٧] - في ز ، خ : « وستة » .
[٨] - في ز، خ : « المدينة » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : « نبي آخر في الزمان » .

أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في داره ، وهو :

شَهِدْتُ عَلَىٰ أحْمَدَ أنَّه رَسُولٌ مِنَ اللَّه بَاري النَّسَمْ
فَلَو مُدّ عُمْري إلَىٰ عُمْره لَكُنْتُ وَزيرًا له وابنَ عَمْ
وَجَاهَدْتُ بالسَّيف أعْدَاءَهُ وَفَرّجتُ عَنْ صَدْره كُلّ غَمْ

وذكر ابن أبي الدنيا ؛ أنه حُفر قبر بصنعاء في الإسلام ، فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين ، وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حبي ولميس - ورُوِي : حبي وتماضر - ابنتي تبع ، ماتتا وهما تشهدان[١] أن لا إله إلا الله ولا تشركان[٢] به شيئًا ، وعلىٰ ذلك مات الصالحون قبلهما .

وقد ذكرنا في سورة « سبأ » شعر سبأ في ذلك أيضًا .

قال قتادة : ذكر لنا أن كعبًا كان يقول في تبع : نُعِتَ نعت الرجل الصالح ، ذم الله تعالىٰ قومه ولم يذمه . قال : وكانت عائشة تقول : لا تسبوا تُبَّعًا فإنه قد كان رجلًا صالحًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الله بن لَهِيعة ، عن أبي زُرْعة - يعنىٰ عمرو بن جابر الحضرمي - قال[٣] : سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« لا تسبوا تبعًا فإنه قد كان أسلم »** .

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة به(٢٢) .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بَزّة[٤] ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : **« لا تسبوا تبعًا فإنه قد أسلم »**(٢٣) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« ما أدري تبع نبيًا كان أم غير نبي؟ »** .

وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم ، كما أورده ابن عساكر: **« لا أدري تبع كان لعينًا أم لا ؟ » . فالله أعلم.**

---

(٢٢) - المسند (٥/٣٤٠) .

(٢٣) - المعجم الكبير (١١/٢٩٦) وقال الهيثمي : فيه أحمد بن أبي بزة المكي ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز ، خ: « يشهدان » .

[٢] - في ز، خ : « يشر كان » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « برزة » .

ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيىٰ البَدِيّ[١] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس موقوفًا .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا عمران أبو الهذيل ، أخبرني تميم بن عبد الرحمن قال : قال عطاء ابن أبي رباح : لا تسبوا تبعًا ، فإن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم نهىٰ عن سبّه (٢٤) .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عَدْله وتنزيهه[٢] نَفْسَه[٣] عن اللعب والعبث والباطل ، كقوله : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ وقال : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ اللّه الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ . ثم قال : ﴿ **إن يوم الفصل** ﴾ وهو يوم القيامة ، يفصل اللّه فيه بين الخلائق ، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين .

وقوله : ﴿ **ميقاتهم أجمعين** ﴾ ، أي : يجمعهم كلَّهم أولهم وآخرهم ، ﴿ **يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا** ﴾ أي : لا ينفع قريب قريبًا ، كقوله : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ [وكقوله ﴿ **ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم** ﴾][٤] أي : لا يسأل أخًا له عن حاله وهو يراه عيانًا .

وقوله : ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ أي : لا ينصر القريب قريبه ، ولا يأتيه نصره من الخارج[٥] .

ثم قال : ﴿ **إلا من رحم اللّه** ﴾ ، أي : لا ينفع يومئذ إلا مَن رَحِمَهُ اللّه - عز وجل - لخلقه ﴿ **إنه هو العزيز الرحيم** ﴾ ، أي : هو عزيز ذو رحمة واسعة .

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ

---

(٢٤) - تفسير عبد الرزاق (١٧١/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « المدني » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من : ز .
[٥] - في ز : « خارج » .

﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما يعذّب به الكافرين الجاحدين للقائه : ﴿ **إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم** ﴾ ، والأثيم : أي في قوله وفعله ، وهو الكافر ، وذكر غير واحد أنه أبو جهل ، ولا شك في دخوله في هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به .

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همّام بن الحارث : أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلًا : [﴿ **إن شجرة الزقوم * طعام**][1] [**الأثيم** ﴾ ، فقال : طعام اليتيم . فقال أبو الدرداء قل][2] : [إن شجرة الزقوم][3] طعام الفاجر . أي : ليس له طعام من غيرها . قال مجاهد : ولو وقعت منها قطرة في الأرض لأفسدت علىٰ أهل الأرض معايشهم . وقد تقدم نحوه مرفوعًا .

وقوله : ﴿ **كالمهل** ﴾ قالوا : كعكر[4] الزيت ، ﴿ **يغلي في البطون * كغلي الحميم** ﴾ ، أي : من حرارتها ورداءتها ، وقوله ﴿ **خذوه** ﴾ ، أي : الكافر ، وقد ورد أنه تعالىٰ إذا قال للزبانية : ﴿ **خذوه** ﴾ ابتدره سبعون ألفًا منهم .

﴿ **فاعتلوه** ﴾ أي : سوقوه سحبًا ودفعًا في ظهره[5] .

قال مجاهد : ﴿ **خذوه فاعتلوه** ﴾ أي : خذوه فادفعوه .

وقال الفرزدق :

لَيسَ الكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمُ حَتَّىٰ تُرَدّ[6] إِلَىٰ عَطِيَّة تُعْتَلُ

﴿ **إلىٰ سواء الجحيم** ﴾ ، أي : وسطها ، ﴿ **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود** ﴾ وقد تقدم أن الملَكَ يضربه بمقْمعَة من حديد ، فيفتح[7] دماغه ثم يصب الحميم علىٰ رأسه فينزل في بدنه ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : « كعقر » .
[٥] - في ت : « صدره » .
[٦] - في ز ، خ: « يردّ » .
[٧] - في ت : « تفتح » .

فيسلت ما في بطنه من أمعائه ، حتىٰ تمرُق من كعبيه - أعاذنا اللّٰه تعالىٰ من ذلك - ! .

وقوله : ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ أي : قولوا[١] له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ .

و[٢]قال الضحاك : عن ابن عباس : أي لست بعزيز و[٣]لا كريم .

وقد قال الأموي في « مغازيه » : حدثنا أسباط ، حدثنا أبو بكر الهُذَلي ، عن عكرمة قال : لقي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أبا جهل - لعنه الله ! - فقال : « **إن اللّٰه تعالىٰ أمرني أن أقول لك** : ﴿ **أولىٰ لك فأولىٰ * ثم أولىٰ لك فأولىٰ** ﴾ » . قال : فنزع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء . ولقد علمت أني أمنعُ أهل البطحاء ، وأنا العزيز الكريم . قال : فقتله اللّٰه تعالىٰ يوم بدر وأذله وعَيّره بكلمته ، وأنزل : ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن هذا ماكنتم به تمترون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **يوم يُدَعّون إلىٰ نار جهنم دعًا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون** ﴾ . ولهذا[٤] قال هاهنا : ﴿ **إن هذا ما كنتم به تمترون** ﴾ .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

لما ذكر تعالىٰ حال الأشقياء عطف بذكر السعداء - ولهذا سُمِّي القرآن مثاني - فقال : ﴿ **إن المتقين** ﴾ ، أي : للّٰه في الدنيا ﴿ **في مقام أمين** ﴾ . أي : في الآخرة وهو الجنة ، قد أمنوا فيها من الموت والخروج ، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ، ومن الشيطان وكيده ، وسائر الآفات والمصائب ﴿ **في جنات وعيون** ﴾ . وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شَجَر الزقوم ، وشرب الحميم .

---

[١] - في ت : « قل » .

[٢] - سقط من : ز ، خ.

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - في ت : « وكهذا » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يلبسون من سندس** ﴾ ، وهو : رفيع الحرير ، كالقمصان ونحوها ، ﴿ **وإستبرق** ﴾ ، وهو : مافيه بريق ولمعان وذلك كالرياش ، وما يلبس علىٰ أعالي القماش . ﴿ **متقابلين** ﴾ ، أي : علىٰ السرر ، لا يجلس أحد منهم وظهره إلىٰ غيره .

وقوله : ﴿ **كذلك وزوجناهم بحور عين** ﴾ ، أي : هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ ، ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ ، ﴿ **هل جزاء الإِحسان إلا الإِحسان** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نوح بن حبيب ، حدثنا نَصر[١] بن مُزاحم العَطّار ، حدثنا عمر بن سعد ، عن رجل ، عن أنس - رفعه نوح - قال : « لو أن حوراء بزقت في بحر لُجيّ ، لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها »(٢٥) .

وقوله : ﴿ **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين** ﴾ ، أي : مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم ، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه ، بل يحضر لهم[٢] كلما أرادوا .

وقوله : ﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولىٰ** ﴾ ، هذا الاستثناء يؤكد النفي ، فإنه استثناء منقطع ، ومعناه : أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا . كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يؤتىٰ بالموت في صورة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة ؛ خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت** » .

وقد تقدم الحديث في سورة مريم(٢٦) .

وقال عبد الرزاق : حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي[٣] مسلم الأغر ، عن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالا : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقال لأهل الجنة : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تَبْأسوا أبدًا ، وإن لكم أن تَشِبّوا فلا تهرموا أبدًا** » . رواه مسلم ، عن إسحاق بن راهوية وعبد بن حُمَيد ، كلاهما عن عبد الرزاق به[٤](٢٧) .

---

(٢٥) - ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٦) من وجه آخر ، فرواه من طريق محمد بن إسماعيل الحساني عن منصور الواسطي عن أبي نصر الآبار عن أنس مرفوعًا بنحوه .

(٢٦) - تقدم عند الآية (٣٩) من سورة مريم .

(٢٧) - مسلم (٢٨٣٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « نعمة » .
[٢] - في ت : «إليهم » .
[٣] - في ز، خ : « ابن » .
[٤] - سقط من ت .

هكذا يقول أبو إسحاق وأهل العراق : « **أبو مسلم الأغر** » . وأهل المدينة يقولون : « **أبو عبد اللّٰه الأغر** » .

وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني : حدثنا أحمد بن حفص ، عن أبيه ، عن إبراهيم ابن[١] طَهْمَان ، عن الحجاج - هو : ابن حجاج - ، عن عبادة ، عن عبيد اللّٰه بن عمرو ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من اتقىٰ اللّٰه دخل الجنة ، ينعم فيها ولا يبأس ، ويحيا فيها فلا يموت ، لا تبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه** »(٢٨) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيىٰ ، حدثنا عمرو بن محمد[٢] الناقد ، حدثنا سليمان بن عبيد[٣] اللّٰه الرقي ، حدثنا مصعب بن إبراهيم ، حدثنا عمران بن الربيع الكوفي ، عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر - رضي اللّٰه عنه - قال : سُئل نَبِيّ الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أينام أهل الجنة ؟ فقال : « **النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون** »(٢٩) .

وهكذا رواه . أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسيره : حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري ، حدثنا المقدام بن داود ، حدثنا عبد اللّٰه بن المغيرة ، حدثنا سفيان الثوري ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللّٰه قال : قال رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون** »(٣٠) .

وقال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا الفضل بن يعقوب ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قيل[٤] : يا رسول الله ، هل ينام أهل الجنة ؟ قال : « **لا ، النوم أخو الموت** » . ثم قال : لا نعلم أحدًا أسنده عن ابن المنكدر عن جابر إلا الثوري ، ولا عن الثوري ، إلا الفريابي(٣١) . هكذا قال . وقد تقدم خلاف ذلك ، واللّٰه أعلم .

(٢٨) - ورواه الطبراني في الأوسط (٤٨٩٥) مجمع البحرين .

(٢٩) - مجمع البحرين (٤٨٧٥) .

(٣٠) - ورواه أبونعيم في الحلية (٩٠/٧) من طريق أحمد بن القاسم ، عن المقدام بن داود به . وقال : غريب من حديث الثوري ، تفرد به عبد الله .

(٣١) -كشف الأستار (٣٥١٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١٥/١٠) : رجال البزار رجال الصحيح .

[١] - في ز ، خ : « عن » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : عبد .

[٤] - سقط من : ز، خ .

وقوله : ﴿ **ووقاهم عذاب الجحيم** ﴾ ، أي : مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وَقاهم ، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دَركات الجحيم ، فحصل لهم المطلوب ، ونجاهم من المرهوب ، ولهذا قال : ﴿ **فضلًا من ربك ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ ، أي : إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **اعملوا وسددوا وقاربوا ، واعلموا أن أحدًا لن يُدخِلَه عملُه الجنة** » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يَتَغمّدني الله برحمة منه وفضل** »(٣٢) .

وقوله : ﴿ **فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون** ﴾ ، أي : إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلًا واضحًا بينًا جليًا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ ، أي[١] : يتفهمون ويعملون .

ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس مَنْ كفر وخالف وعاند ، قال الله تعالىٰ لرسوله [مسليًا له وواعدًا][٢] له بالنصر ، ومتوعدًا لمن كذبه بالعطب والهلاك : ﴿ **فارتقب** ﴾ ، أي : انتظر ﴿ **إنهم مرتقبون** ﴾ ، أي : فسيعلمون[٣] لمن يكون النصر[٤] والظفر وعُلُوّ الكلمة في الدنيا والآخرة ، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي. إن الله قوي عزيز** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ .

[آخر تفسير سورة الدخان. ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة][٥] .

☆ ☆ ☆

(٣٢) - صحيح البخاري (٦٤٦٧) من حديث عائشة .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ووعدًا » .

[٣] - في ز، خ : « فستعلمون » .

[٤] - في خ : « النصرة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

تفسير سورة الجاثية

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)

يُرشدُ تعالىٰ خَلْقه إلىٰ التفكر في آلائه ونعَمه ، وقدرته العظيمة التي خلق بها السمٰوات والأرض ، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع ، من الملائكة والجن والإنس ، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات ، وما في البحر من الأصناف المتنوعة ، واختلاف الليل والنهار ، في تعاقبهما دائبين لا يفتران ، هذا بظلامه وهذا بضيائه ، وما أنزل اللّٰه تعالىٰ من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه ، وسماه رزقًا لأن به يحصل الرزق ، ﴿ **فأحيا به الأرض بعد موتها** ﴾ ، أي : بعد ما كانت هامدة لا نَبات فيها ولا شيء .

وقوله : ﴿ **وتصريف الرياح** ﴾ أي : جنوبًا ، وشآمًا[١] ، ودبورًا وصبًا ، بحرية وبرية ، ليلية ونهارية . ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء الأرواح ، ومنها ما هو عقيم .

وقال أولًا : ﴿ **لآيات للمؤمنين** ﴾ ، ثم ﴿ **يوقنون** ﴾ ثم ﴿ **يعقلون** ﴾ ، وهو تَرَق من حال شريف إلىٰ ما هو أشرف منه وأعلىٰ . وهذه الآيات شبيهة بآية « البقرة » وهي قوله : ﴿ **إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل اللّٰه من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون** ﴾ .

قد أورد ابن أبي حاتم هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلًا غريبًا في خلق الإنسان من الأخلاط الأربعة .

تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ

[١] - في خ : « وشمالًا » .

﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾

يقول تعالىٰ : هذه آيات اللّٰه - يعني القرآن بما فيه من الحجج والبينات - ﴿ **نتلوها عليك بالحق** ﴾ ، أي : متضمنة الحق من الحق ، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها ، فبأي حديث بعد اللّٰه وآياته يؤمنون ؟ ! ثم قال : ﴿ **ويل لكل أفاك أثيم** ﴾ ، أي : أفاك في قوله كذاب ، حلاف مهين أثيم في فعله وَقِيلِهِ كافر بآيات اللّٰه ، ولهذا قال : ﴿ **يسمع آيات اللّٰه تتلىٰ عليه** ﴾ ، أي : تقرأ عليه ﴿ **ثم يصر** ﴾ ، أي : علىٰ كفره وجُحُوده استكبارًا وعنادًا ﴿ **كأن لم يسمعها** ﴾ ، أي : كأنه ما سمعها ، ﴿ **فبشره بعذاب أليم** ﴾ أي[١] فأخبِرْه أن له عند اللّٰه يوم القيامة عذابًا أليمًا موجعًا .

﴿ **وإذا علم من آياتنا شيئًا اتخذها هزوًا** ﴾ . أي : إذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به واتخذه سخريًا وهُزُوًا ، ﴿ **أولئك لهم عذاب مهين** ﴾ ، أي : في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ؛ ولهذا روىٰ مسلم في صحيحه عن ابن عمر(١) قال : نهىٰ[٢] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يُسَافَرَ بالقرآن إلىٰ أرض العدو مخافةَ أن يناله العدو .

ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال : ﴿ **من ورائهم جهنم** ﴾ ، أي : كل من اتصف بذلك سيصيرون إلىٰ جهنم يوم القيامة ، ﴿ **ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا** ﴾ ، أي : لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ، ﴿ **ولا ما اتخذوا من دون اللّٰه أولياء** ﴾ ، أي : ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون اللّٰه شيئًا ، ﴿ **ولهم عذاب عظيم** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هذا هدى** ﴾ ، يعني القرآن ، ﴿ **والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم** ﴾ . وهو المؤلم[٣] الموجع .

---

(١) - صحيح مسلم حديث (١٨٦٩) .

---

[١] - زيادة من : ز .
[٢] - في خ : « نبئ » .
[٣] - في ز، خ : « المقلق » .

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) ﴾

يذكر تعالىٰ نِعَمه علىٰ عبيده فيما سخر لهم من البحر ﴿ **لتجري الفلك** ﴾ ، وهي السفن فيه بأمره تعالىٰ ، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ ، أي : في المتاجر والمكاسب ، ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ ، أي : علىٰ حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وسخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض** ﴾ أي : من الكواكب والجبال ، والبحار والأنهار ، وجميع ما تنتفعون به ، أي[١] : الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ؛ ولهذا قال : ﴿ **جميعًا منه** ﴾ أي : من عنده وحده لا شريك له في ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون** ﴾ .

ورویٰ ابن جرير من طريق العَوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه** ﴾ : كل شيء هو من الله ، وذلك الاسم فيه[٢] اسم من أسمائه ، فذلك[٣] جميعًا منه ، ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن[٤] أنه كذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا الفريابي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي أراكة قال : سأل رجل عبد الله بن عَمرو قال[٥] : مِمّ خُلق الخلق ؟ قال : من النور والنار ، والظلمة والثرىٰ . قال : [وأتِ][٦]ابن عباس فاسأله . فأتاه فقال له مثل ذلك ، فقال : ارجع إليه فسله : مم خلق ذلك كله ؟ فرجع إليه فسأله ، فتلا : ﴿ **وسخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعًا منه** ﴾ . هذا أثر غريب ، وفيه نكارة . ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله** ﴾ أي : يصفحوا عنهم

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « منه » .
[٣] - في ز : « وذلك » .
[٤] - في ز ، خ : « واستبين » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : ائت .

ويحملوا الأذى منهم . وهذا كان في ابتداء الإسلام ، أمروا أن يصبروا علىٰ أذى المشركين وأهل الكتاب ، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم ، [ثم لما][١] أصروا علىٰ العناد شَرَع الله للمؤمنين الجِلاد والجهَادَ . هكذا رُوي عن ابن عباس ، وقتادة .

وقال مجاهد : ﴿ **لا يرجون أيام الله** ﴾ : لا ينالون[٢] نعم الله .

وقوله : ﴿ **ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون** ﴾ أي[٣] : إذا صفحوا عنهم في الدنيا فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلىٰ ربكم ترجعون** ﴾ أي : تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم ، فيجازيكم[٤] بأعمالكم خيرها وشرها .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالىٰ ما أنعم به علىٰ بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم ، وجَعْله الملك فيهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أي : من المآكل والمشارب ، ﴿ **وفضلناهم علىٰ العالمين** ﴾ أي : في زمانهم ، ﴿ **وآتيناهم بينات من الأمر** ﴾ أي : حُجَجًا وبَرَاهين وأدلة قاطعات ، فقامت عليهم الحُجَجُ ، ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة ، وإنما كان ذلك بَغيًا منهم علىٰ بعضهم بعضًا ، ﴿ **إن ربك** ﴾ [يا محمد][٥] ﴿ **يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ أي : سيفصل

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « فلما » .
[٢] - في ت : « ينالون » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « فيجزيكم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

بينهم بحكمه العدل .

وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم ، وأن تقصد منهجهم ، ولهذا قال : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها** ﴾ أي : اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو ، وأعرض عن المشركين .

وقال هاهنا : ﴿ **ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض** ﴾ أي : وماذا تغني عنهم وَلَايَتُهم لبعضهم بعضًا ، فإنهم لا يَزيدُونهم إلا خسارًا ودمارًا وهلاكًا ، ﴿ **والله ولي المتقين** ﴾ ، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات .

ثم قال : ﴿ **هذا بصائر للناس** ﴾ ، يعني : القرآن ، ﴿ **وهدى ورحمة لقوم يوقنون** ﴾ .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى : لا يستوي المؤمنون والكافرون ، كما قال : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات** ﴾ أي : عملوها وكسبوها ﴿ **أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم** ﴾ أي : نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ! ﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ أي : ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نُساويَ بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة ، وفي هذه الدار .

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مُؤمّل بن إهاب ، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي ، حدثنا الوَضِين بن عطاء ، عن يزيد بن مرثد الصنعاني[١] ، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : إن الله بنى دينه على أربعة أركان ، فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين . قيل : وما هن يا أبا ذر ؟ قال : يسلم[٢] حلال الله لله ، وحرام الله لله ، [وأمر الله لله][٣] ، ونهي

---

[١] - في ز ، خ : « الناجى » . وفي ت : الباجي [٢] - في ز، خ : « تسلم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين بسقط من : خ .

الله لله ، لا يؤتمن عليهن إلا الله . قال أبو القاسم صلىٰ الله عليه وسلم : « كما أنه لا يُجتنىٰ[١] من الشوك العنب ، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار »(٢) .

هذا حديث غريب[٢] من هذا الوجه . وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب « السيرة »(٣) أنهم وجدوا حجرًا بمكة في أسّ الكعبة مكتوبًا عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات ؟ أجل كما يجتنىٰ من الشوك العنب .

وقد روىٰ الطبراني(٤) من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي الضُّحىٰ ، عن مَسرُوق : أن تميمًا الداريّ قام ليلة حتىٰ أصبح يُردّد هذه الآية : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ . ولهذا قال تعالىٰ : [﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ ، وقال][٣] : ﴿ **وخلق الله السمٰوات والأرض بالحق** ﴾ أي : بالعدل ، ﴿ **ولتجزىٰ كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه** ﴾ أي : إنما يأتمر بهواه ، فمهما رآه حسنًا فعله ، ومهما رآه قبيحًا تركه . وهذا قد يستدل به علىٰ المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين . وعن مالك – فيما روي عنه من التفسير – : لايهوىٰ شيئًا إلا عَبَدَهُ .

وقوله : ﴿ **وأضله الله علىٰ علم** ﴾ ، يحتمل قولين :

أحدهما : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك . والآخر[٤] : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه ، وقيام الحجة عليه . والثاني يستلزم الأول ، ولا ينعكس .

﴿ **وختم علىٰ سمعه وقلبه وجعل علىٰ بصره غشاوة** ﴾ أي : فلا يسمع ما ينفعه ، ولا يعي شيئًا يهتدي به ، ولا يرىٰ حجة يستضيء بها ، ولهذا قال : ﴿ **فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ .

وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

(٢) – ورواه أحمد بن منيع ، انظر المطالب العالية (٣٤٥٦ ، ٣٤٥٧) .

(٣) – السيرة النبوية (١/١٩٦) .

(٤) – المعجم الكبير (٢/٥٠) .

[١] – في ز ، خ : « يخشى » .

[٢] – بياض في ز ، خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] – سقط من : ز، خ .

ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالىٰ عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد : ﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ أي : ماثَمّ إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وماثَمّ معاد ولا قيامة . وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البدَاءة والرجعة ، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدّورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلىٰ ما كان عليه . وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهىٰ ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال الله تعالىٰ : ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ ، أي : يتوهمون ويتخيلون .

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح ، وأبو داود ، والنسائي ، من رواية سفيان بن عُيَينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هُريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « يقول الله تعالىٰ : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب ليله ونهاره »(٥) . وفي رواية : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر »(٦) .

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًّا فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، وهو الذي يهلكنا ، يميتنا ويحيينا ، فقال الله في كتابه : ﴿ وقالوا[١] ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ » . قال[٢] : « ويسبون الدهر ، فقال الله –عز وجل– : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار »(٧) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن منصور ، عن شُريح بن النعمان ، عن ابن عيينة ، مثله . ثم روى عن يونس ، عن ابن وهب [ ][٣] عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالىٰ : يسبّ ابن آدم الدهر

(٥) – البخاري (٤٨٢٦) ، وصحيح مسلم (٢٢٤٦) وسنن أبي داود (٥٢٧٤) والنسائي في الكبرى (١١٦٨٧) .

(٦) – صحيح مسلم (٢٢٤٦) .

(٧) – تفسير الطبري (٢٥/٩٢) .

[١] – سقط من : ز، خ . [٢] – سقط من : ز، خ .

[٣] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عن يونس » .

وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار » .

وأخرجه صاحبا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد[١] به(٨) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « [يقول الله][٢] : استقرضت عبدي فلم يعطني ، وسبني عبدي يقول : وادهراه وأنا الدهر »(٩) .

قال الشافعي وأبو عبيد[٣] وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » : كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة ، قالوا : ياخيبة الدهر . فيسندون تلك الأفعال إلىٰ الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبوا الله - عز وجل - لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نُهِيَ عن سب الدهر بهذا الاعتبار ؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال .

هذا أحسن ماقيل في تفسيره ، وهو المراد ، والله أعلم . وقد غَلِطَ ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدّهم الدهر من الأسماء الحسنىٰ ، أخذًا من هذا الحديث !

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات** ﴾ أي : إذا استُدِلّ عليهم وبُيّن لهم الحق ، وأن الله قادر علىٰ إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ، ﴿ **ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين** ﴾ أي : أحيوهم إن كان ما تقولونه حقًا . قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل الله يحييكم** ﴾ أي : كما تشاهدون ذلك ، يخرجكم[٤] من العدم إلىٰ الوجود ، ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾ أي : الذي قدر علىٰ البداءة قادر علىٰ الإعادة بطريق الأوْلَىٰ والأحْرَىٰ . ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، ﴿ **ثم يجمعكم إلىٰ يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ أي : إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتىٰ تقولوا : ﴿ **ائتوا بآبائنا [إن كنتم صادقين]**[٥] ﴾ ، ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع** ﴾ ﴿ **لأي يوم أجلت ليوم الفصل** ﴾ . ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **ثم**[٦] **يجمعكم إلىٰ يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ أي : لاشك فيه ، ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ أي : فلهذا ينكرون المعاد ، ويستبعدون قيام الأجساد . قال الله تعالىٰ : ﴿ **إنهم**

---

(٨) - صحيح البخاري (٦١٨١) ، وصحيح مسلم (٢٢٤٦) النسائي في الكبرى (١١٦٨٦) .

(٩) - تفسير الطبري (٢٥/٩٢) .

---

[١] - في ت : « زيد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « عبيدة » .

[٤] - في ز ، خ : « بخروجكم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « يوم » .

يرونه بعيدًا * ونراه قريبًا ﴾ أي: يرون وقوعه بعيدًا والمؤمنون يرون ذلك سهلًا قريبًا .

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السملوات والأرض ، الحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ **ويوم تقوم الساعة** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **يومئذ**[١] **يخسر المبطلون** ﴾ ، وهم الكافرون باللَّه الجاحدون ما أنزله علىٰ رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

وقال ابن أبي حاتم : قَدِمَ سفيان الثوري المدينة ، فسمع المَعَافريّ يتكلم ببعض ما يضحك به الناس . فقال له : ياشيخ ، أما علمتَ أن للَّه يومًا يخسر فيه المبطلون ؟ قال : فما زالت تعرف في المعافري[٢] حتىٰ لحق باللَّه عز وجل . ذكره ابن أبي حاتم .

ثم قال : ﴿ **وترىٰ كل أمة جاثية** ﴾ أي : علىٰ ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال : إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقىٰ أحد إلا جثا لركبتيه ، حتىٰ إبراهيم الخليل ، ويقول : نفسي ، نفسي ، نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي . وحتىٰ إن عيسىٰ ليقول : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، لا أسألك مريم التي ولدتني .

قال مجاهد ، وكعب الأحبار ، والحسن البصري : ﴿ **كل أمة جاثية** ﴾ أي : على الركب .

وقال عكرمة : جاثية متميزة علىٰ ناحيتها ، وليس علىٰ الركب . والأول أولىٰ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عبد اللَّه بن باباه : أن رسول اللَّه قال : « كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم »(١٠) .

وقال إسماعيل بن رافع المديني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا في حديث الصور[٣] : فيتميز الناس ، وتجثو الأمم »(١١) ، وهي التي يقول اللَّه : ﴿ **وترىٰ كل**

(١٠) - ورواه نعيم في زوائد زهد ابن المبارك برقم (٣٦٠) ، وابو نعيم في الحلية (٢٩٩/٧) من طريق ابن عيينة به .

(١١) - حديث الصور تقدم عند الآية (٧٣) من سورة الأنعام .

[١] - سقط من : ز، خ . [٢] - في خ : « القاصرى » .

[٣] - في ت : « الصورة » .

أمة جاثية كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها ﴾ . وهذا فيه جمع بين القولين، ولا منافاة، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **كل أمة تدعىٰ إلىٰ كتابها** ﴾ ، يعني كتاب أعمالها . كقوله : ﴿ **ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **اليوم تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ أي : تجازون بأعمالكم خيرها وشرها ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان علىٰ نفسه بَصِيرةٌ * ولو ألقىٰ معاذيرهُ** ﴾ ثم قال : ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ أي : يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ووضع الكتاب فترىٰ المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾. وقوله : ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ أي : إنا كنا نأمر الحفَظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

قال ابن عباس وغيره : تكتب الملائكة أعمال العباد ، ثم تصعد بها إلىٰ السماء ، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال علىٰ ما بأيديهم مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر ، مما [قد][١] كَتَبه الله في القِدَم علىٰ العباد قبل أن يخلقهم ، فلا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا . ثم قرأ : ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ .

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالىٰ عن حكمه في خلقه يوم القيامة ، فقال : ﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا**

[١] - سقط من ت

الصالحات ﴾ أي : آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحات ، وهي الخالصة الموافقة للشرع . ﴿ **فيدخلهم ربهم في رحمته** ﴾ ، وهي الجنة . كما ثبت في الصحيح [أن الله][١] قال للجنة : « أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء »(١٢) .

﴿ **ذلك هو الفوز المبين** ﴾ أي : البين الواضح . ثم قال : ﴿ **وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فاستكبرتم** ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا : أما قُرئت عليكم آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها ، وأعرضتم عند سماعها ؟ ﴿ **وكنتم قومًا مجرمين** ﴾ أي : في أفعالكم ، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ .

﴿ **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها** ﴾ أي : إذا قال لكم المؤمنون ذلك ، ﴿ **قلتم ما ندري ما الساعة** ﴾ أي : لا نعرفها ، ﴿ **إن نظن إلا ظنًّا** ﴾ أي : إن[٢] نتوهم وقوعها إلا توهمًا ، أي مرجوحًا ؛ ولهذا قالوا[٣] : ﴿ **وما نحن بمستيقنين** ﴾ أي : بمتحققين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وبدا لهم سيئات ما عملوا** ﴾ أي : وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ، ﴿ **وحاق بهم** ﴾ أي : أحاط بهم ﴿ **ما كانوا به يستهزئون** ﴾ أي : من العذاب والنكال ، ﴿ **وقيل اليوم ننساكم** ﴾ أي : نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ، ﴿ **كما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ أي : [فلم تعملوا][٤] له لأنكم لم تصدقوا به ، ﴿ **ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ .

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالىٰ يقول لبعض العبيد يوم القيامة : « ألم أزوجك ، ألم أكرمك ، ألم أُسَخِّرْ لك الخيل والإبل ، وأذرك[٥] تَرأس وتَرْبَع ؟ ! فيقول : بلىٰ ، يارب . فيقول : أفظننت أنك مُلاقِيّ . فيقول : لا . فيقول الله تعالىٰ : فاليوم أنساك كما نسيتني »(١٣) .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوًا** ﴾ أي : إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حُجج الله عليكم سخريًا ، تسخرون وتستهزئون بها ، ﴿ **وغرتكم الحياة الدنيا** ﴾ أي : خدعتكم فاطمأننتم إليها ، فأصبحتم من الخاسرين ؛ ولهذا قال : ﴿ **فاليوم لا يخرجون منها** ﴾ أي : من النار ﴿ **ولا هم يستعتبون** ﴾ أي : لا[٦] يطلب منهم العُتْبىٰ ، بل

---

(١٢) - صحيح البخاري (٤٨٥٠) من حديث أبي هريرة .

(١٣) - صحيح مسلم (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه كما » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « قال » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « فلما لا تعملوا » . [٥] - في ز : « وأردك » .

[٦] - سقط من : ز .

يعذبون بغير حساب ولا عتاب ، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنةَ بغير عذاب ولا حساب .

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال : ﴿ **فللّه الحمد رب السمٰوات ورب الأرض** ﴾ أي : المالك لهما وما فيهما ؛ ولهذا قال : ﴿ **رب العالمين** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **وله الكبرياء في السمٰوات والأرض** ﴾ ، قال مجاهد : يعني السلطان . أي : هو العظيم الممجَّد ، الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد في الحديث الصحيح : « يقول اللّه تعالىٰ : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري » . ورواه[١] مسلم من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن الأغر أبي[٢] مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد -رضي اللّه عنهما- عن رسول اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - بنحوه(١٤) .

وقوله : ﴿ **وهو العزيز** ﴾ أي : الذي لا يُغالَبُ ولا يمانَعُ ، ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، تعالىٰ وتقدس ، لا إله إلا هو .

[آخر تفسير سورة الجاثية وللّه الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد اللّه وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر

ويليه إن شاء اللّه تعالى الجزء الثالث عشر

وأوله تفسير سورة الأحقاف

(١٤) - صحيح مسلم (٢٦٢٠) .

[١] - في ت : « ورواه » . [٢] - في خ : « بن » .

الفهرست

تفسير سورة الصافات ٥
تحطيم الأصنام ٣٣
الذبيح إسماعيل عليه السلام ٣٧
تفسير سورة (ص) ٧١
تسبيح الجبال والطير مع سيدنا داود ٧٨
تفسير سورة الزمر ١١١
ضرب الأمثال في القرآن ١٢٥
الحث على التوبة ١٣٨
تفسير قوله تعالى : **﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾** ١٤٧
النفخ في الصور ١٥١
دخول الأشقياء النار ١٥٤
دخول المتقين الجنة ١٥٥
ذكر سعة أبواب الجنة ١٥٩
تفسير سورة المؤمن ١٦٥
استحباب الدعاء للمؤمنين السابقين ١٧١
الأمر بإخلاص الدعاء لله وحده ١٧٥
إرسال سيدنا يوسف إلى أهل مصر ١٨٩
نصيحة مؤمن آل فرعون ١٩١
تفسير سورة فصلت ٢١٥
شهادة الجوارح على الإنسان ٢٢٧
فضل الداعي إلى الله ٢٤٠
تفسير سورة الشورى ٢٥٣
ذكر ما أعده الله لعباده المؤمنين ٢٦٧
ذكر الآيات الدالة على قدرة الله ٢٨٠
تفسير سورة الزخرف ٢٩٧
تفسير سورة الدخان ٣٣٣
تفسير سورة الجاثية ٣٥٧
الفهرست ٣٦٩